الجزء الأول والثاني | المجلد الرابع والأربعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

(عدد خاص)

بمناسبة انقضاء خمسين سنة على تأسيس المجمع



شوال ١٣٨٨ هـ

كانون الثاني ١٩٦٩ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار	١٢٠٠ قرش سوري
	أو ما يعادلهـا	جنيه وعشر شلنات
	« «	ثلاث دولارات

وإذا طُلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

مجمعنا بعد نصف قرن من تأسيسه

يبلغ مجمعنا بحلول اليوم الثامن من حزيران سنة ١٩٦٩ خمسين عاماً من العمر ، وإذا كان هذا الحين من الدهر الذي أتى عليه لا يعد شيئاً مذكوراً في حياة المجامع الأخرى ولا سيما العريقة منها في القدم ؛ فقد حق له أن يزهو مفتخراً بأن إنشاءه سبق إنشاء المجمعين العربيين الآخرين (في مصر والعراق [١]) وكان تمهيداً طبيعياً للطريق أمامهما .

ولقد تميزت هذه الفترة من الزمن بأحداث جسام في الوطن العربي كله وفي القطر السوري خاصة ، ويجدر بنا لذلك أن نتساءل هل أتيح لهذا المجمع أن يقوم في هذه الظروف بالأعباء الملقاة على عاتقه حق القيام ، وهل استطاع أن يؤدي الرسالة التي اضطلع بها ؟

أرى من الفائدة قبل الخوض في صميم الموضوع ، أن أذكر الدواعي الملحة التي دعت إلى تأسيسه في ذلك الحين ، وما ذلله مؤسسوه من صعاب وما لاقوه من عقبات حتى استقر أمره وبلغ أشده .

ففي خريف ١٩١٨ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وتحررت سورية مع سائر البلاد العربية من الحكم العثماني الذي ظل جاثماً أربعمائة سنة ونيفاً ، وأطل فجر السلام على العالم بعد أن ولت الأيام الحالكة من سني الحرب الضروس الأربع التي أتت على الأخضر واليابس في الكثير من أرجاء المعمورة

(١) لقد كان صدور مرسوم إنشاء مجمع فؤاد الأول (مجمع اللغة العربية في القاهرة اليوم) في ١٩٣٢/١٢/١٣ إلا أن عمله لم يبدأ إلا في ١٩٣٤/١/٣٠ . أما المجمع العلمي العراقي فقد تأسس في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

والتي لم يكن نصيب سورية منها بالنذر اليسير ، فقد لاقى أهلوها الظالم وعانوا البطش والتجويع والنفي والتشريد ، واهتبل غلاة الترك الاتحاديون تلك الفرصة السانحة للتنكيل بأبناء البلاد بتنفيذ ما رسموه من خطة ترمي إلى تتريك الأصقاع العربية وصهر سكانها في بوتقة الطورانية ، فعلقوا على أعواد المشانق في دمشق وبيروت نخبة مختارة من رجال الفكر ، وساقوا شبان البلاد المجنّدين إلى الأصقاع النائية من الامبراطورية العثمانية ، كما نفوا مئات الأسر إلى الأناضول بغية إحلال الترك محلهم .

وحين رأى المواطنون في سورية ، بعد كل هـــذه الشدائد ، إعلان الاستقلال في دمشق بعد جلاء الأتراك عنها وحين شهدوا الراية العربية المربعة الألوان تخفق في السماء ، عمت الفرحة وساد سرور لا يوصف ، وانطلقت الألسن بعد أن كمّت الأفواه أعواماً عديدة ، وتبارت الأقلام للدعوة إلى إذكاء روح القومية العربية بعد أن خبت طيلة القرون الأربعة ، وتألفت حكومة عربية قوامها أبناء البلاد العربية كافة دون أي تمييز بين قطر وآخر واعتُبرت وحدة العرب هدفاً أساسياً ، وعُدّ القول بالإقليمية والعمل لها ضرباً من الدسائس الأجنبية ، الغاية منه الحؤول دون جمع الكلمة وتحقيق الوحدة المنشودة .

وقد كانت أولى المشاكل التي واجهت هذا المجتمع الجديد الناشئ المتجه إلى اللحاق بركب الحضارة مشكلة اللغة العربية ، وقلّ من موظفي الحكومة من كان يتقن العربية أو يجيد الكتابة السليمة بها . وأنّى لموظفي العهد العثماني تعلم هذه اللغة ، وقد درسوا في المدارس التركية الرسمية وتخرجوا منها ، وهي مدارس لم تكن لتعنى بتعليم العربية العناية الكافية ، وإنما تكتفي في الغالب بتعليم مبادئ الصرف والنحو شأنها في ذلك شأن اللغة الفارسية التي تعلّم مبادؤها إجبارياً أيضاً ، وكلتا اللغتين كانتا تدرسان من أجل إغناء اللغة التركية ، لكثرة ما تحويه من مفرداتهما .

وأرى من المفيد أن أتوقف هنا قليلاً لأصف حالة اللغة العربية في سورية في هذه الفترة من الزمن ، وأعني في السنين الأخيرة من الحكم العثماني وغداة إعلان الاستقلال . لقد عشت هذه الفترة شاباً يافعاً ، وعانيت معاناة واضحة ما كان من شأن اللغة فيها ، وما أظن الكثرة من أبناء هذا الجيل من قراء هذه الكلمة على معرفة بهذا الوضع اللغوي في ذلك الحين .

لقد كان تعلم اللغة العربية وقفاً على بعض الفئات من الناس وفي طليعتهم رجال الدين والمسلمون منهم خاصة ، وذلك لأنه لم تخل الأزمنة الماضية حتى في أحلك أيامها من أناس نذروا أنفسهم للتفقه في الدين وإتقان علومه إلى جانب حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، فكان لا بد لهؤلاء من الإحاطة باللغة العربية من أجل ذلك ، عرباً كانوا أو أعاجم . ولما كانت الدولة العثمانية تعفي من الجندية رجال الدين والشبان الذين ينقطعون إلى طلب علوم الدين ، بعد امتحان يؤدونه أمام لجنة من العلماء تعينها الحكومة ، فقد كان على هذه الفئة من الشباب أن تتعلم اللغة العربية لتضمن الفوز بالإعفاء ، وكم من هؤلاء من شغف باللغة العربية إثر ذلك وتابع دراسته لها وأصبح ممن يشار إليهم بالبنان لسعة اطلاعه وتبحره في علومها المختلفة . ولم يكن بعض رجال الدين المسيحي أقل حظاً في تعلم لغة الضاد ، فإن منهم من عد من المبرزين بها ، وأسهم في إرساء دعائم النهضة اللغوية في سورية ولبنان على السواء .

وكان ممن يعنى باللغة العربية أيضاً ، طلاب بعض المدارس الخاصة من أهلية وتبشيرية . فمن المدارس الأهلية المدارس الطائفية وقد كانت العربية لغة التعليم في أكثرها وكانت تعتمد في التدريس على ما طبع من الكتب في مصر ولبنان ، وإذا كان موظفو الحكومة من خريجي المدارس التركية الرسمية ، فإن التجار وأرباب الصناعات وغيرهم من طبقات الناس هم من متخرجي

تلك المدارس الخاصة . وكان بين المدارس التبشيرية التي عُنيت باللغة العربية عناية فائقة ، الجامعة الأميركية في بيروت (وكانت تعرف في بدء تأسيسها بالكلية السورية الإنجيلية ، وظلت اللغة العربية لغة التعليم في جميع فروعها بما في ذلك مدرسة الطب عدة سنوات ، وألّف الأميركان المستعربون كتباً كثيرة باللغة العربية) . ثم الكلية اليسوعية في بيروت (وتعرف بكلية القديس يوسف) إذ كان تدريس العربية فيها على مستوى رفيع أيضاً ، وعلى ذلك رأينا من خريجي هذين المعهدين ولا سيا الأول منهما من كان يحسن العربية كتابة وخطابة (١).

ولم تكن المدارس الخاصة غير الرسمية في الشام تعنى كلها بتعليم اللغة العربية ، بل إن منها ما كان تركي النزعة لا يفسح لتعلم العربية إلا أقل النصيب ، وكاتب هذه السطور ممن نشأ في إحدى هذه المدارس ، إلا أن الوعي القومي الذي استيقظ بعد إعلان الدستور العثماني ، وذاك الضغط الذي قام به حزب الاتحاد والترقي ، قد دعا إلى تطوع فئة مختارة من الشباب المثقفين إلى التسرب إلى مثل هذه المدارس والتغلغل فيها وتعليم العربية بالمجان في جانب بث الروح القومية (٢) . وقد تابعت تعلم العربية خلال تحصيلي الثانوي

---

(١) من خريجي الجامعة الأميركية القدماء المرحوم فارس الخوري والمرحوم الدكتور عبد الرحمن شهبندر والدكتور عبد الرحمن الكيالي أمد الله بحياته .
ومن خريجي الكلية اليسوعية في بيروت المرحوم الدكتور مرشد خاطر (وقد أنهى دراسته الثانوية في مدرسة الحكمة في بيروت) ، والزميل الدكتور أسعد الحكيم أطال الله بقاءه (وأتقن العربية في مدرسة العازارية في دمشق) وكلهم من رواد النهضة الحديثة في البلاد .

(٢) كان من نصيب المدرسة الابتدائية التي كنت فيها آنذاك أن جاءنا لتعليم اللغة العربية فيها الشهيد الأمير عارف الشهابي (شقيق رئيسنا الراحل المرحوم مصطفى الشهابي) والمرحوم الدكتور صلاح الدين القاسمي ، وعلى حين انقطع المرحوم القاسمي بعد مدة قصيرة ، فقد تابع الأمير الشهابي تغمده الله برحمته دروسه عدة سنوات وكان له الفضل عليّ بأن حبّب إليّ تعلم اللغة العربية ، وزاد في تشجيعي على ذلك أن أهداني ساعة ذهبية في حفل مشهود لتفوقي ، وأهداني اشتراكاً في جريدة المفيد التي كانت تصدر في بيروت آنذاك وكان يسهم في تحريرها مع رفيقه الشهيد عبد الغني العريسي ، وكلاهما أعدم في بيروت خلال الحرب العالمية الأولى .

والعالي على أستاذ خاص ، وهكذا كنا نتعلم اللغة العربية كما نتعلم اللغات الأجنبية . ولما كان والدي رحمه الله موظفاً في دائرة التجنيد في عهد الحكومة العربية فقد اضطررت إلى تعليمه مبادئ العربية لكي يتابع عمله الرسمي ، شأنه في ذلك شأن سائر الموظفين من خريجي المدارس التركية .

وفي جانب تقصير أكثر المثقفين من المواطنين في إتقان العربية كتابة ونطقاً ، فقد تسرب بعض الألفاظ التركية إلى لغة العامة الدارجة ، منها الألفاظ التركية المحضة ومنها العربية أصلاً والتركية لفظاً . فمن الفئة الأولى : الشنطه (١) (الحقيبة) والكندره (الحذاء) والكوزلك (النظارات) والبورغي (اللولب) والسفرة (المائدة) وغيرها . ومن الفئة الثانية كلمات كثيرة أيضاً كان يستعملها بعض الخاصة في بادئ الأمر إلا أنها آخذة بالزوال ، كقولهم إمظا بدلاً من إمضاء (التوقيع) ، ومظبطة عوضاً عن مضبطة ، لأن الضاد تلفظ ظاء بالتركية ، ورأيت أحد مشاهير الأطباء في ذلك العهد يكتب على لافتة عيادته وبين الألقاب العلمية التي يحملها : الأعضا في الجمعية الفلانية لأن الأتراك يستعملون اللفظة بصيغة الجمع للدلالة على لفظة عضو المفردة ، وسمعت أحدهم أيضاً (وكان ذا مقام رفيع في الحكومة) يقول لأحد ضيوفه المصريين وهو يدعوه إلى التقدم عليه ، تفضل إنك مسافر عندنا ، لأن لفظة مسافر في التركية تعني الضيف في العربية . وتجاوزت الأغلاط الألفاظ المفردة إلى بعض التراكيب ، فقد شاهدت لافتة في شارع النصر نصبتها رياسة البلدية (أمانة العاصمة) تحمل الكلمتين (تصليحات المادية) أي التصليحات المتمادية أو المستمرة ، وما إلى ذلك من التراكيب والألفاظ التي لا يزال بعض العامة يستعملها ، وهي من رواسب الماضي القريب .

(١) ومنها اشتقت كلمة شنطلي أي ذو الحقيبة للدلالة على المحامي الذي يمارس المحاماة بحكم المران دون أن يكون مجازاً إجازة جامعية ولا يزال بعض الناس يستعملونها إلى يومنا هذا .

تلك لمحة عابرة عن حالة البلاد الثقافية اللغوية ، ومبلغ معرفة أهلها لغتهم غداة الانفصال عن حكم الترك ، واستلام أبنائها مقاليد الحكم ، فليس غريباً أن تكون المشكلة اللغوية أولى المشاكل التي دعت أولي الأمر وعلى رأسهم الحاكم العسكري (١) إلى السعي الحثيث لاتخاذ كل ما يمكن اتخاذه من تدابير حازمة ، وتأليفه بادئ ذي بدء دائرة خاصة في أواخر خريف ١٩١٨ سميت (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) ثم ديوان المعارف في شباط ١٩١٩ والذي أسندت رياسته إلى الأستاذ المرحوم محمد كرد علي ، وكان عاد حديثاً إلى دمشق بعد غياب طويل عنها ، مع أعضائه الثمانية ، ثم كانت الخطوة التالية تحويل الديوان المذكور إلى مجمع علمي (٢) بتاريخ ١٩١٩/٦/٨ ومن المفيد ذكر نص قرار التحويل (٣) ، وكان يعقد جلساته في قصر الحكومة

---

(١) وهو المرحوم الفريق علي رضا باشا الركابي الذي يعود إليه الفضل في المبادرة إلى تلافي هذه النقيصة المريعة وتنظيمه شؤون الدولة الناشئة ، ورفضه أية معاملة لا تكتب بالعربية ، وإحلاله العربية الصحيحة محل التركية بما يماثل الطفرة .

(٢) بوسع القارئ الذي يود الاستزادة مما تم في هذه الفترة ، الرجوع إلى كتاب تاريخ المجمع العلمي العربي تأليف الأستاذ أحمد الفتيح (وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) وإلى ما كتبه رئيس المجمع الراحل المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في الجزء الأول من المجلد الأربعين من هذه المجلة بعنوان المجمع العلمي العربي بدمشق .

(٣) رقم $\frac{٥٦٩٨}{٢٣٤٨}$ لحضرة رئيس ديوان المعارف المحترم

دفعاً للالتباس الذي يمكن وقوعه نسبنا أن يسمى ديوانكم بالمجمع العلمي (آقادمي) وإنا نرجو إفراز ميزانية المدارس على حدة وإرسالها إلى مدير المعارف العام والسلام عليكم .

في ١٩١٩/٦/٨

حاكم سوريا العسكري العام

علي رضا الركابي

في ساحة المرجة ثم انتقل إلى المدرسة العادلية (المقر الحالي) وكانت الجلسة الأولى التي عقدها المجمع في مقره الجديد بتاريخ ١٩١٩/٧/٣٠ ثم والى عقد جلساته مرة أو مرتين في الأسبوع وأعلن أهدافه في ٢٠ ايلول ١٩١٩ كما يلي :

١ — النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد

٢ — جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كتب عامة .

٣ — جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية وتأسيس متحف لها .

٤ — إصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله وتكوين رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة .

إن دار الآثار (المتحف) التي جاء ذكرها في البند الثالث بين أهداف المجمع قد انفصلت عن المجمع في ٨ أيار ١٩٢٨ وربطت بوزارة المعارف مباشرة مع تأليف مجلس إدارة لها برياسة رئيس المجمع العلمي العربي وبقائها في المدرسة العادلية مقر المجمع إلى أن أنشئ المتحف الحديث عام ١٩٣٧ ونقلت إليه الآثار منفصلة نهائياً عن المجمع مع تكوين مديرية لها دعيت مديرية الآثار العامة وكانت ذات استقلال مالي وإداري .

وأصدر المجمع في مطلع عام ١٩٢١ مجلته التي عرفت بمجلة المجمع العلمي العربي وصدر منها ٤٠ مجلداً بهذا الاسم ثم أصبح اسمها بدءاً من مطلع سنة ١٩٦٦ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجاراة لتسمية المجمع بهذا الاسم بعد أن توحد مجمعا القاهرة ودمشق وأصبح كلاهما فرعاً في كل من عاصمتي القطرين .

إن أول ما عُني به المجمع في بدء تكوينه الاضطلاع بأعباء كثيرة في طليعتها تقويم المعوج والركيك من الألفاظ والعبارات السائدة في هذا المجتمع الذي أهمل أمر لغته عدة قرون ، والتي درجت على الألسن وتناولتها الأقلام ، ثم إصلاح الأخطاء الشائعة وإيجاد كلمات تقوم مقام الكلمات التركية المستعملة وتشذيب لغة ماشرع بطبعه من الكتب المدرسية إلى جانب تهذيب لغة الدواوين . وأبلى في هذا الشأن بلاءً حسناً يدل على هذا ما كان ينشره في الصحف اليومية قبل إصداره مجلته وبعد إصدارها ، وما كان يجيب به أعضاؤه عن الأسئلة الكثيرة التي كانت توجه إليهم .

ومع هذا كله ، فلم تعدم الحسناء ذاماً (على حد قول المثل العربي) ولم ينج أعضاؤه من حسد الحاسدين وكيد الكايدين ، فصدر في أواخر تشرين الثاني سنة ١٩١٩ قرار (عُلّل باستحكام أمر الضائقة المالية) صرف بمقتضاه رئيس المجمع وأعضاؤه الثمانية باستثناء عضوين اثنين أوكل إليهما الإشراف على داري الكتب والآثار ، فبطلت حركته وتوقف عن العمل ، إلى أن استدعي المرحوم محمد كرد علي إلى تسنم وزارة المعارف في أواخر سنة ١٩٢١ فأعاده إلى سابق عهده ولم يكن ما لاقاه المجمع من مقاومات لتفت في عضده بل زادته نشاطاً وقوة (١) .

وأضاف بعدئذ إلى الجوانب الكثيرة التي عُني بها اهتمامه بالتراث العربي وحرصه على محاولة احيائه والحصول على أمهات الكتب العربية القديمة ما طبع منها في مصر أو أوروبا ، والتي تتعلق بتاريخ القطر الشامي وآداب اللغة العربية فضلاً عن حرصه على تصوير واستنساخ مخطوطات كثيرة من المكتبات العامة العربية والأوروبية .

(١) من التقرير الأول عن أعمال المجمع العلمي العربي للمرحوم محمد كرد علي .

وتعرضت حياة المجمع مرة أخرى إلى الخطر في أواخر سنة ١٩٢٢ وأوائل سنة ١٩٢٣ إلى أن تم إلحاقه برياسة الإتحاد السوري ذلك الإلحاق الذي ضمن له حياته [١] وتأسست الجامعة السورية مؤلفة من المجمع العلمي العربي ومعهدي الطب والحقوق في ١٥/٦/١٩٢٣ ، ولم يدم ذلك فقد صدر في ١٥/٣/١٩٢٦ قرار المفوض السامي الفرنسي بفصل المجمع عن الجامعة السورية وربطه بوزارة المعارف التي تحولت إلى وزارة التربية ، وربط أخيراً بوزارة التعليم العالي المحدثة .

وبعد ، فهذه نظرات سريعة في حال اللغة العربية في سورية قبل تأسيس المجمع وإبان تأسيسه ، وصورة في غاية الإيجاز عن سيرة المجمع الأولى وما تعاقب عليه من أحداث كانت تتأرجح بين الفناء والبقاء .

فهل استطاع - على ذلك كله - أن يؤدي واجبه وأن ينهض بالمهات التي اضطلع بها ؟ وماذا عليه أن ينجز وهو يواجه مع هذه الأيام نهاية نصف قرن وبداية العام الواحد والخمسين ، مرحلة جديدة من حياته المديدة إن شاء الله ، نرجو أن تكون متميزة بالكثير من الزكاء والنمو واحتمال أضخم تبعة في حياة المجتمع العربي وهي تبعة مواكبة التطور اللغوي للتطور الفكري والتطور العلمي بوجه خاص .

إن أصدق وأيسر ما يقال في هذا ، إن المجمع عمل كل ما كان في وسعه أن يعمله وفوق ما كان في وسعه في تنقية لغة المجتمع العربي في سورية من الانحراف ومحاولة صيانتها من الخطأ ، والتمكين للإيمان بقدرتها على متابعة الحياة العلمية وصياغة كتب العلوم والمصطلحات بلغة عربية سليمة ، وقد فتح عمله هذا الأمل الكبير ووضع الشاهد الحي على أن القصور ليس قصور اللغة بقدر ما هو قصور أبنائها وبعض مؤسساتها .

---

(١) من التقرير الثاني عن أعمال المجمع العلمي العربي للمرحوم محمد كرد علي .

وإن المجمع بعد هذا عمل عملاً ضخماً في نطاق إحياء التراث القديم فطبع مئات من الكتب الأصيلة التي هي بمثابة نصوص رئيسية لإقامة الدراسات الفكرية والأدبية على أساس علمي صحيح ، ومجموعة مطبوعاته في ذلك غنية عن أن يتحدث عنها ، لأنها قبلة الأنظار ومحط الاهتمام في أرجاء العالم العربي كله وفي دوائر المستشرقين والمستعربين .

وإن المجمع فوق هذا واصل العمل في مجلته التي جاوزت عامها الثالث والأربعين والتي تفتتح بهذا العدد عامها الرابع والأربعين ، إن هذه المجلة من أبرز مجلات الوطن العربي وأبعدها أثراً في الدائرة التي تعمل فيها ، وهي ملتقى أقلام عربية وأجنبية ، وكنز يعرفه معرفة إكبار ويحرص عليه حرص تقدير ، الباحثون العرب والأجانب على السواء ، ولا تكاد تخلو منه مكتبة في أي طرف من أطراف العالم .

إن ذلك كله ليس هو الصورة المثلى التي نتمناها للمجمع ، إن آمال المجمع وطموح المجمعيين وواقع اللغة العربية أبعد مدى وأوسع أفقاً ، ومن هنا ، فإن الذي فعله المجمع إنما كان في حدود ميزانيته الضيقة التي كانت الظروف المختلفة تدفع الحكومات المتعاقبة إلى الانتقاص منها ، فلا تكاد تترك له إلا ما يساعد على أقل الجهد .

ولا بد إذن لهذه الميزانية من أن تتسع إذا نحن أردنا أن يكون المجمع كفوءاً للمهات التي تلقى على عاتق المجامع اللغوية ، وإنها لمهات مضاعفة في وطننا العربي لأنها ترافق الأساس في نهضته ، أعني ترافق تكوينه الفكري وتكوينه اللغوي ، فليست ميزانية المجمع ترفاً حتى ينتابها التقشف ، ولا إسرافاً حتى ينال منها الاقتصاد ، ولكنها من أحق طرق الإنفاق بالإنفاق .

ولا بد بعد أن تتسع الميزانية من أن تستجيب الدولة إلى الإصلاحات الأساسية التي نتحدث بها إلى السلطات المسؤولة ، وأول ذلك تعديل النظام

فيما يتصل بمستوى الوظائف الرئيسية الثلاث : الرياسة ونيابة الرياسة ، وأمانة السر ، والعمل السريع على تنفيذ مبدأ التفرغ لثلاثة أو أربعة من الأعضاء ، ينصرفون عن كل شيء لينقطعوا إلى العمل المجمعي الخاص ، وإفساح المجال أمام توحيد العمل اللغوي في أجزاء الوطن العربي بين المجامع والهيئات المختلفة ، لأن وحدة اللغة هي قبل كل وحدة أخرى ، وضمان الكل وحدة سواها ناهيك بها حافزاً لبقاء العربي بجملته .

قلت إن المجمع أدى فوق ما يستطيع إذا قيست إمكاناته بإمكانات غيره من المؤسسات في البلاد العربية المختلفة ، والمجمعيون لا يفخرون بذلك لأنهم يعتقدون أنه واجب في أعناقهم وأمانة في ضميرهم لكن الظروف السيئة تجعل من العسير أن يستمر المجمع في مثل توقده وإنتاجه إذا ظلت هذه الشرائط المضنية تقيد خطاه .

والمجمعيون يد واحدة على متابعة الجهد في أوسع آماده في سبيل الواجب اللغوي ، ولعلهم واجدون من اهتمام الدولة فيما يستقبلون من أيام خيراً مما وجدوا فيما استدبروا منها ، إن ذلك علامة هامة من علامات صحة المجتمع الفكرية والقومية وكلنا حراص على أن تكون هذه الصحة في أرفع مستوياتها .

الدكتور حسني سبح



خمسون عاماً

أتت على ميلاد مجمعنا المبارك خمسون عاماً وكأنها خلسة نظر ، فما هي الذكرى التي بقيت في الذهن بعد نصف قرن ، أرجع بالخاطر إلى أوائل نشأة المجمع الذي شرّفني بانتخابي عضواً فيه سنة ١٩٢٦ على ما أذكر . كانت تلقى في المجمع محاضرات عامّة كل أسبوع ، وكان الإقبال على تلك المحاضرات عظيماً ، فالناس كانوا في رغبة شديدة في المعرفة والاطّلاع ولذلك كانوا يزدحمون أيّام المحاضرات ، ولست أستطيع أن أقول أن تلك المحاضرات كانت على درجة واحدة من الجودة ، فبعضها كان شبيهاً بالمواعظ ، يرتجلها أصحابها دون استعداد ولا تخمير ، كأنّهم على منابر الوعظ ، وبعضها كان فوق مدارك الجمهور ، أذكر أني سمعت بعض الحضور يقولون بعد أن فرغ أحد المحاضرين من محاضرته وقد خاض في موضوع من موضوعات اللغة : هذا فوق مداركنا !

فاتحني مرّة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في رحمته بأمر هذه المحاضرات ، وقد كثرت حتى كاد أثرها يضعف في النفوس ، فقلت للأستاذ العظيم : أرجو أن يقلّل المجمع من المحاضرات العامّة ، أو أن يلغيها لأن فائدتها بعد كثرة المدارس ونشأة الجامعة قد قلّت ، فلم تبق حاجة ماسّة إليها ، فالمجمع ينبغي أن يكون عمله غير إلقاء المحاضرات العامّة على أنّه قد خفّ إقبال الناس عليها ، وما زال هذا الإقبال يخفّ حتى أبطلت المحاضرات .

وإذا أبطلت تلك المحاضرات في المجمع فقد قامت مقامها مظاهر ثانية ، من هذه المظاهر تأبين البلغاء من الكتّاب والشعراء ، وفي جملتهم المنفلوطي وحافظ وشوقي أو تكريم الفحول منهم في حياتهم ، أمثال شوقي وحافظ ومطران والزهاوي ، تغمّدهم الله بواسع رحمته ، ولا تكاد تحضرني عبارة للإفصاح عن استقبال شوقي يوم أُلقيت قصيدته الخالدة ، وقد كان لا يلقي شعره وإنما ألقاها عنه المرحوم نجيب الريّس ، أمّا أثر هذه القصيدة فاني عاجز عن وصفه ، فقد نقلت الناس من حاضرهم الأليم إلى ماضيهم الرائع ، نقلتهم من أيّام الانتداب الفرنسي إلى أيّام بني أميّة وعزّ سلطانهم ، حتى خرج الناس من المجمع وكأنهم سكارى .

ثم تقلّب المجمع في أحوال مختلفة كان خلالها في مهبّ الريح ، مرّة كانوا يلحّون في مجلس النوّاب في إلغائه ، ومرّة كانوا يطلبون التضييق عليه حتى انبرى الأستاذ فارس الخوري ، رحمه الله تعالى ، وهو صاحب الحجّة القاطعة للدفاع عنه في مجلس النوّاب .

وما زال المجمع تهبّ عليه رياح مختلفة حتّى نعم بالاستقرار والطمأنينة فانصرف إلى جلائل أعماله دون قلق واضطراب ، وعلى رأس هذه الأعمال المحافظة على لغة العرب .

لست في حاجة إلى الكلام على شهرة المجمع ورآء البحار ، فهو في نظر المستشرقين عنوان أدب البلاد ولغتها وتاريخها ، هو عنوان المحافظة على هذا الأدب وهذه اللغة وهذا التاريخ ، ونرجو أن يبقى عنواناً لهذه الأمور الشريفة على تراخي السنين .

هذا يسير ممّا بقي في الذهن من ذكرى مجمعنا في خمسين عاماً ، وإذا أشرت في هذا المقام إلى طائفة من أفاضل أعضائه الراسخين في اللغة ، أمثال المبارك والجندي وغيرهما وإذا كنت أقتصر على هذه الإشارة فالسبب

في ذلك اني أرى أن مجمعنا خلّده الله تعالى إنما عمله المحافظة على لغتنا ، على روحها وعبقريتها ، ولا سيا في زمن قلّت فيه العناية باللغة ، وأصبح كل من يمسك بالقلم يعتقد أنه حرّ في التصرف في حرمتها ، يخترع من الألفاظ ما يريد ، ويركّب من الجمل ما يشاء ، ويستعمل من هذه الألفاظ وهذه الجمل ما لا نفهمه نحن الذين نعيش في هذا العصر ، وما لن يفهمه الذين يأتون بعدنا في المستقبل من الأيّام ، لقد أصبحت اللغة يومنا هذا فوضى في كثير من الأحوال ، نقرأ في بعض الصحف والمجلات والكتب ما لا نهتدي إلى معناه ، وإذا قابلنا بين هذا الزمن الذي نعيش فيه وبين الزمن الذي كان يعيش فيه شيوخ اللغة وأمراء البيان أشباه اليازجي وأرسلان ومن هم في طبقتهما نجد الفرق عظيماً ، إذا قابلنا بين غيرتهم على اللغة وبين استخفاف كثير من أهل هذا الزمن بتقديسها بلغ العجب منّا كل مبلغ ، كان أحدهم إذا زلّ به قلمه زلّة قامت الدنيا وقعدت ، فكثرت المناظرات في الصحف والمجلات من أجل لفظة واحدة ، أمّا اليوم فلا تقوم الدنيا ولا تقعد من أجل ألفاظ ليست من اللغة في شيء ، ومن أجل تراكيب لا يعلم معانيها إلاّ الله عزّ وجلّ ، فقد يقع نظرنا على ألفاظ لا أصل لها وعلى تراكيب خارجة عن روح اللغة ، فلا نجد من ينبّه عليها ولا نجد من يهتمّ بهذا التنبيه إذا وقع ، ولسنا نعلم عواقب هذه الأمور لا لسنا نعلم ما تصير إليه اللغة بعد حين من الدهر إذا استمرّ كثير من الذين يمسكون بالأقلام في التصرّف في اللغة بحسب مشيئتهم وأهوائهم ونزعاتهم .

من أجل هذا كلّه أرى أن عمل مجمعنا الوحيد إنما هو المحافظة على روح اللغة وعبقريتها حتى تبقى لغة عربية ، من روح اللغة التي كانت شائعة على أقلام أئمة البلاغة في عصورنا الخالية ، نظراء ابن المقفع والجاحظ

والتوحيدي وغيرهم ممّن كان يجري على أساليبهم ، وإذا وجدنا من يقول أن الزمن قد تبدّل ، فلماذا لا تتبدّل اللغة ، إذا وجدنا من يقول هذا القول فإنّا نقول له ولإخوانه : قد يتبدّل الزمن وقد يتبدّل التفكير وقد تتبدّل اللغة ، ولكن تبدّل اللغة لا ينبغي له أن يخرجها عن روحها وعن عبقريتها .

أخذ الله بيد مجمعنا حتى يحافظ على هـــذه اللغة وعلى هذه الروح وعلى هذه العبقرية !

شفيق جبري



سابق البربري

شاعر من المغرب عاش في الشام

- ١ -

أبو سعيد بن عبد الله ، هكذا كناه ونسبه في تاج العروس وقال : روى عن مكحول وروى عنه الأوزاعي . فهو إذاً من تابعي التابعين ، وممن سكن دمشق ، إذ أن مكحول دمشقي والأوزاعي هو إمام أهل الشام . ويأتي في أخباره مع عمر بن عبد العزيز ما يؤكد ذلك .

ولما ذكر في الذخيرة السنية أن زناتة تنتسب إلى بَرِّ بن قيْس عَيْلان قال : وفي ذلك يقول سابق المَطْماطِي حين قتال البربر للرّوم بافريقية أيام سليمان بن عبد الملك .

أيا معشرَ الرّوم ارحلوا عن بلادكم ... وخلّوا لنا عنها بِطِيِّ المراحل
فقد قصدتكم بَرْبَرٌ بسيوفها ... وأحلافها أهلِ الرّماح الذوابل
قبائلُ من بَرِّ بنِ قيْس وخِنْدِف ... وذي يمَن في عزّها المتطاول

ومعلوم أن مَطْماطةَ إحدى قبائل زِناتة ، وزِناتةُ من البربر . فهل أن سابق البربري هو المطماطي ؟

أما العصر فهو عصر واحد . وأما الشعر فهو ما اشتهر به صاحبنا ، وزيادة على ذلك فان نسْج هذه الأبيات يوافق المنوال الذي نُسِجت عليه جميع أشعاره التي سنرويها بعد .

ولكن الذي يُشوّش علينا في جعلها شخصاً واحداً ، هو أن ابن خلدون يذكر في عِداد قبيلة مطماطة سابقَ بنَ سليمان بن حراث كبيرَ نسّابة البربر . وينقل عنه كثيراً . وكذا يذكره الزيّاني في رحلته ؛ ويُفهَم منه أنه وقف على كتابه في تلمسان ، وإن كان اسمه عنده يقع فيه تخليط . وعلى كل حال فهو من مطماطة كما نسبه صاحبُ الذخيرة ، وهو عالم بالأنساب كما تقضي بذلك أبياته التي أوردناها في نسبة القبائل البربرية إلى برّ بن قيس ولا يختلف عن صاحبنا في شيء إلا أن هذا هو ابنُ عبد الله والآخر هو ابنُ سليمان . . ومع ذلك فلم نر من وصف صاحبَنا بأنه نسابةُ البربر ، أو أن له كتاباً في هذا الموضوع ، خاصةً وان زمانه كان سابقاً عن وقت تأليف الكتب في الجملة .

وقد اشتهر صاحبُنا بقول الشعر والإجادة فيه بحيث سارت بعضُ أقواله سيْرَ الأمثال ، ومنها هذان البيتان :

قد ينفع الأدبُ الأبناءَ في صغر وليس ينفعهم من بعده الأدبُ
إن الغصون إذا عدّلتها اعتدلت ولا يلين ولو ليّنته الخشَبُ

نسبها إليه غير واحد .

والمعتقَدُ أن له ديواناً شعرياً يحتوي جميعَ ما قاله في الأدب والأخلاق والحكم والمواعظ ، إذ هي المواضيع الغالبة على شعره ، ولم نقف له على شعر في غيرها باستثناء الأبيات الثلاثة السابقة ، وبيت غزلي نسبه إليه في الكشاف غلطاً وهو لجرير .

وهاك ماجاء في فهرست ابن خير دليلا على ماذكر :

« أخبار سابق البربري وأشعاره » حدثني به القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله قال أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي ، قال قُرِىءَ على أبي عمر محمد بن العباس

ابن زكريا بن حيوية قال قرئ على أبي الحسن أحمد بن جعفر بن محمد من كتابه هو يسمع ، وأنا أسمع فأقرّ به ، قال كان سابق البربري فذكر أخباره وقصيداً واحداً ثم قصائده بروايات مختلفة ، قال ابن العربي تقيّدت في مواضعها عندنا والحمد لله ،) ولا يوجد هذا الكتاب الآن أو على الأصح لانعرف عنه خبراً ، ومن المؤسف حقاً أن يضيع هذا الأثر الأدبي النفيس لشاعر ربما كان هو أول من نبغ من هذا المغرب العربي بقول الشعر في لغة الضاد والإجادة فيه ، وهذا النبوغ المبكر ، على أثر اتصال البربر بالعرب إن دل على شيء ، فإنما يدل على صحة انتساب هذه القبائل المغربية إلى الشّعب العربي ، وصدّق النسّابة الذين يُرجعون البربر إلى أصول عربية من عدنانية وقحطانية . وما أصدقَ ما ينسب إلى تُماضر بنتِ قيس عيلانَ تَرْثي أخاها بَرّاً . وتذكُر بُعدَه عن وطنه :

كأني وَبرّاً لم تعزّ ديارُنا بنجد ولم نقسِم نهابا ومغنَما
وشطّت ببَرّ دارُه عن بلاده وطوّح برٌ نفسه حيث يمّما
وأزرت ببَرٍ لُكْنةٌ أعجمية وما كان بَرٌ في الحجاز بأعجما

نعم لقد استعجم بَرٌ لما غاب عن بلاده وتوحّد في ديار الغُربة ، وهاهو لما اجتمع بني أبيه وأخواله وأعمامه يستعرب ثانية ويتفتّق لسانه في أسرع ما يكون بلغة الضاد . ويُصبح سابقٌ بين عشية وضحاها من أشهر أهل زمانه ، وطارقٌ من أفصح خطبائهم . ولماذا لا يكون ذلك : وإسماعيلُ أبو العرب المستعربة يُمثّل لنا نفسَ القصة ، وإنما يعرضها عرضاً معاكساً لقِصّة بَرّ ؟

أمَا إنه قد آن لنا أن نهتم جدياً بالمسألة ، ونعرض قضيةَ عُروبة البربر على الباحثين النفسيين ونحلل هذه اللهجات البربرية تحليلاً فلُولوجياً فلا يمكن أن يكون هذا التعلّق الشديد بالعرب ، وهذا البيانُ المُعرِب

بلغتهم ظاهرتين عاديتين لا ترجمان إلى عناصر نفسية وأصول لغوية متحدة أو مشتركة . وإلاّ فلهذا لا يمتزّ الفارسي مثلاً إلاّ بأصله ، ولم تكن إلاّ كلاّ ولا ، حتى عاد إلى فهلويته يُمكّن لها في بلاده بعد أن كان بلغ في العربية شأواً لا يُلحق ، على حين أن البربري ، في عنفوان مجده وإقبال دولته لا يحيد عن الانتماء إلى الأصول العربية التي يعتقد أنه منحدر منها ، وما يزال كذلك إلى الآن يُدلُّ بعروبته ويرفع من شأن عربيته ؟..

المسألة مهمة جداً فلينظر فيها بجد . . .

ونعود فنروي بعض ماوقفنا عليه من شعر صاحبنا سابق ، في مطالعاتنا طول عدة سنين . وهو جملة من القصائد والقطع النفيسة في الأدب والأخلاق نزفّها إلى الناشئة المغربية على أنها أثر من الآثار الأدبية الرفيعة التي أنتجها أبناء هذه البلاد الخصبة ، وإنْ كان بعضهم ما يزال يتشكك في أن لبلاد المغرب أدباً .

قال سابق يُزهِّد في الدنيا وهي مما أنشده له الجراوي في كتابه صفوة الأدب المعروف بالحماسة المغربية :

النفسُ تَكْلَفُ بالدنيا وقد علمت ... أن السلامة منها تركُ ما فيها
والله ما قنعت نفس بما رُزقت ... من المعيشة إلاّ سوف يكفيها
أموالُنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورُنا لخراب الدهر نبنيها
قِسْ بالتجارب أحداثَ الزمان كما ... تَقيسُ نملا بنمل حين تحذُوها
والله ماعبَرت في الأرض قاطرةٌ ... إلاّ وَصرْفُ الليالي سوف يُفنيها

ومما أنشده له الشريشي في شرح المقامات ، ولعله هو والأبيات قبله من قصيدة زُهْدية طويلة :

نلهُو ونأمُل أياماً تُمدُّ لنا ... سريعةَ المرّ تطوينا ونطويها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته ... ذلاً وضاحكةٍ يوماً ستبكيها

وللحتوف تُربّي كلُّ مرضعة ... وللحساب بَرى الأرواحَ باريها
لا تبرح النفسُ تُنْمى وهي سالمة ... حتى يقوم بنادي القوم ناعيها
ولن تزال طَوال الدهر ظاعنةً ... حتى تُقيم بوادٍ غير واديها
أموالُنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقال ولعلّه من هذه القصيدة أيضاً :

أين الملوك التي عن حَظّها غَفَلَت ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
غَرَّت زمانا بملـك لا دوام له ... جهلا كما غرَّ نفساً مَنْ يُمنّيها
وصبَّحت قومَ عـاد في ديارهم ... بمُفظِع يوم عادتهم عواديها
وتُبَّعاً وثمودُ الحِجْر غادرهم ... ريبُ المنون رميماً في مغانيها
فكيف يبقي على الأحداث غابرُنا ... كأننا قد أظلتْنـا دواهيها

ومن قوله في الحكمة على طريقة المعاريض :

تَعاوَنْ على الخيرات تظفَرْ ولا تكن ... على الإثم والعدوان ممن يُعـاوِنُ
وداهِنْ إذا ماخِفتَ يوماً مُسلَّطاً ... عليك ولا يحتال من لا يُداهِنُ
ولا تكُ ذا لونَيْن يُبدي بَشاشة ... وفي صدره ضَبٌّ من الغِلِّ كامِنُ

وقال في اتباع الهوى ، ولعلها من تتمة الأبيات قبلها :

وهجرُ الهوى للمرء ـ فاعلم ـ سعادةٌ ... وطولُ الهوى رَيْنٌ على القلب رائنُ
فكن دافناً للشر بالخير تسترح ... من الشر ، إن الخير للشر دافِن

وقال ولعلها منها أيضاً :

فحتى متى تلهـو بمنزل باطل ... كأنك فيه ثابتُ الأصل قاطِنُ
وتجمع مالا تأكل الدهر دائباً ... كأنك في الدنيا لغيرك خازِنُ

وأنشد له المبرد في الكامل هذا البيت المفرد :

وإن جاء مالا تستطيعان دفعَه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وأنشد له البُحتري في حماسته هذه الأبيات الأربعة مفردة :

استخبِر الناس عما أنت جاهلُه إذا عَميت فقد يجلو العَمى الخبرُ

* * *

وفي البحث قِدْماً والسؤال لذي العمى شفــاءٌ وأشفى منهما ما تُعاينُ

* * *

إن عبتَ يومــاً على قوم بعاقبة أمراً أتوه فلا تصنع كما صنعوا

* * *

إذا عبتَ أمراً فلا تأتيه وذُو اللب مجتنِبٌ ما يعيب

* * *

والأول من هذه الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها ابن الجوزي في كتابه مناقب عمر بن عبد العزيز قال :

(ذِكرُ ما وُعِظ به عمر بن العزيز رضي الله عنه) عن أبي سليمان أحمد بن عبد الله الجواليقي قال : قال سابق البربري لعمر بن العزيز رحمه الله :

بِسْم الذي أُنزِلت من عنده السُّوَرُ الحمــدُ لله أما بعدُ يا عُمرُ
إن كنتَ تعلم مــا تأتي ومــا تذر فكن على حذَرٍ قد ينفع الحذَرُ
واصبر على القدَر المجلوب وارضَ به وإن أتاك بمــا لا تشتهي القــدَرُ
فما صفا لامرئ عيش يُسَرُّ به إلا سيتبع يومــاً صفوَه الكدر
واستخبر الناس عمــا أنت جاهله إذا عَميتَ فقد يجلو العمى الخبرُ
قد يرعوي المرءُ يوماً بعد هفوته وتحكم الجــاهلَ الأيامُ والغِيَر
إن التُّقى خيرُ زاد أنت حامله والبِرُّ أفضــلُ شيء ناله البشر
من يطلب الجَوْر لا يظفر بحاجته وطالبُ الحق قد يُهدى له الظفَر
وفي الهُدى عِبَرٌ تُسقَى القلوبُ بها كالغيث ينضر عن وسميِّه الشجَر

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهله ... ولا البصير كأعمى ما له بصر
والرشد نافلةٌ تُهدى لصاحبها ... والغيُّ يُكره منه الوِردُ والصَّدَر
قد يُوبِق المرءَ أمرٌ وهو يحقره ... والشيء بالنفس ينمي وهو مُحتقَر
لا يُشبع النفسَ شيء حين تُحرزه ... ولا يزال لها في غيره وطر
ولا يزال وإن كانت بها سعةٌ ... لها إلى الشيء لم تظفر به نظر
وكلُّ شيء له حالٌ تُغيّره ... كما تُغيّر لونَ اللِّمّة الغِيَر
والذكر فيه حياةٌ للقلوب كما ... يُحيي البلادَ، إذا ما ماتت، المطر
والعلمُ يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يُجلّي سوادَ الظلمة القمر
لا ينفع الذكر قلباً قاسياً أبداً ... وهل يلين لقلب الواعظ الحجر
والموتُ جِسْر لمن يمشي على قدَم ... إلى الأمور التي تُخشى وتُنتظر
فهم يمرّون أفواجاً وتجمعهم ... دارٌ إليها يصير البدوُ والحضر
من كان في مَعقِل للحِرْز أسلمه ... أو كان في خَمَر لم يُنجِه الخَمَر
حتى متى أنا في الدنيا أخو كَلَف ... في الخدِّ مني إلى لذّاتها صَعَر
ولا أرى أثراً للذكر في خلَدي ... والحَبْلُ في الحجر القاسي له أثر
لو كان يُسهِر عيني ذكرُ آخرتي ... كما يُورّقني للعاجل السهَر
إذاً لداويتُ قلباً قد أضرّ به ... طولُ السَّقام وهَيضُ العظم ينجبر
ما يلبث الشيء أن يبلى إذا اختلفت ... يوماً على نقضه الرَّوحاتُ والبُكَر
والمرء يصعدُ ريعانُ الشباب به ... وكل مُصعِدة يوماً ستنحدر
بينا يُرى الغصن لدْناً في أرومته ... ريّانَ صار حُطاماً جوفُه نَخِر
كم من جموع أشتّ الدهر شملهم ... وكلُّ شملٍ جميعٍ سوف ينتشر
وكم من اصيدَ سامي الطرف معتصب ... بالتاجِ نيرانه للحرب تستعر
يظلّ مفترش الديباج محتجباً ... عليه تُبنى قِبابُ الملك والحُجَر
قد غادرته المنايا وهو مُستلَب ... مُجدّلٌ تربُ الخدّين منعفِر

أبعدَ آدمَ تَرجُونَ البقاء وهل تبقى فروع لأصل حين يَنْقَعِر
لكم بيوتٌ بمُستَنّ السيول وهل يبقى على الماء بيت أسُّه مَدَر
إلى الفنـاء وإن طالت سلامتهم مَصيرُ كل بني أنثى ـ وإن كثُروا
إن الأمور إذا استقبلتَها اشتبهت وفي تَدبُّرها التّبيان والعِبر
والمرء ما عاش في الدنيا له أمل إذا انقضى سفَرٌ منها أتى سفَر
لها حلاوةُ عيش غيرُ دائمـة وفى العواقب منها المرُّ والصَّبِر
إذا قضت زُمَرٌ آجالَها نزلت على منازلهـا من بعدها زُمَر
وليس يزجُركم ما تُوعَظُون به والبَهْمُ يزجرُها الراعي فتنزجر
أصبحتم جزَراً للموت يقبضكم كما البهائمُ في الدنيا لكم جَزَر
لا تَبطَروا واهجُروا الدنيا فإن لها غِبّاً وَخيما وكُفْرُ النعمة البَطَرُ
ثم اقتَدُوا بالألى كانوا لكم غُرراً وليس من أمة إلاّ لها غُرَر
حتى تكونوا على منهاج أوليكم وتصبروا عدم الدنيا كما صبروا

فهذه قصيدة من أحسن شعر سابق وأحفَلِه بالموعظة والتذكير ، ولو لم يكن له إلا هي لكانت أصدق برهان على تألُّهِه وشاعريَّته التي خضع لها عمر بن عبد العزيز مع ما عُرف من تأبِّيه على الشعراء وامتناعه من مقابلتهم ، ولِمَ لا يخضع له عمر وهو يفتتح شعره بسم الله والحمد لله ؟ ، وقد وقفتُ على أبيات مختلفة من هذه القصيدة في مَظانّ عديدة فلا حاجة لذكرها ، وقد أتحفنا بها كاملةً الحافظ ابنُ الجوزي جزاه الله خيراً .

وأما البيت الثاني من الأبيات الأربعة التي عند البحتري فلا شك أنه من تلك القطع النونية التي أوردناها قبل ، وأنها جميعها تُكوّنُ قصيدة من أبدع قصائد سابق .

بقي البيتان الثالث والرابع ، ونحب أن نشير إلى أن معناهما هو ما تضمنه بيت مشهور من قصيدة تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي وهو :

لا تنهَ عن خلُق وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ونحب أن نشير كذلك إلى ان هذه القصيدة قد نُسبت لصاحبنا أيضاً ، كما نُسبت للمتوكل الليثي ، وهذا البيت بالخصوص وُجد في قصيدة للأخطل . ونقل السيوطي عن تاريخ ابن عساكر أنه للطِرِمّاح ، وانظر شرح شواهد المغني ، وفي البداية والنهاية لابن كثير : روى ابنُ أبي الدنيا عن ميمون ابن مهران قال دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده سابق البربري وهو ينشده شعراً فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات :

فكم من صحيح بات للموت آمناً أتتـه المنايا بغتةً بعدما هجَعْ
فلم يستطع إذْ جاءَهُ الموت بغتة فراراً ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مُقنَّعاً ولا يَسمع الداعي وإن صوتَه رفع
وقُرِّب من لحد فصار مَقيلَه وفارقَ ماقد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموتُ الغنيَّ لمـاله ولا مُعدماً في المال ذا حاجة يدَع

وفي الأغاني قال أبو الفرج : أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال حدثنا أبو غسان قال : قال عمر بن العزيز يوماً لسابق البربري ودخل عليه : أنشدني ياسابق شيئاً من شعرك تذكرني به فقال : أو خيراً من شعري ؟ فقال هات . قال : قال أعشى همْدان :

وبينا المرءُ أمسى ناعمـاً جَذِلاً في أهله مُعجَباً بالعيش ذا أنَق
غِرا أتيح له من حَيْنه عرَض فما تلبَّث حتى مـات كالصَّعِق
ثُمَّت أضحى ضحى من غِبِّ ثالثة مُقنَّعا غير ذي روح ولا رَمَق
يُبكَى عليه وأدنَوْه لمُظلِمة تُعلى جوانبُها بالترب والقلق
فما تزود ممـا كان يجمعه إلاّ حنوطاً وما واراه من خِرق
وغيرَ نفحة أعواد تُشبُّ له وقلَّ ذلك مِن زادِ لمُنطلِق

فهذه الأخبار تفيدنا أولاً أنه كان مقيماً بالشام ومن ثَم كان أخـذه عن مكحول الدمشقي وأخذ الإمام الأوزاعي عنه ، وثانياً أنه كان له عند

عمر مكانة وقدر ، ولذلك كان يطلب منه أن يعظه ويُنشده من شعره الحكيم ، أو من شعر غيره ، لأنه كان متحققاً من زهده وورعه وإنه لا ينظم ولا يَروي إلا ما كان من قبيل ماقيل فيه (إن من الشعر لحكمة).

ومن شعر سابق أيضاً في المراء ومُدافعة الحق :

لاتدفعنّ لَجُوجاً حين تزجُره إن اللجوج له في الدفع إغراء
وأغض في حسن عفو عن بَوادِره فالحرُّ فيه عن الآفات إغضاءُ

وقال ولعلها من تتمة ماقبلها :

لا تُظهرنَّ لذي جهل معاتبةً فربما هُيِّجت بالشيء أشياء
فالماء يُخمد حرَّ النار يطفئها وليس للجهل غير الحلم إطفاء

وقال في ذهاب الأمم ، وربما كانت هذه الأبيات كلها من قصيدة همزية من روائع سابق :

وكيف يأمن ريبَ الدهر مُرتهَن بعدوة الدهر ان الدهر عدّاءُ
القى على الجيل من عادٍ كلاكِلَه وقوم هود ، فهُمْ هامٌ وأصداءُ

وله في العفو والتسامح :

إذا ماكنت طالبَ كلِّ ذنب ولم تحلِلْ أخاك عن العتاب
تباعَد مَن تباعد بعد قرب وصار بك الزمان إلى اجتناب

وبعدُ فهذا شاعر فحل من أكبر الشعراء الذين يفاخر بهم هذا المغرب العربي ، ويستظهر بهم عند الحديث عن الأدب والأدباء ، وقد احتجَّ به أهلُ العربية وعلماءُ البلاغة ، وقرَّبَهُ الخليفة الصالح عمر بن العزيز ، مما يعطيك أن شعره كان مرآةً لسلوكه وأخلاقه ، فهو قد أربى على أبي العتاهية المعروف بشعره في الزهد والمواعظ ، سواء من ناحية تخلّقه ، أو من جهة سبقه إلى جعل شعره قاصراً على هذه المواضيع ، فلا نقول فيه أنه أبو العتاهية المغربي ، بل نقول في أبي العتاهية أنه سابق الشرقي .

رحمها الله معاً ويسّر لنا الوقوف على كتاب أخباره وشعره .

- ٢ -

كنت نشرت منذ مدة مقالاً عن سابق البربري تعرضت فيه لشيء من التعريف بشخصيته وأدبه ، وضمنته ماتجمَّع لديَّ من شعره النفيس مبادرة بتسجيله في نشرة عمومية خشية أن يتفرق أباديد كما كان قبل أن أوفّق إلى جمعه ، لاسيما وهو حصيلة سنين من البحث ، وذخيرة عشرات من الكتب التي قد لايحتوي الواحد منها إلا على البيت أو البيتين مغمورَين في عدة أبيات ومقطعات شتى لشعراء من كل طبقة يأتي اسم سابق بينها نادراً كالكبريت الأحمر .

وعلى كثرة المراجع التي استقيت منها ما أثبته من معلومات قليلة عنه ، وما جمعته من شعره ، بقيت هناك مراجع مهمة لترجمته لم تصل إليها يدي وأهمها تاريخ دمشق لابن عساكر ، كما أني أغفلت بعض المراجع التي لديّ ، أثناء كتابة ذلك المقال ، وهي مما كان مُعَدّاً لهذا البحث ، مُعلّماً عليه بعلامته ، ولكني أُنسيتُها ، وسبحان من لا يعتريه سهو ولا ذهول .

والآن وقد وقفت على ترجمته في تاريخ ابن عساكر ، مصور معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية (١) ، في رحلتي الأخيرة للقاهرة ، واستذكرتُ المراجع الأخرى التي فاتتني في المقال السابق ، أعود إليه ثانية فألقي بعض الضوء على معالم شخصيته المجهولة ، وأضيف إلى النبذ الشعرية التي ذكرتها له قدراً آخر من شعره ، يُكوّن مع تلك النبذ مجموعة لا بأس بها من أدبه السامي الأغراض النبيل الأهداف ، ومَن يدري فلعلي أعود إليه مرة ثالثة إذا ظفرت بمعلومات جديدة عنه ، لا سيما وتاريخ الرقة للحرّاني قد طبع فيما بلغني ، وهو مَظِنّة لأن يحتـــوي على شيء من أخباره وآثاره .

ولسهولة الربط بين هذا المقال وسالفه أحصر البحث في عناصره الأولى وهي ، اسم سابق ونسبه وأخباره وشعره .

---

(١) وأشكر الصديق الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب الذي أطلعني عليه .

اسمه ونسبه :

فأما اسمه فقد انفصلت فيه على أنه سابق بن عبد الله ، وان كنيته أبو سعيد من غير خلاف ولكني وجدت في ابن عساكر أثناء بعض أسانيد روايته عنه تسمية والده بسعيد ، وانه يكنى أيضاً أبا عبد الله وأبا المهاجر وأبا أمية ، ومقتضى ما عند الذهبي في الميزان وتبعه ابن حجر في اللسان أن هذه الكنى لسابق آخر غير صاحبنا وهو المعروف بالرقّي .

وقد ذكرهما ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (ج ني قسم ل ، طبع الهند) على أنهما شخصان مختلفان فقال في الأول : (سابق البربري روى عن مكحول وروى عنه الأوزاعي سمعت أبي يقول ذلك) وقال في الثاني : (سابق الرقّي روى عن العلاء بن عبد الرحمن وخصيب وأبي خلف وروى عنه موسى ابن أعين ومعافى بن عمران الموصلي وعثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ، سمعت أبي يقول ذلك » .

على أن أبي عدي جوز أن يكون هناك ثلاثة أشخاص يعرفون بهذا الاسم ، أعني سابق بن عبد الله ، كما في اللسان (ج ٣ طبع الهند) وذلك أنه لما وجد حديث إذا مُدِح الفاسق اهتز له العرش مَرْوياً عن سابق بن عبد الله عن أبي خلف عن أنس (ض) وأبو خلف هذا لا يُعرَف ، استبعد أن يكون الراوي عنه هو سابق الرقي ، قال لأن أحاديثه مستقيمة عن مطرف وأبي حنيفة ، وأن يكون هو سابق البربري الذى إنما له كلام في الحكمة والزهد وغيرهما ، فاحتمل أن يكون راوي هذا الحديث شخصاً ثالثاً مسمى بهذا الاسم ، وليت شعري ما المانع أن يكون سابق البربري صاحب الكلام في الحكمة والزهد راويةً للحديث بقطع النظر عن كونه ثقة أو ضعيفاً في روايته ؟

ونرجع إلى ابن عساكر فنجده يقول : (سابق بن عبد الله أبو سعيد الرقي المعروف بالبربري) فيجمع له بين الوصفين البربري والرقي ، ثم يقول : (روى عن ربيعة بن عبد الرحمن وداود بن أبي هند (ومكحول) وشعبة وعبد الله ابن سعيد بن أبي هند (ومطرف بن طريف) والعلاء بن عبد الرحمن) . . روى عنه (الأوزاعي) ومحمد بن يزيد بن سنان الرهاوي وعبيد بن يزيد القردواني ومحمد بن سليم بن أبي داود وأبو بدر شجاع بن الوليد السكوني (وموسى بن أعين) و (عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي) .. الخ ، فيثبت أنه الرقي الذي ذكر ابن أبي حاتم أنه يروي عن العلاء ابن عبد الرحمن وذكر ابن عدي أنه يروي عن مطرف فضلاً عن اشتراكه في بقية من روى عنهم من الشيوخ أو رووا عنه بذكر الجميع كمكحول والأوزاعي .

ثم يشير ابن عساكر إلى ما جنح إليه ابن أبي حاتم من أنهما شخصان اثنان وتجويز ابن عدي أن يكونوا ثلاثة ، ولكنه ينفصل على أنهما أي البربري والرقي شخص واحد ، ويؤكد ذلك بالروايات التي يثبتها بسنده المتصل إليه من طريق من ذكرهم من الرواة عنه والذين روى عنهم ؛ ومن جملتهم خصيب وأبو خلف اللذان ذكرهما ابن أبي حاتم في شيوخ الرقي وأبو حنيفة المذكور كذلك عند ابن عدي .

فوضح أن كُلاًّ من سابق البربري وسابق الرقي إنما هما اسم لشخص واحد ، وإن تلك الكنى المختلفة هي لهذا الشخص بالذات ، وإن كان بقي معنا خلاف فانما هو في سابق الطهاطي الذي قد يتوهم أنه هو صاحبنا والأمر على مارجحناه في بحثنا السابق من أنه غيره ، وهناك سابق آخر هو ابن ناجية من الرواة ولا يشتبه بمن ذكرنا .

وأما نسبه فقد اشتهر أنه البربري ، ويضاف إليه بناءً على التحقيق المار آنفاً أنه الرقي لسكناه في الرقة كما يأتينا قريباً في أخباره .

وجاء في اللباب لابن الأثير « الصحيح أن سابقاً البربري ليس منسوباً إلى البربر وإنما هو لقب له » ولا شك أن ابن الأثير يعقب بهذا التصحيح على السمعاني الذي نسب صاحبنا إلى البربر وأغرب الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم حيث قال فيه سابق البَلَوي المعروف بالبربري ، فجعله عربياً ونسبه إلى بَلِيٍّ من عرب اليمن بدون تردد ، وهو مالم نعرفه لغيره .

لكننا نجد في ابن عساكر خبراً مروياً عن أبي عبيد الله بن مروان المرزابي يقول : « سابق البربري مولى الوليد يكنى أبا عبد الله ويقال أبو أمية ، أحد الزهاد المشهورين ، وله مع عمر بن العزيز أخبار » فهو قد جعله مولى للوليد (بن عبد الملك) مما يقوي أنه غير عربي ، وأنه يمكن أن يكون من البربر لمكان فتوح الأموية في بلاد المغرب ، وهنا لا بد أن نتذكر أبيات سابق المطماطي التي رواها صاحب كتاب الذخيرة السنية في قتال البربر للروم بافريقية أيام سليمان بن عبد الملك ، وقد أوردناها في المقال الأول ، وقائلها لابد أن يكون معاصراً لذلك القتال ، وليس عندنا شاعر يسمى بسابق وقته إلاّ صاحبنا ، فان يكُن هُو قائلها فقد تزيد اطمئناناً إلى أنه بربري وأنه من مطماطة بالذات .

وليس هذا فقط ، فقد جاء في لسان الميزان تعقيباً على ماسبق عن ابن عدي من أن صاحبنا إنما له كلام في الحكمة والزهد ما نصه : « ومقتضاه أن البربري ليست له رواية ، وليس كذلك ، فقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال هذا من أهل بربر سكن الرقة » ففيه التصريح على سبيل الجزم بأنه من البربر ، وبذلك لا يبقى لنا شك في نسبه البربري أخذاً بقواعدهم من أن من حفِظ حجةٌ على من لم يحفظ وأن المُثبِتَ مقدم على النافي ، إلى أن يقوم لنا دليل قاطع على خلاف ذلك .

أخباره :

وأخبار سابق كثيرة ، روى ابنُ عساكر عن أبي أحمد الحاكم قال : أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري إمام مسجد الرقة وقاضي أهلها ، ثم ذكر مشيخته ومن روى عنه وقال ، يعد من الشاميين . وروى ابن عساكر أيضاً عن أبي بكر الخطيب أن من جملة مشيخته الإمام أبا حنيفة ، وروى عن البخاري قال سابق البربري روى عنه الأوزاعي ، مُرسل ، يُعدُّ في الشاميين ، ثم عقب على ذلك بقوله : كذا قال ويعني أنه روى عنه مشافهة لا ارسالاً كما في تهذيب تاريخ ابن عساكر ، وجاء في أحد أسانيد ابن عساكر عنه : أخبرنا سابق بن عبد الله وكان من البكائين .

أما الأحاديث التي رويت عنه حسبما ذكر ابن عساكر فهي : ١) حديث إذا مدح الفاسق غَضِبَ الله عز الله ، وفي رواية إذا مدح الفاسق اهتز العرش وغضب له الرب عز وجل ، وهو الحديث الذي تكلم فيه ابن عدي على ما مر بسبب رواية سابق له عن أبي خلف وهو شخص غير معروف . وفي الرواية الثانية له عرّفه الراوي بأنه خادم أنس بن مالك .

٢) حديث كان النبي ﷺ يوتر من أول الليل ووسطه وآخره ثم ثبت له آخرَ الليل .

٣) حديث الحلال بيّن والحرام بيّن وَبيْنَ ذلك مشتبهات ، فمن رتع فيهن قَمِنٌ أن يأثم وَمن اجتنبهن فهو أرفَقُ بدينه كالمرتعي إلى جنب حِمى ، وَمن ارتعى إلى جنب حِمى فيُوشِك أن يقع فيه ولكل مَلِك حمى ، وحمى الله عز وجل في الأرض الحرام .

وروى ابن عساكر أيضاً عنه هذا الخبر : (كتب مكحول إلى الحسن ونحن بِدَابق يسأله عن الطالب والمطلوب قال فجاءه الكتاب ، إن كنت

طالباً فصلِّ بالأرض وإن كنت مطلوباً فصل على الأرض وعقب على ذلك بأن الصواب فصل على الدابة .

وفي ميزان الاعتدال للذهبي أن محمد بن عبد الله الفردواني روى عن أبيه عن سابق الرقي نحو ثلاثين حديثاً .

شعره :

روى ابن عساكر بسنده إلى أحمد بن محمد بن يزيد الأنصاري قال كنا عند محمد بن مصعب القرقشاني فقال لنا : بيت من الشعر من أخبرني لمن هو من الشعراء ، فله ثلاثون حديثاً ، وكان معنا رجل يعرف الشعر فقال : قولوا له أي بيت هو ؟ فقال محمد بن مصعب :

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يُجلّي سوادَ الظلمة القمر

قال فقال الرجل هذا لسابق البربري ، قال صدق : فأي شيء بعده ؟ قال :

والعلم فيه حياة للقلوب كما تحيى البلاد إذا ما مسها المطر

قال صدق والله : وأي شيء بعد ؟ قال :

فأنتم جزر للموت يأخذكم كما البهائم في الدنيا لنا جزر

قال أبو علي الأنصاري فحدثنا بالثلاثين حديثاً التي وعده ، والذي يعرف قيمة الحديث عند رجاله وضَنَّهم به يقدر ما كان لسابق وشعره في نفس هذا الشيخ من منزلة ، حتى أنه جعل من يعرف بيتاً واحداً من شعره يستحق أن يحدث بثلاثين حديثاً .

وذكر ابن عبد البر هذا الخبر برواية أخرى جاء فيها أن أحمد بن زيد بن مسلم الأنصاري المعروف بابن أبي الخناجر قال كنا على باب محمد بن مصعب القرقشاني جماعة من أهل الحديث وفينا رجل عراقي بصير بالشعر ونحن نتمنى أن يخرج إلينا فيحدثنا حديثاً واحداً أو حديثين ، إذْ خرج إلينا فقال قد

خطر على قلبي بيت من الشعر فمن يخبرني لمن هو حدثته ثلاثة أحاديث .. وفي آخر الخبر : فحدثه ستة أحاديث سمعناها معه ، وهي رواية تبرز الأهمية التي كان هذا الشيخ المحدث يعطيها لشعر سابق كسالفتها ، وتزيد بالنص عن تشوف من كان بباب الشيخ من أهل الحديث إلى السماع منه ولو حديثاً واحداً . فإذا بهم يحصلون على ستة أحاديث بسبب معرفة العراقي بشعر سابق .

وتحدث الجاحظ في البيان والتبيين عن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري فأطراهما بما اشتملا عليه من الحكمة والأمثال التي لو تفرقت في أشعار غيرهما لأغنتها ، وهذا قوله في ذلك : (لو كان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري مفرقاً في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادرَ سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالاً لم تسِرْ ولم تجْرِ مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع) .

هذا بعض ما يتعلق بتقدير المتقدمين لأدب سابق وشعره ، وأذكر فيما يتعلق بذلك من طرف المتأخرين أني تحدثت عنه ذات مرة إلى عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين على أنه من الطلائع الأولى للأدباء الذين ينتمون إلى هذا المغرب الكبير وأنشدته بعض أشعاره السائرة ، وذكرت له ما كان من احتفال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز به في حين أنه كان لا يأبه كثيراً بكبار شعراء العربية ، من أمثال الفرزدق وجرير ، فلم يملك الدكتور نفسه أن قال لي بفرنسيته الحلوة مستحسناً (oh La La !) .

واستشهاد النحاة بشعره هو مما يدخل في باب تقدير المتقدمين له ، إذ كانوا لا يستشهدون إلا بمن سلمت لغته من الشوائب ، وقد تقدم الإلماع في بحثنا الأول إلى ما كان من نسبة بعضهم له ذلك البيت الشهير الذي يُستشهَد به على نصب الفعل بأن مضمرة بعد الواو ، وهو :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وإن كان الصواب أنه لغيره ، كذلك استشهدوا في معاني اللام بقوله .

وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبني المساكن

ولعله من قصيدة تقدمت ثلاث مقطرعات منها . وهذا البيت بالخصوص هو مما نسبه له المرزباني كما عند ابن عساكر :

ألا رُبّما صار البغيض مُصافياً وحالَ عن العهد الصديق المثافن

فلا تَغترِرْ ماعشت من متجمل بظاهر ودّ قد تُغطّى البطائن

وأنشد له الزجاجي في أماليه :

فلا تحفرن بيراً تريد أخاً بها فانك فيها أنت من دونه تقع

كذاك الذي يبغي على الناس ظالماً تُصبْه على رَغْمٍ عواقبُ ما صنع

وهو مما يستشهد به أيضاً لجزم تُصبْه بدون جازم بل بما في الموصول من معنى الشرط ، وأظنه من قصيدة طويلة سبق لنا رواية مقطوعة منها على نفس الوزن والقافية مما أنشده سابق لعمر بن عبد العزيز .

ومما يحسن ذكره هنا أن العلامة ابن مرزوق الحفيد قال : حضرت مجلس شيخنا ابن عَرَفَة أولَ مجلس حضرته فقرأ قوله تعالى ﴿ وَمن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقَيّضْ له شيطانا ﴾ الآية فتطرّق لقراءة يَعْشُو بالواو مع جزم نُقيضْ وقال وجّهها أبو حَيّان بكلام ما فهمتُه ، ولعل فيه خللاً ، قال ابن مرزوق فاهتديت إلى فهمه وقلت إن جزم نقيض بمَن الموصولة لشبهها بمَن الشرطية ، وإذا كانوا يعاملون الموصول مطلقاً بذلك ، فمَن ، التي يشبه لفظُها لفظَ الشرط أولىَ بذلك ، فاستحسن كلامي رحمه الله لكن الحاضرين أنكروا معاملة الموصول معاملة الشرط وقالوا كيف يكون ذلك ؟ فقلت دخول الفاء في خبر الموصول في نحو الذي يأتيني فلَه دِرهم دليلٌ على ذلك ، فنازعوني في ذلك ، فقلت قال ابن مالك في التسهيل (وقد يجزمه متسبب

عن صلة الذي تشبيهاً بجواب الشرط) فطالبوني بالشاهد فأنشد قول الشاعر :

كذاك الذي يبغي على الناس ظالماً تُصبه على عمد عواقب ما صنع

فأمسكوا . ذكرَه غيرُ واحد من مُترجميه .

ومما نسب له المرزباني برواية ابن عساكر :

يُخادع ربَّ الدهر عن نفسه الفتى سفاهاً وربُّ الدهر عنها يخادعه

ويطمع في سوف ويهلكُ دونها وكم من حريص أهلكته مطامعه

ونسب إليه أيضاً البيت الشهير :

وكائن ترى من صامت لك معجب ؟ .. الخ وهو لزُهير كما لا يخفى .

وروى ابن عساكر أيضاً قطعة من رائيته الكبرى جاء فيها هذا البيت ولم يرد في القصيدة بعد قوله وليس يزجركم ماتوعظون به الخ :

ما يشعرون بما في دينهم نقصوا جهلاً وان نقصوا دنياهم شعروا

وروي عن عثمان بن عبد الحميد قال دخل سابق البربري على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر عظني يا سابق وأوْجِز قال نعم يا أمير المؤمنين وأبلغُ إن شاء الله ، فقال له هات . فأنشده :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ووافيتَ بعد الموت من قد تزودا

ندمتَ على أن لا تكون شريكَه وأرْصَدْتَ قبل الموت ما كان أرْصدا

وروي له مما ثبت في وصية الحسن بن سهل لابنه إبراهيم بن الحسن منسوباً إلى سابق هذه الأبيات :

العلم والحلم خلَّتان هما للخلْق زيْنٌ إذا هما اجتمعا

صنْوان لا يستتم حسنُهما الا بجمْع لذا وذاك معا

كم من وضيع سما به العلم والحـــــلم فنال العَلاء وارتفعا

ومن رفيع البنا أضاعهما أخملَه ما أضَاعَ فاتّضعا

وروي مما أنشده أبو الفضل الرياشي من هذه القصيدة :

إن كنت متخذاً خليـــلا   فتوقَّ وانتقِد الخليـــلا
من لم يكن لك منصفاً   في الود فابْغِ به بديـــلا
وعليك نفسَك فارعهـــا   واكسب لها عملاً جميـــلا
ومن استخف بنفســـه   زرعت له قالاً وقيـــلا
وأقلُّ ما تجـــد اللئيم   عليك إلا مُستطيـــلا
والمرء إن عرف الجميـــل   وجدتَه يأتي الجميـــلا
ولربمـــا سئل البخيـــل الشيء لا يسوى فتيلا
فيقول لا أجد السبيـــل إليه يكره أن ينيلا
ولذاك لا جعـــل الإلــــهُ له إلى خير سبيلا
يا مبتني الدار الـــتي   هو مسرع عنها الرحيلا
إن لم تُنِل خيراً أخا   ك فكن له عبداً ذليلا
وتجنب الشـــهوات واحــــذر أن تكون لها قتيلا
فلرب شهوة ســـاعة   قد أورثت حزناً طويلا

وله أيضاً هذه القصيدة في الاتعاظ بالموت وأحواله رواها ابنُ عساكر :

تأوّبني هم كثـــير بلابلُه   طروقاً فنال النومَ عني غوائله
فويحي من الموت الذي هو واقع   وللموت باب أنت لا بد داخله
أيأمنُ ريب الدهر يا نفسُ واهن   تجيش له بالمفظعات مراجلُه
فلم أر في الدنيا وذو الجهل غافل   أسيراً يخاف القتلَ واللهوُ شاغله
فما باله يفـدي من الموت نفسه   ويأمن سيف الدهر والدهر قاتله
ولا يفتدي من موقف لو رمى الردى   به جبلاً أضحت سراباً جنادله
وبعد دخول القبر يا نفس كربة   وهول يشيب المرضعين زلاله
إذا الأرض جفت بعد نقل جبالها   وخلي سبيلَ البحر يانفسِ ساحلُه

فلا يرتجي عوناً على حمل وزره ... مسيء وأولى الناس بالوزر حامله
إذا الجسد المعمور زايَل روحه ... خوَى وجمال البيت يانفس أهلُه
وقد كان فيه الروحُ حيناً يزينُه ... وما النِمد لولا نصلُه وحمائله
يُزايلني مالي إذا النفس حشْرجت ... وأهلي ، وكدحي لازمي لا أزايلُه
إذا كل عند الجهد يانفس منطقي ... وعاينت عند الموت ما لا أحاوله
ويغسل مابالجلد من ظاهر الأذى ... ولا يغسل الذنب المُخالف غاسلُه
ومن تُفلت الأمراضُ يوماً فانه ... سيوشك يوماً أن تُصاب مَقاتِله
وقد تفلت الوحش الحبال وربما ... تقبضت الوحشيَّ يوماً حبائله
إذا العلم لم تعمل به صار حجة ... عليك ولم تُعذر بما أنت جاهله
وقد ينعش الذكر القلوبَ وإنما ... يكون حياةَ العُود في الماء وابله
أرى الغصن لاينمى إذا جف أصله ... وليس بباق من أبيحت أوائله
فان كنت قد أبصرت هذا فانما ... يصدق قولَ المرء ما هو فاعلُه
ولا يستقيم الدهرَ سهم لوجهه ... به مَيل حتى يقوَّم مائله
وفيك إلى الدنيا اعتراض وإنما ... تُكال لَدى الميزان ما أنت كائلُه
فلا تنتكثْ بعد الهُدى عن بصيرة ... كما نكث الحبل المضاعَف فاتِله
وتطلب في الدنيا المنازل والعلا ... وتنسى نعيماً دائماً لا تزايله
كمن غره لمع السراب بقيعة ... فقصَّر عن ورد تجيش مناهله
وقد خانت الدنيا قروناً تتابعوا ... كما خان أعلى البيت يوماً أسافله
وتصبح فيها آمناً ثم لم تكن ... لتأمن في وادٍ به الخوف نازله
وقد ختلتنا باللَّطيف من الهوى ... كما يختل الوحشيَّ بالشيء خاتلُه
رضينا بما فيها سفاهاً ولم يكن ... يَبيعُ سمينَ اللحم بالغث آكلُه
وعاقبةُ اللذات تُخشى وإنما ... يكدِّر يوماً عاجلَ الأمر آجلُه
وإن فرحت بالمرء يوماً حلائلٌ ... فلا بد يوماً أن تُساء حلائله

فكم من فتى قد كان في شِرَّة الصِّبا فأُقصي بعد العذْل عنه عواذله
إذا ما سمعا حق إليك وباطل عليك فلا يذهب بحقك باطله
وقد يأمل الراجي فيكذب ظنَّه أمورٌ ويلقى الشيءَ ما كان يأمُلُه

وله هذه الأبيات من الرجز في مدح رجل اسمه عون ذكرها في تهذيب تاريخ ابن عساكر وقال انها مما رواه الحافظ من طريق أبي بكر الجوزقي ولم يذكر قصتها :

بُورك في عون وفي أعوانه
وفي جواريه وفي غلمانه
وبارك الله على دعائه
أطعمنا عون على خِوانه
يعطي وما يقلع عن جفانه
وعن هداياه وعن إيوانه

ولا توجد هذه الأبيات في مصوّر الأصل الذي اطلعنا عليه ، ومن تفاريق الأبيات التي وقفنا عليها له في جامع بيان العلم لابن عبد البر مما لم يتقدم قوله :

والعلم يشفي أن استشفى الجهول به وبالدواء قديماً يُحسَم الداءُ

* * *

قد قيل قبْلي في الزمان الأقدم إني وجدتُ العلم بالتعلم

ونحفظه : إنا وجدنا .

* * *

وروي فيه أن سفيان الثوري كان ينشد متمثلاً ببيتين له من لاميته الطويلة البارة آنفاً وهما :

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً عليك ولم تُعذر بما أنت جاهله
فإن كُنت قد أوتيت علماً فإنما يصدّق قول المرء ما هو فاعله

وفيها مخالفة قليلة لرواية القصيدة .

وأخيراً وليس آخراً بحول الله هذه تسعة وستون بيتاً من شعر سابق تضاف إلى ثمانية وثمانين بيتاً تضمنها البحث السابق ؛ فيكون المجموع سبعة وخمسين ومائة ، وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً إن شاء الله .

-٣-

كتبتُ عن سابق البربري قبل هذا مرتين :

وكلتا الكتابتين كانتا بحثاً تناول جانباً من حياته الشخصية ، وجلّى أدبه الحِكَميّ الرائع الذي كان مغموراً بين أخبار الرواة ورجال الحديث وأهل الزهد في عديد من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، المَظانّ وغير المظان .

ولم تكن الكتابة الثانية إعادة لشيء مما جاء في الكتابة الأولى ولا تكراراً لخبر أو أثر أو شعر ، بل إلحاقاً واستدراكاً لما فاتني من ذلك ولم أذكره فيها لأني إنما وقفتُ عليه بعدُ ، وتنسيقاً له مع ما سبق ذكره حتى انني عددت ما زدته من شعره في الكتابة الثانية ، تسعة وستين بيتاً ، على ما تضمنته الكتابة الأولى وهو ثمانية وثمانون بيتاً فكان المجموع ١٥٧ بيت أو بيتاً بحسب تقديم العدد الأصغر أو تأخيره .

وقلت حينئذ ومن يدري لعلي أعود إليه مرة ثالثة إذا ظفرت بمعلومات جديدة عنه ، لاسيما وتاريخ الرقة للحراني قد طبع فيما بلغني ، وهو مَظِنة لأن يحتوي على شيء من أخباره وآثاره .

وها أنا ذا الآن أعود إليه بالفعل للمرة الثالثة ، بعد أن وقفتُ على ما ذكره صاحب تاريخ الرقة عنه ، وهو شيء قليل بالنسبة إلى ما قدمته عنه

نقلاً عن غيره ، ولا سيا تاريخ ابن عساكر ، وما ذكره عنه أيضاً صاحب خزانة الأدب مشفوعاً بخبر لابن عبد ربه في العقد الفريد .

قال في تاريخ الرقة : سابق بن عبد الله الرقي يكنى أبا سعيد ، حدثنا هلال بن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا موسى بن الحسن حدثنا سابق أبو سعيد ـ قال عمرو وكان إمام الرقة قبل أجلح ـ عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من الصدقة ، وعلم يُنتفَع به ، وولد صالح يدعو له .

سمعت إبراهيم بن أحمد بن عبد الكريم الحراني ابن أبي حميد يقول سألت محمد بن سليمان عن سابق البربري قال هذا كان قاضياً بالرقة ، حدث عنه محمد بن سليمان بن أبي داود وحدث عنه عبيد الله بن يزيد بن سنان الرهاوي عن أبي حنيفة .

وحدث عنه شجاع بن الوليد فقال : حدثنا أبو سعيد الجزَري حدثنا علي بن عثمان النفيلي حدثنا أبو كامل مولى الغاز بين ربيعة قال سمعت سابق البربري ينشد مكحولاً وهو في الغزو :

يا نفسِ كلُّ قابرٍ مقبورُ
ويهلك الزائر والمَزُور
ويَقبِض العاريةَ المُعير
ليس على صَرْف الردى غرور
كم من غني مكثرٍ فقيرُ

حتى انتهى إلى قوله :

والصدق بِر والتقى تطهير

والبر معروف به المبرور

وذو الهوى يسوقه المقدور

فقال مكحول : لا .

هذا ماتضمنه تاريخ الرقة عنه ، ونجده فيا يتعلق باسمه يجمله سابق بن عبد الله ويكنى أبا سعيد على ماسبق ترجيحه ، ويزيدنا حديثاً آخر من روايته وهو حديث الصحيح : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولم يتقدم فيا أثبتناه من حديثه ، ويؤكد روايته عن أبي حنيفة كما ذكره الخطيب في مشيخته .

ويروي لنا من شعره ثمانية أبيات من مشطور الرجز ، هي في الواقع من رجزية طويلة على ما يظهر بدليل قول الراوي عنه ، (حتى انتهى إلى قوله) :

ونلاحظ اعتراض مكحول عليه في البيت الآخر بقوله لا ، لما يُشتَم منه رائحة الجَبْر .

وجاء في خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي عند ذكر الشاهد : وللموت تغذو الوالدات سخالها ، البيتَ المتقدم في الكتابة الثانية ، ما نصه : (وسابق البربري هو أبو سعيد سابق بن عبد الله ، له أشعار حسنة في الزهد وهو من موالي بني أمية سكن الرقة ، ووفد على عمر بن عبد العزيز وله معه حكايات لطيفة ، روى عنه مكحول وموسى بن أعين والمعافى بن عمران ، وغيرهم ، والبربري نسبة إلى البربر وهي بلاد كثيرة في المغرب ، قال ابن الأثير في الأنساب : ليس سابق منسوباً إلى البربر ، وإنما هو لقب له) ، ويتضافر هذا النص مع ما قبله في اسم الرجل وكنيته ، ويجزم بأنه من موالي بني أمية ، وهو ما سبق ذكره عن ابن عساكر نقلاً عن المرزباني مع تعيين صاحب ولائه وهو الوليد منهم ، وبذلك قويت حجة من يقول انه غيْر عربي

وفي هذا النص خطأ وهو قوله روى عنه مكحول والصواب أن مكحولاً من مشيخته ، وان سابقاً هو الذي روى عنه كما سبق مراراً ، ويؤيده أيضاً اعتراضه عليه في البيت الذي تقدم من رجزيته لمّا أنشده إياها ، وأما قول ابن الأثير الذي أورده صاحب الخزانة في نفي نسبة صاحبنا إلى البربر فقد سبق لنا الكلام عليه .

وما ذكره عن ابن عبد ربه هو حكاية قيل ان سابقاً أخذ معنى قوله : وللموت تغذو الوالدات سخالها من مضمونها وهي هذه :

« وفد عبد العزيز بن زُرارة سيدُ أهل الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيد بن معاوية إلى الصَّائفة ، فهلك هناك ، فكتب يزيد إلى معاوية ، فقال معاويةُ لأبيه زرارة : أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب . فقال زرارة يا سيدي هو ابني أو ابنُك ، فقال معاوية انه ابنك ، قال للموت ما تلد الوالدة ، أخذه سابق البربري فقال :

فللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن

هذا وفي طبقات الشعراء لابن المعتز ذكرٌ لسابق في عبارة تشبه عبارة الجاحظ المتقدمة عنه وعن صالح بن عبد القدوس من أنهما اختصا بقول الشعر في الحكم والأمثال ، وذلك أثناء ترجمته لمحمود الوراق وهي قوله : (وشعر محمود كثير ، وأكثره أمثال وحكم ومواعظ وأدب ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح ابن عبد القدوس وسابق البربري) .

ونظراً لاشتباه شعر ابن عبد القدوس بشعر سابق ، أنشد ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم هذا البيت متردداً بين نسبته لسابق أو لصالح بن عبد القدوس :

وإذا حملت إلى سفيهٍ حكمةً فلقد حملت بضاعة لا تَنفق

ومما أنشد له ابن عبد البر وفاتنا أن نذكره فيما سبق :

إذا زجرتَ لجُوجاً زدته علقاً ولجَّت النفس منه في تماديها
فمُد عليه إذا ما نفسُه جمحت باللّين منك فان اللين يثنيها

ويشبه أن يكون هذان البيتان من قصيدة واحدة سبق ذكرُ مقطّعات منها على مثل الوزن والقافية . وله أيضاً مما أنشده ابن عبد البر :

موتُ التقيّ حياة لا انقطاع لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء

نعم إن حياة العلماء العاملين لا انقطاع لها بالموت فذكرُهم باق على الأيام ومنهم صاحبنا الذي مرّ على مَوْته أكثرُ من اثني عشر قرناً وهو ما يزال يعطّر المجالس بذكره وتحلّى الصحف بآثاره .

وبإضافة ما في هذا المقال الثالث من أبيات شعرية وعددها اثنا عشر ، إلى ما تقدم ذكره من أشعارِ سابق ، يصير الجميع مئة وتسعة وستين بيتاً ، والمنة لله .

عبد الله كنون



العربية بين الفصحى والعامية

كل قوم معجبون بلغتهم ، والعرب الصراح في مقدمة الأقوام ، إعجاباً بلغتهم وبتراثها ، وعملاً على وحدتها ومكانتها ، والاحتفاظ لها بالمنزلة السامية التي كانت لها بين سائر اللغات . وهو إعجاب عبّر عنه قديماً أبو الخطاب ابن دِحية في كلمته الجامعة الرائعة التي يقول فيها :

« اعلم أن الله تعالى لما وضع رسوله ﷺ موضع البلاغة من وحيه ، ونصبه منصبَ البيان لدينه ، اختار له من اللغات أعربها ، ومن الألسن أفصحها وأبينها ، ثم أمدّه بجوامع الكلم » .

وهذه الكلمة على ما فيها من إيجاز واقتضاب ، تغني عن كثير من الإسهاب والإطناب ، فالعربية صالحة لكل زمن ، غنية بمشتقاتها واستماراتها بحيث تتسع لكل مستحدث وجديد .

وليس هؤلاء العرب وحدهم معجبين بهذه اللغة متعلقين بها [1] ، فلقد شاركهم في هذا الإعجاب كثير من غير أبنائها ، من المستشرقين الذين عرفوا أسرارها ، وتبينوا حقائقها ودقائقها ، بعد أن اطلعوا على ذخائرها وكنوزها . ومنهم من أعجب بها وتمشقها عن سماع ، لا عن اطلاع .

---

(١) من تعلق العرب بلغتهم : أن أبا هاشم عبد السلام الجبائي – من أئمة المعتزلة – كان يأخذ علم النحو عن المبرد . قيل : وكان في المبرد سُخف

فقيل لأبي هاشم : كيف تتحمل سخف الرجل ؟

فقال : احتمال سخفه ، ولا الجهل بالعربية .

فلقد وقع في يدي كتاب بالفرنسية كان بعث به إلى الأمير شكيب أرسلان ـ رحمه الله ـ عالم ألماني هو الدكتور (ويدمر) أحب العربية واستهوته ، عن معرفة عنها ، لا عن معرفة بها ، فكتب إلى الأمير ، وعن غير معرفة شخصية به ، يقول له ما ترجمته بالحرف :

« أشكر لك فضلك على هذه المعلومات التي أفدتنيها . وإني لأعرف أنه من الصعب أن أجد في سويسرة عربياً يساعدني على القراءة ، وعلى تتبع النصوص العربية القديمة والحديثة . وهذا كتابك الثاني يؤكد ما ذهبتُ إليه . على أن هـذا وأكثر منه ، لا يثنيني عن عزمي وعمّا أجمعت أمري على المضي فيه .

إن تحمسي لهذه اللغة الرائعة ، وتعلقي بها ، ملكا علي مشاعري ، وجعلاني أسعى السعي كله لأجد عربياً : مصرياً أو سورياً ، متضلعاً من العربية ، متحمساً لها تحمسي ، عنده ما عندي من الرغبة في هذه اللغة وفي نشرها ، أصل معه إلى ما أريده من التعمق في العربية والتمكن من آدابها .

وإني أرى رأيك : أنه يصعب على غريب عن لغة أن يتعمق فيها ، إذا لم يكن على كبير علم بها . وأكرر القول : أنني أكون شاكراً إذا أنت هديتني إلى عربي لم أهتد إليه ، يوصلني إلى ما أبغي الحصول عليه .

وإني مدين لك بما أسديته لي من نصائح ومعلومات .

ملاحظة : هل تأذن لي أن أكتب إليك بعد اليوم باللغة الألمانية ؟ »

* * *

ويقول العالم الفرنسي (مارسي) في مجلة التعليم الفرنسية ١٩٣٠ — ١٩٣١ :

« من السهل جداً تعلم أصول اللغة العربية ، فقواعدها التي تظهر معقدة لأول نظرة ، هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب يكاد لا يصدق . فذو الذهن المتوسط ، يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة ، وبجهد معتدل .

إن الفعل العربي ، هو لعبة أطفال إذا ماقيس بالفعل اليوناني ، أو بالفعل الفرنسي . فليس هناك صعوبة بالاشتقاق ، أما النحو فسهل ، لاتعقيد فيه مطلقاً » .

ويقول المستشرق « جاك برك » :

« مستقبل الأدب والمسرح في العالم العربي يقوم على اللغة العربية الفصحى وحدها ، فهي لغة زاخرة بالثروة والتراث . وليست اللهجات العامية باللغات الأصيلة ، فهي تحريف عن الفصحى وتشويه لها . ولن تقوى هذه اللهجات الهزيلة على اقتحام أسوار التراث العربي المنيع الأصيل » .

أما المستشرقة الألمانية : الدكتورة في الفلسفة « آنا ماري شيمل » التي عدت منذ صغرها معجزة العلم ، والتي وضعت المقدمة المتمة للترجمة الألمانية للقرآن الكريم ، وهي التي ينتظر عشاق العربية من الألمان ، ظهور كتابها في قواعد اللغة العربية بشوق كبير - فإنها تقول :

« اللغة العربية لغة موسيقية للغاية ، ولا أستطيع أن أقول فيها إلا أنها لا بد أن تكون لغة الجنة » .

ويقول المستشرق الانكليزي « نيكلسون » (Niclson) بعد أن يصف إقبال أبناء الأندلس على اللغة العربية ، وشغفهم بها وافتتانهم بآدابها ، إن كاهن قرطبة (انفارد) آلمه أن أبناء مذهبه أقبلوا على دراسة العربية ، وقراءة أشعارها ومطالعة أساطيرها إقبالاً عجيباً .

ويرفع صوته شاكياً فيقول :

وقلَّ أن تجد فرداً من أبنائنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة . إن الشبان أصحاب المواهب وسائر المثقفين لا يعرفون غير العربية ، ويغالون في شراء كتبها والمفاخرة بآدابها ، وا أسفاه ! إنهم نسوا لغتهم ، حتى ليتعذر على الواحد منهم أن يكتب إلى صديق له رسالة باللاتينية صحيحة العبارة .

على حين يعبّرون عمّا يخالج نفوسهم بأسلوب عربي فصيح. ويقرضون الشعر العربي بما يفوق شعر العرب أنفسهم.»

ويقول آخرون: «إن من كهنة أسبانية من يقيمون صلواتهم ويمارسون طقوسهم الدينية باللغة العربية».

هذا وكثير من أمثاله. لا يمنع نفراً من العرب العاقين لغتهم، والضائعين فيها، عن أن يسيروا في ركاب جاهل أو مستعمر، يقول باللغة العربية العامية، أو كما وقع أخيراً بلغة لبنانية.

على أن تعصبنا للعربية الفصحى، وتعلقنا بها، ومغالاتنا في التعالي بها عن أن تهبط إلى منخفض اللغة العامية ـ وما قلناه مراراً وفي كلمة سابقة ـ لا يبلغ بنا أن نقطع ما بين الفصحى والعامية من صلة، وأن نجعل بينها حاجزاً منيعاً. يحول دون أن يتسرب لفظ عامي ـ ولو صالحاً ومقبولاً وفصيحاً، وفي حاجة إليه ـ إلى اللغة الفصحى، فيستعمله مؤلف أو كاتب أو شاعر أو ناثر في ما يقوله أو يكتبه، وأن ينظمه رجال اللغة في ما يضمونه من دواوين ومعجمات.

لقد أكثر الناقدون اللغويون ـ في مطلع هذه النهضة اللغوية والأدبية ـ من نقد من يستعمل كلمة لم ترد في كتب اللغة، ومن تعبير أو استعمال لم تعرفه العربية من قبل، فحجّروا واسعاً، وعسّروا يسيراً.

والإنسان في حاجة إلى ألفاظ يعبر بها عن أفكاره وأغراضه، فإذا هو أخطأ في ما استعمل، أو ظُنّ به ذلك، فليس من حق الناقد أن يقول له: أخطأت، ويقف، بل عليه أن يقول له: لا تقل هذ، بل قل هذا. أما إذا لم يجد الناقد اللفظ الصحيح يهدي المخطئ إليه، فكأنه أراد أن يحبس لسانه عن الكلام. وهذا شيء غير جائز ولا مستطاع.

لقد وقفت الخاصة برهة من الزمن ، لا تجد اللفظ الصحيح تعبر به عمّا جاء به العصر الحاضر وحضارته من أغراض ومعانٍ ، حتى اتهمت العربية بالعقم ، إلى أن كانت النهضة الأخيرة ، فانطلقت الألسن من عقالها ، والأقلام من لجامها ، فوجد رجال اللغة والأدب عن طريق الاشتقاق والاستعارة سبيلاً إلى ألفاظ كثيرة يعبرون بها عمّا يحتاجون إليه من أغراض ومعانٍ ـ فوُفّقوا توفيقاً غير قليل ، وهم ماضون في ما بدأوا به . إلى أن يبلغوا ما تقتضيه حاجات اللغة في عصرنا الحاضر .

كان ذلك ، على حين مضت العامة في لغتها مُضيّاً محموداً من قبل ، ومن بعد ، وإلى يومنا هذا ، لا يعجزها غرض أو معنى ، أن تجد له اللفظ يليق به وينطبق عليه .

وذلك بأن :

١ ــ استعملوا ألفاظاً صحيحة فصيحة ربما كانت اندثرت لولا استعمالهم لها .

٢ ــ استعاروا ألفاظاً عربية أصيلة لمعانٍ جديدة .

٣ ــ أحدثوا عن طريق الاشتقاق ألفاظاً يحتاجون إليها في حياتهم العملية .

٤ ــ اختاروا السائغ المقبول من الألفاظ التي تعددت فيها اللغات وإن خالفوا الخاصة في اختياراتهم .

أولاً ــ فمن الألفاظ القاموسية التي استعملتها العامة ولعلها كانت تنوسيت ، أو تنوسي بعضها لولا استعمال أصحاب المِهَن والصناعات لها . وقد يكون في بعض الخاصة من يجهل أنها عربية النجار ، فصيحة الأصل ، من ذلك :

١ ــ الزفر أو الظفر ، درجة من السلم . والعامة من البنائين يلفظونه بالزاي . وهو عندهم حجر ناتىء في البناء مستطيل كالدرجة أو العتبة ، تلقى عليه المُمُد أو البلاط (١) .

(١) وفي (جمهرة نسب قريش وأخبارها) أن عامر بن عبد الله انهدمت أظفار من درجته فبات تلك الليلة في الدار .

٢ — الساف : والساف في كتب اللغة ، كل صف من اللَّبِن أو الآجر في الحائط ، وهو الدماك .

٣ — المدماك : الصف من البناء (١) .

فاللفظان صحيحان : والعامة تكثر من استعمالها إلاّ أنها فرّقت بينها تفريقاً دقيقاً ، فغلبت المدماك على الصف من الحجارة بوضع بعضه فوق بعض . وعمت الساف فجعلته الصف يوضع بعضه فوق بعض ، في البناء وفي غيره .

٤ — القاس : آلة من حديد حادة الشفرة عريضة السن لها هراوة ملساء من الخشب . تقول كتب اللغة : يحفر بها ويعزق ، وليس الحفر والعزق من عملها . بل عملها قطع الغليظ من الشجر والحطب ، وهو ما خصتها به العامة .

٥ — المعول : أما الحفر والعزق فمن عمل المعول ، لا نقر الصخر ، وإن نصت عليه المعاجم .

٦ — القدوم : بتخفيف الدال . وتشديدها لغة فيهـــا . أجازها بعضهم وأنكرها آخرون . وجمعها « قدائم وقُدُم » وقيل قدائم جمع قدم ، مثل قلائص وقُلُص . وهي مؤنثة والعامة تذكرها . وتشدد دالها — جرياً مع من يقول بالتشديد — وتجمعها على قداديم .

وليست هي المنحت والمنحات كما جاء في كتب اللغة ، وإن كان صقل الخشب أو نحته من عملها أحياناً .

وأنشد الفراء :

فقلت أعيراني القَدوم لعلني أخط به قبراً لأبيضَ ماجد

(١) والعامة تقول على الحقيقة بناء (مدماك مدماك) كما قال الأصمعي على المجاز :

ألا يا ناقضَ الميثاقِ مدماكاً فدماكا

٧ — المَرَقَة : من معانيها لغة : خشبة توضع معترضة بين سافي الحائط ، يشد بها البناء ويقوّى . أطلقها البناءون على (Chainage) وهو الرباط . واللفظة الفرنسية (شاناج) يستعملها أكثر المهندسين إلى اليوم . على حين تستعمل العامة اللفظ العربي الفصيح .

٨ — المِنحت والمنحات : في كتب اللغة آلة النحت كالقدوم . غير أن أصحاب الصناعة من الحجارين خصوا النحت بالحجارة . وكأنهم أخذوا ذلك من قوله تعالى في سورة الشعراء : « وتنحتون من الجبال بيوتاً » وهو النحّات وصناعته النِّحاتة . والنحات من أسماء بعضهم .

٩ — المِنقش والمنقاش : آلة من حديد ينقش بها . وهو النقّاش وصناعته النِّقاشة . وأكثر ما يستعمل في نقش الحجر . وعليـــه قولهم : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » . وبالنقّاش سمّي بعضهم .

١٠ — المِثقب : آلة من حديد تستعمل للثقب في الخشب والحجر .

١١ — التِّجاف : ما بني بارزاً فوق باب أو شباك منعاً للمطر .

١٢ — المصطبة : بناء مرتفع يجلس عليه . وأصحاب المصاطب قوم كانوا يجلسون عليها ، يستدعون للشهادة أمام القاضي ـ أشبه شيء بكتاب العدل في يومنا هذا ـ وتصغير المصطبة : المصيطبة ، وبها سمي حي من أحياء بيروت .

١٣ — الدِسار : لغةً حبل من ليف تشد به ألواح السفينة . وعند العامة مسمار حادّ الطرفين (ذو رأسين) يدخل بين خشبتين فيجمعها حتى يصيرا وكأنهما لوح واحد . وفي القرآن الكريم : « وحملناه على ذات ألواح ودُسُر » إلى كثير من أمثال هذه الألفاظ التي يستعملها أصحاب المِهن والصناعات والأعمال « كالرزّة » ، والرفش ، والمبرد ، والمجرفة ، والملزمة ، والمنجل ، والمنشار ، وغيرها .

ثانيـــاً : ألفاظ استعارتها العامة للتعبير عن أشياء مستحدثة :

١ — البطيخة : قلب (الدولاب) تجتمع إليه ، أضلاع الدولاب في المربة أو السيارة ، أو تتفرع منه .

٢ — البندق : على ما جاء في بعض المعجمات الحديثة معرب « فندق » بالفارسية : وهو طين مدور يرمى به . ولم تستعمل العامة هذا اللفظ لهذا المعنى ، غير أنها نسبت إليه هذه الآلة العربية فقالت « البندقية » .

٣ — بيضة القبان : أطلقوها على كرة من نحاس أشبه ما تكون بالبيضة ، يعرف منها وزن الأشياء التي ترفع بالقبان . وفي الوسيط : سموها رمانة القبان . فان لم تكن العامة في مصر تستعمل « الرّمانة » فإن « البيضة » أوفق ، وهي معروفة في الشام : داخله وساحله . وتستعمل في لبنان للدلالة على قيمة الرجل ، أو الجماعة فيقولون هو « بيضة القبان » أو هم « بيضة القبان » حيث مالوا رجّحوا .

٤ — التُفاحة : تستعمل لما يُمسك الباب أن يفتح من نفْسه ، وهي دون القفل . ولا بد للباب منها . وكانت أشبه شيء بالتفاحة وعادت اليوم في شكلها إلى مثل ما كانت عليه .

٥ — الحية : الحيوان المعروف ، أطلقوها على الأنابيب الصغيرة التي يجري فيها الماء وجمعوها جمعه . فقالوا « حيات الماء » ومن التوافق أن العرب أطلقوا قديماً على مجاري المياه « الثُعبان » وهي الحية الضخمة ، أو هي الحية مطلقاً .

٦ — الديك : أطلقوه على الجزء من السلاح . وهو شبيه برأس الديك ، إذا ضُغط عليه فضرب موضع النار ، انطلقت الرصاصة من البندقية أو القذيفة من المدفع . وأبت الخاصة ذهاباً بنفسها من أن تستعمل

ما استعملته العامة فأطلقت عليه « الطارق » وبين الاستعمالين فرق . والديك هنا خير من الطارق وأخص .

٧ — الرديف : لغةً : الراكب خلف الراكب . استعمله البناؤون للدماك يوضع على حفاف السطح تثقيلاً له ، ومنعاً للأمطار والثلوج أن تسيل على الحيطان .

٨ — السبلة كالسنبلة : من القمح والشعير رأسها الذي فيه الحب والحسك أطلقوها على المبرد الصغير المثلث الأضلاع لشبهها به .

٩ — السليخ : الأرض العراء ، لا شجر فيها .

١٠ — الشوكة واحدة الشوك أطلقوها على :

أ — ملعقة ذات أسنان أربع تؤكل بها الجوامد .

ب — ميعول ذي أصابع تمزق به الأرض .

ج — آلة من حديد كالازميل إلا أنها أشد منه وأقوى يستعملها البناء والبلاط والنجار .

١١ — العروس : يستعملها النجارون لعمود مستقيم توضع عليه الأخشاب التي تحمل القرميد لما يعرف عندهم بـ (الشكنة) .

١٢ — العفريت : آلة تستعمل لرفع الأثقال ، ولا سيما السيارات ، وقد يكون العفريت أصلح من « الرافعة » التي يستعملها بعضهم .

١٣ — العقرب : في الساعة يشير فيها إلى الساعات والدقائق .

١٤ — الفارة : سمى بها النجارون آلة صغيرة يستعملونها لنجر الخشب وصقلها وهي شبيهة بالفارة « الحيوان » شكلاً وعملاً . وهي خير من المسجح التي أطلقتها عليها بعض الخاصة .

١٥ — الفرس : ضلع قوي مستطيل يلقيه النجارون إلى جانب « العروس » التي ذكرت قبلاً مساعدة لها في حمل « التكنة » .

١٦ — القمحة : عند العامة : الهنة الصغيرة توضع على فوهة البندقية أو المدفع لتسديد الطلقة وإصابة الهدف . وضع لها العسكريون « الهادي » وكان الترك قد أبدلوا بـ « القمحة » « الشميرة » . و « القمحة » التي استعملتها العامة خير من « الهادي » ومن « الشميرة » وهي أشبه شيء بـ (القمحة) النباتية حجماً وشكلاً .

ثالثـــاً : ألفاظ أحدثوها . منها :

١ — البندقية : وقد سبق ذكرها .

٢ — الطرّاحة : حشيّة مربعة أو مستطيلة . تطرح للزائر ليجلس عليها . ثم صارت توضع حيث تستقبل الضيوف ، قبل أن اتخذت المساور (١) (الكنبايات أو القلاطق) ولا تزال مستعملة إلى اليوم .

٣ — الجبّالة : آلة يجبل بها الطين .

٤ — الجرارة : تجر بها الأثقال .

٥ — الحفارة : لما تحفر بها الأرض .

٦ — والعجانة : لما يعجن بها الدقيق .

٧ — القطاعة : تقطع بها الحجارة .

٨ — الكسارة : لما يكسر بها صغار الحجارة أو الحصى .

٩ — النقالة : تنقل بها الأشياء . إلى عشرات من هذه الأشياء التي أحدثتها الحضارة والعمران ، فأحدثوا لها هذه الأسماء .

١٠ — الفراطة : أطلقوها على هذه القطع الصغيرة من النقد . وفرط العقد والنقود في لغة المولدين : فرقه وبدده .

---

(١) المسوّر ، والمسورة : متكأ من جلد يجلس عليه .

١١ — الفرّاعة : الفأس الصغيرة : لقطع الغصون أو تشذيبها . وفرع الشيء لغةً ، جعله فروعاً .

١٢ — الجل — في لبنان — قطعة صغيرة من الأرض لها حائط وحدّ معلوم . يرتفع بعضها عن بعضها الآخر .

١٣ — الخنصر : فإذا ضاق جلّ عن جلّ ، وقصر عنه ، سموه خنصراً ، تشبيهاً له بخنصر اليد ، لقصره وصغره عن سائر (الجلول) : قصَر الخنصر عن سائر الأصابع .

١٤ — المائلة : أطلقوها على عيال الرجل ، وأهله الأدنين . وهي فاعلة بمعنى مفعولة . وفاعل بمعنى مفعول ، ومفعول بمعنى فاعل كثير في العربية .

١٥ — الغدّارة : أطلقوها على هذا السلاح الناري ، يحشى بالبارود والرصاص ، ذلك لما فيه من الغدر ، إذا هو قيس بالسلاح الذي كان يشهر علانية كالرمح والسيف . وللغدّارة أنبوبان .

١٦ — الفرد : ولمّا عرف الفرد وهو ذو أنبوبة واحدة أطلقوا عليه هذا الاسم ، ثم أبدلت الخاصة بلفظ (الفرد) السدّس . يوم بدأ بست طلقات . ثم صار بخمس وبعشر ، وظل على اسمه (السدّس) .

١٧ — مسك الدفاتر : طريقة حسابية لا غنى عنها للتجار . أنكرها بعض المتشددين بحجة أن الفعل مسك به ، وأمسكه ، لا مسكه . فكان يجب أن تكون : « إمساك الدفاتر » لا « مسك الدفاتر » . و « مسك الدفاتر » أخف من قولهم « إمساك الدفاتر » .

وليس هذا بالمأخذ الذي لا يتفلّت منه . فقد جاء عن العرب كثير من المصادر التي خالفت الأفعال . فقالوا : (عطاء) من (أعطى) و (مبروز) من (أبرز) و (قارب) من (أقرب) لا (مقرب) و (مسمود) من (أسمده) و (مضعوف) من (أضعفه) .

١٨ — الطَّلْقة : الدفعة الواحدة من البندقية أو المدفع . أنكرها بعضهم لأن ماضيها (أطلق) لا (طلق) . ويقال في « طلقة » ما قيل في مثله (طالقة) بالنسبة إلى (إطلاقة) وأكثر من هـــذا فالعرب توسعوا ـ على ما سبق فقلنا ـ فاستعملوا المفعول بمعنى الفاعل ، والفاعل بمعنى المفعول .

فقالوا : ماء (شروب) أي يشرب ، وبئر (غروف) أي يغرف ماؤه ، وفرس ركوب أي يركب .

قالوا هذا على حين فعول أكثر مجيئه بمعنى الفاعل :

رجل غيور ، وكذوب ، وكفور ، وملول ، وشكور .

١٩ — العروس : لفظ يطلق على كل من الرجل والمرأة : ما داما في عُرسهما . وهما العروسان . هذا هو النص اللغوي . إلاّ أن العامة استنكرت أن تقول : للرجل العروس في إعراسه ، فاستعملت العريس . وله وجه وإن كان بعيداً . حملت هذا على : الزوج والزوجة . والغريب أنهم فرقوا بين العروسين جمعاً ولم يفرقوا بينهما مفرداً .

فقالوا : وجمع العروس للرجل : أعراس وعُرُس . وللمرأة : عرائس .

٢٠ — الفرس : تطلق على الذكر والأنثى . قال ابن سعيد : وأصله التأنيث . وعلى هذا جرت العامة . فالفرس عندهم للأنثى . وللذكر الحصان [1].

٢١ — الفطيرة : رقاق من العجين تحشى بالتوابل ويثنى بعضها على بعض .

٢٢ — المنقوشة : رغيف مستدير أو مستطيل ، ينقش بالأصابع وتوضع عليه التوابل ، وتوابلها تختلف عن توابل الفطائر ،

(١) والعرب جروا على مثل هذا التفريق . فالطرب : خفـــة تأخذ صاحبها من فرح أو حزن فخصّوها بالفرح . والمأتم : مجتمع الناس في فـــرح أو حزن فخصّ بالحزن .

٢٣ — الكف : استعملته العامة لما يلبس باليد من جلد أو صوف وجمعه كفوف ، وهو خير من القفاز وجمعه قفافيز الذي تستعمله الخاصة في مفرده وجمعه .

٢٤ — الوصفة : أطلقت على التذكرة يعطيها الطبيب يعين فيها أجزاء الدواء . سموها حيناً « الروشته » وهي لفظة فرنسية (Racette) مأخوذة عن اللاتينية (Racepta) ثم غلبوا عليها « الوصفة » فأنكرها بعض المتشددين بأن فعلها وصف فكان يجب أن يقال فيها « صفة » لا « وصفة » وفي قولهم « صفة » من اللّبس ما لا يصلح معه استعمالها .

ومن المصادر عشرات تثبّت فيها هذه الواو : مثل :

وعدة ، وومضة ، ووقعة ، ووحدة و . . . و . . .

ونخلص من هذه الأمثال التي ضربناها في ما استعير وفي ما أحدث إلى نتيجة من نتيجتين .

١ — إمّا أن يجد رجال التحقيق وجهابذة العلم والنظر في دواوين اللغة ومعاجمها ، ما يسد مسد هذه الألفاظ التي لا بد منها ولا غنى عنها .

٢ — وإما أن يقروا هذه العامة ، وبعض خاصتها ، على ما استعاروه وأحدثوه ، ويدخلوه في المعاجم .

رابعاً : ما خففوه أو هذبوه . من ذلك :

١ — الرُّز : نبات حولي ـ واللفظ في أصله غير عربي لعله مأخوذ من التلياني . وفي هذه اللفظة سبع لغات . بين فتح وكسر وتحريك وتسكين ، ومن هذه اللغات « الرُّز » اختارتها العامة دون سواها من اللغات . أما الخاصة فتأبى أن تجاري العامة .في اختيارها فلا تقول إلا " (الأرز) ، وإن كانت « الرز » تفضل « الأرز » أسهل لفظاً وأخف على السمع

وقماً . وفي « الأرز » التباس في الرسم بين « الأرز » الشجر العظيم الصلب ، و « الرز » النبات الحولي الهش . ونحن نقول في بائعه « الرزّاز » وفي النسبة إليه « الرزي » وبه سمي بعضهم ، وحرفته « الرزازة » وموضعه « المرَزّة » وكله مما نصت عليه كتب اللغة وهو من « الرز » لا من « الأرز » .

٢ — الإوَز : بكسر ففتح . وهو الطير المعروف . والعامة تسقط الهمزة من أوله فتقول « الوز » وهو وارد ، والنسبة إليه « الوزي » وبه سمي بعضهم « والمَوزّة » الأرض يكثر فيها « الوز » وهي من « الوز » لا من « الإوَز » .

٤ — الدُّرّاق : الثمر أو الشجر المعروف . وقيل في اللفظة أنها رومية الأصل ، وفيها لغات : منها « الدُّرّاق » التي تستعملها العامة . والدراقن التي تستعملها الخاصة . والدُّراق وزان : « رُمان » و « تُفاح » و « سُمَّاق » و « عُنَّاب » ، فلِمَ لا تقول الخاصة فيها ما تقوله العامة « دُرّاق » وهي لغة من لغاتها . وواحدتها « دُرّاقة » كرمانة وتفاحة والنسبة إليها « دراقي » ويستثقل جدّاً إذا قيـــل « دراقني » مع بقاء النون .

٤ — الرُّغم والسُّم : وهما مثلثان . اختارت العامة فيها الفتح وهو أخف ، واحتفظت كثرة الخاصة بالضم . وفي فتح « السم » تفريق بين هذه المادّة السامّة ، وسم الخياط : أي ثقبه .

٥ — الخروب : شجر ينبت في جبال الشام وفيه لغتـان : الخرنوب ، بنون بين الراء والواو وعليه أكثر الخاصة ، إذ كتبوا ، والخروب بإسقاط النون . وعليه العامة . وفي بعض المعجمات : الخرنوب لغة

في الخروب ، ومعنى هذا أن ما عليه العامة هو الأصل . والمعروف في النسبة خروبي لا خرنوبي . ففي « خطط المقريزي » بعنوان : (المدرسة الخروبية) : هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر أنشأها بعد ستة وخمسين وسبع مئة بدر الدين محمد الخروبي (بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء المهملة وضمها ، ثم واو ساكنة بعدها باء موحدة ، ثم ياء آخر الحروف) .

يقول المقريزي : وشرط بدر الدين في مدرسته ألاّ يلي بها أحد من العجم وظيفة من الوظائف . فقال في كل وظيفة منها : ويكون العرب دون العجم » ، وكذلك (المدرسة الخروبية) التي أنشأها عز الدين محمد الخروبي – ابن أخي بدر الدين .

٦ – الفَيروز : بفتح الفاء وكسرها . والفتح أشهر ، وفي كتب اللغة « الفيروزج » حجر من الأحجار الكريمة تعريب « پيروزه » الفارسية بالباء المفخمة (p) التي يقلبها العرب (فاء) في كل ما ينقلونه إلى لغتهم ، كما يقلبون حرف (v) باء . أسقطت العامة جيمها وقالت : « الفيروز » والنسبة إلى « الفيروزج » في كتب اللغة « فيروزي » وبذلك يكون رجال اللغة قد وافقوا العامة بعض الموافقة ، وما ضرَّ لو جاروها فحذفوا الجيم حذفاً مطلقاً .

هذه كلمة أردت بها أن ألفت النظر إلى أن ليس كل ما تستعمله العامة خطأ . وانه إذا كان يراد للفصحى – ونقولها مرة ثانية – أن لا تهبط إلى منخفض العامية ، فليس من الخير للعربية أن يكون بين اللغتين – وهما في الأصل لغة واحدة – حاجز حصين يحول دون الخاصة واستعمال لفظ لا بد منه ، لا لشيء ، إلاّ لأن العامية استعملته أو استحدثته .

إن اللغة لا تعيش في أخبية ضرب عليها بالأسداد ، ولكنها كائن حي تسير مع الزمن الذي تعيش فيه ، يحدث لها فتحدث له ، وهي الكلمة المأثورة عن عمر بن عبد العزيز التي خاطب بها أمته وقد استشهدنا بها من قبل : « تحدثون فنحدث لكم » وما قيل في الشريعة يقال في اللغة .

وبعد . فإنا نريد خطة وسطاً ، لا تشدد الحريري في (درته) [١] منع فيها ما يجوز ، ولا تساهل ابن الحلبي في (بحره) [٢] أجاز فيه ما لا يجوز .

عارف النكدي



(١) (درة الغوّاص في أوهام الخواص) .

(٢) (بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام) .

وقد بلغ التشدد من بعضهم أن أنكر على بعض الأدباء قولهم « ليلة راقصة » معللاً لإنكاره بقوله : « إن الليلة يقع فيها الرقص وليست هي التي ترقص » وكان المنتقد وهو علم من أعلام اللغة غلبت عليه نزعة التشدد فذهب عن باله أنهم قالوا : « ليلة ساهرة » و « ليلة قاصدة » و « ليل نائم » و « يوم عاصف » وقوله تعالى : « عيشة راضية » وكلها مما يقع الشيء فيه ، لا مما يقوم هو فيه .

الألفاظ المتشابهة
في السريانية والعربية[1]

عطفاً على مقالنا « العربية وشقيقتها السريانية الوفية » المنشور في المجلد ٤٠ والجزء ١ من هذه المجلة الغراء ، نقول : في الأبجدية السريانية ، اثنان وعشرون حرفاً ، ازدوج لفظ ستة منها وهي : الباء والجيم (المصرية) Gamal الدال ، الكاف ، الباء ، (P الافرنجية) والتاء . هذا أحد اللفظين . أما اللفظ الثاني فهو : ال ڤ (V الافرنجية) ، الغين ، الذال ، الخاء ، الفاء والثاء ، ويتميز بنقطة صغيرة تُرسم تحت الحرف . ويعرف الأول باصطلاح اللغويين السريانيين ب « القاسي » والثاني ب « اللـيّن » .

لقد نوهنا في مقالنا المشار إليه ، بلهجتي السريانية الفصحى الحالية ، المعروفتين بالشرقية والغربية . فإيضاحاً لما سبق نقول : إن من ميزات اللهجة الشرقية ، لفظها حرف الفاء قاسياً على الإطلاق ، كحرف ال P الإفرنجي ، ما خلا بضع ألفاظ لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، فتلفظها كالواو بدلاً من الفاء ، خطأ ، كما صرّح صاحب القاموس السرياني المعروف ب « دليل الراغبين في لغة الآراميين » وهو من أصحابها . بل تلفظ حرف ال V (الباء الليّن) أيضاً كالواو . أما الغربية فتلفظ الأول ليّناً على الإطلاق أي فاء . أما الثاني فقد أهملته إلا في ما ندر . وكلا الأمرين خطأ

---

(١) لقد اصطلحنا على حرف Q للقاف و Aa للعين ، واستعملنا الفتحة الشرقية حفاظاً على تركيب اللفظة ، وكذلك الشدة الشرقية لاتفاقها والعربية .

لا مبرر له . وأما الألفاظ التي دخلت العربية عن طريق هذين الحرفين فقد انقلب فيها الأول إلى باء والثاني إلى فاء أو واو .

وفي ما يلي الألفـــاظ السريانية التي دخلت العربية عن طريق هذين الحرفين(١) .

Arzapta الأُرزَبَّة والمِرزَبة (عُصيّة من حديد) و Marzapta المِرزَبَّة . Hpa بالحاء ، خبأ . Hapoura بالحاء ، الغبار (الهبـــاء) . Taptapa بالطاء الطبطابة (خشبة عريضة يُلعب بها بالكرة) . Kap اكبّ (احنى وانحنى) . Kopta القبة (القبو ، القنطرة) . Kpa كبّ (قلب ، أراق) . Stap بالطاء ، شطب . Sapouna بالسين والصاد ، الصابون . Aarepta بالعين ، الغَرَب (الصفصاف) . Paee بَهـَا (جُمل) ، ومنها Paya البهي . Pdara بالذال ، البذر (تبديد المال وتفريقه) . Patiha بالطاء والحاء ، البطيخ . Petqa بالطاء والتاء ، البطاقة (رسالة) . Paytara البيطار . Plagma البلغم (٢) Palatin بالطاء ، البلاط . Pqaata بالعين ، البقعة (السهل) . Paqqeq بقّ (هذر . هرج ، كثر كلامه على القوم) ، Pargudin البرجد (كساء غليظ مخطط) . Pchat بالطاء ، بسط ومنها Pchita البسيط والمنبسط والاعتيادي . pcham بَشِم (اتخم من الطعـــام) Pchaa بالعين ، بشع (مسخ) . Ptaq بالتاء والقاف ، بثق (فتق ، شق) . Qnapa القنّب (نبات) . Qlap قلب (كبّ) . Qpad قبض . Qappah بالحاء ، كبح . Qupta بالطاء ، القبيّط (نوع من الحلويات) . Qpas قبض (ضد مد وبسط) وقبض (أمسك) . Qpisouta بالصاد ، انقباض (جمع) . Qapar الكبَر (شجـــر الآصف) . Chtap بالطاء ، شطب (فلق ، شق ، شرّح) . أما Purchana البرشانة فتجدها في اللهجة العربية العامية . وبهـذا المعنى

(١) لا تدخل هنا الألفاظ المذكورة في المقال السابق .

(٢) لقد دخلت الألفاظ الأعجمية اللغة العربية عن طريق السريانية .

جاءت لفظة Prista أيضا . ومن المدن Pustra بالطاء ، مدينة البصرى (اسكي شام) و Palat بالطاء ، مدينة بَلَد في العراق . Zvava الذّفاف (الماء القليل) . Zevta الزفت . Tvah بالطاء والحاء ، طفح . Nhev بالحاء ، نحف . Qav قفّ (الشَّعر) . ومن المدن ، Kouva الكوفة في العراق أي شوكة أو عاقولا . Chvat بالطاء ، ساط ، ومنها Chavta السَّوط . Charvala السروال [1] . وشذت Besadya الوسادة Burcha الورس .

ومن الغريب أن تأتي لفظة Qwaz بمعنى قفز أي بعكس القاعدة المتبعة .

ومن الحروف « اللينة » ، الغين ، التي تلفظها اللهجة العامية الشرقيـة غالبًا ، همزة [2] . فتقول مثلاً « أرناءا » بدلاً من ارناغا Arnagha الجُرَذ ، « زاءا » بدلاً من زاغا Zagha الزاغ (الفرخ ، الفروج الصغير) ، « راأولا » بدلاً من راغولا ، الوادي ، « وشْوْءلاَ » بدلاً من شوغلا ، الشغل . وعن طريق هذه اللهجة دخلت العربية لفظة « زأر » الأسد بدلاً من « زغر » Zghar .

ومن ميزات اللهجة الشرقية أيضاً ، استعمالها الشدة كما في العربية . وقد ولّدت هذه الشدة ، منذ العصور القديمة ، لدى بعض القبائل السريانية الشرقية في العراق ، نوناً ، نحو Ganbara بدلاً من Gabbara الجبـار . Mendem بدلاً من Meddem الشيء . Manna بدلاً من منّا ، المن . Sunbara بدلاً من Subbara البشارة . Senbelta بدلاً من Sebbelta السُلّم . Chenda بدلاً من Chedda الشدّة . Chanpira بدلاً من

(١) إن لفظة Keriv الكردية ، هي نفس لفظة Qariva القريب السريانية ، وقد دخلت الكردية بحسب اللهجة السريانية الغربية .

(٢) لقد جاءت لفظة Molaghma مَلْغما . مَلْهَم بدلاً من مَلاَم ثم تحرفت في العربية فصارت مَرهَم (ما يُطلى به الجرح) .

Chappira الجميل . هذا ولا يزال الكاثوليك في ملبار الهند ، الذين يستعملون الطقس السرياني باللهجة الشرقية ، يلفظون Qandichat بدلاً من Qaddichat قدوس أنت . . . الخ .

وعلى هذا النمط عثرنا على الألفاظ التالية التي أوسمت لها المعاجم العربية : Anba « الانبا » بدلاً من Abba الأب . ولا تزال الكنيسة القبطية في مصر تستعمل « الانبا » لأساقفتهـــا وبطاركتها . Anbouba الأنبوب بدلاً من Abbouba . Endar الأندر (البيدر) بدلاً من Eddar . Anfé الأنف والوجه بدلاً من Affé . Ant أنت بدلاً من Atte . Antta الأنثى بدلاً من Atta . Ansahta بالصاد والحاء ، النسخة ، بدلاً من Assahta . Ganza الكنز بدلاً من Gazza . هذا ولا يزال الكتاب الخاص بالماندية (الصابئة) يسمى بـ « الكنزا » Ganza . Gunda الجُند (الجوقة والفرقة) بدلاً من Gudda . وما زالت هذه اللفظة مستعملة في السريانية بمعنى « الجوقة » . أما في العربية فبمعنى فرقة من العسكر . Zanbila الزنبيـــل بدلاً من Zabbila . Zandouqa الزنديق بدلاً من Zaddouqa . Hanzira بالحاء ، الخنزير بدلاً من Hazzira . Henzita بالحاء ، الخزانة بدلاً من Hezzita . Henetta بالطاء ، الحنطة بدلاً من Hetta . Henka بالحاء ، الحَنَك بدلاً من Hekka . Harnouba بالحـــاء ، الخرنوب بدلاً من Harrouba . Kranba الكرنب بدلاً من Krabba . Lbenta اللّبنة بدلاً من Lbetta . Mansara المنشار بدلاً من Massara . Manqara المنقار بدلاً من Maqqara . Sandana السندان بدلاً من Saddana . Sfinta السفينة بدلاً من Sfitta . Enqa بالعين ، العُنق بدلاً من Eqqa . بيد أن هذه اللفظة تعني بالسريانية اليوم قلادة العُنق . Enza بالعين ، العنزة بدلاً من Ezza . ولا تزال بنت الظبية تسمى في العربية « العَنزة » . Tinta التينـــة بدلاً من Titta .

Chanbel سَنبَلَ بدلاً من Chabbel ، ومنها Chenbelta السُنبلة بدلاً من Chebbelta . Chanta السَّنة بدلاً من Chatta . أما Qupta بالطاء ، القنّبيط ، فلعل أصلها Qunpta .

أشرنا في مقالنا الآنف الذكر إلى تشـابه مئات من الألفاظ في اللغتين العريقتين معنى ولفظاً ، سواء أكان ذلك في أصلها أم ما اقتبسته الواحدة عن الأخرى عبر الأجيال ، وأوردنا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر . كما جزمنا في غيرها بأنها انتقلت من السريانية إلى العربية إما عن طريق حرف ال P أو حرف الجيم المصرية Gamal الذي يُكتب كالكاف الفارسية فانقلب مع تمادي الزمان إلى حرف الـكاف العربي كما هـــو اليوم ، أو إلى حرف القاف ، وبالعكس كما هي العادة عند بعض العرب . وقد مرت معنا الألفاظ التي انتقلت عن طريق حرف ال P . وفي ما يلي الألفاظ التي انتقلت عن طريق حرف الجيم المشار إليه (١) .

أ — الجيم التي انقلبت إلى حرف الكاف :

Gad كدّ (٢) . Gnaz كَنَزَ . Dargé الدَّرَكات (٣) . Sgar سكّر (الباب ، أرصده . سده) . Rbag رَبِكَ (تحيَّر) . هذا وقد انقلبت الـكاف إلى جيم في لفظة Fak فجّ .

ب — الجيم التي انقلبت إلى القاف :

Urga الأورق (الذي لونه لون الرماد) . Garegsa القِرقيس (شيء يشبه البق) . Zibag الزيبق والزئبق . Zrag زَرَقَ . Lagta اللَّقَن

(١) لا تدخل هنا الألفاظ المذكورة في المقال السابق .

(٢) الصحيح جدّ .

(٣) الصحيح ، الدرجات . وبعد أن اعتُبرت الكاف اصلية في الدركات ، أقر اللغويون العرب الدرجات للصعود والدركات للهبوط .

(شبه طست من نحاس أو صفر) . Ngal انتقل . Negaa بالعين ، النَّقع (الشق) . Rhag رَبَقَ (شدَّه في الربق أي الحَبل) ، ولفَّق الـكلام . Chrag شَرَقَ .

ج — القاف التي انقلبت إلى جيم :

Nqal نَجَلَ (الأرض : شقها) . Qubta الجُبّ . Qba جَبَا (جمع الماء في الحوض) . هذا وقد جاءت القاف في Zlaq غَيْنا ، زَلَغَ ، أي أضاء كما هي في Zlagh السريانية .

ذكرنا في مقالنا السابق ، ألفاظاً سريانية تغير تركيبها في العربية . وقلنا ان الشين السريانية هي غالباً سين في العربية ، والسين شين ، والطاء ظاء ، والحاء خاء ، والعين غين أو ضاد أو همزة . ونضيف هنا ، اننا نتيجة لدرسنا الدقيق للألفاظ السريانية والعربية ، وجدنا عدداً وافراً من الألفاظ ، انقلبت في بعضها الجيم السريانية إلى غين ، مع أنها في الغالب جيم عربية ، والطاء والصاد إلى ضاد ، والـكاف إلى قاف وبالعكس . كما أننا عثرنا على كثير من الألفاظ المتشابهة بحسب اللفظ اللين أيضاً . هذا فضلاً عن تحرُّف العشرات من الألفاظ الأخرى .

وهناك مشكلة الحروف الأسلية والنِطعية والحلقية (١) ، إذ اختلف لفظ كثير منها في اللغتين اختلاف لهجات الشعوب الناطقة بها ، بحيث أضحت الزاي في اللغة الواحدة سيناً أو شيناً أو صاداً في اللغة الأخرى وبالعكس .

(١) الحروف الأسلية في العربية هي : الزاي ، السين والصاد . أما في السريانية فتضاف اليها الشين أيضاً ، والحروف النِطعية في العربية هي : التاء ، الدال والطاء . أما في السريانية فتضاف إليها اللام والنون أيضاً . والحروف الحلقية في العربية هي : الهمزة ، الحاء ، الخاء ، العين ، الغين ، القاف والهاء . أما في السريانية فهي : الهمزة ، الهاء ، الحاء ، العين والراء

والتاء دالاً أو طاء وبالعكس ، والحاء والعين أحياناً هاء أو همزة او ذابتا كليا [١] . وهناك ألفاظ أخرى متشابهة ، جاءت ذالها السريانية زايا في العربية ، وثاؤها سيناً وبالعكس . ولا بدع فان في اللغة الواحدة ألفاظاً من هـــذا القبيل جاءت بمعنى واحد . ففي صدد الحروف الأصلية ، نقرأ في السريانية : Knidta بالذال و Knizta بالزاي أي قرصــة سميكة . Nuqadta بالذال و Nuqazta بالزاي أي النقطة . Zrat بالزاي والطاء و Srat بالصاد والطــاء أي شرط وخدش . Zwada بالزاي و Swada بالصاد أي الزوادة . Swada بالسين و Swada بالصاد أي سواد الكلام . Sapouna بالسين والصاد أي الصابون . أما في العربية فنقرأ : تَلَعْثَم وتَلَعـتَم وتَلَعْتَم (بمعنى توقّف في الأمر وتأنّى) ، الرزاز والرصاص ، رقز [٢] ورقص . سَفَقَ وصَفَقَ (بمعنى صَفَعَ ولَطَم) ، سقل وصقل ، غرس وغـرز ، لزق ولصِق ، مَرَثَ ومَرَسَ (بمعنى نقع في الماء وليّن) ، والسَّعتَر والصَّعتَر (نبات) والطُّرموث والطُّرموس (خبز الملة) . وفي صدد الحروف النطعية نقرأ في السريانية : Htar بالحاء والطاء و Htar بالحاء والتّاء أي خَطَر وتكبَّر Taach بالطــاء والعين و Taach بالتاء والعين أي تَعِس وذلّ ، Petqa بالطاء و Petqa بالتاء أي البطاقة . أما في العربية فنقرأ : التّمتام والطمطم

---

(١) ولنا في لفظتي « الساف » (من البناء) و « البُرّ » أي القمح خير مثال على هذا . فانهما سريانيتان أصلهما Sahfa (سحفا) Aboura (عبورا) والأرجح أنهما دخلتا العربية عن طريق اللهجة السريانية العامية (البابلية) الدارجة في شمالي العراق والتي يذوب فيها حرف الحاء أحياناً والعين غالباً . ومن هذا القبيل قولنا زور بابل بدلاً من زعور بابل ، ودير الزور بدلاً من دير زعور .

(٢) اللفظة سريانية أصلها Rqed بالذال ، حرّفها الذين يلفظون الذال كالزاي كقولهم : « هزا وزاك » بدلاً من هذا وذاك . وما زال الكثيرون في سورية ولبنان يلفظونها هكذا

(الذي في لسانه عجمة) ، وقَتَل وقَطَل ، أما في صدد الحروف الحلقية فنقرأ في العربية مثلاً : حَجَرَ وَعجَرَ بمعنى حَجَزَ ، حَنَّ وهَنَّ .

وفي معرض كلامنا عن الحروف الأصلية ، برزت لفظة Zyana السريانية التي تعني في العربية الشَّين والزّين ، والتي مازالت دارجة بهذا المعنى في العربية العامية في الموصل وسوادها ، فتقول : فلان عمل « زْيَان » أي شيئاً رديّاً ، على حين أنها والفصحى على طرفي نقيض ، إذ جاءت لفظة « الزين » في الأخيرة بمعنى الجيّد . والأرجح أن « الزين » هي المعنى الصحيح للفظة السريانية المشار اليها ، وإن معناها يجب أن يكون بمعنى « الشَّين » . أما لفظة « الشَّين » فهي تصحيف « الزين » وذلك بالنظر إلى اختلاف لهجات الشعوب الناطقة بالعربية كما ذكرنا في كلامنا عن الحروف الأصلية كقولنا « انكليز وانكليش » . وكذلك نرجّح أن تكون لفظة « الرين » بالذات ، إذ تصحَّفت الزاي راء بواسطة النساخ . وكم من ألفاظ صحَّفها النساخ . فاننا نقول : « صوب وحدب » بمعنى جهة ، في حين أن « صوب » تقابلها في السريانية Sawba . أما « حدب » فالأرجح أنها تحريف « صوب » . وكذلك نقول : الخطارة والحظيرة بمعنى صيرة الغنم ، خرق وخزق ، سخّن وسخّم ، فحّت الحية وفحّت ، رحم ورخم [1] ، حجر الثروة والفروة بمعنى الغنى ، الأثرم والأفرم (المتحطّم الأسنان) [2] . ومن تصحيف النساخ الذي دخل المعاجم العربية دون تمحيص وروية ، لفظة « المدوّ ») بضم الواو وشدّها) بمعنى لفظة « الرّهط » [3] ، في

(١) هذه اللفظة أيضاً سريانية أصلها Rhem أي بالحاء لا الخاء . وهي الأخرى دخلت عن طريق اللهجة العامية الآنفة الذكر والتي تلفظ حاؤها خاء غالباً .

(٢) لا يزال أهل قلّت من أعمال ماردين ، حتى النازحين منهم إلى لبنان ، يلفظون الثاء فاء .

(٣) انظر المنجد .

حين أن هذه اللفظة سريانية بحتة Rehta بالطاء ، تعني « العَدْوُ » (بضم الواو فقط) أي الركض والجريان .

وإليك الألفاظ التي تخللتها الحروف الأسلية والنِطعية والحلقية :

الأسلية : Buziqa الباشق ، Bhach بالحاء ، بحث . Gezaa بالعين الجذع . Gras بالصاد جرش . Nqeb Dercha التطريز . Zvava الذّفاف (الماء القليل) Zdaq صَدُق ووجب ، ومنها Zaddeq صَدَّق وصادق وتصدَّق ، و Zedqa الصِّدق (البِرّ) والصِّديق (القريب) ، و Zedeqta الصَّدقة ، و Zaddiqa الصِدّيق . Zaddouqa الصَّدُوقي (الزنديق) . Ezdhar تحذر Zahra السُّهر (القمَر) . Zyana الشِّين . Zaaouqta بالعين ، الصاعقة Zaar بالعين صَغُر . Zrat بالطاء شَرَطَ . Zraq ذَرَقَ (نثر ، بذر) . Hlas بالحاء والصاد ، خَلَصَ (سَلَبَ) . Hsan بالحاء ، حَصُنَ ، ومنها Hesna الحِصنُ . Hesfa بالحاء والصاد ، الخَزَفَ . Tarmousa بالطاء ، الطُّرمُوث والطُّرمُوس (خبز الملة) . Kecha بالكاف والسين والحاء ، القَزَح (بصلة صغيرة) . Layth بالثاء ، لَيس . Laaes بالعين والسين ، لَعَصَ . Mazda المَسَد (الحَبْلُ) . Mras مَرَثَ وَمَرَسَ . Nda بالذال نَزا . Nzar نَذَر . Nessa بالسين النَّص . Nsah بالصاد والحاء نَسَخَ (كَتب) . Sgar زَجَرَ . Sedla بالسين ، الصَّندل . Sah بالسين ، صَه . Sahem بالسين والحاء ، زَحَمَ . Sahsahna بالسين والحاء ، الصَّحصَحان (ما استوى من الأرض وكان أجرد) . Saybar بالسين ، صَبَّرَ . Sapouna بالسين ، الصابون . Sandouqa بالسين ، الصندوق . Salta بالسين والطاء ، الصَّلت (السيف الصقيل الماضي) . Sqal بالسين ، صقل وسقل . Sra و Sri بالسين ، صَري (نَتِنَ) . Sram بالسين ، صَرَمَ (قطَع) . Aazta بالعين والزاي ، المَذاة (أرض طيِّبة) . Agas بالعين والسين ،

عَقَمَص . Aqaseqsa بالعين والسين معقّص (مجعّد) . Fas بالسين ، فَصّ ، Fursa بالسين ، الفُرصة ا: Afrech أفرزَ . Sva بالصاد ، شاء (١) . Sdar بالصاد ، سَدِرَ (تحيّر) ، ومنها Sedra بالصاد ، السُّدَرُ (الحَيرة) . Swada بالصاد ، الزوادة وسواد الكلام ، ومنها Swadaya بالصاد ، السوادي (العامي) . Slafta بالصاد ، السلحفاة . San بالصاد ، شان . Sarwa بالصاد ، السَّروُ . Srah بالصاد والحاء ، سَرَحَ (انتشر . عبث) . Srat بالصاد والطاء ، شَرَطَ (خدش) . Qamista بالسين ، القميص . Qumassa بالصاد ، القمّس (الرجل الشريف) . Qusarta بالسين ، القوصرة (وعاء من قصب يُجعَل فيه التمر ونحوه) . Qpas بالسين ، قَبَضَ (ضد مد وبسط) ، وأمسك وانحجز . Qafsa بالسين ، القَفَص . Qarsem بالسين ، قَرصَمَ (قطّع) . Rza رَذي هزل ، سقم ، أثقله المرض) ، ومنها Razaya الرزي (الضعيف المهزول) . Rzaf ذَرَفَ . Rmas بالسين ، رَمُزَ (رصن . وقر) ، ومنها Rmisa الرميز (الرصين . الوقور) . Rustaqa بالسين والتاء ، الرُّزداق (القرى حول البلدة وما يحيط بها من الأراضي) . Chgha بالشين ، زاغ . Chna بالشين ، جنّ . Chqaqa بالشين الزقاق . Chuqafta بالشين ، الصفقة (الصفعة) .

النطعية : Bdaq بالدال ، بثق . Draz طرز (آذى) . Hda بالذال ، حشا (جمع ، كوّم) . Htar بالحاء والتاء ، خطر (تكبر) . Tabah بالطاء والحاء ، ذبح . Tha بالطاء ، تاه . Tamtem بالطاء ، عتم . Tnach بالطاء كَدنيس (توسخ) . Taash بالطاء والعين ، تعس (ذل) . Ltak بالتاء والخاء ، لطخ . Mot بالطاء ، ماد . Mtah مدّ ومنها Metha المُدّة .

(١) لقد جاءت اللفظة السريانية Sebyana بالصاد ، المشيئة « شبونا » في اللغة الكردية .

Nda نَدَا . Nta بالطاء ، نَدِي . Nqad نَقَّط (وشم) ، ومنها Nuqadta النقطة . Nchat بالطاء ، نَشَنَ . Sedra السِّترُ (الحجاب) . Salta بالسين والطاء ، الصَّلْت . Aamet بالعين والطاء ، غَمَدَ (غاص) . Aanata بالعين والتاء ، العَنيد . Fat بالطاء ، فتّ . Flat بالطاء ، أفلت . Futqa الفندق . Frad فَرَط (فرّد) . Petqa بالتاء ، البطاقة . Ftar بالتاء ، فطر . Srat بالصاد والتاء ، شرط . Qatya بالتاء ، القِثّاء . Qtal بالطاء ، قتل وقطل . Qtam بالطاء ، قتم ، ومنها Qutma القتام . Qared شجر القَرَظ (ورق السَّلَم يُدبغ به) . Rustaqa بالتاء ، الرزداق . Rtina بالطاء الراتينج (صمغ الصنوبر) . Chmad شَتَم . Toch بالتاء ، طاش . Tal بالتاء ، طَلّ (بَلّ . رطّب) . أما Qatifta بالطاء ، القطيفة (الخمل) ، فتجدها في اللهجة العربية العامية (القديفة) . هذا وقد جاءت ضاداً كل من الذال في لفظة Qpad تقبّض ، والتاء في لفظة Taffa الضَّفّة .

الحلقية : Ataaesh بالطاء والعين ، طاش . Ékaf بالهمزة ، عَكَفَ . Afsa بالهمزة والصاد ، العَفص . Gaasa بالعين والصاد ، الجَصّ (الشيد) . Dora الدهر ، ومنها Dor Dorin دهر الداهرين . Hawraya بالهاء ، الحُر . Haymen بالهاء ، آمن . Handaqouqa بالهاء ، الحندقوق . Hfak Bzaflan بالهاء ، أفَكَ (خالف) . Ezdhar تحذّر . Hgar بالحاء عَرَجَ . Hazba بالحاء ، المازباء . Kukta الكَمْكة . Lahta بالحاء ، اللّهث . Manaa بالعين ، الميناء . Nham بالهاء ، نَحَمَ (صوّت الأسد) . Nhar أثار . Nkah بالحاء نَكَهَ . Nanha بالحاء ، النعناع . Sahfa بالحاء ، السّاف من البناء . Aaboura بالعين ، البُرّ (القمح) . Aazar بالعين ، أزّر (لفّ) . Aamma بالعين ، الأُمّة . Aammaya بالعين الأُمّي .

Aaram بالعين ، أرَم . Fahem بالحاء ، فَهِم . Fuhra بالحاء ، الفُهر . Faara و Feaara بالعين ، الحُفرة . Fqaa بالعين ، فَقَأَ (قذّى العين) . Ferha بالحاء ، الفَرع . Slafta بالصاد ، السلحفاة . Qaraa بالهمزة ، القَرَعة (اليقطين) . Qahqah بالحاء ، قَهقَهَ (اشتد ضحكه) . Qrah بالحاء قَرِعَ (صَلِع . سقط شعر رأسه) ، ومنها Qarha أقــــرع . Qnaa بالعين ، قَنيء (احمــــر) . Rahbouna بالهاء ، العربون . Reayana الرأي . Chhal بالحاء ، سال .

ومن هذا القبيل تقول : Subaa بالصاد و Sabouaaé بالصاد و Sabouaa بالصاد والعين . فقد استحالت العين في اللفظتين الأوليين إلى همــزة ، كما في الصابئة والصابئين ، وذابت كلياً في الثالثة كما في الصِّبْغَة .

أما الألفاظ السريانية التي اختلف تركيبها في العربية ، فهي[١] :
Bhar بالحاء ، خَبَر . Batla بالطاء، شجرالبلّوط . Blat بالطاء ، لَبَطَ (خبط). Burka[٢] الركبة . Beroula البلّور . Galla اللُّجّة . Ezdhar بالهاء ، تحذر . Harsa بالحاء والصاد ، الخَصر (الظهر) . Hgar بالحاء ، عرج . Hrach بالحاء ، سحر ، ومنها Haracha الساحر . Kima الكمأة (نبات) . Nagab الجنوب (القبلة) . Nagra النورج (سكة الحراث) . Nchat بالطاء ، نتش . Nhar بالهاء ، أنار (أضاء) ، Nkat بالخاء ، أنتَخَ (نزع . قلع) . Sdar سرد . Smak مَسَكَ ، ومنها Asmek أمسك . Saar بالعين ، شرع . Srat بالطاء ، سطر ، ومنها Serta بالطاء ، السطر . Aauyaba بالعين ، الغباوة . Ezaqta بالعين ، القَزَعة (حلقة شعر) . Aammet بالعين والطاء ، عَتَم

(١) لا تدخل هنا الألفاظ المذكورة في المقال السابق .
(٢) إن اللفظة السريانية أصح من العربية ، إذ يقال : « بَرَكَ البعير » لا رَكِبَ . و « ليس لفلان مَبرَك جَمَل » لا مَركَب .

(أظلم) . Fagya الفوج . Faara بالعين ، الحفرة . Fousa الفسوة . Faraqta الفقارة (إحدى خرزات الظهر) . Frach فسّر (شرح) . Fchah بالحاء ، سَخُفَ (حمق) . Masnafta التصيف (كل ما غطى الرأس من خمار أو عمامة ونحوهما) . Safha بالصاد والحاء ، الصُّحفة (القصعة) . Sarsara بالصادين ، الرصاص القلعي . Qatleb بالقاف والطاء ، لبَّكَ Qalma القملة . Qarkedna الكَركَند (عقيق حجر كريم) وصمغ أحمر . Rahbouna بالهاء العربون . Ruaata بالعين ، الرغوة . Rzaf بالزاي ، ذرَفَ Rahcha بالحاء الحَشَرة . Rthima بالثاء ، الأثرم (المتحطّم الأسنان) . Rfah بالحاء ، رَخَفَ (هَشَّ . لانَ) . Ragba القربة (الوطب أي وعاء يُجعل فيه الماء واللبن) . Chaaa بالهمزة والعين ، عَشِيَ (جهر . ساء بصره) . ومنها Chiaa الأعشى . Chgāb بالحاء ، سَحَجَ . Chgham غَشَمَ (ظَلَم) . Chahnita بالحاء ، السخينة (طعام) . Chmad شَتَمَ . Achfel افشل (أيأس) . Chqaf سفق (صَفَقَ . لَطَم) ، ومنها Chuqafta السفقة والصفقة (اللطمة) . Chteq سكت ، ومنها Chatiqa الساكت . Tahhem بالحاء ، حتَّم (قضى . جزم) .

فهارس مار أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس



مجلة المجمع العلمي العربي
بمناسبة بلوغ المجمع (٥٠) عاما

(المحافظة على اللغة ، كلية الآداب العربية)

كان عزم فريق من فضلاء دمشق وأدبائها — وفي طليعتهم الرئيس الأول لمجمعنا العلمي العربي العلاّمة الأستاذ محمد كرد علي — على أن ينشئوا كلية أدبية ، يسمونها (كلية الآداب العربية) وغايتهم منها المحافظة على لغة البلاد ، وجعلها لغة علوم وفنون وآداب ، كما كانت على عهد الأجداد ، ولا يخفى أن اللغة العربية هي السلك الكهربائي الذي ينتظم قلوب أفراد الأمة فيوجهها نحو مطلبها الأسمى ، وهي الروح العلوي الذي يدب في جثمان الأمة العربية فيبها الحياةَ الحرة مرة أخرى ، وهي النور السماوي الذى تسطع أشعته في بلاد العرب فتنير لأهلها سبل النجاة وتمزق حجُب المخاطر والأوهام ؛ بل هي المعراج الذي نرتقي به إلى أعالي سماء المجد والفخار ، وهي لسان مدنيتنا التي نشرنا أعلامها في أنحاء المعمور ، وأخرجنا بها الأمم المتخلفة من الظلمات إلى النور .

قال بعض الأئمة : كانت لغة أميّين وثنيّين جاهليّين ، فظهر فيها أكمل الأديان ، فكانت له أكمل مظهر ، وتجلى لهـا العلم فكانت له خير مجلى ، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة ، ولكن عدت على أهلها عَوادٍ كونية ، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الأمم الحية ، ومن تلك المقومات اللغة فقد فسدت ملكتها في

الألسنة ، والتوى طريق تعليمهـــا في المدارس ، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس اه .

علم أسلافنا الكرام أن اللغة من أقوى مشخصاتهم ، بل برهان حياتهم ، فحافظوا على مفرداتها وتراكيبها بما ألفوا من المعاجم اللغوية ، وقوانين الصرف والنحو ، وعلى معانيها وأساليبها بما صنفوا من كتب المعاني والبيان ، ونقلوا العلوم والفنون إليها ، ووضعوا كتباً فيها .

ويَرَى العلامة المغربي ، من رجال مجمعنا العلمي العربي (رحمه الله تعالى وقوع التعريب بكثرة في لغتنا العربية ، ونقل في كتابه (الاشتقاق والتعريب) عن الجلال السيوطي ما أحصاه من المعرّبات في الكتاب العزيز ، فبلغ زهاء مئة ، وذلك لا ينافي كونه عربياً فصيحاً ، كما نقل عن أبي منصور ، ولا ينافي كونه وحياً معجزاً ، ثم ذكر من الحديث الشريف أكثر من خمسين كلمة معربة . ثم ساق تحت عنوان (طائفة من المعرّبات) أكثر من ثلاثمائة كلمة معرّبة في الحيوان والنبـات والعقاقير والمأكول والمشروب والطيوب والملبوس والمعادن والأحجار الكريمة والآلات والأدوات والماعون ، والكلمات العلمية والفنية ، والكلمات الدينية ، فإذا نوزع في تعريب بعضها ، فلا يتيسر النزاع في كثير منها .

ورُوي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في أحرف كثيرة أنها غير عربية ، كسجّيل ومشكاة وأباريق واستبرق ويمّ وطور ، وهم أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، وجمع أبو منصور بين القولين بأن الألفـاظ أعجميّة بحسب الأصل ولكنها لمّا عربت صارت من اللسان العربي ، فهي أعجميّة أصلاً عربية حالا ، فمنهم من نظر إلى الأصل ، ومنهم من نظر إلى الحال .

ونفى الإمام الشافعي ورود كلمات أعجمية في القرآن الكريم كما تجده في أول رسالته ، ونقل الشهاب الخفاجي في (شفـاء الغليل فيما في كلام

العرب من الدخيل) مثل ذلك عن أبي عبيدة ، قال الشهاب : وذهب أبو عبيدة إلى أنه ليس فيه أعجمي ، وما وقع فيه فمن اتفاق اللغتين .

ومما يؤيد هذا المذهب أن اللغة العربية كانت على عهد حمورابي أي قبل السيد المسيح عليه السلام بخمسة وعشرين قرنا ، فهي تعدّ من أصول اللغات بعد الطوفان ، وإذا كانت كذلك فان هذه الألفاظ المستحدثة وضعت أسماء لمسميات اقتضتها سَعة الملك ، واستبحـار المدنية وبلهنية العيش ، على عهد أقيال اليمن ، وملوك حِمْيَر ، وملوك الجزيرة ، من النامنة والمناذرة ، وملوك الشام الغسانيين وغيرهم ، فأسماء مستحدثات تلك المدنيـات العربية هي من أوضاع العرب كمسمياتها ، سواء أوجدت تلك الألفاظ بلغة أخرى أو ما يقاربها (١) .

(إنشاء المجمع العلمي العربي و مجلته منذ خمسين عاماً)

كان المجمع العلمي العربي — كما جاء في مجلته — يُعرَف في أول أمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف التي أسست في عهد الحكومة العربية سنة١٩١٨ م ثم جعلت هذه الشعبة ديوان المعارف ، ثم انقلب هذا الديوان لاتساع أعماله إلى مجمع علمي ، واستقلَّ في عام ١٩١٩ عن ديوان المعارف ثم أتمّ في هذه السنة ١٩٦٩ خمسين عاما ، وحُدّدت غاياته في أنظمة خاصة .

أخذ المجمع على نفسه منذ تأسيسه العمل على تحقيق الأغراض التي أسس من أجلها . وكان أول أعمـــاله إصدار (مجلة المجمع العلمي العربي) وهي تحوي دراسات لغوية وتاريخية وأدبية ، وتعرّف بنوادر المخطوطات العربية ، مع نقد أشهر المؤلفات العربية والأجنبية التي تفيد العالم العربي . وقد أسهم في

(١) في رسالة الاشتقاق والتعريب ، وفي ج ٢ من محاضرات المجمع العلمي مبحثان في المحافظة على اللغة ، وكلاهما لكاتب هذه السطور .

تحرير المجلة أعضاء المجلة العاملون ، والمراسلون في الشـام ومصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش وأوربا وأميركا ، وغيرهم من العلماء ، وأكثر هذه الأبحاث تمتّ بصلة وثيقة إلى بعض أغراض المجـامع اللغوية العلمية للدول العربية ، وإلى أبحاث جدول أعماله .

ولمّا أسس المجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العراقي ، كان أكثر أعضائها أعضاء في مجمعنا ، كما انضم إليها أعضاء من مجمعنا ، وتحقق بذلك نوع من الاتصال بين المجامع ، يتبادلون الآراء والمطبوعات ، ويطلع كلٌّ منهم على نشاط الآخر [١] .

(عقد أول مؤتمر للمجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق)

كان انعقاد المجامع اللغوية العلمية في دمشق (سنة ١٩٥٦) وقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بدعوة المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد إلى إرسال ثلاثة أعضاء من كل مجمع ، وبدعوة الدول العربية — التي لا يوجد فيها مجمع — إلى أن توفد كل دولة منهـا مراقباً عنها لحضور هذا المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربيـــة الذي يُعقد في أيلول سنة ١٩٥٦ بمدينة دمشق .

(شذرة من خطاب رئيس اللجنة الثقافية الدكتور طه حسين في سرّ اختيار مدينة دمشق مكاناً لانعقاد المؤتمر)

قال الدكتور حفظه المولى : هناك مزية خاصة ، فمجمعها العلمي الموقر هو أول المجامع العربية وجودا ، وأشدها نشاطا ، وأخصبها إنتاجا ، وأعظمها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحبيبة ، وأقدرها على إحياء التراث العربي القديم .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي — نشاط المجامع — م ٣٢/٧٢ — ٨٦ .

تتخذه في كلّ هذه الأشياء مثلاً ونموذجاً ، ونطمع في أن نسير في أثره ، ونطمع في أن نصنع صنيعه ، ونقتدي برجالاته من زعماء العروبة وأعلام البيان .

ومن خطاب نائب رئيس المجمع العلمي العراقي السميّ العزيز الشيخ محمد بهجة الأثري قوله دام فضله :

وانتصرت العروبة الإيجابية البانية ثانية في مؤتمر الأدباء العرب في بلودان بما ظهر واضحاً جلياً غير متكلف ولا مصنوع ، من اتفاق الأدباء العرب على وجوب تجنيد أقلامهم وأفكارهم في سبيل تحقيق هذا الطماح القومي إلى تكوين الدولة العربية الكبرى ، لتكون هذه الملايين التي تحيا تحت رايتها قوة ايجابية بانية ، مع القوى التي تعمل على تجديد شباب الحضارة المشتركة ما بين مطلع الشمس ومغيبها من آفاق الدنيا اهـ .

أقول : انعقد في دمشق مؤتمر المجامع العربية الكبرى ، ومثلوا وحدة اللغة والعلوم والفنون أفضل تمثيل ، فكان في ذلك إيذان بالوحدة العربية الكبرى ، وتجديد لعهدها الأول ، الأغر المحجّل .

ألا وإنّ من موجبات الدين ، ومن فروض الكفايات : الاشتغال بالعلوم الطبيعية والرياضية والطب ، والحقوق ، والهندسة والحيوان ، والنبات ، وطبقات الأرض ، والكيمياء ، والفلك ، وتدبير المنزل ، وغيرها ، وهل يتم اجتماع وعمران ، أو استقلال تامّ لأية أمة من الأمم بدونها ؟

ومن الواجب المحتم إيجاد ألفاظ عربية لما اشتق منها ، أو تفرّع عنها كما فعل أسلافنا من قبل .

قال رئيس مجمعنا الأمير مصطفى الشهابي في مقاله المنشور في صدر (ج ١ م ٤٢) من مجلتنا بعنوان : مشاكل لغتنا العربية ما نصه : تتعصب الشعوب العربية للغتها قومياً ودينياً ، وتسعى الدول العربية المستقلة لجعل

هذه اللغة صالحة لجميع مراحل التدريس في المدارس الحكومية . ومن المؤكد أنها اليوم تتسع لجميع العلوم التي تدرّس في التعليم الثانوي ، وفي دور المعلمين الابتدائية ، وفي المدارس الزراعية والصناعية والتجارية المتوسطة .

أمّا العلوم التي تدرّس في الجامعات فبعضها يمكن تدريسه بالعربية دون كبير عناء ، كالعلوم الحقوقية على أنواعها ، وكالرياضيات والفلسفة وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والفلك . وبعضها يكون في تدريس مطولاتهـا بالعربية صعوبة يلاقيها الأساتيذ كعلوم الطب والهندسة والكيمياء وعلم الحياة وعلم الأنساج وغيرها . وقد نتج عن هذه الصعوبة كون الطب والهندسة يدرّسان الآن بالإنكليزية في جامعات القاهرة وبغداد . أمّا الجامعة السورية في دمشق فهي تدرّس العلوم بالعربية في جميع كلياتها : (طب ، صيدلة ، طب أسنان ، هندسة ، علوم ، آداب ، حقوق ، دار المعلمين العليا) . وقد خدم أساتيذها العربية بإيجاد مصطلحات علمية عديدة ، وبتأليف مؤلفات عربية مفيدة في الدروس التي يلقونها على الطلاب » .

وأمّا قول الرئيس الأمير الشهابي : تتعصب الشعوب العربية للغتها قومياً ودينيا ، وتسعى الدول العربية المستقلة لجعل هذه اللغة صالحة لجميع مراحل التدريس في المدارس الحكومية فحق وصدق ، وما دامت الجامعة السورية في دمشق تدرس العلوم بالعربية في جميع كلياتها : حصيلة ذلك أن الأمة العربية قادرة على إيجاد كل ما يعزز لغتها ، ويقوي رابطتها ، ويغنيها بلسانها الديني القومي عن كل ما عداه ، ويسرُّ هذا التعلمُ والتكلمُ والتقـــدمُ كلَّ غيور على عروبته ودينه وأمّته .

ألا وإن اللسان الواحد في الأمة الواحدة هو عنوان الوحدة التـامة فيما عداه ، وهذا الوحي الإلهي الذي نزل به أمين السماء جبريل عليه السلام على أمين الأرض محمد عليه الصلاة والسلام ، بلسان عربيّ مبين ، قد تمّت

به للأمة العربية وحدة بعد فرقة ، وعزة بعد ذلة ، وقوة بعد ضعف وهوان . وكان لهم بعد ذلك المداء المستمر ، والقتال المستحرّ ، وحدة عربية إسلامية لم يسبق لها نظير ، فنحن إذا دعونا إلى تلاوة الذكر الحكيم واستماعه ، وتدبره واتباعه ، دعونا إلى نهضة أدبية قيمة ، وحياة عربية طيبة ، ودعونا إلى عز تالد ، ومجد خالد ؛ ألا وإن نهضة العرب بالقرآن الكريم هي أم النهضات وأروعها ، لأنها – علاوة على كونها نهضة أدبية قومية – نهضة روحية أخلاقية ، تحرر الأرواح من ذل الشهوات واستعبادها ، وتخلّص النفوس من قلقها واضطرابها ، وهي ترمي إلى تجديد شباب العرب ، وإعادة الزعامة الكونية الأخلاقية إلى يدهم كرّة أخرى .

(نصح وتذكير)

هذا وقد قال لي مرة الناصح الأمين الأستاذ خليل مردم بك رئيس مجمعنا الأسبق رحمه الله : إن كثيراً من أبناء العروبة قد رغبوا عن لغتنا إلى اللغات الأجنبية بما وجدوا من تسهيل في قواعدها ، وتذليل لصعوباتها ، ويُسْرٍ في التخاطب بها ، قال (وكتاب أسرار العربية) للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥١٣ — ٥٧٧) يبيّن ما في قواعدنا النحوية من إحكام في الوضع ، وإتقان في الترتيب والتبويب ، وحِكَم ولطائف في الأحكام ، وقد وصفه مؤلفه بقوله : « وبعد فقد ذكرت في هذا الكتاب الموسوم بأسرار العربية ، كثيراً من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين ، من البصريين والكوفيين ، وصححت فساد ما عداه بواضح التعليل ، ورجعت في ذلك كلّه إلى الدليل ، وأعفيته من الإسهاب والتطويل ، وسهّلته على المتعلم غاية التسهيل » اهـ .

أقول : نعم إن هذا الكتاب في أبوابه وعناوينه كسائر كتب النحو ، فيه مباحث المعرب والمبني ، والمذكر والمؤنث ، والجموع الثلاثة ، والمبتدأ والخبر وسائر المرفوعات والمنصوبات والمجرورات بالحروف وبالإضافة ، والمجزومات وإنما يمتاز من غيره بأمرين اثنين : (أولهما) : أن المؤلف رتب العلل والأسباب ، في علامات الاعراب ، على طريق السؤال والجواب ، كالرفع بالضمة والألف وثبوت النون ، وكالنصب وعلاماته ، والخفض وعلاماته ، والجزم وعلاماته ، سواء أكانت العلامات حركات أم حروفاً ، وسواء أكانت علامة الإعراب ثبوت الحركة أم الحرف ، أم الحذف .

(والثاني) قرب المأخذ وكثرة الفوائد ، مما لا تكاد تجده في كتاب واحد ، وهذا مثال من تعليله ودليله ، من الباب العاشر الذي هو باب الفاعل :

إن قال قائل : ما الفاعل ؟ قيل اسم ذكرته بعد فعل وأسندت ذلك الفعل إليه ، فان قيل : لم كان إعرابه الرفع ؟ قيل فرقا بينه وبين المفعول ، فان قيل : فهلاّ عكسوا وكان الفرق واقعاً ؟ قيل لخمسة أوجه (وعدّها) معلّلا مستدلا ، وهذه طريقته في كتابه من أوله إلى آخره . وقد عنينا بتفسير اللغة ، وشرح الشواهد وعزوها إلى أهلها ، وإيراد تراجمهم بالكلم الوجيز ، وبتاريخ وفياتهم ، ليرجع إليهم مَن شاء في كتب الأعلام ، أو الحوادث والأيام . وقد فاتنا سهواً ذكر بعض التراجم في مواضعها ، فجعلنا لها ملحقاً يجمعها في آخر الكتاب .

محاضرات المجمع العلمي العربي

أنشئت مجلة المجمع العلمي العربي (سنة ١٣٣٩هـ = سنة ١٩٢١ م) . ولمّا كان المستوى الثقافي ضعيفاً في ذلك العهد ، لا سيما في عالم النساء ،

رأى الأستاذ الكبير محمد كرد علي رحمه الله ـ أيام وزارته للمعارف ورئاسته للمجمع ـ أن تلقى محاضرات في العلوم والفنون والآداب ، يتولى أمر إلقائها في ردهة المجمع طائفة من كبار رجال الدين والعلم والأدب ، ونفذ هذا الاقتراح في حينه ، وصارت المحاضرات أسبوعية إحداها للرجال والثانية للنساء ، واستمر المجمع على هذا الترتيب بضع سنين ، وقد اشترك في إلقاء المحاضرات بعض فضليات النساء ، وكانت مواضيعها أنواعاً منوعة (أخلاقية اجتماعية ، فقهية قانونية ، لغوية طبية ، أدبية ، تربوية تعليمية طبيعية ، اقتصادية عمرانية)(١) وكان لها الأثر الفعّال في النفوس والعقول ، فعمّت الرغبة في العلم والمعرفة جميع الطبقات ، وكانت هذه المحاضرات مبدأ نهضة عامّة زادت في معرفة قيمة العلم على اختلاف أنواعه ، ورغبات الناس فيه .

تعداد المحاضرات

يتبين من إحصاء المجمع ووثائقه أن عدد المحاضرات التي ألقاها أعضاء المجمع وغيرهم يقرب من أربعمائة ، ألقيت ما بين ١٧ نيسان سنة ١٩٢١ و ١٢ نيسان سنة ١٩٤٦ ، مع انقطاع حدث بين كانون الأول ١٩٣٢ وأيار ١٩٤١ ، ويلاحظ أنها بدئت بمحاضرة للأستاذ المغربي ، وختمت بمحاضرة له أيضاً (٢) .

وقد طبع المجمع العلمي مختارات منها في ثلاثة أجزاء ، طبع في كل جزء ما اختير منها .

(١) مجلة المجمع العلمي م ١١/٢٢ ـ ٣٤ .
(٢) تراجم عناوين المحاضرات وأسماء المحاضرين ، وتواريخ إلقائها بحسب التسلسل التاريخي في تاريخ المجمع العلمي للأستاذ الفتيّح ص ٤٠ ـ ٧٣ .

حفلات التأبين والتكريم

وتحت عنوان الحفلات والمهرجانات ذكر في تاريخ المجمع العلمي أنه أقام عدداً من حفلات التأبين والتكريم ، كما أقام مهرجانين للمتنبي ولأبي العلاء المعري ، (قال الأستاذ الفتيّح) : ونحن نذكر هنا وصفاً مجملاً لأهمها لخصناه عن وثائق المجمع ، وما كتب عنها في مجلتـــه بحسب التسلسل التاريخي ، وذكر أسماء الخطباء في هذه الحفلات ، وعناوين خطبهم التي ألقوها في تلك المجتمعات ، منقولة عن مجلدات المجمع ، مؤرخة في أوقاتها ، مبيّنة في أرقام صفحاتها .

أما المهرجانان للمتنبي وللمعري ، فقد استمرّ كلٌّ منها أسبوعاً كاملاً وكان الخطباء فيها من أعضاء المجمع وغيرهم من البلدان العربية الشقيقة ، ومن غيرها ، وكان ذلك بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الأول وعلى ولادة الثاني ، وحفلات الأسبوع كانت موزعـــة بين دمشق وغيرها من المدن السورية .

وأما حفلات التكريم فمنها حفلة كبرى أقيمت في دار المجمع العلمي باسم أمير شعراء العصر (أحمد شوقي بك) أقامها جمهور من أدباء الحاضرة على اختلاف الطبقات والطوائف ، ومنها حفلة تنشيط الشعراء الشباب ، ذلك أن أربعة منهم أظهروا ذكاء وتفوقاً لا سيما في الآداب العربيـــة وقرض الشعر العربي .

ثم حفلة تكريم حافظ بك إبراهيم ، اغتنم مجمعنا العلمي وجوده في بيروت ، وهو أحد أعضائه ، فدعاه إلى دمشق فلبى الدعوة وأقام له المجمع العلمي حفلة تكريم كبرى في مقره في (المدرسة العادلية) وحفلة تكريم للشاعر الكبير محمد الهراوي المصري .

وأما حفلات التأبين فأسماء بعض من أقيمت لهم تغني عن أوصافهم ، وهم أشهر من أن يعرّفوا ، وأغنى من أن نصف الحفلات التأبينية التي أقيمت لهم ، وروعاتها ، ومن حضرها من العلماء والأعيان ووجهاء البلاد السورية ، وخطباء هذه المجتمعات ، وكيف كانت تكتظ بهم ردهة المجمع وشرفته العليا ، ويبقى الكثيرون من المستمعين وقوفاً على أرجلهم في ساحة الدار . ونكتفي بذكر أسماء طائفة من المؤبَّنين ، وهم : الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال باشا المصري ، والسيد محمود شكري الألوسي ، والأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ، وشاعر مصر حافظ إبراهيم ، وأمير الشعر أحمد شوقي ، والسيد الإمام محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والتفسير .

(عثرات الأقلام)

رأى المجمع العلمي العربي من أول إنشائه وانعقاده ، أن يرعى لغة الضاد ، التي هي لغة البلاد ، ولغة الأمة والملة ، بل لغة الوحي المنزل ، والرسول المرسل ، المخاطب بقوله سبحانه : « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون » وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان ابن عفّان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من الرسول ﷺ عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من الأحكام والعلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

القرآن عظيم الشان ، كامل البيـان ، فيه العظات والعبر ، وسائر ما بالعباد إليه من حاجة ، ولقد أعز الله به العرب بعد ذلة ، وكثرهم بعد قلة ، وأغناهم بعد ضعف ، وألف بين قلوبهم بعد جفاء وعداء ، بل بعد تناحر مستمر ، وقتال مُسْتَحِر ، كادت معه القبائل يفني بعضها بعضا ،

« واذكروا إذ أنتم قليل ، مستضعفون في الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وقد وصف هذا الوحي الإلهيّ ، إمام البيان العربيّ الإسلاميّ في عصره ، مصطفى صادق الرافعي ، بأنه « ألفاظ إذا اشتدّت فأمواج البحر الزاخرة وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها ، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب ، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة تُرعَد من حمّى القلوب ، ومعان بينا هي عذوبة تُرويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نعيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، وبينا هي ترف بندى الحياة على زهرة الضمير ، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير ، وتهبّ عليها بأنفاس الرحمة فتنم بسر هذا العالم الصغير ، ثم بينا هي تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان ، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان ، إذا هي بعد ذلك أطباق السحاب وقد انهارت قواعده ، والتمعت ناره وقصفت في الجو رواعده ، وإذا هي السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها ، واستأذنت في صدمة الفزع ربّها ، فكانت ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، وإنما هي عند ذلك زجرة واحدة ، وإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض مائدة » .

وبعد فقد رأى المجمع العلمي العربي أن ينشر في مجلته وفي الصحف المحلية من وقت إلى آخر نبذة لا تتجاوز العمودين في نقد ما تهفو به أقلام بعض الكتاب فيما يكتبونه ويحبرونه ، (قال) : وسنجتهد في الاقتصار على ما نظنه خطأ من القول ، مما لا يحتاج الأمر فيه الى المناقشة ، تفادياً من الخروج عن صدد ما أخذنا فيه من إصلاح الهفوات ، إلى المجادلات والمناقشات ، التي طالما كانت سبباً في خفوت الأصوات ، وموت المشروعات . وزيادةً في

تجنب أسباب الجدل والمناقشة ، ندع التصريح باسم الكاتب الذي نؤاخذه والصحيفة التي كتب فيها ، فعسى أن يقع عملنا هذا من أهل الفضل موقع الرضا والقبول ، فيتدبروا ملاحظاتنا هذه ويراعوا العمل بها كلما سنحت في كتاباتهم ، أو دارت على أسلات أقلامهم .

فمن عثرات الأقلام قولهم : (عدم اعتياد الموظفين على كذا) صوابه : (عدم اعتيادهم كذا) . كذلك نجد في المجلد الأول (ص ٢١٩) وفي المجلد الثاني (ص ٢٩) وفي المجلد ٣ (ص ٢٧) ونجد في المجلد الرابع (ص ٣٢١) وفي المجلد ٥ (ص ١٩١) وفي المجلد السادس (ص ٣٠٩) .

(صعوبات وانتقادات)

بلغت مقالات عثرات الأقلام في مجلة المجمع ثلاثين مقالة عرضنا نتفاً منها على سبيل المثل ، وننبه هنا إلى أن تصحيحات العثرات لاقت قبولاً حسنا ، ونفعت كثيراً في التصحيح والتفصيح ، كما لاقت بعض النقد أيضا ، وقد رأينا المجمع ينبه إلى ذلك ويدعو الكتاب إلى اتباع تصحيحاته ويجادل في صحتها ويبرهن على أصالتها . ففي المجلد الثاني ص ٨٨ يورد هاتين الملاحظتين .

١) إننا عجبنا لأغلاط ننبه إليها ، ونشير إلى ما هو الصواب أو الأصوب فيها ، ثم نراها أحيانا في الصحف ، بل أعجب من ذلك أن نرى الأغلاط تعاد وتكرر في نفس الصحيفة التي تنشر (العثرات) . فنرجو من حضرات مصحّحي الصحف أن يلاحظوا ذلك ، وإلا لم يكن لنشر (العثرات) في صحفهم معنى ولا قيمة ، وصحّ أن يخاطبوا بقول الشاعر : (يا أيها الرجل المعلّم غيره) إلى آخر البيتين .

٢) إننا في انتقاداتنا نمشي على أفصح لغات العرب وأبلغ أساليب الكتّاب ، أما إذا كان هناك قول أو لغة تجيز الكلمة التي انتقدناها ، أو الأسلوب الذي عبناه فلا يضرّنا ذلك .

ثم أورد المجمع العلمي في مبحث (عثرات الأقلام) مفردات في المجلدين الثالث والرابع من مجلته ، وكان في بعضها مجال للمناقشة ، وقد اشترك في هذه المباحث اللغوية من أهلها الشيخ أحمد رضـــا والأب أنستاس ماري الكرملي ، ثم أصبح المجمع العلمي مرجعاً لغوياً لكل طالب وراغب ، وكانت ترد إليه الأسئلة والاستفتاءات ، فيجيب عنها ، لا سيما بعض الكلمات العربية والمصطلحات الفنية ، وكان ينشر الأجوبة والفتـاوي في المجلة وفي بعض الصحف ليكون الاطلاع عليها والعمل بها أعمّ وأشمل ، وفي مجلدات المجمع الأولى أمثلة كثيرة منها أشرنا إلى بعضها ، وهي تدل على نهضة عربية لغوية ، قد عني بها المجمع كل العناية ، وراجع أيضاً تاريخ المجمع العلمي (١٠٩ – ١٢١) . وفي تاريخ المجمع أيضاً للأستاذ فتيح ما نقله عن المجلد ١٨ ص ٩٧ من محاضرة للأستاذ المغربي عنوانها (عثرات الأقلام فيما لا تفرق بين صوابه وخطئه الأقلام) .

والألفاظ التي تعثر بها الأقلام (جمع قلم) كثيرة ، وهي تختلف باختلاف الحركة والسكون ، والتخفيف والتشديد ، فالكلمة يكون أولها مفتوحاً في فصيح اللغة ، فيضمه الناس أو يكسرونه خطأ ، أو يكون أولها مضموماً فيفتحونه أو يكسرونه ، أو مكسوراً فيضمونه أو يفتحونه ، أو يكون وسطه متحركاً فيسكنونه ، أو ساكنا فيحركونه ، أو مشدّداً فيخففونه . كل ذلك يفعلونه على خلاف الفصيح المعروف لدى أهل اللسان . والكلمات التي نسردها ونصحح ضبطها وخطأ الأفواه بهـا إنما هي (الكلمات اليومية) المتداولة على لسان الجمهور . وهذه نماذج من بعض الأقسام) . .

القسم الأول : ما كان أوله مفتوحاً ، فتعثر به الأقلام وتضمه :

(جَوعان) بفتح أوله والناس يضمون جيمه ويقولون (جُوعان) .

(حَنجرَة) الحلقوم بفتح الحاء والجيم ، والناس يضمونها ويقولون حُنجُرة .

(الزَّور) في اسم مدينة دير الزور بفتح الزاي ، وهم يقولون دير الزُّور بضمها خطأ .. الخ

القسم الثاني ما كان أوله مفتوحاً فتعثر به الأقلام وتكسره :

(أهرام) يكسرون همزته على توهم أنه مصدر أهرم ، كأكرم إكراما ، وصوابه فتح الهمزة لأنه جمع هرم مثل فرس وأفراس ، فالمراد بها في أصل استعمالها مجموع ما في مصر من الأهرامات .

(الرصاص) المعدن المشهور ، يكسرون راءه غلطا ، وهي مفتوحة ،

هذه العناية الكبرى للمجمع العلمي باللغة العربية ـ مفرداتها وتراكيبها وأسلوبها ـ ونشر التصحيحات في الصحف المنتشرة وفي المجلة من دون تعرّض لأسماء العاثرين ـ كل ذلك أورث المجلة تلك الثقة العظمى في عالم العلم والعمل .

(هبات الألوف المؤلفة من الكتب ووقفها على دار الكتب الظاهرية ، وخزائن المجمع العلمي العربي)

من إحصاء الكتب التي دخلت خزانات المجمع العلمي ، ودار الكتب الظاهرية هدايا وهبات ـ وهي ألوف كثيرة من المؤلفات الدينية والأدبية والتاريخية وسائر العلوم والفنون ـ الخطية منها والمطبوعة ـ يعلم مقدار الثقة التي أحرزهـا المجمع في نفوس المؤلفين والطابعين ، والأفراد والجماعات والجامعات وأصحاب الكتب الموقوفة . ومما يذكر فيشكر لأحمد تيمور باشا رحمه الله تعالى أنه جعل من قلمه وعلمه وخزانة كتبه ، وماله ، هبات كبرى لمجمعنا العلمي منذ إنشائه بدمشق ، فقد أهداه مئات من الكتب المطبوعة والمصورة بالتصوير الشمسي ، ووهبه مجموعة نفيسة جداً من النقود

القديمة . ولما عاتبه أحد المصريين على تنازله عن مجموعته من النقود القديمة لمدينة دمشق ، أجابه بلطفه المتناهي : إنني أعطيت مدينة القاهرة خزانة كتبي نحو ثلاثة عشر ألف مجلد ، ونحو نصفها من المخطوطات النادرة لمصر ، ومدينة دمشق ـ وهي مدينة عربية إسلامية ـ جديرة بأن تساعد . اهـ .

ونذكر أفراداً ممن وقفوا كتبهم ابتغاء رضوان الله تعالى ـ نذكرهم على سبيل القصر ، لا على سبيل الحصر :

الشيخ عبد الله الكزبري أوصى بكتبه للمجمع العلمي ، فبلغت (٤٣٣ كتاباً).

وأوصى رفيق بك العظم بمجموعة كتب بلغت ألف كتاب .

وأهدى السيد سعيد حمزة نقيب أشراف الشام لدار الكتب الظاهرية ثلاثمائة مخطوط .

وأهدى الأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي من المخطوطات (٢١) كتاباً .

وقدّم الوطني الكريم فخري البارودي مكتبته (إلى خزانة المجمع العلمي) .

وأهدت الآنسة فلك طرزي بقية كتب جدّها الشيخ عبد الغني النابلسي ـ المخطوطات والمطبوعات ـ إلى دار الكتب الظاهرية .

وأهدى أمين سر المجمع الأمير جعفر وأخوه الأمير إدريس الحسني كتباً مخطوطة وعددها : ثلاثة وسبعون مخطوطاً .

ثم أهدى الرئيسان الجليلان الأستاذ خليل مردم بك والأمير مصطفى الشهابي ما في خزانتيهما من نفائس الكتب اللغوية والعلمية والأدبية ، إلى خزائن المجمع العلمي العربي ، وأضاف الرئيس الشهابي إهداء المجمع متاع قاعة استقباله ، وهي مجلسه في داره ، أثاب الله المهدين جميعاً أفضل الجزاء ، وأحسن إليهم في دار كرامته .

هذه شذرات من أعمال المجمع العلمي العربي ، أوردناها بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشاء مجلته والمداومة على تحريرها ؛ ومَن تصفح مجلداتها ، أو أمعن النظر في كتب المجمع المهداة إليه من أولي الفضل والنبل ، أو وقف على آلاف الكتب الموقوفة على دار الكتب الظاهرية ، ممن يبتغون وجه الله والدار الآخرة ، عَرَف قيمة الأعمال الباقية ، والآثار الخالدة ، وتلا قوله سبحانه « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلا » والحمد لله ربّ العالمين .

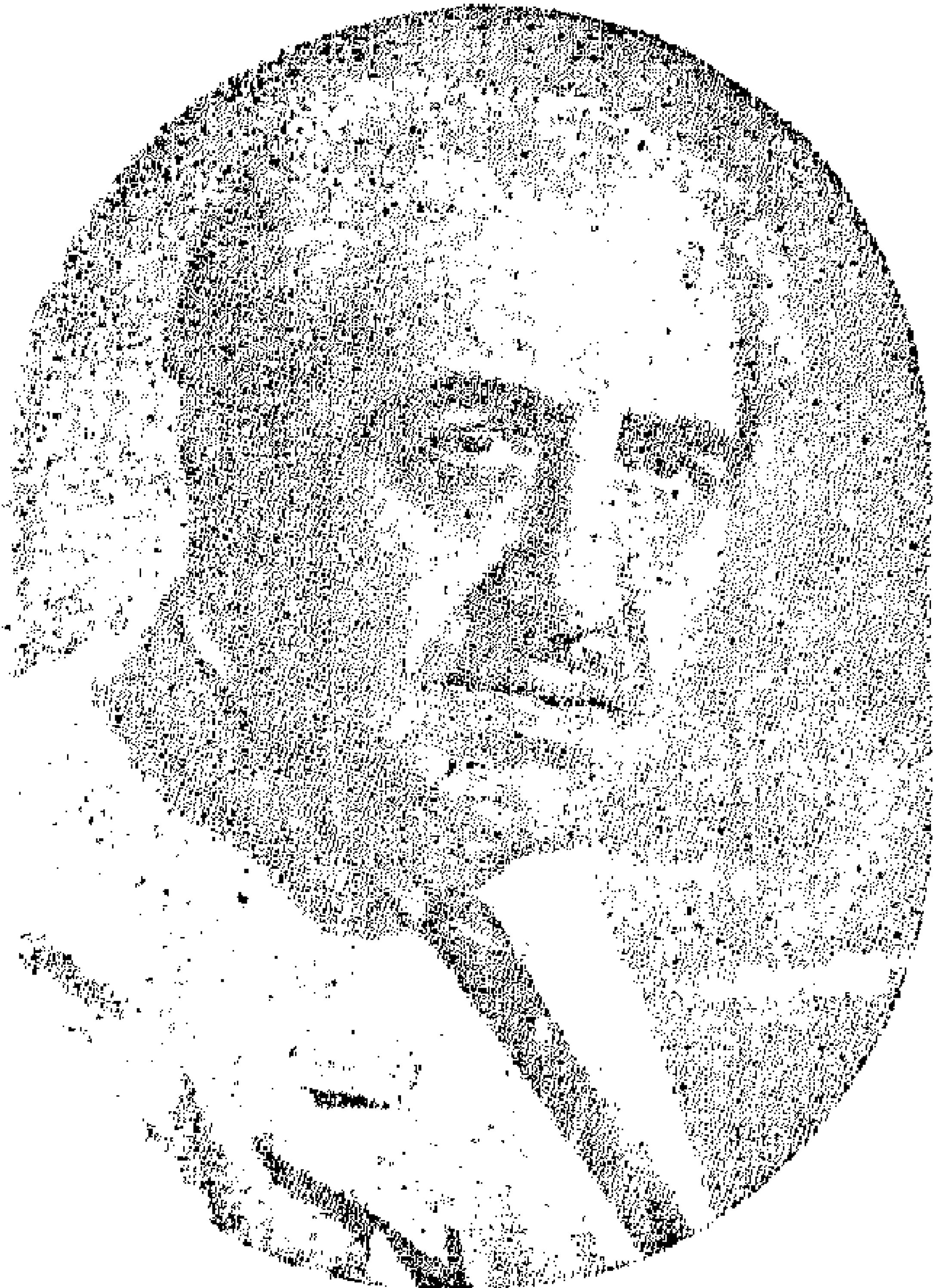
محمد بهجة البيطار

من أعضاء المجمع العلمي العربي



عهد الرئيسين
محمد كرد علي وخليل مردم
بين دولتي النثر والشعر


الأستاذ محمد كرد علي


الأستاذ خليل مردم بك

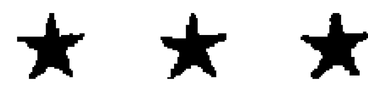
لن أتحدّث هنا عن جهود الزملاء الأكارم ، أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وما كتبوه وما حققوه ، ونشروه خلال خمسين عاماً ، انقضت على تأسيس المجمع ، فقد عرضت لهذه الدراسة وهذا الإحصاء في دراسة بالفرنسية ألفتها بالاشتراك مع الأستاذ هانري لاووست ، عضو المجمع ، ونشرناها منذ

عشرين عاماً تقريباً ، بينا فيها أثر المجمع وأعضائه في خدمة الثقافة العربية خلال ثلاثين سنة (١) .

وألفت بعد ذلك كتباً في دراسة الأمير شكيب أرسلان (٢) عضو المجمع ، ثم في ستة من أعضاء المجمع الناثرين(٣) ، ثم في ستة غيرهم من الأعضاء الشعراء(٤) ، وبهذا يكون حديثي قد شمل ثلاثة عشر عضواً في انتظار الدراسة المفصلة ، عن المجامع العربية ومجمعنا العربي بدمشق .

ولن أطمح كذلك إلى استعراض هذه الجهود التي بذلها ، هؤلاء الذين تقبلوا على رئاسة المجمع العلمي العربيّ ، وكلهم من الأعلام .

ولكنني سأقف عند عهدين من عهود المجمع ، ورئاستين امتدتا أربعين سنة ، فقـــد كانا فوق كل ذكرى تهيمن على أفكاري ، وتدفعني اليوم إلى الكتابة في الرجلين .



(١) « إنتاج المجمع العلمي العربي بدمشق من سنة ١٩٢١ ـ ١٩٥٠ » ، نشر بالفرنسية سنة ١٩٥١ على نفقة المعهد الفرنسي بدمشق .
Henri Laoust, Sami Dahan. *L'Œuvre de L'Académie Arabe de Damas.* 1951 . I. F. D. 55 pages.

(٢) محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان وشعره ، القاهرة ١٩٥٨ ، ثم في كتاب مفصل : الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره ، القاهرة ١٩٦٠ دار المعارف بمصر .

(٣) قدماء ومعاصرون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦١ ، وفيه فصول عن كل من محمد كرد عليّ ، معروف الأرناؤوط ، بدر الدين النعساني ، راغب الطباخ ، عبد القادر المغربي ، كامل الغزي وغيرهم .

(٤) الشعر الحديث في الإقليم السوري ، محاضرات بمعهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٠ ، وقد أعيد طبعه في بيروت منقحاً ومزيداً عليه سنة ١٩٦٨ بعنوان « الشعراء الأعلام في سورية » وفيه فصول عن كلّ من محمد البزم ، خليل مردم ، خير الدين الزركلي ، شفيق جبري ، بدويّ الجبل ، عمر أبو ريشة ، مع مختارات من شعرهم .

١ ـ محمد كرد علي

عباته: لقيت الأستاذ محمد كرد علي أول مرة، بعيد الحرب الثانية، في أوتيل الناسيونال بالقاهرة، وكان يشارك في جلسات مجمع اللغة العربية بمصر وحوله أدباء مصر وأعلامها يرحبون به. فسمعت ما لم أكن أسمع من نقد لأدواتنا، كان الرئيس يعرض لها كما يعرض النطاسي لأمراض فتاكة، فكان يكره التواكل والتكاسل، ويرى أن يشق الشاب طريقه بين الشوك، ويضرب العالم الأمثال بما وقع له في حياته، حتى بلغ بسعيه إلى سدة الرئاسة في المجمع العلمي العربي بدمشق، واشتهر أمره في مصر مصنع العربية، ومتربع الكتاب وقادة الفكر العربي لعهده.

وكان الرئيس في سرعة حديثه ونشاط لسانه، كأنه ينطلق من أشياء حفظها، وتأثر بها، يتقلب بين الحدة في النقد، وبين البسمات الراضية والجمل الحلوة في التشجيع، فلا يحس سامعه بالوقت، وينتقل معه إلى أبراجه، ويجله.

ولقد شغفت حباً بمجالسه منذ ذلك الحين، فاختلفتُ إليه في بيته بدمشق بين كتبه وصحبه، ودلفتُ إليه في قريته «جسرين» بالغوطة. ولن أنسى الجلسات الصباحية في مكتبه بالمجمع، وهو يرسل الحديث متدفقاً، في بحث قرأه أو دراسة أعدها، أو مخطوطة يجب أن تنشر، فهو يتسلم بريد الصباح في المجمع، ويكاد يلتهم ما فيه فيشرب عبارات العراقيين والمغاربة والمصريين والمستشرقين، ويشترك في تحليل ما يكتب الكاتبون إلى المجلة، ونقد الدراسات التي تصل إلى المجمع عن مصر ولبنان والغرب.

ولقد عرف الرئيس محمد كرد علي «مصر» فتىً يافعاً ودخلها منذ سنة ١٩٠١، وهو في السادسة والعشرين من سنيه (١)، فتعرف آنذاك

(١) عاش الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ١٨٧٦ م ـ ١٩٥٣ م (٧٧ سنة) انظر الدراسة الخاصة التي أنشأناها إثر وفاته في مجلة المجمع، ونشرت على حدة ١٩٥٥ في سبعين صفحة.

إلى الأستاذ محمد رشيد رضا ، صاحب المنار ، ومحمد المويلحي وابنه إبراهيم ، ولقي الشيخ محمد عبده ، وغشي مجلسه الخاص ، في دارته بعين شمس ، مرّة في كل أسبوع ، تعرف إلى فضلاء الشعراء وأعيان الزمان ، كالأستاذ محمد حافظ إبراهيم ، وفتحي زغلول وإبراهيم اليازجي ، ويعقوب صرّوف ، وفارس نمر ، وعبد العزيز فهمي ، وجرجي زيدان ، وعلي يوسف ، ومصطفى كامل ، وسليمان البستاني ، وأحمد تيمور ، وأحمد زكي ، ووليّ الدين يكن وشبلي شميّل ، وغيرهم[1] وذكر أن الفضل في تقديمه إلى هؤلاء الأعلام كان لصديقيه رفيق العظم ، ومحمد رشيد رضا .

واتصل اللقاء بينه وبينهم ، وكان محمد كرد علي نهماً لا يشبع من هؤلاء الفضلاء ، يلقاهم صباحاً ، ويلقاهم مساء ، فيأخذ عنهم في هذه السنّ ، ويطمح إلى أن يزرع في بلده بالشام ، فيما بعد ، ما اقتطفه من هذه الحدائق النضرة ، التي كانت أزاهيرها تملأ الدنيا العربية بعطر مؤلفاتها وآثارها وآرائها .

وظلت هذه « الجامعة » الكبيرة الواسعة ملء سمعه وبصره وهمّه ، وطموحه حتى خطبه صاحب « المؤيد » الشيخ عليّ يوسف للتحرير في جريدته بمصر ، وكانت من الصحف الكبرى القويّة ، تدخل الدوائر والبيوت ، وتغشى المجالس والمجتمعات والنوادي ، ومحمد كرد علي يدخل معها إلى كل قلب ، ويتردّد على كل لسان ، فأصبح في المشهورين ، وقال في مذكراته[2] : « وأصبحتُ في مصر كأني في بلدي تهمني من وراء الغاية سياستها وسيادتها » .

وكأنه لم يقنع بشهرة « المؤيد » فأصدر مجلة « المقتبس » شهرية سنة ١٩٠٥ ، بعد أربع سنوات من مقامه بمصر ، وراح ينشر فيها البحوث العلمية ، والتحقيقات التاريخية ، والدراسات الأدبية . فاتجه نحو أساليب الغرب في مجلاتهم الراقية وعُني بنشر المخطوطات القديمة على صفحاتها عن خزائن الشرق

---

(١) المذكرات ١/٥٥ ، ٢٥١ ، وخطط الشام ٦/٤١٣ .
(٢) المذكرات ١/٥٩ .

العربي ، وبلغت مجلته تسع مجلدات فيما بعد ، أي (٦٥٠٠) صفحة ، أصدر ثلاثاً منها في مصر ، وسائرها في الشام .

وعاد إلى دمشق ، حوالي سنة ١٩٠٨ ، بعد أن أعلن القانون الأساسي ، وصاح الكتّاب أن دولة الاستبداد قد سقطت ، وأن عهد الحرية قد أشرق ، وقد بلغ الثانية والثلاثين من سنيه . فكأنه طار إلى بلده على جناح هذه الأماني والأحلام ، ليبني في سورية صرحاً للعربية ، وتراثها ، كما يبني إخوانه المصريون سواء بسواء .

ولكن أمانيه كانت سراباً ، فلم تكن أحلام الحرية إلاّ خداعاً ، لذلك ضاق ذرعاً بجواسيس الدولة العثمانية ، وخصومه في بلده ممن يكرهون النور والنبوغ فلاذ بالهرب ، وخرج من دمشق التي عشقها سنة ١٩٠٩ ، وقد جاوز الثالثة والثلاثين .

وقصد إلى زيارة الغرب ، وكانت ربوع أوربة تشوقه ، وحديث متاحفها وخزائنها الخطية ، وجامعاتها تستهوي قلبه ، فزار البلاد الغربية وفيها باريس ، وطاف ذات يوم أبهاء « المجمع العلمي الفرنسي » فكتب عن هذه الزيارة يقول فيما بعد (١) :

« وحدثتني النفس ببلادنا الشرقية ، وقلت هل يكتب لنا المستقبل ، تأليف مثل هذه المجامع ، فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين ، أو نظل كما نحن لا نعمل فرادى ولا مجتمعين » . وهنا كانت نقطة التحوّل في حياة الرجل ، فأصبح يفكر في أن ينشىء مجمعاً علمياً ببلاده ، كالمجمع الفرنسي ، لا يعرفه بلد عربيّ قبل دمشق ، ولم يفكر فيه عالم عربيّ قبل محمد كرد علي .

وعلى الرغم من رحلته الثانية وراء كتبه ومخطوطاته ، كان يحلم بالمجمع وإنشائه ، فما كادت الحرب الأولى تحط أوزارها ، ويدخل الملك العربي

---

(١) غرائب الغرب ١/١٠٠ .

دمشق حتى عاودته أحلامه ، ورأى في الفريق « رضا الركابي » حاكم دمشق ، موضعاً وأملاً لتحقيق هذه الأماني ، من خلال الأعياد والبسمات المريضة بالاستقلال ، ولم يخلف الفريق ظنه ، فأصدر مرسومه بإنشاء « ديوانه للمعارف » في ١٢ شباط ١٩١٩ ، برئاسته ، والديوان كان لإصلاح التعابير والكتابة الديوانية ، والمؤلفات المدرسيّة ، وخدمة العربية في المجالات العامة والخاصة .

وانقلب هذا « الديوان » بعد خمسة شهور ، فأصبح في ٨ حزيران ١٩١٩ يعرف مستقلاً باسم « المجمع العلمي العربي » ، ورئيسه محمد كرد علي ، وأعضاؤه : محمد أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمي ، عبد القادر المغربي ، عيسى اسكندر معلوف ، متري قندلفت ، عز الدين علم الدين ، طاهر الجزائري ، وأما أعضاء الشرف فكان فيهم مرشد خاطر ، عبد الرحمن شهبندر ، فارس الخوري ، عبد القادر المبارك ، يستعين بهم المجمع . واتخذ مقراً له « المدرسة العادلية الكبرى » ، التي شرع في بنائها نور الدين زنكي خلال القرن السابع للهجرة . وعقد أولى جلساته في هذا المقر الجديد بتاريخ ٣٠ تموز ١٩١٩ .

ونستطيع أن نتخيل الرضى الذي كان يغمر قلب الرجل وقد تحققت أحلامه وهو في الثالثة والأربعين ، وأن نرسم الانتصار الذي كان يضحك في ضلوعه ، فقد رجعت دمشق موضع الإشعاع ، تعمل للعربية وتنشرها في الخافقين ، وعادت إليها عزّة الأمويين ، وغدت مقراً لأول مجمع علمي عربي لا تلبث القاهرة أن تقلدها فتنشىء « مجمعاً لغوياً » ، وتحذو حذوها بغداد فتنشىء « مجمعاً لغوياً » آخر ، ودمشق في هذا سباقة ، والرجل هو أول من أنشأ مجمعاً عربياً ، وأسس « مجلة عربية » هي المقتبس في دمشق .

* * *

مؤلفاته في التاريخ والأدب : وسار الأستاذ الرئيس – كما اعتاد صحبه ورصفاؤه أن يلقبوه – في طليعة الكاتبين في المجلة ، والمحاضرين في أبهاء المجمع ، والمؤلفين للكتب . فقد أخرج بعد سنوات أوسع كتاب في تاريخ بلاده سماه « خطط الشام » ، بحث فيه العمران والحضارة والثقافة ، والسياسة ، وتقلّب الدول ، جعله في ستة أجزاء (١) ، وعمل له كما قال خلال ثلاثين سنة ، وحشد له مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة ، قد لا تبلغ اليد إلى بعضها اليوم .

وبذلك سدّ ثغرة كبيرة ، وتنادت لجنة من فضلاء دمشق وأعيانها لطبعه والإنفاق عليــــه ، لولاها لم يرَ الكتاب الثمين النور . ولا شك في أن الشباب آنذاك شربوا من الكتاب ، وعلّوا ونهلوا ، فكان لهم معيناً لا ينضب . وما يزال الكتاب أكبر مرجع ، وأوثق مصدر لو أتيحت للطبعة المنقحة منه بيد الرئيس أن تظهر على النور ، فهي تشير إلى الصفحات من مصادره وتكمله .

ومضى الرئيس يؤلف في بحث ممتع طريف ما يزال جذاباً مشوقاً هو « الإسلام والحضارة العربية » ، نشره في مصر سنة ١٩٣٤(٢) ، وقد بلغ الثامنة والخمسين من سنيه ، جعله في الدفاع عن الإسلام ، والذود عن حياضه ، والردّ على المبشرين والمستشرقين ، فكان معلمة في نظم الحياة عند المسلمين ، وفي إدارة بلادهم ، وعيشهم ، وهو من أوسع ما كتب لعهده في الموضوع ، وأدق ما ظهر ، فدخل كلية الآداب بمصر وأروقة الأزهر ، وأحبه الكتاب والأدباء ، وذلك ليس باليسير ولا بالقليل في مصر تلك الأيام .

وبعد ثلاثة أعوام أصدر في القاهرة(٣) كتاباً ، سمّاه « أمراء البيــان » ترجم فيه لعشرة من كتاب النثر القدماء ، وكتب فيهم وأطال ، ولعلّه أول

(١) بلغ عدد صفحات الخطط ١٩٤٠ صفحة ، بدأ بنشره سنة ١٩٢٥ .
(٢) جعله في جزأين على ٩٤١ صفحة .
(٣) صدر سنة ١٩٣٧ في جزأين كذلك .

من نبه إلى كثير منهم ، فلقي ما لقي الكتاب قبله في الكليات والنوادي والمجالس بمصر ، لصناعة البيان في كتابة المؤلف ، وإشراق أسلوبه فكأنه في القرن العشرين يشرب من أساليب القرن الثالث والرابع للهجرة ، في سهولة اللفظ ، ودقة التصوير مع التجديد في التفكير والتقرير والبحث والعمق. وكثير من النقاد رأى أنه يستوي في نثره مع «أمراء البيان» ، فأقام بالشام دولة للنثر ، يجلس على أريكتها في غير تكلف ، فلا يسرف على القراء في السجع والتقفية والمزاوجة ، ولا يتجنى على آذانهم وعقولهم وقلوبهم . ومن هنا قاد — وهو على رأس المجمع — كتائب الشباب في النثر ، وخدم الأساليب الكتابية ، وأرسل في أصحابها دراسات قبل أن تنشأ كلية الآداب بدمشق ، فكتب الشباب ، وخطبوا ، وألفوا ، متأثرين بالجو الذي أنشأه الرجل وزملاؤه ، وتسابقوا وتنافسوا في ذلك .

وما نحب أن نذكر الشباب الذين ساروا على غراره ، فنحن لا نؤرخ للجيل المعاصر ، في الشام ، وإنما أحببنا أن نبين أثر الرئيسين في المجمع ، وفي المجتمع السوريّ حولها ، من خلال النثر والشعر ، مدّة أربعين سنة فحسب .

وفي سنة ١٩٥٠ ، وقد بلغ الرجل الرابعة والسبعين ، أبى إلاّ أن يتابع دراسته للأعلام في الأدب العربي والفكر الإسلامي ، فنشر كتاباً عنوانه : «كنوز الأجداد (١)» تحدّث فيه عمن طالت عشرته لهم ، واغترافه من معين أسفارهم ، فكتب في الأشعري ، والأصبهاني ، والبلوي ، والتنوخي والبيروني ، والماوردي ، والجرجاني ، والغزالي ، والحريري ... وغيرهم ، وهم يزيدون عدداً على الخمسين ، ترجم لكل منهم .

ولو جمعت هذه الكتب الثلاثة معاً ، لاتخذتُ عنواناً شاملاً : «تاريخ الأدب والفكر عند العرب» .

* * *

(١) صدر في ٤٣٦ صفحة .

الأدب الشخصي : وتلفّت الرجل إلى نفسه وضلوعه وحياته ورحلاته ولقاءاته وصلاته ، فسجّل كل ذلك في كتب نافعة ، فقد أصدر منذ سنة ١٩٢٣ ، كتابه « غرائب الغرب »[١] ، وصف فيه رحلاته الثلاث خلال ديار الغرب ، في طريقة طريفة ، قربتنا إلى المشاهد التي رآها ، فكأننا رحلنا برحلته ، واستمتعنا بجولته ، صوّر فيها ما رأى وما سمع ، ووازن بين عادات الغرب والشرق وتقاليد كل منها .

ثم أصدر سنة ١٩٢٥ كتاباً بعنوان « القديم والجديد »[٢] تعرّض فيه كذلك لتراثنا القديم ، وتقاليدنا وعاداتنا ، وصوّر القديم بجلاله ، والجديد بما فيه ، وكان مؤلفه يرضى عن هذا الكتاب لأنه يمثل مقالاته وآراءه في مطلع الشباب .

وظل الرجل يرسم ما حوله ومنْ حوله ، فهاله ما نحن عليه من أقوال وأفعال ، فسجّل ما كان يحسّ به في كتاب عنوانه « أقوالنا وأفعالنا » نشره سنة ١٩٤٦ [٣] وقد بلغ السبعين .

وختم هذه السلسلة الطيّبة التي رسم بها نفسه وعصره ورحلاته ، في الشرق والغرب ، والموازنة بين الحضارتين ، بكتاب سجّل فيه « المذكرات »[٤] التي تعيها ذاكرته ، نشرها بين سنة (١٩٤٨ — ١٩٥١) وأصدر منها أربعة أجزاء لم يقلد فيها أحداً من الكتاب العرب المعاصرين الذين رسموا حياتهم ، مثل طه حسين ، وأحمد أمين ، والمازني ، والعقاد ، وغيرهم ، ولكنه جعلها على فصول متقطعة ، لا تربط بينها رابطة ، فلم يكن الرجل يقوى في هذه

---

(١) جزءان في ٦٤٠ صفحة ، صدر بمصر .
(٢) جزء واحد في ٣٤٦ صفحة ، صدر بمصر .
(٣) صدر في القاهرة على ٤٣٠ صفحة .
(٤) في ١٣٢٠ صفحة ، صدرت في دمشق ولم يزل منها ما هو مخطوط .

السنّ وقد تجاوز السبعين على تنظيمها وتبويبها ، فقد كان ينقل من خواطره كل شيء مرّ في ذاكرته . ولقد كان يكتب لئلا يضيع منه شيء ، فيقول إني سأظل أكتب « ما دمتُ أتمكن من مسك القلم وأصبر على التحديق في الخطوط التي أخطّها » .

ولهذا كتب وكتب في التاريخ والأدب والفكر ، حتى جمع نواة لكتاب في الأدب ، وصوّر ورسم ووصف ، حتى كان منه كتب لو جمعت لكانت صورة للشرق وخاصة لبلاده بل للأشخاص الذين عاش بينهم ، تكاد تكون ناطقة حيّة ، فهو بذلك أديب حقاً ، وكاتب مفكر ، ورسّام متفنّن .

* * *

نشر التراث : ولم يكتف الرجل بما كان منه ، فانصرف بجهده إلى « التراث » فعُني بتحقيق الكتب ، وبدأ بذلك في سنّ الشباب ، فنشر المخطوطات في مجلته « المقتبس » بعنوان « صحف منسية » كان فيها كتاب الأشربة لابن قتيبة ، والمقامات اللزومية ، وتذكرة ابن العديم ، وغيرها ، وذلك منذ سنة ١٩٠٨ وهو في الثانية والثلاثين .

ثم راح يصف الخزائن الخطّية ونوادرها ، ويحدّث عنها الشباب ، ويغريهم بمطالعتها ، وإخراج الدفائن الثمينة ، فتكلّم عن كنوز الأستانة والمدينة المنورة والقاهرة ، ولا شك في أنه تأثر في ذلك بأستاذه الشيخ طاهر الجزائري ، منذ صباه ، فأراد أن ينشئ جيلاً بعده يحذو حذوه .

وأخرج منذ سنة ١٩٠٨ « رسائل البلغاء » وقد نشر بعضها من قبل على صفحات المقتبس ، فأقبل عليها المستشرقون والدارسون من العرب ، وما تزال في طبعاتها المتعدّدة ، المرجع الفذّ للبيان الخالد في النثر العربي ،

وهذه الرسائل للبلغاء المشهورين أمثال عبد الحميد الكاتب ، وابن القارح ، والمعرّي ، وابن شرف القيرواني ، وابن قتيبة ، والوطواط ، وابن طاهر البغدادي ، وابن المدبّر ...

وأخرج كذلك سنة ١٩٠٩ « سيرة أحمد بن طولون » للبلوي ، و « المستجاد من فعلات الأجواد » للمحسّن التنوخي ، نشره بدمشق سنة ١٩٤٦ ، و « تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي » ، أصدره في العام نفسه .

وبعد عام نشر كتاب « الأشربة » لابن قتيبة مستقلاً ، وأما كتاب « البيزرة » لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، فكان يصحّح تجاربه ، وينظر فيه أواخر أيامه ، حتى أطفأ الموت هذا النور الذي كان يشع من عينيه الثاقبتين ، وأغمضها إلى الأبد ، سنة ١٩٥٣ ، فأصدره المجمع بعد وفاة الرئيس وهو في السابعة والسبعين من عمره ، إكباراً لمنشئه ، ولمن ظل يرعاه خلال أربع وثلاثين سنة .

وهكذا قضى الأستاذ الرئيس حياته بين عمل رائع ، وتحقيق نافع ، وعاش لتراثنا ، وأدبنا ، وتاريخنا ، فخلّف للأجيال درساً لا ينسى ، وضرب مثلاً جميلاً في الإنتاج ، على الرغم من أعماله في الوزارة أكثر من مرة ، وفي الاشتراك بالمؤتمرات العلمية في الغرب ، والمجمع اللغوي بالقاهرة .

وكان عهد رئاسته في المجمع زاهراً ، أقبل فيه الشباب على المجمع يستمعون إلى المحاضرات ، ويشاركون في تحقيق المخطوطات وصنع الدراسات والمقالات ، بفضل تشجيعه وتوجيهه ، فهو يهش لكل جديد جديّ ، ويفرح لكل عمل نافع ، حتى ما تحصى الكتب التي صدرت لأيامه (١)

(١) كم كنا نود أن نحصي الكتب المجمعية التي صدرت لعهده خلال ربع قرن ، برعاية المجمع ، فلعل الإدارة تنشر قائمة بها ، تساعد على دراستها وتحليلها ، ذلك عدا ما صدر خارج المجمع بارشاده ، فذكر اسمه فيها أو أهديت إليه .

برعاية المجمع أو المؤسسات الأخرى بفضله . فقد كان الرجل في مصر والعراق والشام قبلة الباحثين ، وكان راية رفعها المجمع بدمشق خفاقة في البلاد العربية ، فهو مفخرة للشام ، وعزّة للدراسات ، ونبراسٌ للباحثين ، وكان رائداً ، ومصلحاً ، وكاتباً . ومع ذلك انقسمت الآراء في الحكم على ما كان من نقده المتواصل ، كما تنقسم أبداً في الحكم على كل عظيم .

★ ★ ★

٢ ــ خليل مردم

حياته وشعره : ولم يكد يقضي الراحل الكريم حتى تسلّم راية الرئاسة عالم آخر من علماء المجمع ، هو الشاعر خليل مردم ، وكان نائب الرئيس في المجمع خلال سنوات ، وقبل ذلك كان عضواً عاملاً ، فقد انتخبه المجمع في ٩ كانون الثاني ١٩٢٥ ، وهو في الثلاثين من عمره(١) انظر ص ٩ ، أي بعد ستّ سنوات من تأسيس المجمع .

ولم يكن هذا الشاب غريباً على الشعر والنثر ، منذ بدء شبابه ، فقد دفعه الأسى والحزن مذ كان برعماً إلى النظم والشكوى ، في شعر يدلّ على الخامسة عشرة من سنيه ، فبكى أباه ورثى أمه ، فأبوه من فضلاء دمشق وأعيانها ، وصف جنازته بأنها « تسير كما تسير الجبال » ، وافتخر بنسب أمه إلى فهر وعدنان « وقضت قانتة صائمة » . وشكا في شعره ظلم الدهر والأقارب والعدوان على اليتيم ، وانصرف إلى الحذر والصمت والصبر

(١) خليل مردم (١٨٩٥ ـ ١٩٥٩) كان أصغر من الأستاذ الرئيس بعشرين سنة ، وتوفي بعده بستّ سنوات ، وقد رسمنا حياته في المجلة وفي صدر ديوانه .

فانطبعت في شخصيته الأناة في الحديث ، والهدوء في التفكير ، ولكنه كان يمسح عليها كلها بابتسامة عريضة وأدب في الحديث تلفه نعومة واباء ، عرفناهما في صدر شبابنا ، وقد قادنا إلى بيته خلال الحرب الثانية ، بعد أوبتنا من الغرب ، أستاذنا الشيخ بدر الدين النعساني ، خلال إحدى الزيارات لدمشق وكانا صديقين فحملنا الرجل إلى بساتين دمشق ، في عربته ذات الخيول آنذاك ، وطفنا معه « الغوطة » التي يعشقها الشاعر ، ويتنسم أريجها كلما دهمته هموم قومه وأمته .

وكان الرجل يحمل هذه الهموم على قامته الفارعة حتى انحنت ، ووخطت فوديه بالشيب ، فقد شهد ولادة الملك العربي ، وهو في الثالثة والعشرين ، وعرف « فيصلاً » عن قرب ، وعمل له ، ومدح هذا الملك العربي ، ورأى فيه ظلاً لخلفاء بني أمية . ولعلّ دار الشاعر الواسعة على مقربة من قصر الخلفاء الأمويين ، بجانب الجامع الأمويّ الكبير ، دفعته إلى أن ينتظر أن تعود إلى العرب تلك الأيام ، بل لعله تخيّل أنه أصبح في شعراء الملك العربي الجديد يختال ببردة من أمجاد العروبة على برود من قصائده الوطنية .

ولكن ، سرعان ما انطوى هذا الحلم في صدره ، فدخل الفرنسيون دمشق ، وراح ينظر إليهم نظرة الكره ، وينصرف عنهم إلى جمال دمشق الفاتن في كل ربوة مزهرة ، ونهر متدفق ، وزهر فياح ، وكاعب حسناء ويرسل وصف ذلك في شعره ، فتردّده النوادي العربية ، ويكاتبه أعلام البيان العربي في كل صقع ، فالأمير شكيب أرسلان [1] يبادله الشعر ، وشعراء المهجر يراسلونه ، فينشيء في دمشق « رابطة أدبية » على غرار « الرابطة القلمية » في نيويورك ، ويصبح رئيساً لهذه الرابطة سنة ١٩٢١

(١) روينا بعضاً من ذلك في كتابنا عن الأمير شكيب أرسلان ، دار المعارف بمصر .

وهو في السادسة والعشرين فكان رئيساً « لمجمع أدبيّ » مصغّر وهو في سن الدراسة الجامعية لشبابنا اليوم ، وكانت تضم هذه الرابطة أدباء من ذلك العهد فيهم : محمد الشريقي ، ايفانوس ، شفيق جبري ، حيدر مردم ، سليم الجندي ، حليم دموس ، أحمد شاكر الكرميّ ، قبلان الرياشي ، عبد الله النجار ، جورج ريّس ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم . ولعل هؤلاء الشباب كانوا يثورون في سبيل شعر جديد ، ويعملون كما تعمل رابطة نيويورك ، أو كما يوصي العقاد والمازني في « الديوان » بمصر .

ومهما يكن من أمر فان نشأة هذه الرابطة تشبه نشأة المجمع ، وهمّته في العمل فقد ظهرت بعد سنتين من ولادته ، واتخذت شعاراته نفسها في العمل للتراث ، والحفاظ على اللغة ، وايقاظها بعد طول ركود ، خلال أربعة قرون ، فقد سئم الجيل الجديد من دفن تراثه ، وسكوت لسانه ، واقفار بلاده من الصحف الأدبية ، وضآلة الصحافة في ربوعه ، ومصر تعجّ بالصحف والأدباء والشعراء .

لذلك نهض الجيل الجديد للّغة العربية لعلّه يرفع لها مناراً من جديد ، على شفار القوافي ، وسطور النثر الجميل ، وتلك أهداف المجمع العلمي العربي سواء بسواء .

ولقد أصدرت الرابطة « مجلة » ، وحاضر فيها المحاضرون ، وكرمت الأدباء ، ونشرت شعراً رفيعاً ، واحتفلت بتكريم (مي زيادة) في دمشق سنة ١٩٢٢ ، وأنشد فيها الخليل نفسه قصيدة يرسم فيها حال دمشق ، وهي تدفع النوم عن الأجفان ، وتتثاءب قبل الوثوب .

وهي تشبه قصيدة حافظ إبراهيم في مصر ، حين رسم تقاعس قومه عن الهجوم على شعره في البؤس ، وفي اللّغة ، والوطنية ، وتفرق العرب ،

وقد غصّ ديوانه بمثلها حتى احتفلت دمشق بحافظ ، فاعترف فيها : بأن دمعه ذاق أول مرة طعم السرور فرحاً .

وشعر الخليل لا يقل عن شعر حافظ هجوماً على بعض الرجال والساسة المحترفين ، حتى عرف بأنه كان في الشعراء الذين ألهبوا الثورة السورية ، منذ شبابه ، فكان ملتزماً ، تشحذ على قوافيه أسنة الحراب في غوطة دمشق ، وعلى كل رابية من روابي الشام فراح « يذكي الجمر ويطفىء الجمر » كما قال بنفسه .

وراح شعره على كلّ لسان ثائر . وأكبر المجمع العلمي همة الشاب الشاعر وعمله في الرابطة الأدبية ، ومشاركته في طبع « معاني الشعر للأشناندانى » سنة ١٩٢٢ ، فخطبه المجمع إليه وجعله في أعضائه سنة ١٩٢٥ .

* * *

ولكن الشاعر الشاب دخل في السياسة بشعره القومي ، فترصدته السلطة للقبض عليه ، لذلك هرب إلى لبنان مع الأحرار من بني قومه ، ليكون لسانهم في الفداء خارج الأقفاص الكبيرة ، وسافر إلى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، وفي مصر تعرف إلى الشعراء والأدباء ، كما تعرف قبله الأستاذ محمد كرد علي سنة ١٩٠١ ، فسبقه قرابة خمس وعشرين سنة .

وسافر خليل مردم بعدها إلى انكلترة ، ينهل من الغرب ، ويتعرف إلى آدابه وشعرائه عن كثب ، كما تعرّف الأستاذ محمد كرد علي قبله ، فأطال مكوثه بين الشعب الانكليزي ، فوقف على عيشهم ، وأعجب بكثير من عاداتهم ، وارتضى هدوءهم ، وأعجبته سكينتهم ، فأخذ عنهم كثيراً ، وطبع نفسه خلال حياته بهذه السكينة وهذا الهدوء ، حتى ظنّ بأنه بعيد عن هموم الناس خلال حياته ، ولكننا عرفناه عن قرب ، ورحلنا برحلاته إلى لبنان مرات ، في أيام الثلاثاء ، يوم عطلة المجمع ، والسفر والغربة يكشفان عن كثير ، فنعمنا بحديثه وذكرياته وأدبه .

ومهما يكن من أمر فقد عاد الشاعر إلى سورية سنة ١٩٢٩ وهو في الرابعة والثلاثين ، بعد أن اطمأن إلى سكوت السلطة عنه ؛ ورسم عودته في شعره كعاشق يلقى معشوقته ، بعد طول فراق ، فهو دمشقي حقاً ، يحب كلّ ركن من أركان الصَّخر والنُّوْر في هذه الجنة التي كان يتمنى أن يكون خالداً فيها ، فما أحب أن يبرحها في رحلة بعيدة ، ولقد دُعي أكثر من مرة ، لحضور المهرجانات والمؤتمرات ، فكان ينتدب زملاءه ، ويؤثرهم على نفسه على أن يبقى في جنته ، فلا يغادر دمشق وغوطتها .

ولقد كان بين رياض الغوطة ورياض الشعر يقضي ساعات عمره ، وكنا نهجم عليه في المجمع ساعات الصباح ، فتراه قد شمّر عن ساعديْه ، ينقل بخطه الجميل ، دواوين الشعراء القدماء الذين كان يعمل لهم ، فلا يتلفّت إلى مال يتدفق عليه ، أو إلى مناصب ترمى على كتفيه . ولكنه ما أراد أن يعمل لديوانه ، فطبعه المجمع بعد موته وأشرف عليه ابنه الشاعر .

وليس شعر « الخليل » بالهيّن القليل(١) ، فقد شارك بهذا الشعر في أحداث أمته والبلاد العربية ، كما شارك شعراء مصر الثلاثة شوقي وحافظ ومطران ، بل نهض بالشعر في خدمة العربية وابنائها كما نهض رئيسه محمد كرد علي قبله بالنثر .

ولكن قصائده تفرّقت في الصحف والمجلات ، وكانت حيناً ناراً وشواظاً على الأجنبي ، ترسم النضال الذي خاضته سورية في سبيل استقلالها ، كما كانت أحياناً بلسماً لجراح العاشقين ، وشفاء الغزلين المشوقين ، فكان شعره

(١) خصصنا حياة الشاعر بدراسة جعلناها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٩ ثم نقلت إلى صدر ديوانه بعد وفاته سنة ١٩٦٠ . أما شعره فقد بحثنا فيه في فصل طويل في كتابنا « الشعراء الأعلام في سورية » طبعة ثانية ، بيروت ١٩٦٨ (ص ٨٣ - ١٤٢) .

كذلك يعمل في ميدانين ميدان قومه وميدان شخصه ، كما يعمل نثر كرد علي في خدمة التراث ، وفي خدمة الأدب الشخصي .

أما ميدان النضال ، فقد دخله فتى ، فرسم الشهداء العرب على الجذوع ، ووصف دمشق في ثورتها كأنهـــا على طوفان من لهب ، ومشاهد النساء والأطفال ملأت ألواحه حزناً وأسى ، كما امتلأت قصيدة شوقي في وصف الثورة السورية .

وشارك شعره الوطني في المعركة ، فخاض غمارها ، مع الأحرار المناضلين ، فكأنه اشترك بجسمه ويده لا بلسانه وبيانه ، وكانت أشعاره تهدر بالحقد والموجدة ، فتنصبّ على الخونة ، كما ينصبّ الرصاص على هدف تكاثرت حوله البنادق ، وهو يدعو فيها جميعها إلى وحدة كبرى ، يسخر من الدويلات فيرى أنها لا تزيد كل واحدة على البيت الصغير ، ولا تبعد عن أختها إلاّ بمقدار الفتر أو طرف البنصر .

وأما ميدان شخصه ، فقد نظر إلى الطبيعة فرسم كلّ ما فيها ، فاستنطق الصخر والماء ، والشجر ، والزهر والحيوان ، فالفراشات تطير على قوافيه ، ويتناغى الحمام بين مصاريع أبياته ، ويفوح الطيب ، وتزيغ العيون في رسم الحركات ، حتى ما يكاد ينفض ريشته من رسم طيران الحيوان ، أو رقص الإنسان أو حديثه بالعيون والشفاه .

وما نرى من ضير في أننا انصرفنا عن رئاسة المجمع إلى شعر الشاعر ، فقد كان يتثقف بشعر الشاعر كثيرون من الشباب ، وهو تحت قبة المجمع ، كما كان كثير منهم يأخذ في النثر بأسلوب محمد كرد علي . وقد تغذى العالم دائماً بالنثر والشعر على حدّ سواء ، ولذلك أنشأ الرجلان إلى جانب عملها الرسمي في المجمع ، مدرستين ناهضتين للنثر والشعر ، طربت لهما دمشق ، وأفادت منها البلاد العربية ، وارتفع من قبة « المجمع » لكل منها لواء عال يجتذب

الجيل الجديد إلى التراث العربي ، يقلّده ويقلّده حتى يبتكر فيه ويبتدع ، كما فعل القدماء في عصورنا الأدبية سواء بسواء .

وهذا ما قصدنا إليه حين جعلنا عنوان المقال « بين دولتي النثر والشعر » نريد أن كلاًّ من الرئيسين عمل للبيان في خطته ، وانتصر فيها ، على جهاد متواصل ، داخل المجمع وخارجه ، فتجاوز الحدود ، وارتفع للبلاد علم إلى جانب الأعلام العربية ، في خدمة اللّغة العربية وتراثها ، وبذلك حقق الرئيسان مع إخوانها وصحبها هدفاً كبيراً من أهداف العلماء .

* * *

مؤلفاته في الأدب : عمل الشاعر خليل مردم للنثر كما عمل للشعر ، فقد اشتغل في سنّ مبكرة ، قبل العشرين ، في جمع الأخبار الأدبية والفنية ، فألف قبل كل شيء كتابه في شعر الأعراب بعنوان « تراجم الأعرابيات »(١) فجمع فيه ما تفرق في الكتب ، وترجم لأربعين رجلاً من الأعراب ، فرسم الرواية والمناظرة وفقه اللّغة وآداب العربية . ثم ألف « جمهرة المغنّين »(٢) ، جمع فيها أخبار هؤلاء المتفنّنين وعاداتهم وأخلاقهم ، ومجالسهم عند الخلفاء ، فصوّر الحضارة وسجّل تاريخ الغناء في أسلوب عذب جميل .

وخلال السنين التي كان يدرس فيها الأدب العربيّ بالكليّة العلمية (١٩٣٣ — ١٩٣٩) أخرج بحوثاً لفحول الأدباء ، بعنوان جامع : « أئمة الأدب »

---

(١) طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق ، سنة ١٩٦٦ ، بعناية ابنـه الشاعر الأستاذ عدنان مردم والأستاذ أحمد الجندي .

(٢) طبعـه كذلك المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٤ ، بعناية الأستاذين المذكورين نفسيهما .

فنشر خمسة منهـا « الجاحظ ، (١) ابن المقفع ، ابن العميد ، والصاحب ، والفرزدق » وهي دراسـات مبسّطة تجمع بين دفتيها حياة كل أديب إلى صفحات مختارة منه ، في عرض واضح ، لعله يفتح لطلاب المدارس الثانوية باباً ، إلى فهم الأدب واجتياز امتحان الشهادة الثانوية .

ثم أخرج كتابه « شعراء الشام في القرن الثالث الهجري » وتقدم به إلى المجمع العلمي العربي بدمشق كرسـالة في الأدب فانتخبه المجمع عضواً فيه ، كما ذكرنا من قبل .

وانتخبه المجمع العلمي بعد ذلك سنـة ١٩٣٩ ، أميناً لسرّ المجمع ، فسلك في « المدرسة العادلية » سحابة يومه جنباً إلى جنب الرئيس كرد علي لايتفارقان إلاّ في فترات قليلة ، اختير فيها الشاعر خليل مردم سنة ١٩٤٢ وزيراً للمعارف ، ثم اختير وزيراً مفوضاً في بغداد سنة ١٩٥١ ، فاضطر إلى قبول هذين المنصبين ، وهو يفضل أن لايغادر المجمع ، وأن لا يفارق الرئيس ، فقد عاشا معاً قرابة أربع عشرة سنة ، يطير فيها الشاعر الخليل من المجمع العلمي ، ثم يعود إلى عشّه ، فرحاً بالرئيس ، لأنه يرى فيه قمة عربية لاتدانيها قمة في المعرفة والثقافة ، والدؤوب على العمل ، وتشجيع الشباب ، ولم يكن الرئيس أقل فرحاً من الشاعر بلقائه ، فقد كان يرى فيه الأديب الرقيق ، مستودع الأسرار ، شديد الحرص ، جميل التواضع ، كأن الشعر الرفيع سكب عليه برداً من أجمل أبراده ، فكساه أجمل الحلى وزينه بأنقى الصفات . وكان حديثه صورة للرقّة ، ما تنقطع بشاشته عن حديثه ، ولسـانه الحيي المتردد ، لايكاد ينطلق إلاّ في خير الناس ونفع

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة ـ ابن المقفع ٩٦ صفحة ـ ابن العميد ١٤٤ صفحة ـ الصاحب ٢٥٦ صفحة الفرزدق ١١٢ صفحة ، وكلها من القطع المتوسط .

الأدب ، وخدمة المجمع العلمي ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبل والحياء الجم ، وتضحكان للنكتة البريئة .

وما أجمل المجالس الصباحية في المجمع العلمي ، منذ اختلف فيها الشاعر إلى الرئيس سنة ١٩٣٩ ، تسمع عبارات الرئيس كنافورة « البحرة » في دارة المجمع « المدرسة العادلية » هدّارة موسيقية ، لاتكاد تنقطع ، تمسك الجملة بالجملة نكتة أو طرفة يميل لها الرئيس المتحدّث ، والأمين الذي يحسن السمع والإصغاء ، وعشرون سنة بين الرجلين تحسّ كأنها أربعون في وقار الاستماع وهدوء التأدب ، وضحاك الرّصين ، فتسحر بالمجلس ، وتنسى الدنيا حولك ، وتغيب عنك أهوال الحرب الدائرة في الغرب ، آنذاك ، ومصاعب العيش السائرة في الشام ، من حرمان وتحديد واقتصاد شديد ، فالحرب كانت تغيب وتنقشع سحابتها حين تدخل مكتب الرئيس ، وحوله الأمين ، وبعض الأعضاء ، والقهوة تطوف على الزائرين ، مع حديث الأدب والمخطوطات ، فتستمع إلى محاضرات نافعة ، يودّ المرء لو سجّلها بآلات عصرنا ، واستعادها اليوم ، حين يفتقد كلّ شيء ، فلا يرى إلاّ الحديث « مع الخالدين » .

وكان جدران « المدرسة العادلية » مقرّ المجمع ، منذ ثلاثين سنة ، تستمع من جديد بعد قرون ، أحاديث العلماء ، كما كانت تستمع منذ مئات السنين إلى ابن خلدون وغيره من فطاحل المسلمين ، الذين زاروها متعلمين ومتحدّثين .

وعاش الرضى والعلم سنين بفضل الرئيس الكاتب ، والرئيس الشاعر بعده ، تحت قبة هذه المدرسة ، وقرب ضريح الملك العادل المدفون فيها .

* * *

نشر التراث : وأقبـــل الشاعر الأمين ، إلى نشر التراث ، وخدمة العربية ، كما كان يفعل الرئيس ، فانصرف من جـديد إلى تحقيق الشعر وطباعة الدواوين القديمة على مخطوطات ، فقد رأينا أنه اشترك في شبابه مع اخوانه في تحقيق « معاني الشعر للأشنانداني » ، لذلك راح يطيل النظر في هذه المخطوطات فأخرج في المجمع الدواوين الكثيرة : « ابن عنين[1] سنة ١٩٤٦ ، ثم « علي بن الجهم » سنة ١٩٤٩ ، ثم « ابن حيّوس » ، سنة ١٩٥١ ، ثم ابن خياط الدمشقي سنة ١٩٥٨ .

ولقد صدّر هذه الطبعات بمقدمات واسعة مفصّلة ، ودراسـات عميقة فيها تحليل طريف ، واستنتاج طيب ، وتخريجات لغويّة ، وبلدانيات . ولو جمت هذه المقدمات معاً ، لكانت كتاباً في تاريخ أدب العربي ، لا تقلّ فصوله الزاهية عن أية دراسة عميقة مبنية على النصوص .

وأما تعليقاته عن الأماكن فيحسن أن تجمع وتفهرس وترتب ، لتكون معجماً أبجدياً ، لما يجهله كثير من العرب عن هذه المواضع في بلاد الشام ، فقد ملك الرجل الشاعر خطط الرحلة في مطاوي الأدب ومسالك التاريخ والبلدان ، حتى غدا في جملة الذين يعرفون أوثق معرفة رقعة بلادهم شبراً شبراً ، وهذه وطنية صادقة ، وعلم جميل .

ولقد أقبل الشباب إلى تحقيق الدواوين برعاية المجمع كما أقبل الرئيس قبله ، فتعاقبت دولة الشعر ، بعد دولة النثر في هذه الدار الخالدة .

---

(١) ابن عنين في ٢٦٦ صفحة ـ علي بن الجهم في ٢١٤ صفحة ـ ابن حيّوس في جزأين ٦٩٣ صفحة ـ ابن خياط الدمشقي في ٣٤٦ صفحة ـ ولقد صدرت دراسته في ديوان الوليد بن يزيد كمقدمة لطبعة الديوان بالمجمع العلمي ، سنة ١٩٣٧ وهي إعادة لطبعة غابريللي للديوان .

وفي سنة ١٩٥٣ ، بعد وفاة الأستاذ الرئيس اختير الأمين الشاعر ، رئيساً للمجمع ، فما تبدلت حاله ، وإنما ظل وفياً للمخطوطات ، وصديقاً للناشرين الشباب ، يشجع خطواتهم ، كما كان يشجعها الرئيس الراحل ، وغدا المجمع العلمي بفضلها دارة للشباب والناشئة ، يقبلون إليه كما يقبل المجمعيون ، في حبّ وشغف .

ولعلّ هذه الصفحات أوضحت خدمة المجمع العلمي خلال أربعين سنة على يد رئيسيه ، في دولتي النثر والشعر ، وهي الحفاظ على اللغة العربية والعمل لتراثها . فاللغة العربية أقدس الروابط في القومية العربية ، وهي غاية الغايات عند المجمعيين !

رحم الله الرئيسين عداد أياديها .

الدكتور سامي الدهان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق



صفحة من تاريخ النقد

في الأدب العربي الحديث

١ — مقدمة

يشتمل هذا البحث على دراسة كتاب « منهل الورّاد في علم الانتقاد » لقسطاكي الحمصي أحد أعضاء مجمعنا الراحلين . وهو أول كتاب في النقد الحديث نشره كاتب سوري في مصر سنة ١٩٠٧ م بعد كتاب « الوسيلة الأدبية » للشيخ حسين المرصفي بعشرين سنة تقريباً ، وقبل كتاب الديوان للمازني والعقاد بأربع عشرة سنة .

ويعدّ كتاب « منهل الورّاد » أول كتاب عربي حاول إرساء قواعد النقد على أسس ثابتة . وهو مختلف كل الاختلاف عن كتاب « الوسيلة الأدبية » للمرصفي ، لأن هذا الكتاب يريد أن يكون أداة تعليم اللغة العربية وآدابها ووسيلة إنشاء الشعر والنثر على حين أن كتاب « منهل الوراد » يريد أن يضع قواعد علم جديد يعصم الفكر من الخطأ في الحكم على قيمة الآثار الأدبية . ولهذا العلم في نظر قسطاكي الحمصي موضوع مستقل بذاته . وله مبادي كلية وقواعد عامة تنطبق على جميع الموضوعات الحسية والعقلية . فكأنه صناعة نظرية تتضمن قواعد النقد العلمي ، والنقد الفني ، والنقد التاريخي ، والنقد الأخلاقي ، وليست قواعد النقد الأدبي إلاّ قسماً من أقسام هذه الصناعة .

٢ ــ هل النقد علم

ما هي حقيقة النقد ، هل هو علم أم فن ؟ هذا أول سؤال يخطر بالبال عند الكلام على قواعد الانتقاد التي تضمنّها كتاب « منهل الوراد » . ونحن وإن كنا لا نريد الآن أن نعمق النظر في هذه المسألة الفلسفية ، إلا أننا نرى مع ذلك أن نقدم لها بكلمة عامة ، وهي أن العلم مؤلف من أحكام وجودية أو خبرية تعبر عن قوانين الأشياء كما هي في الواقع ، على حين أن النقد مؤلف من أحكام إنشائية أو تقديرية تفاضل بين قيم الأشياء بحسب قربها من الصور الفانية للحق والخير والجمال أو بعدها عنها . ومعنى ذلك أن النقد ليس علماً بالمعنى الفلسفي الدقيق وإنما هو فن غايته التقويم أي إبراز المحاسن والمساوىء والمقارنة بينها وإذا جوّزنا إطلاق اسم العلم على النقد كما نجوز إطلاقه على الأخلاق والمنطق فلنقيده بقولنا إنه علم قاعدي أو صناعة نظرية غايتها تقدير قيم الأشياء لا الاقتصار على استقراء صفاتها الواقعية . ونسبة هذه الصناعة إلى الأدب كنسبة المنطق أي الفكر ، أو النحو إلى الكلام ، أو العروض إلى الشعر . والفطرة الطبيعية لا تغني عن تعلم قواعد النقد ، اللهم إلا أن يكون صاحبها مؤيد النفس بصدق العاطفة وسعة الخيال ، وقوة الحكم ، وسلامة الذوق ، نعم إن الأدب لا يوزن بمثاقيل النظم ، ولا يتأتى له الخلود إلا إذا جمع بين جودة الصوغ وروعة الخيال . ولكن العلم بقواعد النقد الأدبي أنفع من الجهل بها ، ولا معنى لقول بعضهم إن هذه القواعد تفرض على الأديب قيوداً ، لأن الفن كما قال (اندره جيد) يعيش في القيود ويموت في الحرية .

ومهما يكن من أمر فإن قسطاكي الحمصي يزعم أن النقد علم يقوم على أساس ثابت لا يتزعزع ولا يتبدل بتبدل الزمان والمكان . وسبب ذلك اعتقاده

أن للحق والخير والجمال صوراً غائية يقاس بها جمال الآثار وكمال الأفعال ، فإذا استحسن الناقد شيئاً لم يستحسنه لأنه جميل في عينيه فقط ، بل استحسنه لأنه جميل بذاته ، وهذا الرأي كما ترون بعيد كل البعد عن آراء الذين يزعمون أن مقاييس النقد مفاهيم ذاتية . وإذا صح أن لقيم الحق والخير والجمال صوراً غائية وجب أن يكون هنالك طرق فنيّة وقواعد عملية تنقل هذه القيم من حيز التصور إلى حيز الفعل . والغرض من علم الانتقاد بيان هذه الطرق الفنية ، والقواعد العملية التي ينبغي للكاتب أو للمتفنن اتباعها لبلوغ تلك الصور الغائية . وفي كتاب منهل الوراد استقصاء لقواعد هذا العلم الجديد الذي زعم قسطاكي الحمصي أنه أول من اهتدى إليه .

٣ — موضوع كتاب منهل الوراد وأقسامه

قال قسطاكي الحمصي في مقدمة كتابه : « كل ما كنت اطلعت عليه من كتب هذا الفن في اللغة الفرنسية لا ينطبق على ما عقدت على تأليفه النية إلاّ من وجه خفي اجمالي ، وطرف ذهني خيـالي ، فإنّ جميع ما قرأته لجهابذة هذا الفن المشهورين مثل (سنت بوف) ، و (رينان) و (تين) ، و (فردينان برونيتير) و (أميل فاجه) و (جول لومتر) ، (وآدولف بريسون) وغيرهم من المعاصرين لا يتعدّى نقد مؤلف أو مصنوعات ومؤلفين ومتفننين ، فيما أن الغرض الذي كنت أرقى إليه . والمنهل الذي كنت أحوم عليه ، هو وضع كتاب في قواعد هذا الفن الجليل يبين للطالبين استيعابها في وقت قليل » (ص : ٤ ، ٥) وقال أيضاً : « لم يوضع بالعربية كتاب لقواعد علم الانتقاد ، ولا في غيرها من اللغات الافرنجية ، إلاّ أن يكون شيء لم يصل خبره إلينا ، وكذلك قد علمت أنه لم يؤلف بالعربية كتاب في تبويب رتب الشعر

والإنشاء ، فاقتحمت هذا السدّ مستنجداً بحلم أهل العلم . فإن كنت قد أصبت في شيء فليغتفر لهذا بذاك ، وإن كنت قد أحسنت في الوضعين — وما أبعد ذلك — فلا تنكرنه ، فمع الخواطىء سهم صائب ، وإن كنت قد ضبطت في الفنين — وما أحسبني إلا كذلك — فانظر إلى صنيعي بعين الحليم ، لا المتعنّت ولا ذي الطبع اللئيم . وقل كلمة طيبة يغفر لك الله ، « إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » (ص : ١٧٧ — ١٧٨) .

فهذه الأقوال كلها تدل على أن قسطاكي الحمصي كان على تواضعه شديد الافتخار بالعلم الذي ظن أنه اهتدى إليه ، شأنه في ذلك شأن كل من يعتقد أنه كشف عن شيء جديد مستحدث الصنعة . فالموضوع في نظره مبتكر وإن كان غيره قد طرقه قبله (١) .

وسنبين في تلخيصنا لكتاب منهل الوراد ، وفي تحليلنا لموضوعه ، أنّ صاحبه لم يوفق لتطبيق قواعد علم الانتقاد تطبيقاً محكماً ، فكان كمعلم المنطق الذي يعرف أشكال القياس ولا يجيد تطبيقها .

على أنه من الحق علينا أن نعترف بما في كتاب منهل الوراد من جهد يشهد لمؤلفه بدقة البحث ، وهو وإن كان كثير التخبط في التطبيق ، كثير الاستطراد في الشرح والتعليق ، إلا أن له فضل السبق في توجيه الأنظار إلى ضرورة النقد وفائدته وقيمته وتأثيره .

(١) قال صاحب المقتطف في نقد كتاب منهل الوراد : « إن الموضوع مبتكر في العربية كما قال حضرة المؤلف لم نرَ لأحد كتاباً فيه ، وإن كنا قد طرقناه غير مرة في المقتطف فنشرنا فصلاً طويلاً في الانتقاد في المجلد الثاني عشر منه شغل ثماني صفحات ، وانتقدنا كتباً كثيرة كان جزاؤنا من أصحابها اللوم والتعنيف فعدلنا عن الانتقاد إلا في ما ندر » (المقتطف الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين ، مارس ١٩٠٧ ، ص ٢٤٥) .

يتألف كتاب منهل الوراد من ثلاثة أجزاء :

الأول قسمان أحدهما في تاريخ النقد وموضوعه (ويقع في ثمانية فصول) والآخر في قواعد النقـــد وفروعه ، وهو تتمة للقسم الأول (من الفصل الأول إلى الفصل الحادي عشر) .

والثاني في قواعد النقد وفروعه ، وهو تتمة للقسم الأول (من الفصل الثاني عشر إلى الفصل الرابع والعشرين) .

والثالث في موضوعات متفرقة : كتعريف الأدب عند العرب ، والنقد الأدبي ، وفن الروايات ، والتأليف ، ومراتب المؤلفين ، والتجديد والتقليد ، وتجرد الناقد ، وتحتم النقود ، والموازنة بين الالموبة الإلهية لدانتي ورسالة الغفران للمعري .

وقد قصرنا كلامنا في هذا المقال على الالمـام بما جاء في الجزء الأول والثـاني من الموضوعات أما موضوعات الجزء الثالث فستناولها بعد ذلك في مقال خاص .

٤ — تاريخ النقد

لتاريخ النقد عند المؤلف قسمان : أحدهما تاريخ النقد عنـد العرب ، والآخر تاريخ النقد عند سائر الأمم .

٤/١ — أما تاريخ النقد عند العرب فقد خصّه المؤلف بفصل واحد تكلم فيه بإيجـاز على القدامى والمحدثين ، فذكر من القدامى ابن قتيبة ، وابن المقفع ، وأبا فراس الحمداني والخوارزمي ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والآمدي ، وأبا الحسن علي بن عبد العزيز ، ومن المحدثين ناصيف اليازجي ، وبطرس البستاني ، وكرنيليوس فنديك ورفاعة الطهطاوي ، وأحمد

فارس الشدياق . وليس في هذا العرض التاريخي تحليل دقيق ولا إحاطة تامة بطرق هؤلاء النقاد وأساليبهم . وسبب ذلك أن البحث التاريخي عند المؤلف لم يكن مقصوداً بالذات ، بل كان مقصوداً بالعرض من جهة ما هو تمهيد للكلام على موضوع النقد . وربما كان خير معيـــار للحكم على قيمة هذا التحليل التاريخي موازنته بما كتبه المتأخرون عن النقد المنهجي عند العرب ، فان هذه الموازنة تكشف لنـا عن قصر باع الحمصي في كلامه على تاريخ النقد ومراحله . أضف إلى ذلك أن المؤلف كثيراً ما يطلق الحكم جزافاً ويستطرد في الكلام على الأدباء الذين نكبوا في الماضي وعوقبوا بالسجن أو بالرجم أو بالتمثيل . وغرضه من ذلك كله أن يثبت « أن العرب لم يحددوا للانتقاد رسماً ، ولا عرفوا له اسماً ، ولا اشتقوا من اسمه فناً ، وإن كان الانتقاد من الغرائز التي عرفوا بها في كل زمان ومكان ، حالهم كحال الطفل تدفعه الغريزة إلى الوقوف أولاً ثم المشي ، فلا يقف حتى يقعد ، ولا يمشي إلا ليقع ، ثم ينهض ليعود إلى عمله من السير على غير هدى ، فيسقط في حفرة قد تكون سبب هلاكه ، لأنه طلب الشيء قبل أوانه » (ص ١٠) ، وفي هذا القول كما ترى تعسف وجور ، لأنه إذا صدق على بعض النقاد القدماء فهو لا يصدق عليهم جميعاً ، وفيهم من وضع أساساً عاماً للنقد كعبد القاهر الجرجاني وغيره ، وان كان هذا الأساس لا يتضمّن جميع المقاييس التي اهتدى إليها المحدثون .

٤/٢ — وأما تاريخ النقد عند سائر الأمم فقد اختصه المؤلف بأربعة فصول ذكر فيهـا تاريخ النقد في القرون الوسطى والقرون الحديثة بكلام مقتضب تضمن بعض الأحكام الشخصية ، كإعجابه بالنقاد الفرنسيين ، وتفضيلهم على غيرهم من نقاد سائر الأمم ، واقتباسه بعض أقوالهم كقول (بوفون) : مرآة المرء انشاؤه ، وقول (سنت بوف) : ان النقد وسيلة للكشف عن

أخلاق الكاتب ومكنون فكره ، وغير ذلك كثير . ومع أن تاريخ النقد الفرنسي يمثل في نظر المؤلف تاريخ النقد العام عند سائر أمم أوربة (ص ٩٤) فانه لم يبحث في هذا التاريخ لذاته بل بحث فيه بالعرض من جهة ماهو وسيلة لاستقراء بعض قواعد النقد . مثال ذلك قوله :

« إن سر التأثير إعطاء المعاني حقها من الألفاظ وحسن التركيب والوزن والقافية والجمال الطبيعي » وقوله : « المراد بالجمال الطبيعي ... البعد عن التكلف والتمحل والتقليد ، ثم مطاوعة القريحة والجري مع الطبع » وقوله : « إن علم الأدب هو لسان حال المجتمع الإنساني ، وإن فن النقد معين لفن التاريخ » وقوله : « إن عماد النقد وأساسه الصدق » فهذه الأقوال كلها مقتبسة من أقوال النقاد الفرنسيين ليس للمؤلف فيها إلا فضل الاختيار والعرض والتفسير ، ومع أن المؤلف يحلل أمثلة من الأدب العربي للبرهان على صدق هذه الأقوال فان تحليله لايخلو من الضعف لتسرعه في الحكم والتعميم .

٥ — أركان النقد

ولعل أهم ما يتميز به كتاب « منهل الوراد » اشتماله على قواعد صورية وأحكام كلية تدل على أن علم الانتقاد ذو موضوع مستقل عن موضوعات سائر العلوم .

وحق هذا العلم أن يسمى بمنطق الانتقاد أو بفن الانتقاد ، لأن قواعده لا تعبر عما هو عليه الشيء في الواقع ، بل تعبر عما يجب أن يكون ذلك الشيء بالقياس إلى الصور الغائية المرتسمة على صفحات الذهن . ولا يمكن أن يصبح النقد علماً إلا إذا كانت هذه الصور الغائية التي يستمد منها العقل قواعد الترجيح والتقويم أشياء متحققة في الوجود ، وإلا إذا انقلبت قواعد

النقد إلى أحكام وجودية أو قوانين علمية تضبط علاقات الأشياء . وسواء أكان الحق والخير والجمال أشياء موجودة في الأعيان ، أم متصورة في الأذهان ، فإنَّ لها في نظر المؤلف خصائص يمكن التعبير عنها بقواعد أصلية مقررة عند جميع أمم الأرض كسائر العلوم العقلية ، وموضوعتها لا تختلف إلاّ في الفروع . ولتطبيق هذه القواعد في علم الانتقاد ركنان أساسيان ، وهما : النسبة ، وصدق الإرادة .

أما النسبة فالمقصود بها صحة نسبة الأشياء إلى الحقيقة لأن عماد النقد وأساسه الصدق ، وموضوعه قصد الحقيقة والتفتيش عن الحقيقة . وأما صدق الإرادة فالمقصود به الفهم والتفهم . وصدق الإرادة في علم الانتقاد كالجاذبية في علم الطبيعيات . قال المؤلف : إن « صدق الإرادة من المتعلم والسامع والكاتب والقارىء والمصور والناظر هي قاعدة التفاهم . فالمتعلم ينطق ليفهم ، والسامع ينصت ليفهم ، والكاتب يكتب ليبلغ مرامه ، والقارىء يقرأ ليعلم مقصوده ، والمصور يرسم ليكشف للمشاهد فكره وغايته ، والرائي يتأمل ليقرأ ما في نفس المصور . والغرض الذي يرمي إليه جميعهم هو التفاهم . فصدق الإرادة في الفهم والتفهم هو الكاشف لأسرار النفوس . وكلما عظمت إرادة المتكلم أو الكاتب في التفهيم وأوتي ذكاء اللب ، وصرفت إرادة السامع أو القارىء في قبوله كانت أقرب لنقد عواطفه وإدراك أسرار أخلاقه وآدابه » (ص : ١٢٧ — ١٢٨) .

٦ — قواعد النقد

لقواعد النقد عند المؤلف سلم ذو ثلاث درجات : وهي : الشرح ، والتبويب والحكم .

٦/١ — الشرح .

للشرح ثلاثة شروط وهي :

آ — الأول تحديد العلاقة بين المنقود وتاريخ العلوم الأدبية .

لا بدّ في الشرح من النظر في تاريخ العلوم الأدبية لمعرفة منزلة المؤلف بالنسبة إلى عصره ، هل كان مبدعاً أو مقلداً ، مجلياً أو مقصراً ، لأن لكل عصر مذاهب في العلوم والفنون . وما يعدّ عندنا مهملاً أو في عداد الخرافات قد يكون له بالنسبة إلى عصره قيمة كبيرة .

ب — والثاني تحديد علاقة التأليف بما كان من نوعه وبالزمان والمكان اللذين ظهر فيهما .

فاذا أردت أن تتكلم على التشريح فلا تملأ كتابك من المسائل المتعلقة بالتاريخ ، وكذلك إذا أردت أن تتكلم على البديع فلا تدخل فيه إلا ما تقتضيه طبيعة ذلك العلم . قال المؤلف : « لقد حشا الجاحظ كتاب البيان والتبيين بكثير من السفاسف ، كقوله : قال وقالوا ، وفلان بن فلان ، فما كان أغناه عن هذه العنعنة والاسناد ، وما الكتاب بكتاب حديث » . وقال أيضاً في كلامه على علاقة التأليف بالزمان والمكان : « كان الجاحظ والمبرد وابن قتيبة . من عصر واحد ، فلذلك كانت كتابتهم من طبقة واحدة . ومع أن أبا اسحق الصابي ، وأبا بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني كانوا من عصر واحد إلا أن اختلاف أسلوب الأول عن أسلوب الآخرين يرجع إلى تأثير المكان الذي عاش فيه » . فما على الناقد إذن إلا أن يدقق البحث في ذلك لأن الكاتب إنما يكتب ما يمليه عليه العصر من حوادثه وما تتلوه عليه العادات من تأثيراتها .

ج — والثالث تحديد العلاقة الكائنة بين الكاتب وإنشائه والمصنوع وصانعه . وسبب ذلك كما قلنا سابقاً أن مرآة المرء إنشاؤه . قلما يدل الإنشاء

على المنشئ كذلك تدل أحوال المنشئ على أسرار إنشائه . ولكن هذا القول لا يصدق دائماً لأن للكتاب أحوالاً متناقضة ، فأبو العتاهية كان زاهداً من جهة ، وطماعاً شديد الحرص من جهة ثانية . وبين مذهب ابن سينا المشتمل على فكرة الخير والنظام والعقل والكمال ، وحياته المفعمة بالاضطراب وحب المغامرت والتخليط في الشهوات تناقض حقيقي . لذلك وجب على الناقد أن لا يقصر نقده على كتاب واحد من كتب المنشئ ، لأن ذلك لا يدل على عواطف الكاتب وتأثير الأحداث فيه إلا عند تأليفه ذلك الكتاب . فاذا شئت أن تصل إلى الفائدة المطلوبة وجب عليك النظر في أكثر كتابات المؤلف والوقوف على جميع أحواله :

(١) كسنه عند تأليف كتابه .

(٢) وحالة دنياه من فرحٍ أو حزن أو فقر أو غنى .

(٣) وصحته ، هل كان سليماً أو سقيماً ، ضعيفاً أو قوياً ، عصبياً أو دموياً .

(٤) وأصله ، هل كان كريماً أو لئيماً أو من أواسط الناس .

(٥) وثقافته ، هل تلقى علومه في مدرسة أم هو ابن اجتهاده .

(٦) ومسقط رأسه ، هل المدينة التي نشأ فيها شمالية أم جنوبية ، هل هي شديدة البرد والحر ، أم معتدلة الإقليم .

(٧) ووضعه العائلي ، هل كان متزوجاً أم عزباً ، وهل كان له أولاد أم لا .

(٨) وما مرّ عليه من أحداث ، هل عشق ، وهل حزن على فقد عزيز أو مال .

(٩) وأخلاقه ، هل كان ممازحاً أم وقوراً ، هل كان يعاقر الخمرة أو يقامر ، هل كان شرهاً أم عفيفاً ، هل كان حليماً ومستقيماً أم كان ماكراً ومخادعاً .

فجميع هذه الأحوال التي ذكرها المؤلف في كلامه على الشرح لا يمكننا تطبيقها في الأدب العربي القديم بسهولة لجهلنا بالكثير من أحوال رجاله وملامحهم وأخلاقهم . دع أن المؤلف لم يشر في استقصائه لهذه الأحوال

إلى ما يحيط بالكاتب من أحوال العمران كطبيعة المجتمع ، ونظام الحكم ، والعادات ، والتقاليد ، والصراع الاجتماعي ، والأحوال الاقتصادية ، فإنّ لجميع هذه الظواهر تأثيراً في حياة الكاتب وهي وإن كانت لاتكفي لتعليل ما يتميز به الكاتب من القدرة على الابداع إلا أنهـا تساعد على الكشف عن الظروف الخارجية المحيطة به . أن نسبة قوة الابداع إلى عمل المؤلف كنسبة الروح إلى البدن ، فكما أن تشريح أعضاء البدن لايكفي للكشف عن الروح المحرِّكة له ، كذلك استقصاء التأثيرات المحيطة بالمؤلف لا يكفي لتعليل إبداعه .

٢/٦ — التبويب .

وأما التبويب وهو الدرجة الثانية في سلم النقد فالمقصود به تعيين باب الكتاب المنقود ، أو مؤلفه ، وتحديد مرتبته بين أمثاله . وسبيل التبويب الموازنة ، فهي الدليل الناطق والفاروق الصادق الذي يميز الفاضل والمفضول ولها عند المؤلف قسمان .

آ — الأول موازنة المنقود مع سواه من إنشاء المؤلف نفسه . والغرض منها أن نعلم هل الإنشاء إنشاء المؤلف أم هو إنشاء منتحل ادعاه لنفسه أو نسبه غيره إليه لغرض ما .

ب — والثاني موازنة المنقود مع غيره من شعـر ونثر أو تصوير أو غير ذلك مما هو من نوعه لمتفنن آخر أو أكثر ليتضح الفرق للناقد .

ج — وفي سبيل تطبيق هذه الموازنة يقسم المؤلف أبواب الشعر بحسب موضوعاتهـا اثنى عشر باباً مبتدئاً من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب . وهذه الأبواب هي : (١) الحماسة (٢) والحِكَمُ (٣) والعتاب (٤) والزهريات (٥) والغزل والنسيب (٦) والرثاء والتأبين والعـــزاء

(٨) والمدح والشكران (٨) والهجاء (٩) والوصف (١٠) والقصص (١١) والشعر التمثيلي (١٢) والشعر التخييلي .

وهو يصرح في الفصل الخامس من الجزء الثاني من كتابه بأن تبويب الشعر على هذا النحو الذي ذكره شيء لم يسبقه إليه أحد . ثم يذكر بعد ذلك أنواع الموازنة في كل باب من هذه الأبواب ، فيوازن في باب الحماسة بين سعد بن مالك ، وأبي فراس ، والمتنبي ، ويوازن في باب الحِكَم بين يزيد بن الحكم الثقفي ، والمتنبي ، والشيخ ناصيف اليازجي ، وفي باب العتاب بين معن بن أوس ، وأبي فراس ، وابن خفاجه الأندلسي والمتنبي والبحتري وفي باب الزهريات بين أبي تمام ، والبحتري ، وابن هانئ ، وذي الرياستين وهكذا دواليك . إلا أن موازنته في هذه الأبواب ولا سيما في باب الغزل والنسيب وباب المدح والشكران ، وباب الرثاء والعزاء ، وباب الهجو ، وباب الوصف لاتدل على سلامة ذوقه دائماً . نعم إنه يعلل تقدم المتنبي في وصف المعارك والوقائع الحربية بميله إلى السؤدد والمجد ، ويقدم معن بن أوس في العتاب والبحتري في الزهريات ، والمتنبي في الحكم ، إلا أن موازنته لاتخلو من الأحكام القاسية . كقوله في باب الهجو : « إذا جمع الشاعر في المهجو صفات ليست فيه كانت حاله كحال من أراد تصوير فرس قبيح فصوره حماراً ، وقال : انظروا ما أقبح هذا الفرس ، فيقول الناس : ما أشد حمق هذا الرجل ، ينظر الحمار فيحسبه فرساً ، فيكون بهجائه ذاك قد دعا الناس إلى هجاء نفسه » (الجزء الثاني ، ص ٤٤) .

٣/٦ — الحكم

وأما الحكم وهو الدرجة الأخيرة من سلم النقد فله خمس قواعد ، وهي (آ) نقد المقول والمصنوع (ب) نقد القائل والصانع (ج) نقد المتدل فيه والمحكي عنه (د) نقد الزمان (هـ) نقد المكان .

ب — نقد القائل والصانع :

وأما نقد القائل والصانع فله أيضاً ثلاثة أقسام ، وهي : معرفة ما يكرره الكاتب من القول ، ومعرفة ميوله وعواطفه ، ومعرفة غرضه .

أما التكرار فيدل على منازع القائل ، مثال ذلك أن المعاني التي يكررها عمر بن أبي ربيعة أدل دليل على مباهاته بجماله وتدلله بأصله ومنزلته ، لأن ما يقوله المحبون لمشوقاتهم قد جعله هذا الشاعر في أفواه معشوقاته خطاباً له .

وأما الميول والعواطف فهي كثيراً ما تبعد الكاتب عن الحقيقة وتوقعه في التناقض ، فلا يرى الخير والكمال إلا في ما يحبه ولا يرى الشر والنقص إلا في ما يبغضه كما فعل ابن شداد في كلامه على صلاح الدين الأيوبي في كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

وأما الغرض فهو بالنسبة إلى نقد القائل والصانع كالغاية بالنسبة إلى نقد القول والمصنوع ، إلا أن الغاية أعم والغرض أخص ، لأن الغاية هي ما تقدمها باعث أو دافع يدفعك إلى العمل بحكم الضرورة ، على حين أن الغرض شوق يحدث لك لعمل الشيء .

ج — نقد المقول فيه :

وأما نقد المقول فيه عاقلاً كان أو غير عاقل فينحصر في المقايسة . والمقايسة نوعان : لفظي ونظري . والمقصود باللفظي أن تكون الألفاظ متناسبة مع المعاني ، وأن تختلف الكتابة باختلاف المواقف والموضوعات . والمقصود بالمنوي اجتناب التناقض في عرض الأفكار .

د — نقد الزمان :

وأما نقد الزمان فالمقصود به معرفة العصر الذي ظهر فيه التأليف ،

وله أربعة أقسام : أولها التنقيب عن تاريخ الزمن الذي صنع فيه المنقود وثانيها الوقوف على علوم عصر الشيء المنقود وصناعاته ، وثالثها البحث عن نظام الحكم في عصر الشيء المنقود ، ورابعها الاطلاع على آداب ذلك العصر وأخلاق أهله ومعتقداتهم وملابسهم وأزيائهم وسائر أحوالهم في اجتماعاتهم ومجالس سرورهم وأعراسهم ومآتمهم وغير ذلك .

هـ — نقد المكان :

وأما نقد المكان فالمقصود به الاطلاع على البيئة التي عاش فيها المؤلف . وبهذا النقد قاعدتان : (الأولى) هي البحث عن مسقط رأس المتفنن وبيئته (والثانية) هي البحث عن طبيعة هواء تلك البيئة وموقعها الجغرافي . ولتوكيد ذلك كله يشير المؤلف إلى كلام ابن خلدون على تأثير الهواء في أخلاق البشر ، ويقول إن أهل الأقاليم المتدلة ألطف الناس نفساً ، وأشدهم ميلاً إلى العلوم والصنائع . وإذا كان أبو تمام والبحتري والمتنبي قد بزوا غيرهم من شعراء زمانهم فمرد ذلك إلى طبيعة بلاد الشام التي نشأوا فيها . ولا عجب أن يفيض صاحب « منهل الوراد » في مدح جهابذة بلاد الشام ويطنب في وصف علمائها وهو شامي المحتد ، حلبي الذوق ، اقليمي النزعة .

فأنت ترى أن المؤلف يصيب كبد الحقيقة في نقد الزمان والمكان ، إلا أنه يكرر في هذا النقد ما قاله في الشرط الثاني من درجة الشرح ، وهو بالاضافة إلى ذلك يسهب في ما لا طائل فيه من الأمور ، ويقحم المواقف المصطنعة ويبالغ في تبسيط الأمور حتى يفقدها روعتها وجمالها .

٤/٦ — بت الحكم :

ولا بدّ للناقد بعد ذلك كله من بت الحكم في المنقود ، فإن النقد لا يكون تاماً إلا إذا تضمّن حكماً على قيمة الشيء . لقد أنكر بعضهم ضرورة

بت الحكم في النقود لاعتقاده أن دقة الفكر توجب التريّث في الحكم والاعتماد على ذكاء القارئ في الاستنتاج . وهذا خطأ لأن من شروط العلم أن يبت العالم حكمه في ما يعرض له من المسائل . وإذا قلنا للمؤلف : ان هذه الأحكام نسبية ، قال : إن نسبيتها لا تمنع كونها مستندة إلى أساس طبيعي ، ولا يمكنك أن تقول إن هذه الأحكام مستندة إلى العادة ، في الأصل مبنية على الغريزة ، وإذا قلنا له كذلك : إننا لا نستطيع التسليم بوجوب بت الحكم في هذه الفنون لأنها ذوقية ، ولا جدال في الذوق ، قال : ليست هذه المسائل من الأمور المستعصية على الناقد إذا كان سليم الذوق ، نافذ البصيرة فما بالك إذا كانت المسائل الفنية خاضعة لأحكام العقل . وإذا قلنا له أخيراً : إن الناس يختلفون في الحكم على شؤون الفن ، وإنهم لو اتفقوا عليها لأضحى الفن علماً رياضياً أو منطقاً عقلياً ، قال إن في أذهان البشر صوراً غائية بالجمال والحق والكمال تقاس بها قيمة أعمالهم وأقوالهم ، وإن اختلفت مظاهرها باختلاف الزمان والمكان . ولولا ذلك لما أمكننا أن نقدر المضمون العقلي والنفسي والاجتماعي للآثار الفنية التي ننتقدها .

ولبت الحكم في نظر المؤلف قاعدتان : (الأولى) هي الترجيح (والثانية) هي التنزيل أما الترجيح فهو التمييز بين الفاضل والمفضول والحسن والأحسن .

وأما التنزيل فهو ترتيب الشيء وتحديد درجته وتعيين طبقة المتفنن ، وهذا لا يكون إلا على وجه التقريب وصيغة التشبيه .

ومعنى ذلك كله أن قسطاكي الحمصي يعتقد أن هناك قيماً عقلية وفنية وخلقية مشتركة بين جميع الناس أو أكثرهم ، ولولا ذلك لما صحّ بت الحكم .

٧ — شروط الناقد

يشترط في بت الحكم أن يكون الناقد صادقاً ، مجرداً من الأنانية ، بعيداً عن الهوى . وجماع ذلك كله :

١ — أن يكون الناقد خبيراً بما ينقده . فالمتبحر بالرياضيات لا يستطيع أن ينقد كتاباً في التاريخ ، والمتخصص في التاريخ لا يستطيع أن ينقد كتاباً في التشريح . الخ . .

٢ — أن يكون الناقد منصفاً في ما يقوله ، لا ينمط إحساناً ولا يموّه إساءة ، ولا يدّعي للمنتقد أشياء ليست فيه ، ولا يبخس المحسن أشياءه .

٣ — أن يتجافى عن الغلو في المدح والإطراء عند إبراز الحسنة ، وعن القدح والازراء عند إيراد السيئة .

٤ — أن لا يخلط بين ما يرى من صنع الشخص الذي ينتقده ، وما يعلم أو يظن من حالته في خاصة نفسه .

٥ — أن لا ينظر إلى ما بينه وبين من ينتقد كلامه من السوابق الشخصية من مودة وموجدة .

فإذا كان الناقد مقلداً أو خاضعاً لهوى النفس ، أو غير خبير بما ينقده ، ولم يوازن بين ما ينقده وما هو من نوعه ، ولم يكن على بينة من أمره في التفريق بين الصحيح والفاسد فإنّه في هذه الأحوال كلها يعد متعسفاً في حكمه متخبطاً في نقده . ولما كان من شرط الناقد أن يكون من مرتبة المنقود كان من الواجب عليه عند نشر انتقاده في مجلة أو كتاب أن يذيله بتوقيعه لمعرفة نسبته إلى المنقود ، لأن التصريح باسمه يوجب عليه التثبت في ما ينقده ويحمله على الوقوف عند حده ، فلا يجسر على التعرض لمن هو

أعلى منه قدراً ، وأوسع علماً ، وأرفع منزلة . أضف إلى ذلك أنه ينبغي للناقد أن لايخرج في نقده عن موضوع الكلام على الشيء المنقود ، وأن لا يقدم على الانتقاد إلا بعد أن يطلب من نفسه ما يطلبه من الناس .

٨ — فوائد النقد

للنقد في نظر قسطاكي الحمصي ثلاث فوائد ، وهي :

١ — كشف أسرار الكاتب ، والوقوف على أخلاقه وميوله ، والاطلاع على المستور من أحواله .

٢ — منع الفوضى ، ولجم الألسنة عن الهذيان ، وسن شرع قويم لكل كاتب عماده احترام القاري ومكافحة المشعوذين من باعة الكلام ، والقضاء على الدعاية الكاذبة لبعض الآراء التافهة .

٣ — إدراك أوجه الجمال في الكلام .

ومع أن للنقد فوائد كثيرة غير هذه لم يصرح بها المؤلف فان علم الانتقاد في نظره علم طبيعي ذو قواعد ثابتة وفوائد عملية محققة . وإذا كان علم الطبيعيات يقوم على ملاحظة الظواهر الطبيعية لضبط الشروط والأوقات التي تجري فيها ولفصل ما كان جوهرياً منها عما كان عرضياً ، فإن علم الانتقاد يقوم على نقد الآثار الإنسانية عقلية كانت ، أو خلقية ، أو فنية لإرشاد الطالب إلى الطريق الواضح والمنهج المستقيم المؤدي إلى ترقية العلوم وتهذيب الأخلاق وتحقيق الجمال ، فنقد العلم وسيلة للكشف عن الحقيقة ، ونقد الأخلاق وسيلة لتعميم الخير ، ونقد السياسة وسيلة لنشر العدل وتأييد العمران وتشييد أركان الحضارة .

٩ — خاتمة

تلك هي قواعد النقد وفوائده ، ووسائله وغاياته ، وهي توجب على الناقد أن يكون ذا روح حي فلا يسلم بصحة قول دون السؤال عن قيمته من ناحية مضمونه وأصالته وصدقه ونسبته إلى غيره لإخراج الزيف منه وغايته هي التقويم أي إبراز المحاسن ، والمساوىء ، والمقارنة بينها . وجماع ذلك كله تحديد العلاقة بين الكاتب وإنشائه ، وموازنة الكتاب المنقود مع غيره ، ونقد القول والقائل والقول فيه ونقد الزمان والمكان ، وبث الحكم .

لا شك أن موضوع هذا الكتاب مبتكر في العربية وإن كان الكتّاب المعاصرون قد طرقوه ، أو طرقوا بعض أجزائه . مثال ذلك قول صاحب المقتطف : « الانتقاد هو النظر في ما يكتبه الكاتب لإظهار مليحه وقبيحه قصد تقديره حق قدره ، وتنبيه الكاتب إلى ما أحسن فيه ليزيده حسناً ويرقيه كمالاً وإلى ما أخطأ فيه ليصححه ، وما قصّر فيه ليكمله »(١) . وقال أيضاً : « الانتقاد فن مداره على الفنون الجميلة خصوصاً وسائر الفنون والعلوم عموماً ، وهو ضروري لترقية علوم البشر ، وفنونهم ، وصناعاتهم ، وعاداتهم ، ونحوها . والغرض منه بيان ما قرب من غاية الجمال والكمال ومدحه وتحسينه حتى يراه كل طالب وما بعد عن تلك الغاية وذمه وتهجينه ليجتنبه الطالب »(٢) وقال أيضاً : « وإذا علمت أن للبشر صوراً غائية للجمال والكمال والجلال ليقاس بها جمال أعمالهم وكمال أقوالهم وأفعالهم ، وأن الغرض من الانتقاد حثهم على البلوغ إلى تلك الصور الغائية علمت أن الفائق في الانتقاد فائق

---

(١) راجع مجلة المقتطف ، الجزء الثالث من المجلد الثاني عشر ، سنة ١٨٨٧ ، ص ١٦٢ .
(٢) المصدر نفسه .

في أمرين : قوة التمييز والفكر ، وسمو الصورة الغنائية المرتسمة على صفحات ذهنه »[١] . وقال أخيراً : « يجب أن يكون الناقد بصيراً خبيراً ، يتحرى الصدق في القول ، والإخلاص في النية ، منصفاً ، عادلاً ، باحثاً ، منقباً ، قاصراً النظر على ما قيل ، مغضياً عمن قال ، راغباً في إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل لترقية العلوم وإعلاء الآداب والفضائل »[٢] .

وليس في ما قاله صاحب « منهل الوراد » زيادة على ما قاله صاحب المقتطف في التعريف بالنقد وفائدته وبيان ما ينبغي للناقد أن يتقيد به من الشروط في بت الحكم . كلاهما موسوعي النزعة علمي الطريقة كأكثر رجال القرن التاسع عشر الذين يقررون أن صور القيم الإنسانية خاضعة لأحكام العقل . إلا أن الأمر الذي يتميز به صاحب كتاب منهل الوراد هـو استقصاؤه لقواعد النقد وجمعها في علم واحد أطلق عليه اسم علم الانتقاد . وإذا كان النقاد كما يقول (فلوبر) نحويين في زمن (لاهارب) ومؤرخين في زمن (سنت بوف) فإن صاحب كتاب منهل الوراد يريد منهم أن يكونوا علماء يحللون الأثر الفني تحليلاً دقيقاً للكشف عما يستمده من التاريخ والطبيعة وينقدون مضمونه نقداً عقلياً للكشف عما ينطوي عليه من العناصر .

والدليل على ذلك أن أحسن الشعر في نظر المؤلف ما أمكنك حله وقلبه إلى نثر لا يفقده روعته وجماله فإذا فقد روعته بعد الترجمة أو التحليل فاحكم عليه بأنه شعر تافه .

إن سر التأثير رهن بسمو المعاني وجمال الألفاظ معاً ، فكأن للأدب صورة ومادة ، روحاً وجسماً . أما الروح فهي المعاني واتساقها ، وأما الجسم

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر نفسه .

فهو الألفاظ وتراكيبها ، وكما لا يمكنك فصل الروح عن الجسم في الكائنات الحية ، فكذلك لا يمكنك فصل المعنى عن اللفظ في الأدب ، لأن الألفاظ المنفصلة عن المعاني أشباح بلا أرواح . ومع أن للفظ عند قسطاكي الحمصي رمز للمعنى أو وسيلة للتعبير عن الفكرة والعاطفة ، فإنّ هـــذه الوسيلة لا تستمد بلاغتها إلا من كونهـا واضحة الدلالة . فرب وسيلة كانت أقرب إلى تحقيق الغـاية من غيرها ، بل رب وسيلة كانت جميلة وأخرى كانت قبيحة ، ومعنى ذلك كله أنه لا بد في الأدب من الجمع بين الصورة والمادة بين الروح والجسم ، وبين الجوهر والعرض ، فليس يصح إذن تقديم المعنى على اللفظ ولا اللفظ على المعنى ، وإنما يجب الجمع بينهما في وزن واحد من الاتساق . قال قسطاكي الحمصي : « فالكلام إما أن يكون صحيح المعنى فاسد التعبير ، وإما أن يكون صحيح التعبير فاسد المعنى ، وإما أن يكون فاسدها معاً وصحيحها معاً » وهذا النوع الأخير من الكلام هو النوع المفضل عنده وإذا كانت المعاني هي المواد الأولية التي يصوغها اللفظ فإن الألفاظ كثيراً ما تنير الرؤى وتوضحها ، وترمز إلى أكثر مما يراه المرء بعينيه ، أو يسمعه بأذنيه ، وتدعوه إلى التفكير في ما يعتقده ويراه ، حتى إذا انتهى من قراءتهـا خيل إليه أنها تعبر عن عالم أوسع من عالمه الحقيقي ، وهذا كله يدل على أن وظيفة الألفاظ لا تنحصر في تثبيت المعاني ، بل تشتمل أيضاً على قوة الإيحاء بها .

وبعد فان كتاب « منهل الوراد » لم يحظ في الأدب العربي الحديث بمـا حظي به غيره من العناية ، لا لتقصيره في التعريف بجوانب النقد ، أو لتقصيره في تطبيق قواعده تطبيقاً محكماً ، بل لتسرّع مؤلفه في تشييد بناء شاهق لم تتوافر لديه جميع عناصره . ومع أنه أول كتاب حاول تقييد قواعد النقد بأحكام

العقل فان النقاد الذين جاؤا بعده لم ينهجوا نهجه لإكمال ما قصر فيه . وربما كان لتغلب الاتجاه الذاتي على الاتجاه الموضوعي في النقد الأدبي الحديث أثر في تغطية مجهود الحصي بأغطية التغافل ، فان كتابه لم يحظ في زمانه بناقد يبرز محاسنه . وما كتبه هو نفسه عن نفسه في كتابه « أدباء حلب ذوو الأثر » وما كتبه عنه بعد ذلك سامي الكيـالي في كتاب الحركة الأدبية في حلب والدكتور محمد زغلول سلام في كتاب النقد العربي الحديث ، أصوله وقضاياه ومناهجه ، والدكتور اسحق موسى الحسيني في كتـاب النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين وغيرهم ، كل ذلك لم يكشف عن ميزة هذا الرجل ، وإن أدّى توجيه الأنظار إليه . لقد قال الدكتور إسحق موسى الحسيني في تعليقه على كتاب منهل الوراد :

١ — إن فيه عيوب البداية من فوضى وسطحية واستطراد ونقل وتعميم .

٢ — وانه متأثر بالأفكار الفرنسية كثير النقل عنها .

٣ — وإنه خال من تقسيم الأدب إلى أنواعه الأولية من شعر وقصة وأقصوصة ومسرحية وترجمة ومقال ، وهو المذهب الحديث في النقد .

٤ — وانه نظر إلى النقـد من زاوية كبيرة تخلط بين النقد الأدبي ، والنقد العلمي ، والنقد التاريخي ، والنقد الموضوعي .

٥ — وزعم أن للنقد قواعد وأحكاماً قامت على أساس لا يتزعزع ولا يتبدل ولا يقبل التغيير في كل زمان ومكان . وهذا غلوّ ولذا عده علماً ، وما هو بعلم بل هو فن يخضع لتطور الذوق والعصر .

٦ — وله فضل السبق في الأدب الحديث وفيه فوائد لا سيما ما يتعلق بالموازنة بين فنون الشعر .

٧ — وان خير معيار للحكم عليه موازنته بما كتبه أحمد أمين في النقد الأدبي أو بما ترجم عن اللغات الأجنبية ، فهو يبدو بداية أولية تدخل في أواخر القرن التاسع عشر حين كان النقد في أول مراحله في العالم العربي . ولكنه مع ذلك أول كتاب في الوضوع .

وهذا كله حق ، إلا أن الحكم النهائي على قيمة هذا الكتاب يوجب التفريق بين فن النقد العام من جهة ما هو صناعة نظرية تشمل جميع جوانب النشاط الإنساني ، وبين فن النقد الأدبي من جهة ما هو جانب واحد من جوانب النقد العام . وإذا كان صاحب « منهل الوراد » قد قصّر في النقد الأدبي وأهمل الكثير من جوانبه لجهله بالمذاهب الحديثة في النقد ، فرد ذلك إلى طموحه في الطلب ، وإلى اعتقاده أنه يستطيع أن يكون فيلسوفاً ، وما هو بفيلسوف . لقد كان النقد عند قدماء الفلاسفة قسماً من المنطق ، وهو النظر في القول أو الفعل لتقدير نسبته إلى الحق والخير والجمال . ومعنى ذلك أن التقديس حكماً فقط ، وإنما هو حكم على حكم . وليس في كتاب « منهل الوراد » ما يدل على أن المؤلف استطاع أن يستوفي قواعد فن النقد العام من جهة ما هو مذهب فلسفي ، أو تحقيق تاريخي ، أو طريقة علمية . فالنقد الفلسفي وسيلة لمعرفة قيمة المعرفة وقيمة الفعل . والنقد التاريخي وسيلة لتمحيص الأخبار ، وتعليل الوقائع ، والنقد العلمي وسيلة للكشف عن قوانين الطبيعة . ومهما يكن من أمر فاننا لا نستطيع أن نطلب من قسطاكي الحمصي ما نطلبه من أحمد أمين وشكري والمازني والعقاد ونعيمة وطه حسين ومحمد مندور وعبد المنعم خفاجي ، ومحمد خلف الله ، وشوقي ضيف وغيرهم ، فقد يغتفر في الابتداء ما لا يغتفر في الانتهاء . وقد يميز الشعر كما قال (ابن رشيق) من لا يقوله ، كالبزاز يميز من الثياب

ما لم ينسجه والصيرفي يميز من الدنانير ما لم يسكبه . ومع ذلك فان قسطاكي الحمصي الناقد شارف الابداع على طريقته ، وإذا قيل إن الناقد أقل إبداعاً من الشاعر والكاتب ، وانه لو استطاع أن يكون مبدعاً لما اختار لنفسه صفة الناقد الذي يكتفي بتحليل آثار غيره ، قلنا إن في هذا القول غمطاً لقيمة النقد ، لأن النقد لا يخلو من الإبداع . وليس كل كاتب بقادر على النقد . ولو أوتي قسطاكي الحمصي من القدرة على التحليل ما تميز به من القدرة على التركيب لشارف الإبداع الأدبي ، وعذره أنه كان أول من حاول في الأدب العربي الحديث إقامة فن النقد على قواعد ثابتة ، ولا يشترط في واضع أسس الفن أن يستوفي جميع مسائله .

جميل صليبا



النظم القرآني

تركيب الآية والجملة في القرآن الكريم

يُعنى الباحثون في الدراسات اللغوية في العصر الحديث بطرائق تركيب الكلام في كل لغة ، وتطور هذه الطرائق خلال عصورها المتعاقبة ، فيدرسون أساليب اللغة في ربط أجزاء الجملة ، وربط الجمل بعضها ببعض ، والصلة بينها وبين ما يقابلها من الدلالات والمفاهيم ، وارتباط هذه المفاهيم في أذهان أهل اللغة ، وهو ما يطلق عليه علماء فقه اللغة الفرنسيون لفظ Syntaxe ، ويقابلها في العربية نظم الكلام . وقد استعملها أسلافنا في مثل هذا الموضع للنثر كما استعملوها للشعر . وهذه المباحث موزعة في العربية بين علم النحو والمعاني ؛ فبحث تقديم الخبر على المبتدأ وبحث الجمل الشرطية والموصولة (صلة الموصول) ومواطن استعمال صيغة المضارع للماضي والماضي للمستقبل من أبحاث النحو تدخل في هذا الباب ، وبحث التقديم والتأخير في علم المعاني والإطناب والإيجاز وأساليبها والقصر وضروب استعمال الاستفهام لأغراض متنوعة ، ومواطن الحذف والذكر وغير هذه من الأبحاث تدخل كذلك في باب نظم الكلام . وقد عني النقاد وأهل الفن في هذا العصر كذلك بنظم الكلام وأساليب تركيبه ، وكان هدفهم من هذه العناية تلمس الجمال الأدبي في تلك الأساليب وفتشوا عن التراكيب التي تحقق لهم حلاوة النغمة وجمال الجرس أو المقابلة بين أصوات الحروف والمدود في تأليفها ، والموضوع الذي تدل عليه وتعبر عنه بحيث يُقابل الجرس القوي والنغمة الشديدة شدة الصورة

أو الفكرة ، والنغمة الناعمة المنسابة والجرس الهادئ ، المشهد الحلو الجميل ، والصورة المحببة ، والفكرة العذبة ، والتأمل الهادئ العميق .

ولا يزال مجال البحث في نظم الكلام وتركيبه في اللغة العربية نظرياً ، واعتباره في النصوص الأدبية خلال العصور رحباً واسعاً لقلة من مالوا إليه وانصرفوا إلى العناية به . وقد جذبني هذا الاعتبار في أثناء دراستي وتدريسي للتفسير الأدبي لكتاب الله العظيم ، وكنت ألاحظها وأقف عندها في قراءتي وتأملي لآياته . وقد ضمنت كتابي (من منهل الأدب الخالد . دراسة أدبية لنصوص من القرآن) بعض هذه الملاحظات في معرض شرح بعض السور والآيات التي شرحتها فيه ، وقد رأيت من المفيد جداً سواء في الدراسات اللغوية أم في الدراسات القرآنية ، إفراد هذا الموضوع بالبحث والانطلاق بعد ذلك للتوسع فيه توسع تعمق بالنسبة إلى القرآن الكريم ، وتوسع امتداد إلى نصوص العربية في مختلف عصورها بعد ذلك . وليسمح لي القارئ أن ألقي بين يديه بداية مختصرة ونماذج يقاس عليها ويضاف إليها .

١ ــ الجملة والآية :

الجملة هي الوحدة الأساسية للكلام عند النحاة . أما الآية فهي الوحدة التي يتألف منها النظم القرآني ولذلك فهي شيء آخر مختلف عن الجملة لأنها ليست وحدة معنوية أو نحوية وإنما هي الوحدة الفنية أو اللبنة التي يتألف من أمثالها صرح هذه المعجزة البيانية الإلهية التي هي القرآن .

ولهذا فقد تكون الآية جملة تامة وقد تكون جزءاً من جملة أي إن الجملة تتألف من عدة آيات وقد تشتمل الآية الواحدة على جمل متعددة .

الأصل أن الآية وحدة ترتيلية أي أن القارئ يقف عند فواصلها إلا في حالات قليلة محدودة لا يجوز فيها الوقف لإخلاله بالمعنى كقوله تعالى « فويل

للمصلين -- الذين هم عن صلاتهم ساهون » أو لأن الوصل أحسن وأفضل ، ويقف القارئ في آخر الآية ولو كان الكلام متصلاً والمعنى متسلسلاً إذا لم ينشأ عن هذا الوقف تغيير في المعنى ، وهكذا تكون الآيات فقرات من الكلام يرتلها القارئ ويستريح بعدها قليلا ، ثم يتابع التلاوة ويتصل المعنى في ذهنه وفي ذهن السامع .

(أ) فمن أمثلة الجملة التي تتألف من آيات النماذج التالية :

« فأما من أعطى واتقى ● وصدق بالحسنى ● فسنيسره لليسرى » ثلاث آيات في جملة واحدة .

« وأما من بخل واستغنى ● وكذب بالحسنى ● فسنيسره للعسرى » ثلاث آيات في جملة واحدة .

« إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ● والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ● والذين هم بربهم لا يشركون ● والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ● أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » (المؤمنون ٥٧) وهي تتألف كما ترى من خمس آيات والمبتدأ في الآية الأولى والخبر في الخامسة .

فالآية هنا جزء من جملة ولا يتم المعنى إلا في عدة آيات ، وإن كان القارئ يقف في آخر كل آية وقفة استراحة أو وقفة ترتيل لا وقفة انتهاء المعنى .

(ب) وقد تكون الآية جملة تامة مستقلة كقوله تعالى : وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر » .

وكقوله تعالى : « وبنينا فوقكم سبعاً شدادا ، وجعلنا سراجاً وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » وإن كانت هذه الجمل أو الآيات تتتابع وتتعاطف .

(ح) وقد تتألف الآية الواحدة من عدة جمل متعاطفة أو متداخلة بحيث تؤلف تركيباً بنائياً لا تقبل أجزاؤه الانفكاك ، وستأتي نماذج من هذا النوع في خلال الكلام على الآيات الطويلة ، ومن هذا النوع قوله تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » (الحجرات ١٣) .

وقوله « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (آل عمران ١٠٤) وبعض الآيات طويلة جداً وقد تجاوزت عشرين جملة في آية الدين في آخر سورة البقرة عدا الجمل الفرعية التي تضمنتها .

طبيعة الآية وخصائصها :

ومما تقدم يتبين أن تقسيم الكلام القرآني إلى آيات هو غير تقسيم الكلام إلى جمل ، فالآية هي جزء من الكلام يستقل من حيث الترتيل لا من حيث المعنى فهي وحدة ترتيلية فنية . وهي تقابل الشطر أو البيت في الشعر ، مع أن القرآن ليس بشعر ، ولا يقابلها أي شيء في النثر . ولا علاقة لها بالسجع والكلام المسجوع كما سيتبين معنا في الكلام عن نغمة الكلام في القرآن وجمال الترتيل والموسيقى . ويجدر بنا لنعرف تنوع موسيقى القرآن ونغمته بتنوع الأفكار والمعاني أن ندرس تركيب الآية وأنواعها من حيث التركيب .

تركيب الآيات :

قد تكون الآية كلمة واحدة وأكثر ما تكون كذلك في أوائل بعض السور للإثارة ولفت النظر والمباغتة ، وذلك مثل قوله (الحاقة) و (القارعة) (والطور) . وقد تتألف من كلمتين كالآيات الثلاث من سورة الطور هذه (وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور) وكذلك هذه السورة الأخرى التي تبتدئ بكلمة واحدة ثم تتتابع السورة كلمتين كلمتين ثم ثلاث كلمات ثم أربعاً ثم خمساً وهي سورة الرحمن :

« الرحمن . علّم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان . الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . والسماء رفعها ووضع الميزان . ألاّ تطغَوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » .

وتركيب الآية القرآنية مرتبط بتركيب الجمل ولذلك كان من الضروري دراسة الجملة القرآنية وأنواعها من حيث التركيب والتأليف وهو ما سنفعله في بحثنا هذا :

في القرآن الكريم أنواع كثيرة من التراكيب تتدرج من الجملة البسيطة القصيرة التي تقتصر على أبسط عناصرها إلى الجملة المركبة الطويلة المؤلفة من عناصر متعددة بينها ترابط وتشابك ، ونقدم نماذج من هـــذه الأنواع فيما يلي :

١ ــ الجملة البسيطة القصيرة :

ومن هذا النوع قوله تعالى في سورة النجم : « وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى . وأن عليه النشأة الأخرى . وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى . وأنه أهلك عاداً الأولى . وثمود فما أبقى » .

وكذلك قوله تعالى في سورة الشعراء :

« واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدوٌّ لي إلا ربَّ العالمين . الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ... » .

فالمتأمل لهذه الآيات يجد أنها مؤلفة من جمل قصيرة مقتصرة على عناصرها الأساسية من الفعل والفاعل والمفعول به أو المجرور من غير تعدد هذه العناصر ، مع مراعاة التناسق وجمال النغمة .

٢ ـ الجملة البسيطة الطويلة :

ويتألف هذا النوع من الجمل من جمل قصيرة بسيطة متصلة مرتبط بعضها ببعض بالعطف أو غيره ، كأن تصل بينها لام التعليل ، أو تكون الثانية نعتاً للسابقة أو لجزء منها وهذه نماذج من هذا النوع :

قال تعالى : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه / إني لكم نذير مبين . أن لا تعبدو إلا الله / إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه / ما نراك إلا بشراً مثلنا / وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي / وما نرى لكم علينا من فضل / بل نظنكم كاذبين . » (سورة هود)

هذه آيات ثلاث كل آية منها تتألف من عدة جمل قصيرة بسيطة يتصل بعضها ببعض فيتألف منها جملة طويلة ، ولكنها بسيطة التركيب غير متداخلة العناصر . ومثلها قوله تعالى في السورة نفسها :

« ويصنَع الفلك / وكلَّما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه / قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون . »

وفي سورة فصلت : « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه / وفي آذاننا وقر / ومن بيننا وبينك حجاب / فاعمل إنا عاملون . »

ومثلها قوله تعالى في سورة النحل « وهو الذي سخر البحر / لتأكلوا منه لحماً طريا / وتستخرجوا منه حلية تلبسونها / وترى الفلك مواخر فيه / ولتبتغوا من فضله / ولعلكم تشكرون » .

وهذا النوع من الآيات التي تتألف كل آية منها من جملة طويلة ولكنها ذات فقرات قصيرة ، أو بتعبير آخر ينشأ طولها من اتصال جمل قصيرة بسيطة ، إن هذا النوع كثير في القرآن وله نغمته الخاصة وطابعه الخاص ، وهذه أيضاً نماذج من هذا النوع نفسه :

« أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب / تجري من تحتها الأنهار / له فيه من كل الثمرات / وأصابه الكبر / وله ذرية ضعفاء / فأصابها إعصار / فيـــه نار / فاحترقت / كذلك يبين الله لكم الآيات / لعلكم تتفكرون . » البقرة ٢٦٦ .

« الله نور السماوات والأرض / مثل نوره كمشكاة فيها مصباح / المصباح في زجاجة / الزجاجة كأنها كوكب دري / يوقد من شجرة مباركة / زيتونة لا شرقية ولا غربية / يكاد زيتهـا يضيء / ولو لم تمسسه نار / نور على نور / يهدي الله لنوره من يشاء / ويضرب الله الأمثال للناس / والله بكل شيء عليم .

٣ ــ الجملة الطويلة المسلسلة :

بعض الآيات القرآنية تتألف من جمل مترابطة مسلسلة تتصل أجزاؤها وجملها الصغيرة بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ، فلا يمكنك أن تقطعها إلى جمل منفصلة مستقلة ، والترابط بينها أشد من مجرد العطف ، وليس هو مجرد التصاق وتعاقب ، وذلك كآية الدين في آخر سورة البقرة وهي قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً ، أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه

بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء . . . . . . (سورة البقرة)

وتستمر الآية هكذا متسلسلة متصلة حتى تبلغ صفحة كاملة ، أو خمسة عشر سطرا ، ويلاحظ فيها اتصال المعاني من غير تشابك أو تداخل بين عناصر الجمل ، ومثلها قوله تعالى في سورة الحج : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

فهذه آية واحدة وفكرة واحدة متسلسلة المعاني وتنتهي بشاهد أو مثل ، وكذلك تركيبها ونظم الكلام فيها فهو يشتمل على النداء والشرط والتعليل والعطف .

٤ — الجملة الطويلة المركبة :

وهي تختلف عن النوع السابق بأنه لا يمكن تقسيمها إلى فقر منفصلة لأنها متشابكة العناصر لا ينفصل أولها عن آخرها ، ولا يفهم معناها إلا إذا قرئت كلها جملة واحدة فقد يكون المبتدأ في أولها والخبر في آخرها أو العكس مع تعدد العناصر المعطوف بعضها على بعض كقوله تعالى :

« إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابّة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون . » سورة البقرة .

فقد جاء الخبر المقدم في أول الآية والمبتدأ في آخرها ، وبينها كلام طويل تضمن عناصر متعددة : خلق السموات والأرض ، اختلاف الليل والنهار ، الفلك التي تجري في البحر . . .

وهذه العناصر نفسها يتألف كل منها من مضاف ومضاف إليه ، والمضاف إليه نفسه متعدد أيضاً أو يتألف من اسم موصول مع جملة هي صلته تعطف عليها جمل أخرى .

ومن هذا النوع جمل أو آيات تتألف من شرط وجوابه وتتعدد فيها العناصر كذلك كقوله تعالى :

« قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم وعشيرتكم ، و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها ، و مساكن ترضونها ، أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » (التوبة) فهذه الآية تتألف من جملة طويلة مذيلة بجملة كما يلي :

١ — جملة قل مع مقول القول المذيلة في آخرها بجملة والله لا يهدي القوم الفاسقين .

٢ — مقول القول يتألف من جملة شرطية .

٣ — الجملة الشرطية يتألف فيها الشرط من جملة كان واسمها وخبرها .

٤ — اسم كان (المسند إليه) يتألف من ثمانية عناصر أو أسماء معطوف بعضها على بعض ، خمسة منها مفردة وثلاثة موصوفة بجمل .

٥ — خبر كان اسم تفضيل متبوع بثلاثة أسماء : أحب إليكم من . . . .

٦ — جواب الشرط (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) يتألف من جملتين

٧ — وأخيراً جملة تذييلية منفصلة مناسبة لفكرة الجملة المذيّلة .

ومن نماذج هذا النوع من الآيات ما اشتمل على اعتراض أو جملة اعتراضية قد يقصر كقوله تعالى :

« وإذا بدلنا آية مكان آية — والله أعلم بما ينزل — قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . »

وقد يطول كثيراً حتى لا يكاد القارئ يفهم جملة المعنى إلا بعد التأمل التمهل وقد يكون ذلك في عدة آيات تتألف منها جملة واحدة وفكرة واحدة ، تتخللها جمل اعتراضية تطول أيضا ، وإليك هذا النموذج النادر في قوله تعالى والكلام عن بني إسرائيل :

فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ● وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما ● وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله _ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ● بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما ● وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا _ ● فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ● وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما ● (النساء ١٥٦)

وأصل الكلام : حرمنا على الذين هادوا (اليهود) طيبات أحلت لهم بسبب نقضهم الميثاق وكفرهم ... وقتلهم الأنبياء ... وقولهم ... وكفرهم وقولهم على مريم ... وقولهم إنا قتلنا المسيح _ وهنا يأتي كلا معترض طويل في ثلاث آيات » وبظلمهم وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس » .. وسنعود إلى الكلام عن هذا النوع الفريد الذي يلفت نظر الباحث اللغوي ويسترعي اهتمامه ويثير تطلعه .

ويتصل بموضوع أنواع الجمل وطرائق تركيب الكلام الذي تتألف منه الآيات القرآنية موضوع الترتيب ، أي ترتيب عناصر الكلام وأجزاء الجملة تقديماً وتأخيراً ، وموضوع طريقة صوغ الكلام وتركيبه في القرآن الكريم ، وسنتناول هذين الموضوعين بإيراد بعض الملاحظات بإيجاز .

الترتيب :

لقد بحث علماء البلاغة في علم المعاني موضوع التقديم والتأخير والأسباب الدافعة إلى ذلك سواء أكانت معنوية ، أي لاعتبارات تعود إلى المعنى كالتشويق أو العناية والإشادة ، أو القصر والحصر ، أم فنية تعود إلى جمال الصياغة وحسن الجرس وحلاوة النغم ، وإليك نماذج من الآيات التي حصل فيها تقديم وتأخير يخالف الترتيب النحوي المعهود ، ولاحظ ما يكسب ذلك الكلام من ناحية المعنى أو من ناحية جمال اللفظ :

« قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيها الجاهلون » والأصل أن تقول : قل أيها الجاهلون أتأمرونني أن أعبد غير الله .

« ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقد تأخر الفاعل في الجملة إلى آخرها .

« ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » وقد أخر الفعل إلى آخر الجملة ، وكثيراً ما يكسب الترتيب الكلام حلاوة في النغم بالاضافة إلى ما يفيده من معان أخرى ، كالاهتمام أو المفاجأة أو التشويق ، ويظهر ذلك واضحاً في الآيات التالية :

« واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » وهو اوقع وأقوى تأثيراً في نفس السامع من قولنا فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة ، وكذلك قوله تعالى :

« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » بدلاً من ناظرة إلى ربها .

وقوله : « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه » بدلاً من ثم صلوه الجحيم .

وقوله : « إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم » .

الصياغة والتركيب :

إن المعنى الواحد يمكن أن يؤدى في اللغات الراقية في صيغ متعددة ويمكن أن يؤلف الكلام في صور شتى تختلف في تراكيبها وأساليب تأليفها وكثيراً ما يعدل عن الطريق المألوفة في التركيب المعتاد والتأليف المعهود لأهداف فنية ومقاصد بلاغية ، وهذه نماذج من آيات الكتاب الكريم يلاحظ فيها جمال التركيب غير المألوف : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » .

والتركيب النحوي العادي يقتضي أن تقول : وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل قواعد البيت فجاء في الآية (القواعد من البيت) بدلاً من قواعد البيت وفرق بين إبراهيم وإسماعيل لينتهي الكلام بلفظ إسماعيل ، وتتوازن أجزاء الكلام من حيث الجرس والنغمة .

وكذلك قوله تعالى « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فصيغ الجزء الأول من الكلام (الخوف) صياغة اسمية ، والجزء الثاني (الحزن) صياغة فعلية ، ولو صيغ كلاهما صياغة اسمية (لا حزن عليهم ولا خوف) أو صياغة فعلية (لا يخافون ولا يحزنون) لما كان للكلام هذا الوقع الجميل .

واستمع إلى قوله تعالى :

« ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » .

وقوله « كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا » .

فكلا الآيتين تفيد نفي السمع والإبصار عنهم ولكن المعنى صيغ في صياغة أجمل وأوقع من قولنا (لا يسمعون ولا يبصرون) مع تنوع الصياغة في

الآيتين . ومن التراكيب التي تلفت النظر في القرآن الكريم تكرار أول الآية حينما يطول الكلام ، كقوله تعالى « إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .

ولو أنك قرأت الآية من غير هذا التكرار للفظ (رأيتهم) لشعرت بالفرق الكبير بين جمال نغمة الآية وقوة تعبيرها عن المعنى وضعف الجملة بعد الحذف .

ومثلها قوله تعالى :

« إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » وقوله « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » .

وقد عني علماء البلاغة في علم المعاني بالبحث عن كثير من طرائق تأليف الكلام وتركيبه فبحثوا في أساليب الإطناب وهو تفصيل الكلام ، وأساليب الإيجاز ، وفي التقديم والتأخير ، ولكننا نرى أن المجال لا يزال واسعاً أمام من يريد البحث في أساليب النظم القرآني بحثاً مستقلاً .

فوائد البحث في أنواع الجمل وأساليب التركيب في الآيات القرآنية :

إن ما قدمناه من الكلام في تصنيف الآيات والجمل القرآنية وما يتبع ذلك من البحث في الترتيب والتركيب له فوائد عديدة . (فمنها) فائدة تعليمية وذلك أنه يمكن أن يتدرج المتعلم للغة العربية وللقرآن نفسه من الجمل القصيرة البسيطة ثم يرتقي إلى الآيات المؤلفة من جمل طويلة بسيطة التركيب متوالية الفقرات ثم ينتهي بالآيات الطويلة المركبة . (ومنها) ما تقدمه هذه

الدراسة من كسب لفقه اللغة الذي تدرس فيه تراكيب الكلام واختلافها باختلاف العصور وعقليات الأمم . ولا بد هنا أن نلفت نظر الباحث ظاهرة غريبة ذلك أن الجمل الطويلة المركبة في القرآن قد تطول حتى تبلغ أحياناً مقدار صفحة من كتاب ، وتتركب أجزاؤها في تركيب مرصوص محكم مترابط لا يقبل الفصل ولا التقسيم ولا التجزئة ، لتعبر عن فكرة متعددة الجوانب كثيرة العناصر ، بين جوانبها هذه صلات وبين عناصرها روابط . هذا النوع من الجمل لا نجد له نظيراً في نثر اللغة العربية قبل عصر القرآن بل ولا في عصر القرآن نفسه فلا نجد مثله في رسائل النبي ﷺ ولا في رسائل الخلفاء والصحابة وخطبهم ولا في عصر بني أمية ، ولا نكاد نجد أمثال هذه التراكيب إلا في عصور متأخرة من عصور العربية ، وهي العصور التي ارتقى فيها الفكر وبلغ درجة عالية من القدرة على التركيب بين المفاهيم والعناصر ، وهذه من خصائص القرآن المميزة التي تفسح المجال للتأمل والتفكير وتجعل القرآن نسيج وحده في تاريخ النثر العربي ، وتجعله خارجاً عن مراحل التطور وعوامله .

وهناك أخيراً فائدة فنية لدراسة أنواع الجمل وأساليب التركيب وألوان الصيغ فهي منبع خصب للجمال الفني سواء فيما تقدمه من ألوان معنوية أم من موسيقى توارف الفكرة وتتعاون معها بتوافق وانسجام . ونحب أن نختم بحثنا هذا بعرض موجز للجانب الموسيقي من النظم القرآني .

النغم والموسيقى :

يشعر قارئ القرآن شعوراً طبيعياً بدافع قوي يدفعه إلى ترتيله ترتيلاً صوتياً له نغماته في كل كلمة من كلماته بل في تتابع حروفه ، وحلاوة النغمة في الكتاب العزيز تتخلل الآية في جميع أجزائها وحروفها ، ولا تقتصر على

الوقوف عند الفاصلة في آخر الآية التي تقابل السجع ، وإليك بعض خصائص هذه الموسيقى القرآنية :

١ — فقد تكون ضرباً من الإثارة وأداة للتنبيه والمفاجأة ، وخاصة في العهد المكي الأول حين كان العربي سادراً في غلوائه غير مستعد للاصغاء إلى الدعوة الجديدة ، ومن أمثلة ذلك مقدمة سورة الحاقة :

الحاقّة . ما الحاقّة ؟ وما أدراك ما الحاقّة ؟

وكذلك : القارعة . ما القارعة ؟ وما أدراك ما القارعة ؟

ثلاث موجات متعاقبة تكبر وتتسع متصاعدة في طولها ومدودها . وتتصف كل واحدة منها بالشدة والمد في وسطها ويتمدد ذلك ويتكاثر في الثانية والثالثة .

ويتناسب ذلك مع هول الموضوع الذي هو (يوم القيامة) ومع هذه الاستفهامات المتوالية المشوقة لمعرفة الجواب .

٢ — وقد تكون تصويراً صوتياً موازياً ومقارناً للتصوير التعبيري وذلك في مثل مقدمة سورة العاديات ، فهي وصف للخيل التي تعدو في غارة صباحية حتى تصل إلى هدفها ، فاستمع إلى هذه الفقرات المتقطعة تقطع مسير الخيل المتساوية في أجزائها :

« والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا » .

الآيات الثلاث الأولى قصيرة سريعة متساوية في الطول وفي الوزن والنغمة وتتألف كل واحدة منها من الكلمة الأولى المشتملة على مدين والثانية لا مد إلا في آخرها ، وفي كل منها تصوير لارتفاع الخيل ثم هبوطها واصطدامها بالأرض ، وتأتي الآيتان الأخيرتان لتصورا بانعدام المدّ فيها وتوالي الحركات سرعة جري الخيل وتتابع حركاتها حتى تصل إلى هدفها (فوسطن به جمعا) .

٣ – والمهم في النغمات القرآنية تناسبها مع الموضوع والفكرة شدة ولينا وسرعة وبطأ .

فإذا كان الموضوع حديثاً عن يوم القيامة وهولها وتعاقب أحداثها قصرت الآيات وكثرت فيها الحروف ذات الشدة والصليل وقلت المدود أو فقدت كقوله تعالى :

« فإذا بَرِق البصر . وخَسَف القمر . وجُمع الشمس والقمر . يقول الإنسان يومئذ أين المفر ؟ » (سورة القيامة)

وإذا كان الكلام دعاء جاءت المدود التي تكسب النغمة هدوءاً وطولا وتصور التأمل العميق ونداء المستغيث كقوله تعالى :

« ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذابَ النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » (آل عمران ١٩١) .

واستمع إلى قول من استحق بعد الحساب دخول النار إذ يعبر عن حسرته ويتأوه :

« وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » .

ثم انظر كيف تتغير النغمة وتأتي حروف الواو لتصور دفعه إلى جهنم دفعا ثم كيف تطول الآية والنغمة في آخرها حين تلتف حوله سلسلة طويلة من سلاسل جهنم :

« خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلّوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » . « الحاقة »

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً .

٤ — تنوع نغمات الآيات طولاً ووزناً وفاصلة (قافية) :

فقد تتماثل وتتساوى الآيتان مثل قوله تعالى « إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم » .

وقد يكون التوازن مع اختلاف الفاصلة كقوله تعالى :

« آتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » .

وكقوله : « ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة » (الغاشية)

وقد تتوالى الآيات كموجات متساوية متتابعة كقوله تعالى :

« في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود » .

وقوله : « إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذا . . . » (التكوير) .

وقد تتصاعد الموجات وتتسع وتطول في تتابعها كقوله تعالى :

« والضحى . والليل إذا سجى . ما ودّعك ربك وما قلى » .

« الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة » .

وقد تتنوع الموجات طولاً وقصـــرا وتتفق فاصلةً (قافية) وتختلف فيتألف من مجموعها قطعة رائعة فاستمع إلى قوله تعالى :

« والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور . إن عذاب ربك لواقع . ماله من دافع . يوم تمور السماء موراً . وتسير الجبال سيرا . فويل يومئذ للمكذبين . »

٥ — والنظم القرآني بالجملة نظم يبدو فيه الجمال الموسيقي أو حلاوة النغمة وليست القضية أبداً قضية نثر مسجوع ، إذ شتان بين السجع والموسيقى ، فموسيقى القرآن داخلية تتخلل الكلام كله ، وتنتظم جميع أجزائه ، كلماته وحروفه ، مع مراعاة التناسب بين نوع النغمة وصفاتها ، والفكرة أو الموضوع أو المشهد الذي تعبر عنه الآيات . واقـــرأ إذا شئت لتشعر نفسك بهذه الموسيقى الداخلية أي جزء من الكتاب الكريم ، إقرأ إذا شئت هذه الآيات : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقـاه منشورا . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . » (الإسراء)

ولو قرأت حتى آيات التشريع والأحكام لوجدتها متصفة بهذه الخاصة الموسيقية ، ولعل جمال النغمة هو السبب في العدول في كثير من الآيات عن طرائق التركيب والتأليف المعتادة إلى صياغة خاصة في الكلام ، ولو رجعت إلى الآيات التي استشهدنا بهـــا آنفاً في طرائق التركيب لوجدت صدق هذه الملاحظة .

ولعل الباحثين في اللغة والمشتغلين بالأدب وفنونه وأساليبه يتوسعون ويتعمقون كلٌّ في اختصاصه في دراسة النظم القرآني ليقدموا للأجيال القادمة ما يمكنهم من تذوق لغة القرآن وفنه ، وما يجعل صلتهم بالعربية أعمق وشعورهم بجمالها أدق وأرهف ، وليؤدوا لكتاب الانسانية الخالد بعض حقه .

محمد المبارك



المجمعيون

في
خمسين عاماً

عندما فجّرت عوامل النهضة الحديثة ، في مطلع هذا القرن ، ينابيع الثورة العربية الكبرى ، وقامت على إثر جلاء الترك عن سورية ، **أول حكومة عربية فيها** ، انصرفت جهود هذه الحكومة ، إلى **العناية بالعربية** ، لغة دواوين ولغة تعليم ، بعد أن أهملتها العهود السابقة ، فشاب الكتابة بها الركيك والعامي ، وأفسد مفرداتها الدخيل والأعجمي .

وأخذت الحكومة العربية تختار من موظفيها المشهود لهم بالكتابة ، والموثوق بقدرتهم على **حمل عبء النهوض بالعربية من كبوتها** ، والعمل على سلامتها مما أفسدها ، والسعي لنشر ما تحتاجه مرافق الدولة الحديثة ، التي أقامها العرب في سورية بعد ضياع طالت عصوره وخبا فيه **نور كانت دمشق** مصدر إشعاعه .

لقد كان في طليعة أعمال الحكومة العربية المؤقتة التي تألفت في دمشق ، بعد أن دخلها الجيش العربي في نهاية شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٨ للميلاد ،

إقامة هيئة أطلقت عليها اسم [**الشعبة الأولى للترجمة والتأليف**] وعهدت بها إلى نخبة من موظفيها المتمكنين من العربية أو القادرين على الترجمة إليها من اللغات الأجنبية ، موكلة إليهم تحقيق الأغراض المشار إليها آنفا ، ثم قامت بتاريخ ١٢ شباط (فبراير) سنة ١٩١٩ بإعادة النظر في تكوين الشعبة المذكورة واختارت **الأستاذ محمد كرد علي** رئيساً لها وأطلقت عليها اسم [**ديوان المعارف**] موكلة إلى هذا الديوان النظر في شؤون المعارف عامة ، والعمل على تأسيس دار تجمع مختلف الآثار القديمة ، وإقامة دور تضم مكتبات عامة تفتح أبوابها للجماهير ، مع بذل العناية من أجل توسيع دار الكتب الظاهرية في دمشق .

وأخذ [**ديوان المعارف**] يعمل على تحقيق الغايات التي كلف بها ، ولكن لم تمض بضعة أشهر على عمله ، إلا ووجد نفسه وسط خضم متشعب الجنبات ، فقد اتسمت أعماله سمة متناهية باقبال الناس على طلب العلم ، وبالحافهم على الحكومة من أجل الإكثار من فتح المدارس ، إضافة إلى ازدياد حركة التأليف والترجمة والنشر بدافع الظمأ العام إلى المعرفة . مما جعل الحكومة ، رغبة منها في حصر جهود رجال [**ديوان المعارف**] بخدمة اللغة ونشر التراث العربي وتأريخ النهضة العربية الحديثة ، أغراضها الأولى من إنشائه ، تجنح بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٩ م إلى تجزئة [**ديوان المعارف**] إلى فرعين هما :

١ — ديوان يختص بأعمال المعارف العامة وشؤون التعليم ، على أن يظل يحمل اسم [**ديوان المعارف**] ، وقد كان هذا الديوان نواة للوزارة التي حملت فيما بعد اسمه .

٢ — ديوان يختص بشؤون اللغة وإدارة المكتبات العامة وحفظ الآثار القديمة ، على أن يحمل اسم [**المجمع العلمي « آقاده مي »**] .

وعقد أعضاء [المجمع العلمي العربي] الميمون برياسة الأستاذ محمد كرد علي، جلستهم الأولى في (المدرسة العادلية الكبرى بدمشق) مقر مجمع اللغة العربية إلى اليوم، بعد أن بذلوا جهداً كبيراً في سبيل إعادتها إلى طرزها القديم الذي بناها عليه الملك العادل شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وكانت تلك الجلسة بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م، وحضرها الأعضاء الثمانية التالية اسماؤهم:

١ — الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
٢ — الشيخ أمين سويد
٣ — الأستاذ أنيس سلوم
٤ — الشيخ سعيد الكرمي
٥ — الشيخ عبد القادر المغربي
٦ — الأستاذ عز الدين علم الدين
٧ — الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨ — الأستاذ متري قندلفت

وأجمع الأعضاء الثمانية على ضم الشيخ طاهر الجزائري إليهم عضواً عاملاً، وضم كل من الأستاذ رشيد بقدونس، والأستاذ سليم عنحوري، والشيخ عبد القادر المبارك، والأستاذ فارس الخوري، والأستاذ مرشد خاطر أعضاء شرف لمؤازرة العاملين في جهودهم، إلى جانب عدد آخر من العلماء المرموقين يومئذ، ممن حالت ظروف مختلفة دون اشتراكهم الفعلي في الشؤون المجمعية، بينما شارك أولئك المؤازرون العاملين في تحقيق أغراض المجمع دون أي تعويض أو مكافأة.

وابتدأ المجمع العلمي العربي خطواته نحو تحقيق الأغراض التي أنشيء من أجلها، يشتري الكتب أو يستهديها لتزويد دار الكتب الظاهرية بها، كما

أخذ يشرف على تأليف الكتب أو ترجمتها ، ويعمل على تهذيب لغة الدواوين ، وذلك بوضع المفردات والمصطلحات الإدارية والفنية لتحل محل الألفـــاظ الأعجمية التي كانت شائعة بين الموظفين وفي المراسلات الحكومية ، كما أخذ يضع المصطلحات العربية في العلوم الحديثة لمساعدة المؤلفين في تأليف الكتب المدرسية أو ترجمتها ، وأخذ أعضاؤه يبذلون جهودهم في التنبيه إلى أغلاط أرباب الأقلام والعمل على تصحيحها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

غير أن الظروف السياسية القاسية التي كانت الحكومة العربية في سورية تمر بها في أوائل عهدها ، أوقعتها في ضائقة مالية شديدة ، واضطرت معها في نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ م إلى الأمر بصرف رئيس المجمع وخمسة من أعضائه من وظائفهم ، توفيراً لرواتبهم ، مكتفية بعضوين إداريين للقيام بالإشراف على داري الكتب والآثار ، ولكن لم تمض على هذا الأمر سنة ، إلا وعهد بتاريخ ٧ إيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٠ م ، إلى الأستاذ **الرئيس محمد كرد علي بوزارة المعارف** فأعاد الحياة والنشـاط إلى المجمع العلمي مبتدئاً باعادة عضوين آخرين إليه والقيام برياسة جلساته ، ومن هذا التاريخ أخذت جلسات المجمع تعقد بانتظام كسابق عهدها بعد إعادة القدامى من أعضائه إليه ، وضم نخبة جديدة من العلماء العاملين .

وعاد المجمع العلمي العـربي يسير بخطوات حثيثة بجهود رئيسه المظيم ، الذي كان يدعمه بنفوذه الأدبي العميق وبسلطات الحكومة ، كلما انيطت به شؤون المعارف في البلاد ، يتولاهـا مديراً عاماً أو وزيراً ، على اختلاف التسمية التي كانت الظروف السياسية تمليهـا على الحكومة في سورية بعد احتلال فرنسة لها منتدبة عليها من قبل عصبة الأمم ، وكان أعضاء المجمع لا يدخرون وسعاً في السعي ، عاملين ومتآزرين ، نحو تحقيق الخطة التى

اتفقوا عليها لإعلاء شأن العربية ، ودراسة أوضاعها ، ونشر آدابها ، وإحياء تراثها ، وتعريب ما يحتـــاج إليه طلاب المعرفة من كتب العلوم والصناعات والفنون المختلفة ، مع وضع المصطلحات التي تنقصها ، إلى جانب العناية بجمع المخطوطات العربية والآثار القديمة ، من تماثيل وأدوات وأوانٍ ونقود وكتابات تاريخية ، وما زالت **مجلة المجمع** هذه التي ابتدئ بنشرها في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ هـ الموافق لشهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢١ م ، خير شاهد على ما كان يبذله أعضاء المجمع الأعلام من جهود تذكر لهم بعداد الشكر والتقدير .

ولم تمض عشر سنوات على تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، إلا وأصبحت هذه المؤسسة ، الفريدة من نوعها في العالم العربي ، صرحاً شامخاً يتطلع إليه من الآفاق البعيدة ، ملأ اسمه أسماع الناس من عرب ومستشرقين ، وذاع صيته في أرجاء الدنيا العربية وفي ندوات أهل الفكر ومحـافلهم في مختلف بلاد العالم ، وكل ذلك بفضل جهود **الأستاذ الرئيس محمد كرد علي** وما عرف عنه من همة عالية وحيوية فائقة وبفضل الصلات التي أحكمها مع أكابر العلمـاء وأهل الفكر من مختلف الأمم والشعوب ، وبفضل أولئك الأعلام من زملائه أعضاء المجمع المؤسسين ، والطيبين الأخيار الذين اختيروا ليحلوا محل الراحلين منهم ، أو ليتبوأوا المقاعد التي أحدثها القانون ليبقى عددهم عشرين على مر الزمان .

وإذا كان حلول سنة ١٩٦٩ للميلاد يجعل مؤسسة المجمع العلمي العربي تجتاز **خمسين عاماً** من حياتها ، وهي دائبة في عملها في خدمة العربية أمّ اللغات ، فخير ما أقدم لها في **عيدها الذهبي** هذا ، بعد أن شرفتني بانتخابي عضواً عاملاً فيها ، هو مجموعة تراجم موجزة لأولئك الأعلام الذين

حملوا مشعل النهضة العلمية في العصر الحديث ، وأضاؤوا به طريق المجد وسبيل الحضارة والعرفان ، بانين للأمة العربية صرح مجمعها الأول ، **مجمع اللغة العربية بدمشق** .

لقد بلغ عدد الموظفين والعاملين من أعضاء المجمع العلمي ، الذين تعاقبوا على كراسيه العشرين منذ تأسيسه حتى نهاية عام ١٩٦٨ م **خمسة وأربعين عضواً** ، كما بلغ عدد أعضائه المؤازرين والمراسلين **ثلاثة وتسعين ومئة عضو** ، رحم الله من انتقل منهم إلى دار الخلود ، ومدّ في عمر الأحياء الباقين على العهد في خدمة العربية ، وزاد الناس نفعاً بهم .

واقد فكرت في خير السبل التي يجب انتهاجها لتحقيق فكرة جمع تراجم أولئك العلماء الأعلام ، فوجدت خير سبيل أسلكه هو في تقسيم مجموع السنوات الخمسين التي مضت على تأسيس المجمع العلمي العربي إلى **خمسة عقود** ، أترجم فيها للأعضاء العاملين عقداً عقداً ، محتفظاً بالترتيب الزمني لاحتلال كل واحد منهم كرسيّه المجمعي .

وقد يخيل للبعض أن هذا العمل سهل ميسرة أسبابه ما دام لكل عضو في المجمع ملف شخصي يحوي كل ما يتصل به وبحياته ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فأغلب ملفات القدامى من الأعضاء الراحلين ، رحمهم الله ، لا تحوي إلا على بعض الوثائق الرسمية التي لا تغني شيئاً ، ولقد كان زهد أكثر أعضاء المجمع حتى اليوم في الكتابة عن أنفسهم ، مضيعة لبعض الحقائق التي كان من حق التاريخ أن يسجلها في صفحاته . ولهذا اقتضاني هذا العمل جهوداً مضنية حتى توصلت إلى ما تمكنت من تسجيله ، وهو بالنسبة لبعض المترجمين غيض من فيض .

الأعضاء المؤسسون

- ١ -

محمد كرد علي

١٨٧٦ — ١٩٥٣ م

نشأته وحياته

في أسرة دمشقية معروفة ، انحدر جدها الأول من حوالي مائتي سنة من بلاد الأكراد في شمالي العراق إلى دمشق ، وفي أواخر شهر صفر من سنة ١٢٩٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٧٦ م ، ولد طفل أسماه أبوه عبد الرزاق محمداً وكناه بفريد ، ولما شبّ اشتهر باسم **محمد كرد علي** .

تلقى محمد كرد علي تعليمه الأولي في إحدى مدارس دمشق الحكومية ، ثم دخل المدرسة الرشدية العسكرية ، وفيها تلقى تعليمه الإعدادي ، كما تلقى مبادىء الفرنسية على مدرس خاص ، فأصاب من الفرنسية ما مكّنه عندما تخرّج من المدرسة الرشدية ، من الالتحاق بوظيفة في « **ديوان الشؤون الأجنبية** » يشتغل فيه بالترجمة من الفرنسية إلى العربية ومن هذه إلى تلك .

ظل محمد كرد علي في الوظيفة مدة ست سنوات ، كان خلالها يتردد على مدرسة الآباء اللعازاريين بدمشق ، فأتقن الفرنسية وآدابها ، كما أخذ يتصل بطائفة من شيوخ عصره الأعلام ، وكان أكثر هؤلاء الشيوخ أثراً في توجيهه نحو النهج الذي ارتضاه لنفسه ، **طاهر الجزائري** ثم **محمد المبارك** فسليم **البخاري** ، وعن هؤلاء الشيوخ وغيرهم من فحول العلماء ، أخذ محمد كرد علي علوم اللغة والأدب والتاريخ وغيرهـا من العلوم القديمة ، حتى برع فيها ولمع بتفوقه على أقرانه ، ثم أخذ بتأثير شيخه الأول ، يتجه نحو الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي . ويكثر من قراءة الكتب العربية والفرنسية ، حتى شبّ على حبّ العرب وحبّ الدفاع عنهم وعلى حبّ **الاسلام الصحيح** وحبّ المنافحين عنه .

وفي سنة ١٣١٥ هـ — ١٨٩٧ م عهد إلى محمد كرد علي بتحرير أول جريدة صدرت في دمشق باسم « **الشام** » وكانت أسبوعية ، وظل يحررها ثلاث سنوات ، متصلا ببعض الجرائد والمجلات المصرية ، ثم أخذ ينشر في مجلة « **المقتطف** » القاهرية أبحاثاً منوعة في التاريخ والاجتماع والأدب ، فلمع اسم محمد كرد علي وداعت شهرته في أرجاء الوطن العربي من ذلك الوقت .

وفي سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م عزم محمـــد كرد علي على السفر إلى فرنسة بقصد الدراسة ، ومرّ في طريقه إليها بمصر سائحاً ، فاذا بصاحب جريدة « **الرائد المصري** » يغريه بالبقـاء في مصر للتحرير في جريدته ، فقبل العرض وبقي في القاهرة عشرة أشهر ، اتصل خلالها بالإمام الشيخ **محمد عبده** وحضر مجالسه وأفاد منها .

المجمع العلمي العربي بدمشق



علي رضا الركابي
حاكم سورية العسكري العام
ورئيس أول حكومة عربية



فيصل بن الحسين
قائد الجيش العربي
وملك سورية



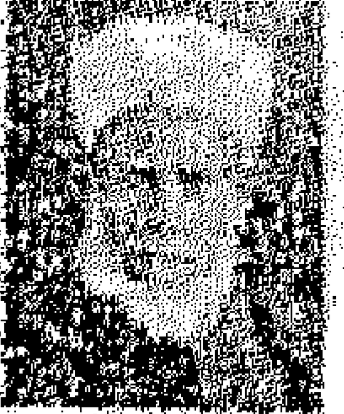
محمد كرد علي
مؤسس المجمع العلمي العربي
ورئيسه الأول



الشيخ أمين سويد



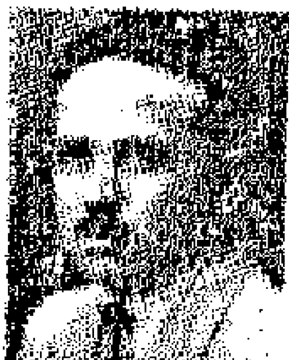
الشيخ عبد القادر المغربي



الشيخ سعيد الكرمي



متري قندلفت



عز الدين التنوخي



عيسى اسكندر المعلوف



أنيس سلوم

ذكرى المشتركين في تأسيسه سنة ١٣٣٧هـ
١٩١٩م



شعار المجمع العلمي العربي

مجمع اللغة العربية بدمشق

[فنصحي اسكم قاد الهوى من بلاده   إلى منبت الزيتون من منبت النخل]

« الفرزدق »



الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

وعاد محمد كرد علي إلى دمشق صحافياً قد اشتهر اسمه بين الناس ، فخافته السلطات العثمانية وأخذت تضايقه برقابة تحركاته ، فقرر الهجرة إلى مصر ، وفيها أصدر مجلة « **المقتبس** » شهرية علمية أدبية ، وكان ذلك أول سنة ١٣٢٤ هـ الموافقة لسنة ١٩٠٦ م ، وظل مثابراً على إصدارها مدة ثلاث سنوات . وتولى خلال هذه السنوات رياسة تحرير جريدة « **الظاهر** » اليومية لفترة غير طويلة ، كما تولى أمانة سر تحرير جريدة « **المؤيد** » لفترة أخرى ، مشاركاً أثناء ذلك في تحرير مجلة « **العالم الإسلامي** » التي كانت تصدر في باريس .

وعندما حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ م ١٣٢٦ هـ عاد محمد كرد علي إلى دمشق وأصدر فيها جريدة « **المقتبس** » اليومية السياسية ، إلى جانب متابعته إصدار مجلة « **المقتبس** » الشهرية . ولكن السلطات العثمانية عادت إلى التضييق عليه ، وانتهى الأمر بها إلى ملاحقته أمام القضاء بتهمة جزائية ، مما اضطره لمغادرة سورية إلى فرنسة خفية ، وفي باريس عاش محمد كرد علي يدرس وينقب عن أمهات الكتب التاريخية والاجتماعية والأدبية ، وقد كتب في وصف رحلته هذه خمساً وثلاثين مقالة أو محاضرة ، طبعت فيما بعد في كتاب أطلق عليه اسم « **غرائب الغرب** » ، وبعد بضعة أشهر من إقامته في فرنسة ، بلغه أن القضاء برّأه من الدعوى التي رفعتها السلطة عليه ، فقفل راجعاً إلى سورية ماراً بالآستانة ، ولم يلبث قليلاً حتى أقدمت السلطات على ملاحقته بتهمة جديدة ، ففر من البلاد ثانية إلى مصر ، ولكنه برئ ثانية فعاد إلى دمشق وعاد إلى إصدار « المقتبس » .

وفي سنة ١٩١٣ م — ١٣٣١ هـ ، قام محمد كرد علي بزيارة لكل من إيطالية وسويسرة وفرنسة والمجر وكتب ٣٣ مقالة في وصف حضارة كل من هذه الدول ، وحدث قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى أن أوقفت

السلطات العثمانية جريدة « **المقتبس** » عن الصدور ، غير أنها لم تلبث بعد دخول الدولة العثمانية الحرب أن طلبت منه إعادة إصدارها فعاود ذلك ، ولم تمض سنة على إعلان الحرب ، إلا وقامت السلطة العسكرية باصدار جريدة يومية عربية في دمشق باسم « **الشرق** » وكلفت صاحب « **المقتبس** » رياسة تحريرها ، بعد أن طلبت إليه رفع اسمه من جريدته الخاصة . غير أن الأمور لم تجر هادئة ، فقد تعكر الجو بينه وبين بعض السلطات الحاكمة فاضطر إلى ترك دمشق وقصد الآستانة ، ولم يطل مكوثه فيها إلا وأعلن احتلال الجيش العربي لمدينة دمشق سنة ١٩١٨ م — ١٣٣٦ ﻫ ، فأسرع صاحب « **المقتبس** » إلى دمشق ليتابع إصدار جريدته ومجلتها ، ولكن الحكومة العربية التي كانت تألفت في دمشق كلفته برياسة « **ديوان المعارف** » نواة « **المجمع العلمي العربي** » الذي كان محمد كرد علي يحلم به ، فتحقق حلمه وغدا مؤسسه الأول **ورئيسه مدى الحياة** .

وفي سنة ١٩٢٠ م — ١٣٣٨ ﻫ ، وبعد أن احتلت الجيوش الفرنسية دمشق فارضة الانتداب الفرنسي على سورية ، قبل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الاشتراك في الحكومة السورية التي تألفت عقب الاحتلال **مدفوعاً برغبة جامحة في إحياء المجمع العلمي** وجعله يحتل المكانة التي كان يحلم بها لمجمع يخدم العربية ، وذلك بعد أن كانت الظروف السياسية التي سبقت الاحتلال قد أدت إلى وقف أعماله ، وقد تسنم منصب **وزير المعارف** بتاريخ ٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ م ، وظل يشغل منصب الوزارة حتى ١٠ آذار (مارس) ١٩٢٢ ، يوم تركها ليتفرغ لرياسة المجمع العلمي ، وبعد أن كان أطلق عليها اسم « **المديرية العامة للمعارف** » بتاريخ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ م . وفي خلال فترة اشغاله منصب المديرية العامة للمعارف ، قام الأستاذ الرئيس بزيارة جديدة لأوروبة فطاف في كل من بلجيكا وهولاندة

وانكلترة واسبانية وألمانية وسويسرة ، وكتب مشاهداته في رحلته الجديدة ، في إحدى وخمسين مقالة ، أضافها إلى كتابه « **غرائب الغرب** » فلما أعيد طبعه سنة ١٩٢٣ م في مصر جاء الكتاب في مجلدين .

وبتاريخ ١٥ شباط (فبراير) ١٩٢٨ م عهد إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بمنصب **وزير المعارف** ثانية ، فظل يشغله إلى تاريخ ١١ حزيران (يونيو) ١٩٣٢ م يوم قيام الجمهورية السورية الأولى .

وعندما ترك الأستاذ الرئيس منصب الوزارة اعتزل السياسة وعكف على المطالعة والتأليف ، فلما أعيد انتخابه **رئيساً للمجمع العلمي** سنة ١٩٤١ ، وكان هذا المنصب قد ظل شاغراً طوال فترة أعقبت ترك الأستاذ الرئيس منصب الوزارة ، حصر الأستاذ الرئيس كل جهوده في العمل على تحقيق أغراض المجمع العلمي ، وتابع إصدار ما ألفه أو حققه من الكتب التي تبقيه في طليعة الخالدين من أعلام العرب العاصرين ، وقد ظل عاكفاً على التأليف والتحقيق والنشر حتى انتقل إلى رحمة الله يوم الخميس في الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٢ هـ الموافق **للثاني من نيسان (ابريل)** ١٩٥٣م .

وقامت دمشق بتشييع جثمان الأستاذ الرئيس ، وقد عمها الحزن والأسى ، بموكب حافل مشهود ، ثم ووري جثمانه الثرى في مقبرة الباب الصغير بدمشق التي أحبها وأحب ترابها ، فأحبته ، وقدرته بلسان مجلسها البلدي الذي قرر بتاريخ ١٣٨٢/٣/٤ و ١٩٦٢/٨/٤ تسمية أحد شوارعها الكبيرة **باسمه تخليداً لذكراه**[1] .

---

(١) شارع محمد كرد علي هو الشارع الممتد من شارع عدنان المالكي شرقاً وحتى الساحة الواقعة في نهاية شارع الرشيد غربا .

محمد كرد علي يؤسس المجمع العلمي

يقول الأستاذ الرئيس في مذكراته : « لما عدت من الآستانة بعد هدنة الحرب العالمية (١٩١٨) جاءني صديقي القديم رضا باشا الركابي الحاكم العسكري في دمشق يسلّم عليَّ في داري ويطلب إليَّ قبول رياسة مجلس المعارف . فقلت له : إني أنوي العودة إلى إصدار الجريدة والمجلة ، ونشر كتبي الجاهزة ، فوعدني بأن أماني تتحقق كلها مع القيام بالعمل الذي يطلب قيامي به . وقال : إقبل هذه الوظيفة التي ستكون وزارة فيما بعد ، فليس عندي غيرك للقيام بها ، فاعتذرت ، ومما قلت في الاعتذار إليه إني لم أربِّ نفسي لأكون موظفاً ، ولو أحببت التوظف ، كما تعلم ، لكنت اليوم في أرقى المناصب ، وأصرَّ عليَّ كثيراً وقبض بيده على لحيته وقال : إكراماً لهذه . فأخجلني فقبلت على شرط أن يعاونني معاونة فعلية مدة وجوده في الحكم ، فاذا تنحى عنه استقلت معه » .

ويتابع الأستاذ الرئيس سرد الحوادث التي تلاحقت بعد تأليف (ديوان المعارف) من قبل الحكومة العربية في سورية ، وكيف وجد نفسه رئيساً على جماعة من الشيوخ ، منهم من درس العلوم الدينية ومنهم من شدا شيئاً من الأدب ، ثم كيف أغضبته بعض التصرفات الحكومية ، فلزم داره معلناً اعتزاله الوظيفة ، غير أن الركابي باشا ألحَّ عليه كثيراً للبقاء في منصبه فما كان منه إلا أن قال : « إذا كنت تحرص على بقائي في الحكومة ، فأنا أرضى على أن ينقلب هذا المجلس برئيسه وأعضائه مجمعاً علمياً مرتبطاً بالحاكم العام مباشرة ، فقبل ، وصدر المرسوم بذلك »[1] .

---

(١) المذكرات ج ١ ص ٢٧٧ .

ويتابع الأستاذ الرئيس وصف الصعوبات التي قامت في وجهه في فترة تأسيس المجمع العلمي وكان منها أن صدر « الأمر بدعوى الضائقة المالية في آخر تشرين الثاني ١٩١٩ م بصرف رئيسه وأعضائه الثمانية ، إلا عضوين فقط للإشراف على داري الكتب والآثار . »(١) .

وحقيقة هذه الصعوبات التي واجهها المجمع العلمي في أول تأسيسه لم تكن بسبب الضائقة المالية فحسب ، بل إن الجو الذي كانت تعيش فيه الحكومة العربية يومئذ ، وكان مليئاً بالمواصف المنذرة بالاحتلال الأجنبي ، لم يسعف رجالها بالتجاوب مع الأستاذ الرئيس فيما كان يراه من فوائد دعم المجمع بالمال الكافي ليستمر بالنشاط الذي بدأ به خطواته ، ولكن ما أن تم الاحتلال الفرنسي لسورية في تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ م ، وما كاد الاستقرار النسبي يعود إلى البلاد ، حتى رأينا الأستاذ الرئيس يتسنم بتاريخ ٧ ايلول (سبتمبر) من السنة نفسها منصب وزير المعارف ، وهو لا يرى في تسنمه هذا المنصب إلا حيـــاة المجمع الذي أسسه وقام بنشر دعوته بين علماء الشرق والغرب فهللوا له وصفقوا . وهكذا عاد المجمع إلى تنظيم جلساته وأخذ يغذ السير نحو تحقيق أغراضه ، وكأن الأستاذ الرئيس كان يرد على خصومه ومبغضيه الذين عابوا عليه الاشتراك في حكومة ألفت عقب الاحتلال ، عندما قال في « المذكرات » : [... وكان من أثر حرصي عليه الابتعاد به عن السياسة ، فأصبح المعهد الوحيد في جميع أرض الانتداب يعمل حرًّا لا رقيب عليه ، ولا مستشار له يملي على من فيه إرادته ، وكان الفرنسي في الشام سيداً في كل مكان إلا في المجمع

(١) التقرير المجمعي الأول لسنة ١٩٢٢ .

العلمي العربي ، فإنه كان يزوره خاشعاً متواضعاً ، حتى لقد قال المفوض السامي المسيو بونسو ، وهو يزور المجمع مع المفوض السامي في فلسطين ، كلاماً في هذا المنى وأن الفرنسيين في سورية يعلّمون وفي المجمع العلمي يتعلمون] .

ويصف الأستاذ الرئيس متاعبه في سبيل المجمع قائلاً : [. . لقيت الألاقي من الحكومات السورية في سبيل هذا المجمع العلمي ، كأنه كان بعض ملكي ، وكان الأردياء الحسدة يعرفون حرصي عليه فيضربونه ليضربوني ، ويعبثون بمصلحته ليؤذوني ، وذلك لأنه قام قبل أوانه ، على ما قال أحد رصفائي ، وكان لا يصدق أن في دمشق مجمعاً علمياً يعمل ويفيد ، بالنظر لما يعرف من قلة الاستعداد له في هذه البيئة الضيقة . على أن من قصدنا فائدتهم كانوا راضين كل الرضى . .] .

ويؤكد الأستاذ الرئيس سهره الدائم على المجمع بقوله : [... وشهد الله أني كنت أفكر في أنجع الطرق لإنجاحه ليل نهار ، مدة توليتي رياسته وما رأيت باباً يوصلني إلى النهوض به إلا طرقته ، ولطالما بذلت ماء وجهي لأناس ما كنت أتنازل للسلام عليهم من قبل ، حتى استهديت له المخطوطات والماديات ، وكنت أقتصد من موازنته القليلة مالاً أدخره لأمور تنفعه في المستقبل ، وأحاول إعلاء مكانته بين علماء الشرق وعلماء المشرقيات . .] .

لقد كان الأستاذ الرئيس كرد علي حركة المجمع العلمي الدائمة ، كما كان راعيه وموجهه ، يخطب ويحاضر في ردهته في الاحتفالات والمواسم المجمعية ، وكلما قلّ الأساتذة والمحاضرون ، وينشر في مجلته المقالات الممتعة ، ويعرّف الكتب الجديدة ، ويعلق على المقالات التاريخية والأدبية ، حتى يمكن أن يقال بأنه كان أكثر المجمعيين أثراً فيما حققه المجمع أو نشره .

وظل الأمر على هذه الحال ، حتى كان منتصف عام ١٩٣٢ م ، يوم ترك الأستاذ الرئيس منصب وزارة المعارف فكتب وزير المعارف الجديد كتاباً بتاريخ ١٩٣٢/٦/٢٨ يطلب فيه من المجمع العلمي انتخاب رئيس جديد له نظراً لانتهاء مدة رياسة الأستاذ محمد كرد علي وهو في منصب وزير المعارف ، وبقاء المجمع يدار من قبل نائب الرئيس ، وقد اجتمع مجلس المجمع بتاريخ ٢٤ آب (أغسطس) ١٩٣٢ م فأجمع الأعضاء على تجديد الرياسة للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، كما انتخب كل من الدكتور أسعد الحكيم والأمير مصطفى الشهابي ليضاف اسماهما إلى اللائحة التي أوجب القانون رفعها للوزارة لتختار منها الرئيس [١] . وبتاريخ ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ الموافق ١٣ إيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٢ م صدر مرسوم جمهوري بتجديد تعيين الاستاذ الرئيس محمد كرد علي رئيساً **للمجمع العلمي العربي لمدة خمس سنوات** اعتباراً من ١٦ حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٢ م ، وبعد فترة من هذا التعيين ، وكان نظام الحكم في سورية قد دخل عليه بعض التعديل ، تسلم الحكم رجال ، كان بعضهم لا يبادل الأستاذ الرئيس عواطف الود أو التقدير ، **فاعتزل إدارة المجمع** ، وكانت فترة تعثرت خلالها أعماله ، وتوقفت عن الصدور مجلته لمدة تقارب أربع سنوات ؛ كل هذا بسبب اضطراب الأحوال السياسية في البلاد وفقدان الاستقرار فيها ، حتى كانت سنة ١٩٤١ م ، ويحدثنا الأستاذ الرئيس عما تم في هذه السنة قائلاً : [وتجددت همة بعض أعضاء المجمع في أول سنة ١٩٤١ لإعادته إلى سابق عهده ، ونشطوا لتحقيق غرضهم لما رأوا زيادة في وفر الدولة بضعة ملايين ليرة سورية اقتصدت بفضل حكومة مجلس المديرين وكان بعض الرصفاء كثيراً ما يعرّض في العهد

(١) انظر ص ٧٧٢ من المجلد ١٢ من مجلة المجمع لسنة ١٩٣٢ .

الأخير أني بالقاء الحبل على الغارب قد أهملت المجمع حتى كاد يقضي عليه أبد الدهر ، وأن نفرتي من بعض الرصفاء تبعد المجمع من الوصول إلى هدفه الاسمى ، فنزلت على إرادتهم وأزلت الخلاف ودعوت الأعضاء كلهم ودعوت معهم صديقي المسيو لافاستر مندوب المفوض السامي ومعاونه ومدير المعارف العام . وبعد أيام فاوض رئيس مجلس المديرين الأستاذ بهيج الخطيب صديقي الأستاذ عبد اللطيف الشطي مدير المعارف في معنى إعادة المجمع وتقررت مفاوضتي ، فجاء الأستاذ الشطي يزورني في داري ويعرض عليّ إذا كنت مستعداً إلى الرجوع لرياسة المجمع ، فأجبته بالإيجاب ، فجرى الانتخاب وانتخبني رصفائي بالإجماع المطلق ، وعدت فاستلمت الزمام يوم ١٦ آذار سنة ١٩٤١ [1]] .

لقد عاد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى رياسة المجمع من التاريخ الذي أشار إليه ، وعادت المجلة إلى الصدور بمجلدها السادس عشر بدءاً من أول سنة ١٩٤١ م نفسها بعد احتجاب دام ثلاث سنين كاملة ، واصلة ما انقطع من جهادها في خدمة العربية بفضل من الغيارى عليها ممن مهدوا لعودة الأمور إلى نصابها ، وكان من آثار هذه العودة أن احتفل المجمع بافتتاح موسم محاضراته في تلك السنة احتفالاً منقطع النظير بتاريخ ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ م حضره رئيس الجمهورية السورية الشيخ تاج الدين الحسني وأركان حكومته ، وقد ارتجل رئيس الجمهورية في مستهله كلمة شكر على ترحيب الأستاذ الرئيس به واعداً برعاية الحركة العلمية والاهتمام بالشؤون المجمعية معلناً افتتاح موسم المحاضرات المجمعية [2] . وهكذا أخذ المجمع من

(١) انظر المذكرات ج ١ ص ٢٨٥ .
(٢) انظر المجلة مج ١٦ ص ٤٩٨ .

سنة ١٩٤١ م يعاود سيرته الأولى ، بهمة ونشاط فائقين ، يغذ خطواته بفضل جهود مؤسسه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الذي ظل يقوم بما عرف عنه من حيوية واندفاع ، على تحقيق أغراضه غير عابىء بالعقبات التي التي أخذ نفر من رجال السياسة يضعها في طريقه .

لقد ظل الأستاذ الرئيس وفياً للنبتة التي غرسها بيديه يتعهدها صباح مساء متعاوناً مع رصفاء له ، معترفاً بفضلهم في معاونته ، فهو يصفهم في مذكراته قائلاً : [عملوا معي بدون أن يتوقعوا مكافأة على عملهم ، فخدموا العلم والآداب أجل خدمة] حتى وافاه الأجل تغمده الله برحمته .

واليوم وقد كبرت هذه النبتة واستطالت وأصبحت في الخمسين من سني حياتها ، وغدت دوحة باسقة وارفة الظلال تفيأها كل من سلك سبيل خدمة العربية ، كما ركن إلى ظلالها كل محب لآداب العرب وتاريخهم المشرق المجيد ، نبتهل إلى العلي القدير مستمطرين شآبيب رحمته على من توفي من أولئك الأعلام الذين شاركوا الأستاذ الرئيس جهوده الجبارة في سبيل إقامة صرح هذا المجمع العظيم ، ونسأله أن يمدّ بحياة الباقين منهم على العهد .

وليس أبلغ من وفاء الأستاذ الرئيس لرصفائه أعضاء المجمع العلمي عندما سجل في مذكراته فضلهم فقال : [نجح مجمع دمشق لأن أعضاءه أخلصوا في خدمته منذ وضع أساسه ، وكثيراً ما كان بعضهم يقرظني ويجهر بعملي فيه ، فأقول لهم مخلصاً ، إن المجمع مدين لأعضائه مثل أخي فارس الخوري أنشأه معي وحماه من تحككات السياسيين الأغبياء ، والسيد فارس لا يحتاج إلى تعريف بعد أن ثبت في مؤتمرات الدول العالمية أنه رجل الدول العربية في السياسة ... وجميع الأعضاء الذين عملوا معي في دمشق منذ إنشائه كطاهر الجزائري ومسعود الكواكبي وسليم البخاري وعبد الله رعد

وسليم عنحوري وعبد القادر المبارك من الأموات ، وأسعد الحكيم وسليم الجندي ومرشد خاطر وجعفر الحسني وخليل مردم بك وجميل صليبا وحسني سبح وشفيق جبري وعارف النكدي ومصطفى الشهابي وعبد القادر المغربي ومحسن الأمين ومحمد بهجة البيطار » وهم في الغاية علماً وغيرة على خدمته .. [(١)] .

وعندما فكرت الحكومة المصرية بانشاء مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٢ م ، اختارت الأستاذ الرئيس كرد علي عضواً عاملاً فيه ، وقد شارك في أعمال المجمع مذ بدأت ، وكان عضواً في كثير من لجانه ، وألقى في المجمع ونشر في مجلته عدة بحوث وكلمات ، من ذلك رده على اقتراح الأستاذ أحمد أمين في تبسيط قواعد اللغة العربية وتسكين أواخر الكلم ، كما قدم للمجمع رداً على اقتراح تيسير الكتابة العربية للأستاذ علي الجارم (الدورة ١٠ الجلسة ١١) ، وكذلك رده على الأستاذ عبد العزيز فهمي في اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية (الدورة ١٠ الجلسة ١٥) .

ولقد عرض الأستاذ الرئيس في « المذكرات » لذكر موقفه من الاقتراحات المذكورة ، فقال وكأنه يدافع عن قسوته في الردّ عليها : [عرضت على المؤتمر ثلاث مسائل كبرى إذا أقرها يدخل التبلبل في اللغة العربية .. والاقتراح الثالث وهو أعظم الاقتراحات ضرراً باللغة ، اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربية ، وبذلك يقضى على تراث ألف وخمسمائة سنة ولا يأتي جيل واحد على المسلمين حتى ينسوا القرآن] . وكان الأستاذ الرئيس قد قال في ختام ردّه على اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية : [نحن لا نملك بوجه من الوجوه إدخال جديد مضرّ ، يكون منه القضاء على

(١) المذكرات ج ٢ ص ٥٢٩ .

قديم مقدس . هذه الحروف هي ملك الشعوب الإسلامية كلها اختارها ثلاثمائة مليون من المسلمين ، إذا أبطلت تخسر مصر ويخسر العرب ويخسر المسلمون] .

وصدق الأستاذ الرئيس ما عاهد الله عليه من خدمة العربية أمّ اللغى ، متعهداً مجمعها الأول في دمشق بالرعاية والتمكين له ، مشاركاً في مجمعها الثاني في القاهرة ، باذلاً جهده في خدمة اللغة والدفاع عن سلامتها ، حتى اختاره الله إلى جواره سنة ١٩٥٣ م ، غفر له وأجزل ثوابه وأنزله دار الأبرار من عباده .

وقد بكى مجمع دمشق فقيده الكبير يوم مات بدمع غزير ، ورثاه باسمه بخطاب بليغ مؤثر الدكتور منير العجلاني . وأثبتت مجلة المجمع نعيه في الصفحة ٣١٩ من مجلدها الثامن والعشرين . وقام الدكتور سامي الدهان بترجمته ترجمة وافية نشرت في الصفحة ٢١١ من المجلة في مجلدها الثلاثين ، وأفردت في كتيب خاص من مطبوعات المجمع .

كما نعاه مجمع القاهرة ، وأقام له حفلة تأبين كبرى بتاريخ ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٧٣ هـ الموافق ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٤ م . وألقى فيها كلمة المجمع في رثاء فقيده الغالي الأمين العام الدكتور منصور فهمي .

الأستاذ الرئيس بقلم زملائه المجمعيين

رسم الدكتور سامي الدهان بريشة الأديب المبدع صورة رائعة للأستاذ الرئيس فقال : [لقد كان ـ رحمه الله ـ حركة لا تهدأ في الكتابة والتأليف ، وكان لسانه لا ينقطع عن حديث عذب متصل ، ونكتة بارعة تسبق نكتة بارعة ، ضحكة يطلقها لتلحق بضحكة تسبقها ، وقهقهة لطيفة يميل لها جسمه ، وتنفرج أساريره ، فكأنّ عينيه الشهلاوين تبتسمان من وراء نظارتيه ، ووجهه الأبيض المشرق يحمرّ بالسرور والنضرة . ذلك أنه يحب الطرب والموسيقا

والجمال ، ويعشق الحكاية والقصة والنكتة ، ويهيم بالمجلس اللطيف والعشرة الصافية ، فيفيض بالسحر الحلال من جمل الدعابة والتحبب ، ولتقلب نفسه الكبيرة في دقائق إلى براءة الطفل وسحر السذاجة ، فيخيل إليك أنه أول مرة يضحك فيها بعد طول عبوس ، وتستطيع حينذاك أن تطلب فتجاب ، وأن تقول فيستمع إليك ، على أن تتلطف في الحديث ، وتبتعد عن السفاسف في القول ، فإن كنت لا تملك شيئاً من هذا فاسكت] .

وقال الدكتور كامل عياد ، وهو يحتل كرسيّ الأستاذ الرئيس في مجمع دمشق : [كان الأستاذ محمد كرد علي من الأفذاذ النابغين الذين يمثلون جيلهم أحسن تمثيل ويعبرون عن مشاعره بأفصح لسان . لقد أخذ عن الجيل الذي قبله خلاصة ثقافته وأضاف إليها الكثير من المعلومات والمفاهيم عن طريق المطالعة والدراسة الشخصية . وقد تأثر بالتيارات السياسية والاتجاهات الفكرية التي سارت في مختلف أدوار حياته فلم يتردد في أن يخوض غمارها ويلعب دوراً هاماً فيها . وبذلك كان له تأثير عميق في أبناء جيله والجيل الذي بعده . .

لم يكن الأستاذ محمد كرد علي صلة الوصل بيننا وبين الجيل الماضي ، جيل محمد عبده وطاهر الجزائري فحسب ، بل أيضاً بين عصرنا والعصور الغابرة من تاريخ العرب والإسلام التي أعادها إلى الحياة في كتبه وكشف لنا عن روعتها وهدانا إلى معرفة حقيقتها وجوهرها] .

وقال الدكتور منصور فهمي يؤبن الأستاذ الرئيس في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، واصفاً آثاره : [إن في كتب كرد علي المدونة بأسلوب متناسق وسهل وفخم ، والمستخرجة من أمهات المراجع ، والمستقطرة من الأضابير والأسفار التي لا تتداولها الأيدي ، ما يدل على واسع علمه ،

وعلى موهبته في صناعة الكتب ، وأن رصيده في ذلك ضخم تعتز به المكتبة العربية ، ويفيد منه المشغوفون بالقراءة والاطلاع ، ويفخر به مؤلفه وناشره] .

وقال الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، وهو يحتل كرسيّ الأستاذ كرد علي في مجمع القاهرة : [كان الأستاذ من كتاب العربية المبرزين في هذا العصر ، فقد امتاز بأسلوب سهل رشيق وبيان ناصع مشرق . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يجولوا بمثل قلمه في الموضوعات المتنوعة التي تضمنتها مصنفاته ومحاضراته العديدة .

لقد قضى الأستاذ نصف قرن من الزمن حاثاً شباب الشام على العلم ، باحثاً عن تراث الأجداد الأدبي ، مدافعاً عن المدنية العربية والاسلامية ، داعياً إلى الجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية] .

وقال الأستاذ شفيق جبري يصف أسلوب الأستاذ الرئيس كرد علي وبيانه : [لا ريب في أن بيان محمد كرد علي أبرز ناحية من نواحي عبقريته ، فكيف اهتدى إلى هذا النمط من البيان ، لقد اختمرت في صدره أساليب بلغاء العرب وأمراء الكلام ، فالأسلوب الذي صوّر به جملة من تاريخنا وأخلاقنا وعاداتنا وطبائعنا واجتماعنا وأدبنا ، إنما هو خلاصة أساليب عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وابن عبد ربه من أئمة الأدب ، والغزالي وابن خلدون وأضرابهما من رجال الفلسفة والاجتماع والعمران . اختمرت أساليب هذه الطبقة في ذهنه بعد ممارسة طويلة لمذاهب بيانهم وبعد إعمال الرويّة في محاسن بلاغتهم وملء الفكر من روائع فنهم ولغتهم ، فنشأ عن هذا الاختمار أسلوب خاص بكرد علي فيه آثار كثيرة من روح هذه الطبقة من البلغاء الذين عاشرهم وخالطهم كل حياته ، وقد تناسقت هذه الآثار تناسقاً بديعاً وانسجمت انسجاماً غريبـــاً بحيث تكاد تضيع علينا مصادرها ، فقد تجتمع في بعض

الأحيان في أسلوب كرد علي بلاغة الجاحظ وطبع ابن المقفع وسهولة الغزالي وابن خلدون فتلتحم هذه الأمور التحاماً محكماً متقناً فلا نجد فيها إلا السهولة والبساطة ، ومثلها في ذلك كمثل الشعاع من الشمس ، فإنا إذا نظرنا إلى هذا الشعاع فلا نرى إلا لونه الأبيض ولكنا إذا رددناه إلى أصوله وفككنا أجزاءه اهتدينا إلى مختلف الألوان التي تؤلف الطيف الشمسي] .

وقال الأستاذ محمد بهجة الأثري ، يقدم للناس كتاب الآلوسي عن محمد كرد علي :

[الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، رحمه الله ، .. أمة في رجل .. أهلته مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناة النهضة الحديثة وقادتها الكبار في بلاد العرب ، وسيرته مثال رائع لمضاء العزيمة ، وخلوص النية ، وصدق العمل ، وحب الخير ، وإرادة الإصلاح . نافح عن العروبة والاسلام ، ودعا إلى الحرية وقاوم الاستبداد ، وأجال قلمه في ميادين مختلفة مستنهضاً وباعثاً على الحركة والإحياء والتجديد ، وكتب ما كتب في الأدب والتاريخ والاجتماع والسياسة ببيان سهل ممتنع ورأي سديد ، ووفر لمؤلفاته مادة غزيرة ، وتحقيقاً جيداً ، فزخرت بالمفيد الممتع ، وجمع فيها بين أفضل ما في القديم وأمتع ما في الحديث من المعارف الانسانية] .

كتبه ومؤلفاته

ترك الأستاذ الرئيس ثروة ضخمة من الدراسات والبحوث والمؤلفات أغنت المكتبة العربية أي إغناء ، وفي آثاره المقالة وفيها المحاضرة وفيها الدراسة ، ومنها المترجم ومنها المحقق ومنها المؤلف ، وفي الكتب التي ترجمت للأستاذ الرئيس دراسات وافية لآثاره ، وفيما يلي ثبت بأهم المطبوع من آثاره :

١ – «خطط الشام» في ستة أجزاء من القطع الكبير، طبع في دمشق سنة ١٩٢٥–١٩٢٨ م، وملخص بعض فصوله طبع في مصر سنة ١٩٥٤م باسم «دمشق مدينة السحر والشعر».

٢ – «الإسلام والحضارة العربية» في جزأين، طبع في مصر سنة ١٩٣٤ – ١٩٣٦ م، وطبع ثانية في مصر سنة ١٩٥٠.
وطبعت بعض المحاضرات مما فيه في مصر سنة ١٩٣٤ باسم «الإدارة الإسلامية في عز العرب».

٣ – «أمراء البيان» في جزأين طبع في مصر سنة ١٩٣٧ م، وأعيد طبعه حديثاً في جزء واحد في بيروت سنة ١٩٦٩ م.

٤ – «كنوز الأجداد» طبعه المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٥٠ م.

٥ – «أقوالنا وأفعالنا» طبع في مصر سنة ١٩٤٦ م.

٦ – «غرائب الغرب» طبع للمرة الأولى في جزء، وطبع للمرة الثانية في مجلدين بمصر سنة ١٩٢٣ م.

٧ – «القديم والحديث» طبع في مصر سنة ١٩٢٥ م.

٨ – «المذكرات» طبعت في أربعة أجزاء بدمشق سنة ١٩٤٨ – ١٩٥١ م.

٩ – «غوطة دمشق» من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٩ م، وصدرت طبعته الثانية سنة ١٩٥٢ م.

١٠ – «رسائل البلغاء» طبع في مصر لأول مرة سنة ١٩٠٨، وللمرة الثانية سنة ١٩١٣، وللمرة الثالثة سنة ١٩٤٦ م.

١١ – «سيرة أحمد بن طولون للبلوي» طبع في دمشق سنة ١٩٣٩ م.

١٢ – «المستجاد من فعلات الأجواد للمحسن التنوخي» من مطبوعات المجمع العلمي في دمشق سنة ١٩٤٦ م.

١٣ــ « تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي » من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٦ م .

١٤ــ « كتاب الأشربة لابن قتيبة » من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٧ م .

١٥ــ « البيزرة في الصيد وآلاته » من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٧ م .

المصادر التي ترجمت له

ترجم الأستاذ الرئيس نفسه في كتابين من كتبه ، كما ترجم له كثيرون وهذا ثبت بأهم ما أطلعنا عليه من المصادر :

١ ــ « خطط الشام » له ج ٦ ص ٤١١ ، دمشق ١٩٢٨ م .

٢ ــ « المذكرات » له ج ١ ص ٥ وفي مواضع أخرى فيه ، دمشق ١٩٤٨ م .

٣ ــ « الأعلام » لخير الدين الزركلي ج ٧ ص ٧٣ ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٤ ــ « محمد كرد علي » لشفيق جبري ـ محاضرات في معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٧ م .

٥ ــ « محمد كرد علي » لسامي الدهان من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٥ م ومجلة المجمع ج ٣٠ ص ٢١١ .

٦ ــ « محمد كرد علي » لجمال الدين الآلوسي من مطبوعات وزارة الثقافة العراقية ، تقديم محمد بهجة الأثري بغداد ١٩٦٦ م .

٧ ــ « الأدب العربي المعاصر في سورية » لسامي الكيالي ، من مطبوعات دار المعارف في القاهرة ١٩٥٩ م .

٨ ــ « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ج ١٠ ص ١٦٢ ، دمشق ١٩٦٠ م .

٩ ــ « المجمعيون » مطبوعات مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٦٦ م .

١٠– « أعلام العرب في السياسة والأدب » **لفائز سلامة** ج ١ ص ١٨٤ ، دمشق ١٩٣٥ م .

١١– « أعلام الفن والأدب » **لأدهم الجندي** ج ١ ص ٢٣٦ ، دمشق ١٩٥٤ م .

١٢– « الموسوعة العربية الميسرة » ص ١٤٥٠ من مطبوعات **مؤسسة فرانكلن** ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٣– « المنجد في الأدب والعلوم » من مطبوعات **المطبعة الكاثوليكية** في بيروت ، ١٩٥٦ م .

١٤– « من هو في سورية » **لجورج فارس** ص ٣٧٢ ، دمشق ١٩٤٩ م .

١٥– خطاب **كامل عياد** في المجمع العلمي العربي بدمشق مجلة مج ٣٤ ص ١٦٥ .

١٦– كلمة **منصور فهمي** في حفل التأبين ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مج ١٠ ص ١٩١ .

١٧– خطاب **مصطفى الشهابي** في مجمع اللغة العربية في مصر مج ١١ ص ٢٢٧ .

١٨– « تاريخ الأدب العربي الحديث » بالألمانية **لكارل بروكلمان** – الذيل الثالث ص ٤٣٠ – ٤٣٣ .

١٩– « قدماء ومعاصرون » **لسامي الدهان** ص ١٨٠ من مطبوعات دار المعارف في القاهرة ١٩٦١ م .



- ٢ -

امين سويد

١٨٥٥ - ١٩٣٦ م

نشأته وحياته

ولد محمد أمين بن محمد الدمشقي الشهير بسويد ، في دمشق سنة ١٢٧٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٥٥ م ، في أسرة دمشقية كان أفرادها يتعاطون التجارة والفلاحة ، وكان أبوه تاجراً ، وقد توفي وهو في رحلة إلى الديار الحجازية ، وابنه أمين دون العاشرة من عمره فكفله عم له ، وافتتح متجراً صغيراً لبيع الأقمشة عهد بادارته لابن أخيه الصغير ، ولكن الشاب أهمل المتجر منصرفاً إلى طلب العلم ، فلم يجد العم مفراً من الرضوخ لرغبة ابن أخيه فوافقه على ترك التجارة ، مشجعاً إياه على طلب العلم والاستزادة منه ، فأخذ أمين سويد يتردد على علماء عصره يتلقى عنهم علوم العربية والدين حتى نبغ فيها ، ولكنه لم يكتف بما حصل عليه من علوم تلقاها عن مشاهير علماء الشام ، فرحل إلى مصر ، وكان في ريعان شبابه ، مدفوعاً بشغف حثيث إلى التمكن من مختلف علوم الشريعة ، وفيها دخل الجامع الأزهر وظل يتلقى العلم فيه متردداً على مشاهير علماء القاهرة زهاء خمس سنوات عاد بعدها إلى دمشق ، وابتدأ يلقي دروساً في الفقه وأصوله متبرعاً ، على عادة العلماء في ذلك العصر ، فذاع صيته واشتهر

اسمه ، واعترف له العلماء بالتمكن من علوم الشريعة ، وبالتفوق في أصول الفقه ، مما دفع الحكومة العثمانية إلى تكليفه بتدريس الفقه الحنفي في جامع درويش باشا بدمشق ، ثم لم تلبث حتى قدرت نبوغه ومنزلته العلمية فمنحته بعض الرتب العلمية العالية ، وغدت غرفته في دار الحديث بدمشق محج طلاب العلم .

وكان رحلة الشيخ أمين سويد إلى مصر في مقتبل حياته ، أورثته حب الارتحال ، استزادة للمعارف ورغبة في الاطلاع على أحوال مختلف البلاد الإسلامية والوقوف على نشاط علمائها في نشر علوم الشريعة ، فقام برحلات عديدة إلى تركيا والهند ، كما رحل إلى إيران وبخارى ، وإلى اليمن ومختلف أصقاع الجنوب العربي ، وإلى المغرب وغيرها من البلاد الإسلامية ، وقد اشترك مع الداعية الإسلامي محمد علي زينل علي رضا في تأسيس مدارس الفلاح في الهند والحجاز .

وعندما قررت الحكومة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ م فتح مدرسة في مدينة القدس لتخريج القضاة والمدرسين ، وأطلقت عليها اسم « الكلية الصلاحية » كان الشيخ أمين سويد في طليعة العلماء الذين اختارتهم للتدريس في هذه الكلية ، وقام الشيخ بالمهمة التي عهد إليه بها على خير وجه ، حتى تم إغلاق المدرسة باحتلال الإنكليز فلسطين قبيل انتهاء الحرب ، فقفل الشيخ راجعاً إلى مدينة دمشق .

وفي دمشق اختارته الحكومة العربية التي قامت سنة ١٩١٨ م ، عضواً في الشعبة الأولى للترجمة والتأليف ، وفي سنة ١٩٢٣ م عهد إلى الشيخ بتدريس أصول الفقه في معهد الحقوق العربي بدمشق ، وما أن بدأت نيران الثورة السورية الكبرى بالاندلاع سنة ١٩٢٥ م ، حتى أحس الشيخ برغبة تدفعه للرحيل عن دمشق ، فتركها مستصحباً أسرته وقصد لبنان ، وفي مدينة



الشيخ أمين سويد

صيدا أقام بضعة أشهر ، ثم ارتحل عنها إلى شرقي الأردن وأقام مدة في مدينة جرش ، ثم قصد فلسطين وأقام في مدينة الخليل مجاوراً المقام الإبراهيمي ، ثم كلف بالتدريس بدار المعلمين في مدينة القدس فانتقل إليها .

وبعد مدة أقام أمين سويد خلالها في فلسطين كلف بالتدريس في مكة المكرمة، فأقام فيها سنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ الدراسية ، ثم غادرها إلى الهند للاشراف على مدارس الفلاح فيها وللتدريس في مدرسة بومباي ، ماراً بدمشق لقضاء فصل صيف عام ١٩٢٩ م فيها ، ثم قضى صيفاً آخر في دمشق ليرحل إلى الهند رحلته الأخيرة ، فلما عاد مجدداً إلى دمشق أحس برغبة تدعوه للاستقرار فيها ، فعاد إلى التدريس والوعظ في مسجد زيد بن ثابت الشهير ، ولم ينقطع عن ذلك مدة تقرب من ثلاث سنوات ، إلا ثلاثة أيام ، اختاره الله إلى جواره في ثالثها وكان في العشرين من شعبان سنة ١٣٥٥ ه الموافقة لسنة ١٩٣٦ ه فشيعته دمشق بمأتم حافل إلى مثواه الأخير في الباب الصغير .

أمين سويد المجمعي

كان الشيخ أمين سويد من الأوائل الذين فكرت الحكومة العربية عندما قامت في دمشق إثر جلاء الأتراك عنها ، أن تعهد إليهم بمهمة العناية بالعربية في الدوائر الحكومية وبنشر الثقافة العربية بين موظفي الدولة وبوضع المصطلحات العربية للكلمات التركية المتداولة بينهم ، فعينته بتاريخ ١٩١٨/١١/٢٨ م عضواً في الشعبة الأولى للترجمة والتأليف مع أربعة آخرين من العلماء الذين كانوا فيما بعد أعضاء في (ديوان المعارف) ومن مؤسسي المجمع العلمي العربي لمّا انقلب هذا الديوان بتاريخ ١٩١٩/٧/٨ إلى مجمع علمي .

وشارك الشيخ أمين سويد زملاءه أعضاء المجمع العلمي في رسم النهج الذي اختطه المجمع لنفسه لتحقيق أغراضه في خدمة العربية والنهوض بها ،

ولما غادر دمشق سنة ١٩٢٥ م تخلى عن العمل المجمعي ، واعتبر في عداد الأعضاء المراسلين حتى توفي رحمه الله .

منزلته العلمية وآثاره

بلغ الشيخ أمين سويد القمة بين علماء عصره في المشاركة بأنواع عديدة من العلوم الدينية ، كعلمي **التوحيد والفرائض** ، كما تفرد في علوم البحث **والمناظرة والأصول** ، إلا أن علم التصوف ـ وكان من المتبحرين فيه ـ طبعه ، كما طبع كبار علماء الشام المعاصرين له ، بطابع الزهد في التأليف والبعد عن الشهرة ، وعندما كلف بالتدريس في **معهد الحقوق العربي** ، اضطر إلى تدوين خلاصات عن ما كان يحاضر به ، ولكن لم أوفق للعثور عليها وقد عثرت في مكتبة أحد أولاده على المخطوطتين التاليتين :

١ ـ « **تسهيل الحصول على قواعد الأصول** » ، وهو عبارة عن رسالة موجزة تشتمل على قواعد وضوابط في علم أصول الفقه ، رتبت على مقدمة في مبادىء العلم وسبع مقالات وخاتمة في العقائد الدينية وجمل من الأخلاق المأثورة حوت على إشارات لطيفة تدل على ما كان مؤلفها رحمه الله متمتعاً به من أخلاق رضية مطبوعة بطابع **الزهد والتصوف** . والرسالة في قرابة المئة صفحة اطلعت عليها بنفسي وهي واضحة العبارة من السهل الممتنع ، وقد كتبها المؤلف بخطه وختمها بقوله : [قد تمت هذه الرسالة بعون الله في يوم الجمعة العاشر من ربيع الثاني من سنة اثنتين وعشرين بعد الألف والثلاثمائة في وادي معربة وهي قرية من قرى دمشق الشام ، ونسأله حسن الختام] .

٢ ـ « **علوم القرآن وأصوله** » ، وتقع في عشرين كراسة تقريباً ، وقد اطلعت على مقدمتها ، وهي في خمسين صفحة تقريباً بغير خط المؤلف ، يقول في

مستهلها : [هذه مقدمة محتوية على جملة من علوم القرآن وأصوله على سبيل الإجمال والاختصار ، مأخوذة مما جمعه **الإمام السيوطي** في كتابه « **الإتقان** » وقد أوصلها إلى ثمانين نوعاً ، مع إدماج بعضها في بعض ، مع زيادات انتخبتها من كتب المحققين] وتبين لي أن الثمانين نوعاً التي جمعها الإمام السيوطي قد اختصرها الشيخ أمين سويد إلى سبعة **وأربعين** نوعاً .

وقد أعلمني ابن الشيخ أن والده عكف عند إقامته في فلسطين ، على تدوين كتاب في تاريخ « **مدينة القدس** » من أقدم العصور ، ولكن مخطوطة هذا الكتاب فقدت خلال إحدى رحلات الشيخ المتعددة .

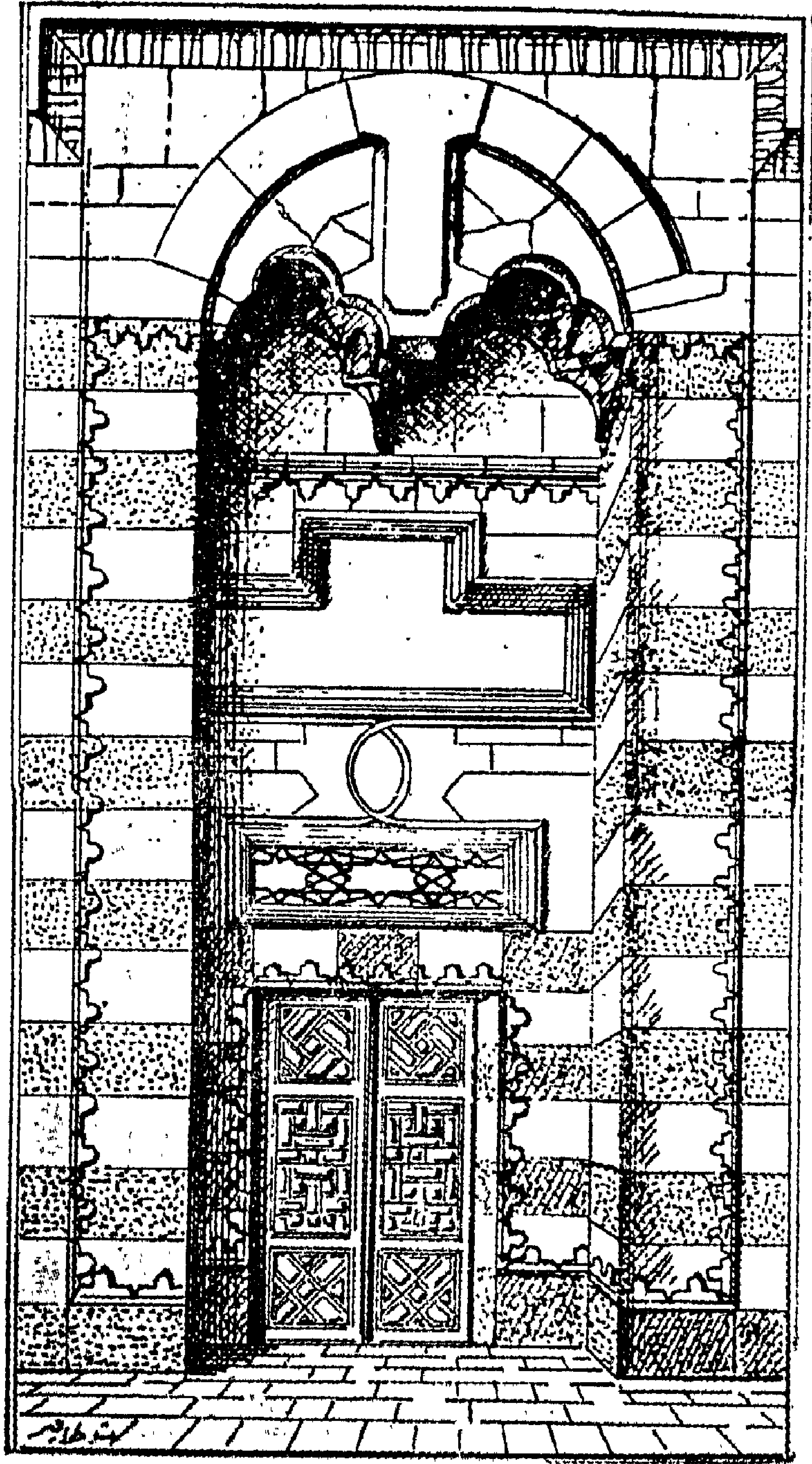
مصادر ترجمته

لم اعثر على ترجمة وافية للشيخ أمين سويد في مصدر مطبوع ، وقد اعتمدت في ترجمته هذه على معلومات زودني بها ابنه الأستاذ محمد ياسين سويد ، وعلى بعض الوثائق التي أطلعني عليها ، وقد وجدت إشارة مقتضبة إلى الشيخ في :

١ — « **معجم المؤلفين** » لعمر رضا كحالة ج ٣ ص ١٣ .

٢ — « **منتخبات التواريخ لدمشق** » لمحمد أديب تقي الدين الحصني ج ٢ ص ٨٨٧ دمشق ١٩٢٨ م .





مدخل المدرسة العادلية دار المجمع العلمي العربي بدمشق

[بريشة الرسام توفيق طارق]

- ٣ -

انيس سلوم

١٨٦٢ — ١٩٣١ م

حياته ودراسته

ولد أنيس بن ناصيف سلوم في مدينة حمص، من أسرة حمصية غسانية الارومة، وذلك سنة ١٨٦٢ م الموافقة لسنة ١٢٧٨ هـ ، وفيها بدأ بتلقي مبادئ التعليم الأولي ، ولما شارفت سنة ١٨٦٩ م على نهايتها فوجئ أنيس بانتقال أسرته إلى مدينة حماة ، حيث أسندت إلى أبيه مهمـــة تبشيرية تستدعي العمل على تأسيس كنيسة إنجيلية لأول مرة ، وأخذ الصغير يتابع تلقف العلوم الابتدائية في بيته وعلى أبيه واعظ الكنيسة الإنجيلية المحدثة ، ولكن رغبته في متابعة تعليمه الثانوي ، وظهور معالم النجابة فيه ، دفعت أباه إلى إرساله سنة ١٨٧٥ م إلى مدرسة (عبية) في جبل لبنان . وفي هذه المدرسة بدأ أنيس سلوم بتلقى تعليماً مدرسياً نظامياً استطاع معه أن يتقن علوم العربية ويلم بمبادئ اللغة الإنكليزية ، ولما تخرّج من المدرسة سنة ١٨٧٧ م كانت بوادر نبوغه قد تجلت في حفظه الكتاب المقدّس .

عاد أنيس سلوم إلى حماة ليتعاطى مهنة التعليم في إحدى المدارس الابتدائية التي عمل مع والده على تأسيسها ، وكان إلى جانب التدريس يتابع تعلم

الإنكليزية ، استعداداً للالتحاق بالمدرسة البروتستانتية السورية في بيروت (الجامعة الأميركية) ليتم فيها دراسته ، ولكن المنية داهمت أباه الواعظ الإنجيلي سنة ١٨٧٩ م ، فما وُجد غيره ، وكان قد اشتهر بثقافة إنجيلية واسعة ، ليحل محله في الوعظ ، فصعد أنيس منبر الكنيسة يعظ أفراد الطائفة الإنجيلية ، وهو فتى يافع ، على أنه لم ينس الاستزادة من العلم ، فظل يتابع الدراسة والتحصيل ويطلع على آداب اللغة العربية وتاريخها ، ويجهد في حفظ سور من القرآن الكريم لزيادة تمكنه من العربية ، حتى اشتهر بين الناس بالتضلع في علم اللغة ، وبامتلاك ناصيتي النظم والنثر والقدرة على الارتجال .

وفي سنة ١٨٨٣ م انتسب أنيس سلوم إلى مدرسة في لبنان تعلم (اللاهوت) لزيادة حظه من هذا العلم وتمهيداً لاختياره راعياً للكنيسة الإنجيلية في حماة ، فلما عاد إليها ، بعد سنة أتم خلالها دورة أهلته للمنصب الذي كان يطمع فيه ، عين راعياً لتلك الكنيسة ، فقام بخدمتها على خير وجه ، حتى كانت سنة ١٨٩٥ م ففيها اضطر أنيس سلوم إلى مغادرة حماة تاركاً منصبه الديني لاجئاً إلى قرية (بشمزين) من أعمال الكورة في جبل لبنان ، مبتعداً عن مضايقة السلطات المحلية له بعد أن وفد على حماة متصرف جديد كان يضمر له شراً لشعر نظمه ممتدحاً به أحد خصومه يوم كان متصرفاً على مدينة عكا من أعمال فلسطين .

وفي قرية بشمزين تابع أنيس سلوم نشاطه في الحقلين الديني والأدبي بالقدر المستطاع ، فلما كانت سنة ١٨٩٧ م دعته الطائفة الإنجيلية في دمشق إلى رعاية كنيستها ، فانتقل إليها يتولى الشؤون الطائفية فيها ، ولم تمض عليه مدة حتى عرفته دمشق كلها خطيباً جهوري الصوت في المحافل السياسية



الاستاذ انيس سلوم

والوطنية ، ومتكلماً يحسن الحديث في الندوات العلمية والأدبية ، فضلاً عن شهرته في الوعظ والإرشاد في الكنيسة الإنجيلية . سمعه أمير البيان الأمير شكيب أرسلان يخطب مرة في حفل أقيم بدمشق في حزيران سنة ١٩١١ م ، فكتب الأمير في جريدة « القتبس » يصف الحفل وكان مما كتبه عن أنيس سلوم قوله : [.. وأما الخطيب الأنيس فهو خطيب فطرة وواعظ طبعاً ، لو أطال أكثر مما قال لما أملّ سامعاً ، وقد كنت ترى أحياناً من الفصاحة في إشاراته ما يباري الفصاحة في عباراته إن لم يزد عليها . ولذلك أطرب الحضور نظمه فضلاً عن مرسله ، وصفقت له الأيدي تصفيقاً ..] .

وفي سنة ١٩٠٩ م انتخب أنيس سلوم نائباً في المجلس العمومي لولاية سورية عن مدينة حماة ، ثم تكرر انتخابه عدة مرات ، وفي ربيع سنة ١٩١٦ م ، وكانت نيران الحرب العالمية الأولى قد اندلعت ، وخضعت سورية للحكم العسكري المباشر ، قام قائد الجيش العثماني الرابع ، بنفي كثير من رجالات البلاد الوطنيين والسياسيين إلى بلاد الأناضول ، وكان أنيس سلوم واحداً من المنفيين إلى مدينة (توقات) من أعمال ولاية سيواس ، وظل منفياً إلى منتصف سنة ١٩١٨ م يوم صدر عفو عام عن المنفيين السياسيين ، فعاد أنيس إلى دمشق ، قبيل جلاء الأتراك عنها ، ولما تألفت الحكومة العربية فيها ، عينته مشرفاً على لغة الدواوين ثم عضواً في الشعبة الأولى للتأليف والترجمة ، كما عاد راعياً للكنيسة الإنجيلية ، وخطيباً لسناً ومحاضراً حلو الحديث في مختلف المحافل والندوات ، حتى إذا ما كانت سنة ١٩٢٦ م اعتلت صحة أنيس سلوم فخف نشاطه ، ورغب في اعتزال الوعظ في الكنيسة والتزام البيت .

وبتاريخ ١٩٣٠/١١/٧ أقامت الكنيسة الإنجيلية بدمشق حفلة كبرى تكريماً لراعيها السابق . وكانت حفلة مشهودة تناسبت مع مكانة الأستاذ

أنيس سلوم العلمية والأدبية ، تجلت فيها عواطف الناس نحو من كان يبذل جهده في سبيل خدمتهم ، وظل أنيس سلوم ملتزماً بيته إلى أن وافاه الأجل في العاشر من شهر كانون الأول سنة ١٩٣١ م الموافقة لسنة ١٣٥٠ هـ ، فدفن في دمشق يوم الجمعة في ١٩٣١/١٢/١١ م بمأتم حافل ضم رجال الحكومة ورجالات مختلف الطوائف ، وكثيراً من العلماء والمفكرين يتقدمهم زملاؤه أعضاء المجمع العلمي العربي .

أنيس سلوم المجمعي

عندما تألفت أول حكومة عربية في دمشق ، إثر جلاء الأتراك عنها سنة ١٩١٨ م ، كانت العناية بلغة الدواوين وتصحيح أساليب المراسلات الحكومية ، في طليعة المهام التي تطلعت إلى القيام بها ، وقد وجدت في الأستاذ أنيس سلوم خير من يكلف بالمهمة المذكورة ، فعهدت إليه بالإشراف على لغة الدواوين ومراقبة المراسلات الرسمية من حيث إنشاؤها ، والعمل على إرشاد الشباب من موظفي الحكومة إلى الفصيح من الأساليب والصحيح من العبارات .

وأخذ الأستاذ أنيس سلوم يجمع شباب الموظفين في غرفته بدار الحكومة ، ويملي عليهم أمالي في قواعد اللغة العربية وأصول الإنشاء ومبادئ البلاغة والبيان . ولكن الحكومة لم تلبث أن عرفت بأن المهمة التي ألقتها على عاتق الأستاذ أنيس سلوم مهمة عسيرة تحتاج إلى جهود آخرين معه ، فعمدت بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ م إلى تأليف الديوان الذي أطلقت عليه اسم (الشعبة الاولى للترجمة والتأليف) واختارت لعضويته الأستاذ أنيس سلوم مع أربعة آخرين من العلماء ، ثم عمدت بتاريخ ١٢ شباط

(فبراير) ١٩١٩ إلى تحويل الشعبة المذكورة إلى (ديوان للمعارف) كان نواة المجمع العلمي العربي .

وقام الأستاذ أنيس سلوم مشاركاً زملاءه أعضاء المجمع العلمي المؤسسين ، يعمل على تحقيق الأغراض التي أنشىء من أجلها ، وضمن النهج الذي اختطوه لأنفسهم ، وقد شغل نيابة رياسة المجمع في دورة ١٩٢٣ م ، وأدار المجمع فترة من الزمن خلال غياب الأستاذ الرئيس ، وكان في مقدمة الأعضاء حيوية ونشاطا ، رثاه نائب رئيس المجمع الشيخ عبد القادر المغربي يوم وفاته ، فكان مما قاله :

[.. كانت معارف الأستاذ سلوم اللغوية وذوقه الصحيح في الفصيح من كلماتها وأساليبها ثروة للمجمع أفادته في ما هو بسبيله من خدمة اللغة وإصلاح أغلاط الكتّاب ووضع كلمات جديدة تفي بحاجة الاصطلاحات العلمية والفنية والإدارية ..]

كما رثاه من زملائه المجمعيين الأستاذ فارس الخوري فقال :

[... وله في ناحية اللغة ، التي كان معدوداً بين علمائها الثقات ، منزلة من التدقيق والتحقيق قلما بلغها نحرير غيره من المعاصرين ، فقد كان رحمه الله مرجعاً موثوقاً به في ضبط الألفاظ وصحة التركيب وسلامة الإعراب وحفظ المفردات . مع مهارة غريبة باستحضار الكلمات ووضعها في مواضعها ببلاغة نادرة ، وسبك متين وانسجام رائق ..] .

آثار أنيس سلوم العلمية والأدبية

عندما بدأ الأستاذ أنيس سلوم حياته العلمية معلماً ، صنّف عدداً من الكتب المدرسية المختصرة في علوم الصرف والنحو والبيان والمنطق والاقتصاد

والاجتماع والفلسفة ، ولكن عندما لم نجمه في عالم الوعظ والخطابة والشعر ، أهمل الواعظ والخطيب والشاعر ، جمع مواعظه أو خطبه لكثرة المرتجل فيها ، كما أهمل جمع شعره على وفرة الجيد فيه (١) ، على أن أحد خلفائه في رعاية الكنيسة الإنجيلية بدمشق ، تمكن من جمع طاقات ونبذ من كل ذلك ، مع ما قيل في حفلة تكريمه عند اعتزاله منصبه ، وما قيل في رثائه عندما توفي.

هذا وكان أنيس سلوم قد ألقى في ردهة المجمع العلمي عـــدداً من المحاضرات الأدبية والاجتماعية ، وقد نشرت بعض محاضراته في الجزء الأول من [محاضرات المجمع العلمي العربي] المطبوع في دمشق سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م ، والمنشور من هذه المحاضرات هو :

(١) كان أنيس سلوم يعد في عصره من الشعراء المجيدين ، ونحن نجد اليوم فيما يروى عنه كثيراً من المقطوعات والأبيات التي تدل على نفس شاعرية رقيقة ، كما نجد له كثيراً من المساجلات الشعرية مع كثير من علماء أو شعراء عصره ، وكلها مطبوعة بطابع ذلك العصر ، على أن أهم ما امتاز به أنيس سلوم هو الشعر المصنوع ، إذ كان يحسن التشطير والتضمين والتطريز والتشجير والتأريخ وغير ذلك من الصناعات الشعرية التي كانت شائعة يُتفاخر بها ، وكان لأنيس سلوم في كل هذه الصناعات باع طويل يدل على تمكن من اللغة وسعة مفرداتها لديه ، من ذلك بيتان نظمهما يؤرخ فيهما وفاة والده قال :

لما مضى من هـــذه الدنيا أبي ... وقفت أبكي صارخاً يا والد
ناداني التاريخ : كفَّ عن البكا ... فأبوك في دار السعادة خالد
سنة ١٨٧٩ م

ومنه بيت ارتجله مؤرخاً به وفاة (فضيلة) ابنة زميله المجمعي الشيخ عبد القادر المغربي قال :

علمتها التقوى فنالت أجرهـــا ... وتلك في تاريخها (فضيلتك)
سنة ١٣٤٠ م

١ — « العلم » محاضرة ألقيت في ١٩٢١/٧/٢١ م ، وجاءت في الكتاب في ١٧ صفحة من القطع الكبير .

٢ — « العمل بالعلم » محاضرة ألقيت في ١٩٢١/١١/٢٤ م ، وجاءت في الكتاب في ٢١ صفحة من القطع الكبير .

٣ — « الكتب والمطالعة » محاضرة ألقيت في ١٩٢٢/١٠/٢٧ م ، وجاءت في الكتاب في ٢١ صفحة من القطع الكبير .

كما حوت مجلة المجمع في مجلداتها الخمسة الأولى الصادرة قبل سنة ١٩٢٦ م ، نبذاً عديدة بقلم الأستاذ أنيس سلوم في تعريف ونقد بعض الكتب الحديثة .

مصادر ترجمته

توجد ترجمة للأستاذ أنيس سلوم في كل من الكتب التالية :

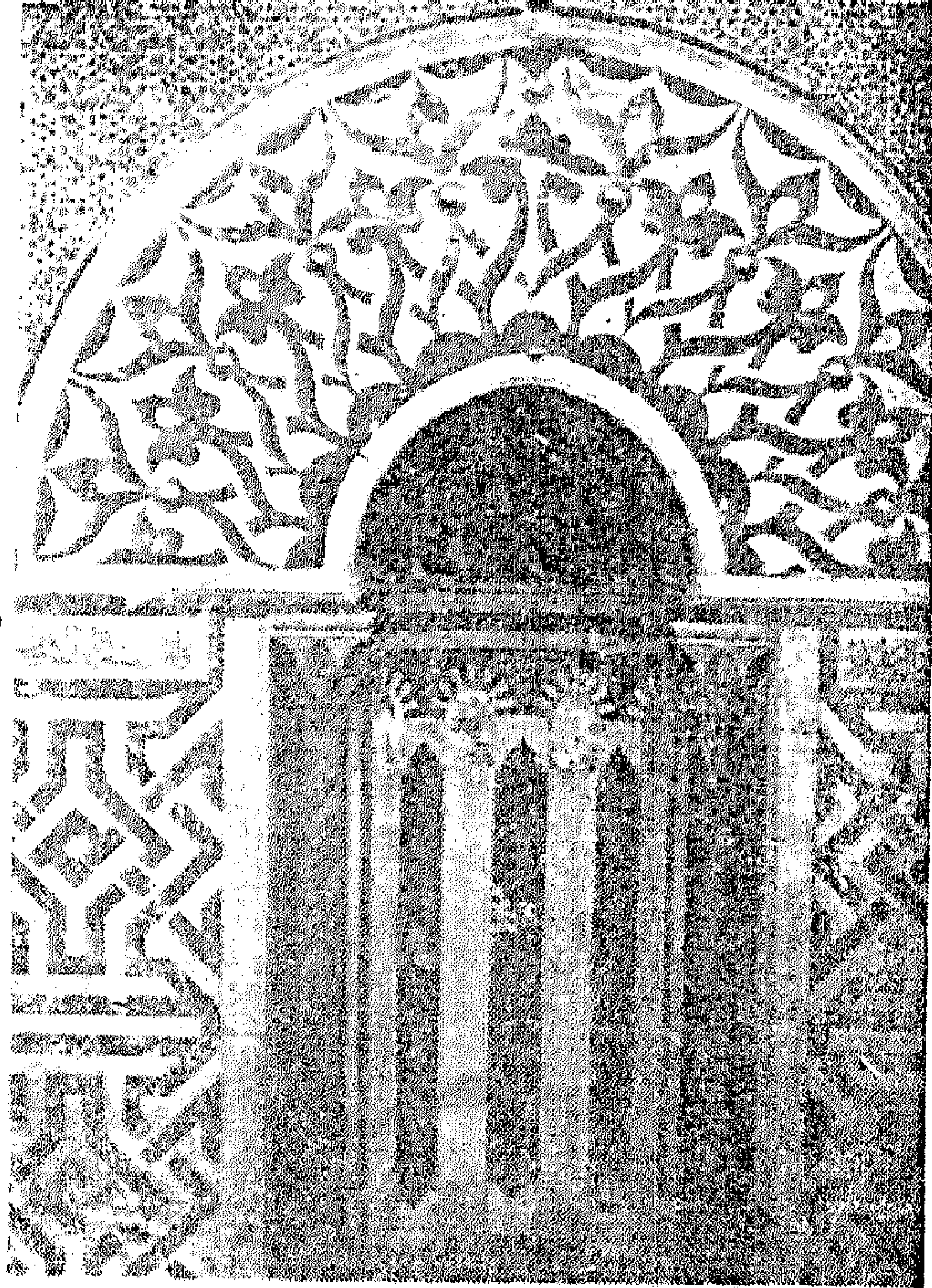
١ — « ذكرى أنيس سلوم » وهو كتاب جمعه شاكر الدبس وقد أشرنا إليه آنفاً ، وطبع في دمشق سنة ١٩٣٤ م ، وفي الكتاب إشارة إلى أن الترجمة منقولة بتصرف عن كتاب « مشاهير حمص » تأليف وجيه وهبة الخوري ، وأنه قيد التأليف ؛

٢ — « أعلام الأدب والفن » لأدهم الجندي ج ١ ص ٥٠ .





الأعضاء المؤسسون سنة ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م



[رسم المحراب في دار الكتب الوطنية « الظاهرية » بدمشق]

- ٤ -

سعيد الكرمي

١٨٥٢ — ١٩٣٥ م

نشأته وحياته

في سنة ١٢٦٧ للهجرة الموافقة لسنة ١٨٥٢ للميلاد ، ولد في مدينة (**طولكرم**) من أعمال فلسطين سعيد بن علي الكرمي ، في أسرة فلسطينية ، جدّها الأول هاجر إلى فلسطين من مصر ، وكان من أفراد قبيلة من **عرب اليمن** رافقت عمرو بن العاص إبّان الفتح الإسلامي لمصر ، ثم استوطنت إقليم « محافظة **الشرقية** » منها .

تلقى سعيد الكرمي تعليمه الأولي في طولكرم ، ثم بعثه والده إلى مصر للالتحاق **بالجامع الأزهر** ، وفي هذا الجامع تلقى علوم العربية والدين ، حتى تخرج منه بعد بضع سنوات حضر خلالها دروس الإمام الشيخ محمد عبده ، واتصل بالشيخ جمال الدين الأفغاني ، وأحكم الصلات بينه وبين كثير من علماء مصر المشهورين في ذلك العصر .

وعاد الشيخ سعيد الكرمي إلى بلده في فلسطين ، فانتسب إلى سلك التعليم ، ثم عين مفتشاً للمعارف في قضاء بني صعب ، ثم **تولى منصب الإفتاء في قضاء طولكرم** ، وكانت إذ ذاك طلائع النهضة العربية المعاصرة بدأت بالتحرك ،

فالتحق سعيد الكرمي برجالها منتسباً إلى جمعية « **حزب اللامركزية العثماني** » التي كانت تضم طائفة كبيرة من أحرار العرب ومثقفيهم ، فأخذ يعمل معهم في سبيل تحقيق أغراضها في طولكرم وفي غيرها من بلاد فلسطين .

وعشية اندلاع نار الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م ، وبعد اشتراك الدولة العثمانية فيها ، أخذت السلطات العسكرية في ديار الشام تلاحق شباب العرب ومفكريهم منكلة بهم للقضاء على فكرة « **الثورة العربية** » التي تمتلج في نفوس العرب الخاضعين للحكم العثماني . وكان الشيخ سعيد الكرمي في عداد من سيق أمام **المجلس العرفي** في عاليه (لبنان) سنة ١٩١٥ م ، ثم كان اسمه مع من حكم عليهم بالإعدام ، غير أنه نجـــا من الموت الذي لاقاه رفاقه الأحرار ، بفضل سنه التي كانت قد تجاوزت الرابعة والستين .

وفي شهر شباط (فبراير) ١٩١٨ م ، وكانت الحرب العالمية على وشك الانتهاء ، أصدرت السلطات العثمانية عفواً عاماً خرج الشيخ سعيد الكرمي على إثره من سجنه في قلعة دمشق ، بعد أن نقل إليها وقضى قرابة سنتين وسبعة أشهر سجيناً ، وأقام الشيخ في دمشق مدة ، ثم قفل راجعاً إلى بلده في فلسطين .

ولما قامت في دمشق أول حكومة عربية فيها بعد جلاء الأتراك عنها ، اختارت هذه الحكومة الشيخ سعيداً الكرمي بين من اختارتهم أعضاء في الشعبة الأولى للترجمة والتأليف **نواة المجمع العلمي العربي** ، وقد كان من أعضائه **المؤسسين الموظفين** ، وقد أقام في دمشق إلى أن دعته الحكومة العربية التي قامت في شرقي الأردن بعد احتلال الفرنسيين لسورية ، فلبى الدعوة وغادر دمشق في أوائل شهر أيار (مايو) سنة ١٩٢٢ م إلى عمّان ، وفيها أسندت إليه حكومتها منصب **قاضي القضاة** و**وكيل الأمور الشرعية** ،



الشيخ سعيد السكري

وكانت هذه الوكالة أحد مناصب حكومة الوكلاء التي كانت تدير إمارة الشرق العربي ، كما كان ، بحكم منصبه ، يقوم برياسة مجلس المعارف .

وظل الشيخ سعيد الكرمي يشغل منصب قاضي القضاة في حكومة شرقيّ الأردن ، حتى نهاية عام ١٩٢٦ م ففيها اعتزل المناصب الحكومية ، وعاد إلى مدينة طولكرم مسقط رأسه في فلسطين ، وفيها عاش بقية حياته حتى انتقل إلى جوار ربه يوم الأحد في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هـ الموافق لـ ١٨ آذار (مارس) سنة ١٩٣٥ م وفي ثراها دفن .

سعيد الكرمي المجمعي

كان الشيخ سعيد الكرمي ، من الأوائل الذين اعتمدت عليهم أول حكومة عربية في سورية المعاصرة ، في حمل عبء النهوض بالعربية وإصلاح لغة الدواوين ، فكان من أعضاء الشعبة الأولى للترجمة والتأليف الذين عينوا بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩١٨ م ، ثم أصبح عضواً في « ديوان المعارف » الذي انقلب إلى مجمع علمي بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٩ م ، وكان من حاضري الجلسة الأولى المجمع يوم ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م .

عمل الشيخ سعيد الكرمي مع زملائه في إقامة بناء المجمع العلمي العربي على أسس متينة ، ولما أسند منصب وزير المعارف إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، تولى الشيخ الكرمي نيابة الرياسة ، فأدار أعمال المجمع وداري الآثار والكتب الظاهرية لمدة سنتين على أحسن وجه ، مشرفاً على إصدار مجلة المجمع في مجلديها الأولين مشاركاً في تحريرها ، وكان من حسن إدارته أن رأت السلطة الفرنسية المنتدبة على سورية ، إظهار احترامها للعلماء العرب

عامة ، ولتقديرها للمجمع العلمي العربي بدمشق بصورة خاصة ، باختيار نائب رئيسه الشيخ سعيد الكرمي ، رمزاً لذلك الاحترام وهذا التقدير . فمنحته وسام جوقة الشرف من رتبة فارس ، وقد أقيم حفل كبير بمناسبة هذا الاختيار ، بتاريخ ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٢١ م بدار الحكومة بدمشق حضره أركان الحكومة ، وافتتحه مدير المعارف امام الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بكلمة قال فيها : يعلق الآن وسام جوقة الشرف من رتبة (شفاليه) على صدر عالم كبير من علماء الأمة ، خدم مجتمعها لترقيته ونهوضه ، وسعى لإحياء آدابها لينير بها الأفكار الخاملة المظلمة . الأستاذ الشيخ سعيد الكرمي من الأعضاء العاملين في المجمع العلمي العربي توفر منذ نشأته على خدمة الفرض الذي أنشىء لأجله ، وهو خدمة اللغة العربية في علومها وآدابها وبث الحضارة العربية في نفوس قراء لغتنا ، ودار الآثار التي أنشأها المجمع ودار الكتب التي زاد في أسفارها ضعفا ، والمحاضرات التي يلقيها كل أسبوع أعضاؤه ورجال العلم من أهل الإخصاء ، ومجلته التي تنشر كل أعماله ، كل ذلك من الأعمال التي قام بها مجمعنا على كثرة المقاومين في مبدأ أمره ..] .

وكان مما قاله الشيخ سعيد الكرمي بعد الاحتفال بتعليق الوسام على صدره :

[لما أسعدني الحظ بوقوفي بين هؤلاء السادة الأكابر ، لأتقلد الوسام الذي لا يعطى إلا لأهل المآثر :

عطست بأنف شامخ وتناولت   يداي الثريا قاعداً غـــير قائم

.. لقد صرت الآن كاسمي سعيداً ، وسأخطو في خدمة أمتي إن شاء الله شوطاً بعيداً ، فاني حملت منةً أثقلت كاهلي ، وضاق عن شكرها لساني وقلمي ، وسأواظب على الدعاء للوطن الذي شرفني خدمته ، وبجلتني بغير استحقاق أمته ، أن يسعد في عهد الحكومة الحاضرة ...[1]] .

(١) انظر مجلة المجمع مج ١ ص ٢٧٧ .

ووفى الشيخ سعيد الكرمي بعهده فظل يوالي إدارة المجمع العلمي ، مشاركاً في تحرير مجلته إلى نهاية شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٢ م ، يوم قبل دعوة حكومة الشرق العربي فغادر دمشق إلى عمّان معتزلاً وظيفته في المجمع العلمي العربي ، على أنه ظل **عضواً مواسلاً له** في كل من شرقي الأردن وفلسطين .

وكان من أعمال الشيخ سعيد الكرمي المجمعية ، في مطلع إقامته بعمّان ، محاولته مع لفيف من العلماء والأدباء المقيمين فيها ، **تأسيس مجمع علمي للشرق العربي** يكون نظيراً لمجمع دمشق ، وتم إقناع أمير البلاد بجلال هذه الفكرة وبضرورة تبنيها والعمل على تحقيقها للنهوض بالعربية وخدمة آدابها في القطر الأردني ، ومناظرة سورية في هذا المضمار ، وبتاريخ ٤ ذي الحجة سنة ١٣٤١ هـ ، الموافق ١٧ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٣ م ، تلقى رئيس الحكومة الأردنية من رئيس الديوان الأميري الكتاب ذا الرقم ٨٠٥ التالي نصه :

[جواباً عن كتابي فخامتكم المؤرخين في ٢٧ حزيران رقم ١٤٦٨ و ٨ تموز ١٩٢٣ رقم ١٥٥٤ ، ورغبة في إحياء الآثار القومية ، ورفع منار المعارف العربية ، فقد صدرت إرادة سيدي ومولاي صاحب السمو الملكي المعظم بتأسيس « **مجمع علمي** » بحماية سموه العالي ، يكون رئيساً له سماحة الأستاذ وكيل الأمور الشرعية **الشيخ سعيد الكرمي** وأعضاؤه : الفيلسوف العلامة رضا توفيق بك ، والأستاذ اللغوي المفضال الشيخ مصطفى الغلاييني ، والأستاذ الفاضل السيد رشيد بقدونس ، ومدير الجريدة الأديب السيد محمد الشريقي ، ليكونوا أعضاء عاملين ينتخبون إخوانهم من الأعضاء الفخريين في الأقاليم العربية كافة على الطريقة التي يقررونها ، ليكون ذلك **عاملاً قوياً من عوامل إحكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد** . كما أن الأعضاء العاملين يكونون في الوقت نفسه هيئة إدارية لمصلحة الآثار .

وقد أمر سموه أيده الله بإنشاء مجلة باسم «**مجلة المجمع العلمي في الشرق العربي**» على أن يقوم بشؤونها أعضاؤه العاملون، وأن ينفق على إنشائها من واردات الجريدة والمطبعة الرسمية.

فتفضلوا بابلاغ من يلزم لإجراء ما يجب وفقاً لمنطوق الإرادة المطاعة. واقبلوا التحيات والاحترام] .

ورحب المجمع العلمي العربي بدمشق بالمجمع الجديد، ونشرت مجلته في ص ٤٦ من المجلد الرابع لسنة ١٩٢٤ م خبر إنشاء المجمع العلمي في الشرق العربي، قائلة: [.. وعلمنا أنه انتخب أعضـاء شرف له العلماء الرصفاء أحمد زكي باشا **ورئيس مجمعنا العلمي السيد محمد كرد علي** والشيخ أحمد عباس الأزهري والأب أنستاس الكرملي والسيد إسعاف النشاشيبي، وفي تلك النشرة ان المجمع سيعنى بإحياء اللغة العربية، ونشر المدارس والمؤلفات وإلقاء المحاضرات، وإنشاء دار كتب وإصدار مجلة شهرية. **فنرحب بهذا الوصيف الجديد**] .

ورغم أن هذا المجمع العلمي بدأ أعماله وعقد أعضاؤه العاملون **برياسة الشيخ سعيد الكرمي** عدداً من الجلسات قرر فيها جملة من القررات المتعلقة باللغة والمصطلحات الادارية، إلا أن عوامل عديدة أدت بعد فترة من الزمن إلى توقف أعماله ثم إلى إلغائه.

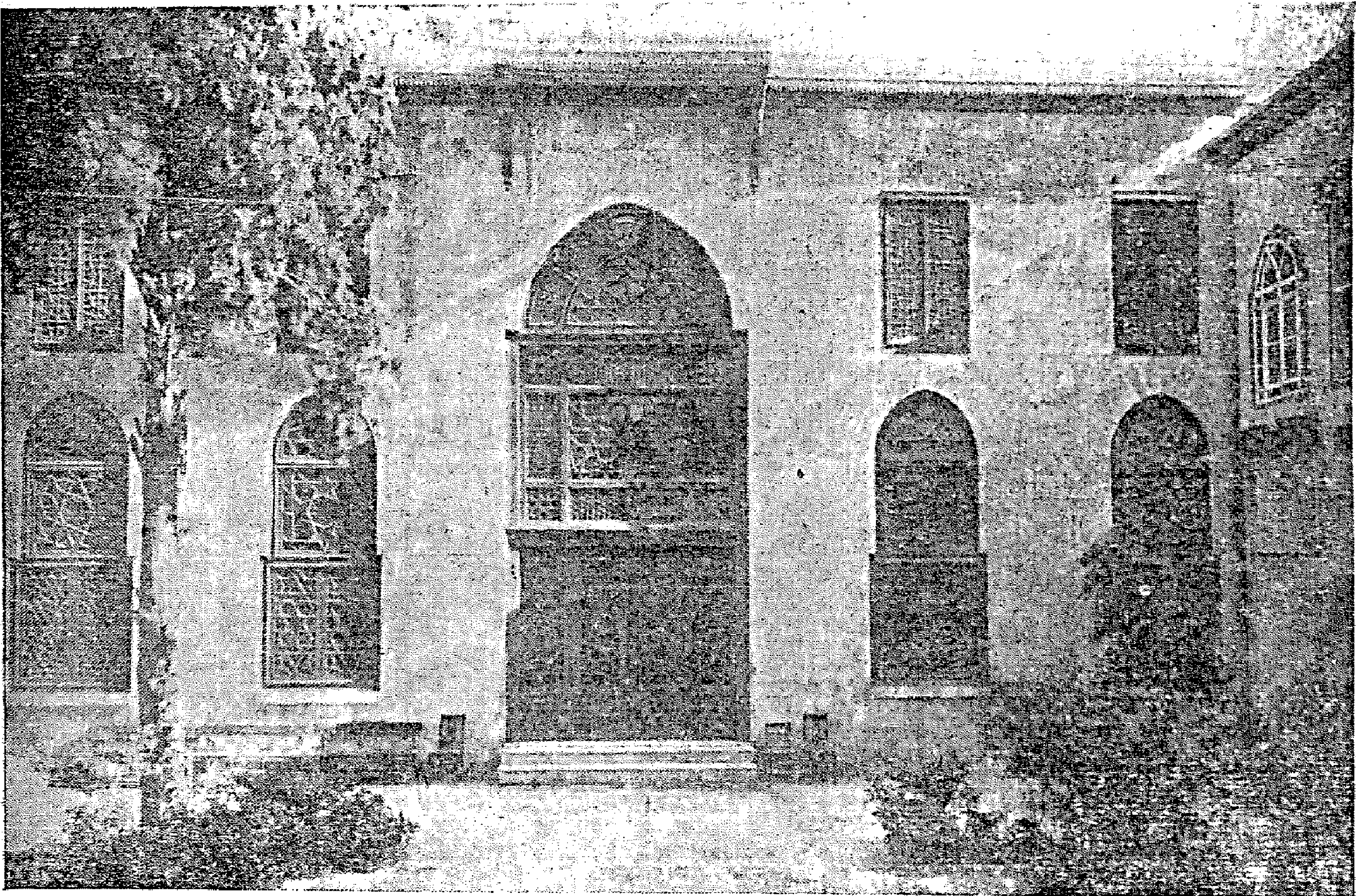
وعندما لحق الشيخ سعيد الكرمي سنة ١٩٣٥ م بالرفيق الأعلى، كان المجمع العلمي العربي بدمشق في أزمة داخلية ومجلته متوقفة عن الصدور، فلما عاودت صدورهـا أشارت في ص ٣١٨ من المجلد ١٣، إلى وفاة الشيـخ الكرمي عضو المجمع العلمي بأسطر ثلاثة حزنها عليه، دون أن تتمـكن من الوفاء بحقه عليها، **ولعلها، بنشر هذه الترجمة له اليوم، تفيه بعض حقه**.

منزلة الشيخ سعيد الكرمي وآثاره العلمية

كان الشيخ سعيد الكرمي من طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة ، **فقيهاً بالدين وباللغة** عالماً بأسرارهما ، **أديباً** يحسن الخطابة والاستشهاد ، **ناثراً** يحب السجع في كثير من الأحيان ، يقرض الشعر وله قصائد يحاكي فيها شعراء الجاهلية بالجزالة والصور البدوية ، كما له شعر من قبيل الموشحات ، ونظم على طريقة علماء اللغة ، في تسهيل النحو وبعض علوم اللغة ، كما كان يعنى بنظم **شعر التأريخ** .

أما آثار الشيخ سعيد الكرمي العلمية فهي قليلة **لا تتناسب مع منزلته العلمية** والمكانة الاجتماعية التي له ، وذلك لاشتغاله في أول أمره بالشؤون السياسية ، ولتسنمه فيما بعد المناصب الحكومية الرفيعة وانشغاله بها ، هذا إضافة إلى ما طبع عليه من زهد وحب للتصوف ، على أنه كان في صدر شبابه قد طبع سنة ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥م ، رسالة في التصوف بعنوان (**واضح البرهان في الرد على أهل البهتان**) .

وعندما كان يشرف على إصدار مجلة المجمع العلمي العربي ، كان يشارك في تحريرها ، باحثاً في أهمية دور الكتب الوطنية وفائدتها في المجتمع ، **واصفاً نفائس المخطوطات والعاديات** ، معرفاً بالجديد من المطبوعات ، ومن أهم الموضوعات التي نشرها في هذه المجلة بحث طويل بعنوان (**الإعلام بمعاني الأعلام**) وهو محاولة ترتيب جديد لكتاب (**الاشتقاق**) لابن دريد ، وقد استغرق من المجلة ما يقرب من خمسين صفحة من القطع الكبير ، نشر في سبعة من أجزاء مجلدي السنتين الأولى والثانية . وله بحث آخر بعنوان (**اللغة والدخيل فيها**) استغرق نشره تسع صفحات من المجلد الأول بدءاً من ص ١٢٩ .



قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في دار المجمع

كما ألقى الشيخ سعيد الكرمي في ردهة محاضرات المجمع ، بتاريخ ٨ تموز (يوليو) ١٩٢١ م محاضرة بعنوان (بماذا يكون انتظام المجتمع الإنساني) وقد نشرت في مجلة المجمع ، وجاءت في أربع عشرة صفحة [1] .

مصادر ترجمته

لم أعثر على ترجمة للشيخ سعيد الكرمي بقلمه ، كما لم يترجمه أحد ترجمة وافية ، وقد استقيت كثيراً من المعلومات عنه من ابنه الأستاذ عبد الكريم الكرمي (**الشاعر أبو سلمى**) الذي أخبرني بأنه يعد كتاباً عن حياة أبيه وآثاره العلمية .

على أن ترجمة مقتضبة للشيخ الكرمي وردت في المصادر التالية :

١ — « **مجلة الأديب** » بقلم يعقوب عويدات ، بيروت عدد حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ م .

٢ — « **أعلام الأدب والفن** » لأدهم الجندي ج ١ ص ٣٦٨ .

٣ — « **معجم المؤلفين** » لعمر رضا كحالة ج ٤ ص ٢٢٨ .



(١) انظر المجلة مج ١ ص ٢٢٥ .

- ٥ -

عبد القادر المغربي

١٨٦٧ — ١٩٥٦ م

نشأته وحياته .

ولد عبد القادر بن مصطفى المغربي في مدينة اللاذقية على الساحل السوري في الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٨٤ هـ الموافقة لسنة ١٨٦٧ م ، وكان أبوه قد سكن اللاذقية عندما انتقل إليها ليتولى فيها القضاء ، وهو من مدينة طرابلس ، إحدى مدن ساحل بلاد الشام ، وولد فيها لأسرة كان جدها ، ذو الأرومة التركية ، قد هاجر إليها من بلاد تونس الخضراء في المغرب العربي ، فنسب إلى هذا المغرب هو وأحفاده من بعده .

تلقى عبد القادر المغربي علوم الدين واللغة على شيوخ عصره في طرابلس بعد أن عاد أبوه إليها ، كما رحل إلى بيروت يتلقى العلم عن شيوخها ، وما شب إلا وقد حفظ المتون في الفقه واللغة والأدب ، فعين في إحدى وظائف القضاء الشرعي الكتابية ، وبقي في وظيفته بضع سنوات ، رحل بعدها في سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية ، طلباً للمعرفة وسعياً وراء وظيفة أعلى ، وفيها التقى بكثير من رجال الفكر وعلماء العصر ، وفي طليعتهم الشيخ جمال الدين الأفغاني فأحكم الصلة معه



الشيخ عبد القادر المغربي

متلقياً عنه فكرة الاصلاح الديني والاجتماعي ، مرتبطاً عن طريقها بالإمام الشيخ **محمد عبده** ، وما أن عاد الشيخ عبد القادر المغربي إلى طرابلس سنة ١٣١١ هـ — ١٨٩٣ م ، حتى عين عضواً في مجلس معارفها ، فأخذ ينشر فكرته ويدعو إلى حرية الرأي والتجديد حتى ضاق بفكرته العلماء المتزمتون ، وضاقت بآرائه السلطات الحاكمة ، فبدأت بمضايقته ومراقبة خطواته ، ثم عمدت إلى اعتقاله في مدينة بيروت لمدة أشهر ، فلما أفرجت عنه ولاحت له فرصة للهرب من مضايقاتها ، فرّ بفكرته وآرائه إلى مصر للالتحاق فيها بأعوان **الإمام** الشيخ محمد عبده ، وكانت هجرته هذه عام ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م ، السنة التي توفي فيها الإمام .

ظل الشيخ عبد القادر المغربي على عهده للإمام ، يتصل بأشياعه من العلماء والمفكرين ويوثق الصلات بينه وبينهم ، وأخـذ يحرر في جريدة « **الظاهر** » ، ثم انتقل سنة ١٩٠٦ م إلى جريدة « **المؤيد** » ينشر فيها المقالات الجريئة والبحوث الطريفة ، **داعياً إلى تبني فكرة شيخيه الأفغاني ومحمد عبده** .

وشغل الناس بمصر بمقالات الشيخ وبحوثه ، وعليها قامت صداقات وصلات ودّ كثيرة بينه وبين كثير من المفكرين والأدباء المعجبين بما كان ينشره ، أو يحدثهم به في الندوات الخاصة .

وفي أواخر سنة ١٩٠٨ م أعلن الدستور العثماني ، وتنسمت سورية والبلاد العثمانية الأخرى روائح الحرية ، فهاج الشيخ عبد القادر المغربي الشوق إلى مرابع صباه ومهوى فؤاده ، فخف عائداً إلى طرابلس ، وقد عبّر أحد كبار شعراء مصر في ذلك العصر عن اللوعة التي تركها الشيخ المغربي في نفوس أصدقائه وعارفي فضله ، إذ كتب إليه الشيخ محمد عبد المطلب قصيدة طويلة يعتذر له عن عدم الخروج لوداعه ، قائلاً فيها :

فهل مبلغٌ أشواقَ مصرَ وأهلِها نسيمٌ يوافي «المغربيَّ» فيُسمِعا
أقام بها حيناً من الدهر لم يكن سوى البحرفياً ، سوى الليث أروعا
سوى الشرع آداباً، سوى الحلم شيمةً سوى الفضل جلباباً، سوى الصدق مهيما
له قلمٌ يعلو به الحقُّ إن جرى وكان به يحلو «المؤيَّدُ» مشرَعا
إذا استلَّه في المُعضِلات رأيتَه به اللهُ تبيانَ الحقائق أودعا
ثوى بيننا في سيرةٍ نبويّة نشمُّ بها رَوْحاً من المسك أسطعا
أساءت إليه الحادثاتُ بأرضه وربَّ مسيءٍ رام ضرّاً لينفعا (١)

وكان مما حدث خلال الفترة التي قضاها الشيخ عبد القادر المغربي في مصر ، أن وجه إليه بعض علماء اللغة نقداً شديداً **لتساهله في استعمال المفردات المعرَّبة والدخيلة وبعض الكلمات المولدة** ، في المقالات التي كان ينشرها في «المؤيد» بين سنتي ١٩٠٦ — ١٩٠٩ م ، فما كان من الشيخ إلا أن أخذ ينشر ردوداً على منتقديه يحتج بها لنفسه ، فألفت ردوده كتاباً طبعه في مصر سنة ١٩٠٨ م باسم (**الاشتقاق والتعريب**) وأعادت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعه سنة ١٩٤٧ م ، بعد أن أضاف الشيخ إليه مباحث وفوائد جديدة .

وعاد الشيخ عبد القادر المغربي إلى مدينته طرابلس ، **كاتباً مرموقاً يحرر في مختلف الجرائد والمجلات** ، ويكاتب الصحف المصرية ، داعياً إلى نهضة اجتماعية شاملة ، وفي سنة ١٩١١ م أنشأ في طرابلس جريدة «**البرهان**» ، واستمر في اصدارها إلى سنة ١٩١٤ م ، وقد توقفت بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى ، فكلفته الحكومة العثمانية بالتعاون مع الأمير شكيب أرسلان في العمل على

(١) تنوف أبيات القصيدة على الستين وهي مثبتة في ديوان عبد المطلب المطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٢ بشرح إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ص ١٣٩ .

تأسيس **مدرسة علمية عالية في المدينة المنورة** ، ولكن ظروف الحرب حالت دون تحقيق هذه المهمة ، ثم كان واحداً ممن كلفوا بالتعاون مع الشيخ عبد العزيز جاويش سنة ١٩١٥ م من أجل تأسيس « **كلية صلاح الدين الأيوبي** » في مدينة القدس ، لغرض تخريج دعاة للدين الإسلامي يجمعون بين الثقافتين الدينية والمصرية ، وقام بتدريس « **السيرة النبوية** » و « **فنون البلاغة** » في هذه الكلية .

وفي سنة ١٩١٦ م ، عندما قررت السلطات العسكرية في سورية اصدار جريدة عربية بدمشق باسم « **الشرق** » ، اختارت الشيخ عبد القادر المغربي مديراً لهيئة تحريرها ، فجاء الشيخ دمشق وأقام فيها ، ولما جلا الأتراك عنها سنة ١٩١٨ م ، اختارته الحكومة العربية التي تألفت إثر ذلك ، **للمشاركة في النهوض بلغة الدواوين** ، ثم كان عضواً في « **ديوان المعارف** » ، ثم أصبح عضواً متفرغاً في المجمع العلمي العربي ، وقد كلف سنة ١٩٢٣ م بتدريس اللغة العربية وآدابها في **معهد الحقوق العربي** بدمشق .

وفي سنة ١٩٤١ م ، انتخب الشيخ عبد القادر المغربي **نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي** ، وظل يشغل هذا المنصب إلى أن انتقل إلى دار الخلود صباح يوم السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٧٥ هـ وفق السابع من حزيران (يونيو) سنة ١٩٥٦ م ، فشيعته دمشق بموكب حافل اشترك فيه أهل العلم والفكر باكين العالم المصلح ، والأديب الموهوب المتحلي ، بمكارم الأخلاق يوارى الثرى في مثواه الأخير ، بسفح جبل **قاسيون** جبل دمشق الشامخ .

عبد القادر المغربي المجمعي

عندما عزمت الحكومة العربية في سورية سنة ١٩١٨ م ، على نقل لغة **الدواوين** من التركية إلى العربية ، واستحدثت ديواناً لهـــذه الغاية أطلقت

عليه اسم « **شعبة الترجمة والتأليف** » ، بدأ أعضاء هذا الديوان بالقاء دروس خاصة على الموظفين ، بقصد تعليمهم أصول إنشاء المراسلات واعطائهم فكرة عن قواعد اللغة ، ولم تجد الحكومة ، لقطف ثمرات هذا العمل بأقصى سرعة ممكنة ، بدّاً من الاستعانة بجميع من كان يومئذ مقيماً في دمشق من أساتذة العربية وأدبائها ، على اختلاف الأقطار العربية التي كانوا منها ، **وكان الشيخ عبد القادر المغربي** واحداً من هؤلاء الذين شاركوا أعضاء شعبة الترجمة والتأليف حمـــل العبء الذي ألقي على كواهلهم ، فلما رأت الحكومة في الثاني عشر من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩١٩ م إنشاء « **ديوان المعارف** » وعهدت برياسته إلى الأستاذ محمد كرد علي ، كان الشيخ عبد القادر المغربي **أحد الأعضاء الثمانية الذين عينوا فيه** ، ثم أصبح بتاريخ الثامن من حزيران (يونيو) ١٩١٩ م ، مع زملائه السبعة من أعضاء (**المجمع العلمي العربي**) المؤسسين ، الذين حضروا الجلسة الأولى للمجمع في المدرسة العادلية الكبرى بدمشق بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ الموافق لـ ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م .

أخذ الشيخ عبد القادر المغربي ، بما عرف عنه من **نشاط ودأب على العمل** ، يبذل جهده مع زملائه لتحقيق الأغراض التي رسموا لأنفسهم نهج الوصول إليها في الناحيتين اللغوية والأدبية ، وكان **أكثر الأعضاء ، الذين تفرغوا للعمل الجمعي** ، **إنتاجاً ببحوثه اللغوية ومحاضراته الأدبية والاجتماعية** ، وقد نيّفت المحاضرات التي ألقاها في ردهة مجمع دمشق فقط ، ونشرت في مجموعات محاضراته أو في مجلته على الخمسين ، وكثير منها قيّم مبتكر .

وانتخب الشيخ عبد القـــادر المغربي من قبل زملائه أعضـاء المجمع **نائباً للرئيس أكثر من مرة** ، وأشغل وكالة الرياسة في فترات غياب الرئيس

مدداً مختلفة ، وفي نهاية عام ١٩٣٤ م ، وبعد أن تعثرت خطوات المجمع ، وتوقف نشاطه وصدور مجلته كلية بدءاً من عدد أيار (مايو) ١٩٣٣ م ، عهدت الحكومة إلى الشيخ عبد القادر المغربي **بإدارة المجمع والإشراف على دار الكتب الوطنية** فقام بما عُهد إليه خير قيام ، رغم الظروف السياسية والمادية القاسية ، التي كانت سبباً أعاق المجمع عن مواصلة رسالته ، وقد تمكن من إعادة إصدار المجلة بدءاً من عدد أيار (مايو) سنة ١٩٣٥ م ، فأتم بأعدادها المجلد الثالث عشر الذي كان بدىء به سنة ١٩٣٣ م ، ولكن الأزمة المالية ، تبعاً للظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد السورية ، عادت ففرضت على المجمع التوقف عن إصدار مجلته بدءاً من أول سنة ١٩٣٨ م ، وظلت محتجبة حتى انقشعت الغيوم الناشئة عن الأهواء السياسية ، فنهض المجمع من كبوته سنة ١٩٤١ م ، بإجماع أعضائه على إعادة انتخاب الأستاذ الرئيس محمد كرد علي للرياسة والشيخ عبد القادر المغربي **لنيابة الرياسة** ، **فتعاون الرئيسان معاً** على الدفع بالمجمع خطوات واسعة قوية ، عوضت عليه ما كان خسره من زمن أعاقه عن مواصلة جهوده في خدمة العربية .

ولما وافى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، الأجل سنة ١٩٥٣ م وانتخب أعضاء المجمع الأستاذ خليل مردم بك خلفاً له ، استمر المجمع في خط سيره الحميد ، بفضـــل **تعاون الرئيس الجديد ونائبه الشيخ عبد القادر المغربي التعاون الوثيق** .

* * *

وعندما أنشىء مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٣٢ م ، كان **الشيخ عبد القادر المغربي** أحد اثنين **من سورية** ، اختيرا ليكونا عضوين عاملين في المجمع ، وقد حضر الشيخ المغربي جلسة الاحتفال بافتتاح المجمع في الرابع

عشر من شهر شوال سنة ١٣٥٢ هـ الموافق ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ م ، واستمر يحضر جلساته كل عام بانتظام حتى السنة التي وافاه الأجل بها ، فقد منعه حادث ألم به من حضور الجلسات الأخيرة .

وأسهم الشيخ عبد القادر المغربي بنصيب كبير في أعمال مجمع القاهرة ، واشترك في أكثر لجانه ، ونشر مقالات وبحوثاً عديدة في مجلته ، ولا تكاد تخلو دورة للمجمع منذ تأسيسه من بحث له فيها أو أكثر ، كما سجل المجمع ذلك في الكتاب الذي أصدره سنة ١٩٦٦ م بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على تأسيسه باسم « **المجمعيّون** » . ومن أهم مواقفه في الدفاع عن لغة الضاد ورسم حروفها ثورته العارمة ، رغم حلو شمائله وكريم أخلاقه ، في جلسة المجمع رداً على اقتراح الأستاذ عبد العزيز فهمي **بإبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية** ، وليس أبلغ من وصف الأستاذ عباس محمود العقاد لغضبة الشيخ يومئذ ، فقال وهو يرثيه : [.. كان رحمه الله لايثور حتى يهدأ بعد قليل .. وفي إحدى الثورات بينه وبين الأستاذ عبد العزيز فهمي رحمه الله ، كان الأستاذ عبد العزيز **أسرع إلى الرضى من صاحبه** فصالحه وألح عليه في قبول دعوته إلى الغداء بنادي محمد علي . . وكنت من العارضين للكتابة **بالحروف اللاتينية** ، فقلت لعبد العزيز « باشا » إنك بهذه الطريقة يا باشا تغري الناس بمعارضتك . . فقبض على يدي وهو يقول : **وأنت أيضاً** تحضر الصلح .. ولم يدع يدي إلا في السيارة إلى طريق المائدة ، ولم نبرح المائدة يومئذ ، حتى كنا قد استوعبنا من **تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السيد جمال الدين** ، ما تمتلىء به « **موائد** » الصفحات[1] ..] .

(١) جريدة الأهرام عدد ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٥٦ .

وعندما انتقل الشيخ عبد القادر المغربي سنة ١٩٥٦ م إلى الرفيق الأعلى ، بكى زملاؤه في المجمعين شمائله العالية ومعارفه الواسعة ، ونعته مجلة مجمع دمشق في عددها الصادر في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٥٦ م ، مشيدة بنشاطه الجم في رحاب المجمع من أجل نشر رسالته مدة تزيد على خمس وثلاثين سنة ، وكان لمجلته نصيب كبير من نشاطه ، فقد ظل يمدها بمقالاته وأبحاثه اللغوية والأدبية منذ صدورها حتى وفاته رحمه الله ، كما أنها استمرت إلى ما بعد وفاته بأشهر عديدة تنشر ما كان زودها به من بحوث .

وفي سنة ١٩٦٠ م ، عندما انتخب المجمع العلمي العربي الدكتور عدنان الخطيب عضواً عاملاً فيه ، ودعاه ليحل محل الشيخ عبد القادر المغربي في كرسيّه المجمعي ، ألقى في جلسة استقباله يوم الخميس في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ وفق ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٠ م خطاباً ترجم فيه لسلفه مشيداً بمناقبه ومنزلته العلمية .

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فما كاد يتصل به خبر وفاة الشيخ عبد القادر المغربي ، حتى نعاه للناطقين بالضاد قائلاً : [تلقى مجمع اللغة العربية في غمرة من الأسى ، نعي ركن من أركانه ، صحبه منذ نشأته ، وكان في مؤتمراته جهير الصوت ، واضح الأثر ، ذلك هو العلامة الكبير الشيخ عبد القادر المغربي ، بعد أن قضى حقبة مديدة في خدمة اللغة بما كتب وألف من بحوث ودراسات . والفقيد الكريم من الرعيل الأول خلال نصف القرن الماضي ، أولئك الذين نذروا جهودهم لإنهاض العربية وعلاج مشكلاتها وتطويعها لمقتضيات الحياة العصرية في ميادين العلوم والفنون والآداب . وإن مصر لتذكر له أنه كان في صدر نهضتها الحديثة بين رجال الصحافة والأدب الذين خدموا الأساليب الكتابية ، وأمدوها بأسباب النمو والازدهار . وقد

لبث الفقيد إلى آخر عهد من شيخوخته العامرة دائب الجهد ، موصول الدرس ، يملأ المجامع العلمية والأندية الأدبية والصحف السيارة بثمرات كفايته وسعة اطلاعه لنصرة اللغة وعون الباحثين والدارسين . وتلك آثاره باقية تعلي ذكره في الخالدين .. (١)]

ثم عقد المجمع مساء الثالث من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٥٧ م . جلسة علنية لتأبين الشيخ عبد القادر المغربي فألقى كلمة المجمع أمينه العام الدكتور منصور فهمي ، وعندما انتخب الأستاذ محمد الفاسي سنة ١٩٥٨ م عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، دعاه المجمع ليحل محل الشيخ عبد القادر المغربي في كرسيّه المجمعيّ ، ألقى في جلسة استقباله يوم الخامس عشر من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٥٩ م خطاباً ، عدد مآثر سلفه الحميدة ومزاياه العالية .

دمشق تؤبن المغربي فقيد العربية والإسلام

بعد وفاة الشيخ عبد القادر المغربي ، تداعت نخبة من زملائه المجمعيين وأهل الفكر في دمشق (٢) لإقامة حفل تأبيني له ، وقد أقيم الحفل على مدرج جامعة دمشق مساء ٢٦ صفر سنة ١٣٧٦ هـ الموافق ٢ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٥٦ م ، تحت رعاية السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، حضرته جمهرة كبيرة من العلماء والمفكرين في دمشق ووفود كثيرة من مختلف الأقطار العربية، كما حضره أعضاء مؤتمر المجامع العلمية العربية من مصر والعراق .

(١) جريدة الأهرام عدد ٩ حزيران (يونيو) ١٩٥٦ م .

(٢) تألفت لجنة تنفيذية لتحقيق هذا الغرض برياسة الدكتور عبد الوهاب حومد وزير المعارف يومئذ في سورية ، وكان أعضاؤها السادة : منير العجلاني ، ومحمد المبارك وبدوي الجبل ، وجعفر الحسني ، وسامي الدهان ، وعدنان الخطيب ، وتولى أمانة سرها الدكتور محمد أسعد طلس .

وقد افتتح الحفل بعشر من آي الذكر الحكيم ، ثم ألقى **الدكتور عدنان الخطيب** كلمة الافتتاح استهلها بقوله :

[في صباح اليوم السابع والعشرين من شوال عام خمسة وسبعين وثلاثمائة وألف ، السابع من حزيران عام ستة وخمسين وتسعمائة وألف ، حمل الأثير على أمواجه ، صوت مذيع دمشق ينعى للعالم الشيخ عبد القادر المغربي ، **فكان رجع الصوت موجات من الأسى[1] شملت البلاد العربية كافة** ، وموجات من الحزن عمت بلاد الإسلام ، تعبر كلها عما تكنه هذه البلاد للفقيد الراحل من تجلة وتقدير ، ومن حب[*] واعتراف بالجميل] .

ثم تكلم عن منزلة الفقيد العلمية ومكانته في مختلف البلاد العربية ، وكيف دعت نخبة من أهل الفكر والوفاء ، لإحياء ذكراه بهذه الحفلة ، فكان رجع ندائها :

١ — رسالة من مصر بعث بها **الرئيس جمال عبد الناصر** يقول فيها :

[**إن مصر وشبابها** الذي تتلمذ على الفقيد الراحل الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ، لتشارك سورية الشقيقة في إحياء ذكرى ابن بار من أبناء العروبة ، وأديب من أدباء لغة الضاد ، جند قلمه وأوقف قلبه لرفع شأن اللغة العربية ودعم دراستها الحديثة ، فكان **عضواً بارزاً في مجمعنا اللغوي** ، وكان يزود صحافتنا بين حين وآخر بأبحاثه القيمة المبتكرة وآرائه الحية الفذة .

وإن كاتباً كبيراً هذا شأنه **لن يموت أبداً** بل ستظل ذكراه قائمة في نفوسنا ، ماثلة في خواطرنا جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن] .

٢ — ورسالة من مراكش بعث بها **السلطان محمد بن يوسف** جاء فيها :

[إن للشيخ عبد القادر المغربي فضلاً على الثقافة العربية وتقاليدها ، بما قام به طيلة حياته المليئة بجليل الأعمال من الأبحاث القيمة في مختلف المواضيع .

ولقد كان من أحسن الممثلين للجالية المغربية ، في الشرق العربي الذي آوى إليه كثيره فراراً من جبروت المستبدين ، وكل من قصد الشرق العربي من المغاربة سواء في القديم أو الحديث ، وجد فيه من الفضل وأهله ما يجعله في أهله وعشيرته كأنه لم يغادر وطنه ومسقط رأسه . وذلك هو شرف العروبة منذ كانت ولن تزال . فهي وطن كل عربي في كل زمن وتحت كل سماء .

وما نسينا ولن ننسى موقف الشيخ عبد القادر المغربي من القضية المغربية في عهد الأزمات الأخيرة ، إذ كان في الصف الأول من المناضلين عن حق المغرب الأقصى في الحرية والكرامة] .

٣ — ورسالة من تونس بعث بها الرئيس الحبيب بورقيبة يقول فيها :

[مما يسرني ، كما يسر كل مواطن عربي في وطن العروبة جمعاء ، هو أن نذكر في هذه الفترة من تاريخنا ، ما أسداه رجل الفضل والعلم والتواضع والصدق، المرحوم الشيخ عبدالقادر المغربي من أياد كريمة لنهضة العربية والإسلام .

وأن نذكر بالخصوص كيف استطاع هذا العربي الصادق ، أن يكون من الرواد الأولين الذين استعادوا الصلة بين المشرق العربي والمغرب العربي ، في وقت كانت فيه الصلة مقطوعة والقطيعة مستفحلة .

أما اليوم فإننا بفضل الشيخ عبد القادر المغربي وأمثاله ، وبفضل هذه النهضة المباركة التي سارت فيها أجيال العروبة في المشرق والمغرب ، خطوات مباركة نستطيع أن ننظر من جديد إلى مستقبلنا في كامل الوطن العربي ، نظرة المتفائل الواثق بالمستقبل والمؤمن بإعادة المجد المشترك والوحدة الشاملة في ظل الحرية والرخاء] .

٤ — ورسالة من الرئيس ناظم القدسي عدد فيها مزايا الفقيد وحلو شمائله ، وانتهى إلى القول : [وإني لأفخر إذ كان لي شرف التتلمذ عليه

سنتين في معهد الحقوق ، فعرفته أستاذاً يتقدم القادة المخلصين الذين أخذوا على عاتقهم إصلاح الأمة العربية وإنقاذ العالم الإسلامي من براثن الاستعمار . فقد كان رحمه الله عالماً ضليعاً ولغوياً فذاً ، ورائداً صالحاً ومرشداً ناصحاً ، شديد التأثر بالحركة الإصلاحية التي بعثها المصلح الكبير جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده ، والتي كان المرحوم في الطليعة من روادها ، والعاملين لها والداعين إليها] .

٥ — ورسالة من السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، أشار فيها إلى مزايا الفقيد ومما جاء فيها : [ولم يقتصر نشاطه على رحاب سوريا العظيمة ، وجنباتها الفسيحة ، وإنما جال وصال وترك الآثار الباقية في أرجاء وطننا الكبير] [1] .

(١) كانت الرسائل التي تلقتها لجنة التأبين من عظماء مفكري العالمين العربي والإسلامي ، أكثر من أن يتلى ، في حفل واحد مهما طال زمنه ، المهم منها فضلاً عن تلاوتها كلها ، على أني تلوت قطوفاً من بعضها ، وكان في طليعة أصحاب الكلمات : الرئيس هاشم الأتاسي ، والرئيس عبد الله اليافي ، والرئيس ابراهيم هاشم ، والرئيس أحمد حلمي عبد الباقي ، والسادة : ظفر الله خان وزين العابدين الهندي ويوسف شاخت وجون بارو ، والأساتذة : أحمد لطفي السيد ورضا الشبيبي ومنير القاضي ومحمد عبد الغني حسن والبير أديب وعيسي الناعوري وعبد الله القلقيلي وعجاج نويهض وأنيس المقدسي ونظير زيتون وتوفيق قربان وشفيق المعلوف ، ومنهم : سامي الصلح وفيضي الأتاسي وأمين سعيد ومحمد الشريقي وواصف البارودي وخليل كنة وعمر بهاء الأميري وجواد المرابط وراغب العثماني وسابا زريق وعبد الستار السيد وسعيد حمزة وسليمان الظاهر وأحمد الشقيري ونديم الملاح ورشاد دارغوث ونقولا فياض وفؤاد الخطيب وعبد المسيح حداد وشفيق غربال وأغناطيوس حريكة وبشر فارس ومحمد بهجة البيطار وعلي دارغوث وفائز المغربي .

ثم ألقى كلمة سورية وزير معارفها الدكتور عبد الوهاب حومد ، فتحدث عن حياة الشيخ عبد القادر المغربي وعن أفكاره الإصلاحية ، وانتهى إلى القول :

[إذا كانت حياة المرء تقاس بما يترك من أثر في وسطه وأمته ، فإن حياة الفقيد كانت أمة من العلماء ، وجيلاً من المجتهدين ، يتحدث عنهـــا طلابه الكثر وقراؤه الذين لا يحصون ، بأحلى ما يكون حديث عن تمكّن عجيب من اللغة ، وتذوق رفيع للأدب ، وجرأة نادرة في الدعوة إلى الإصلاح والحق .

وإن هذه الحفلة التأبينية التي تفضل فخامة رئيس البلاد الأعلى فشملها برعايته ، لواجب تؤديه الشام نحو رجل وهب حياته لعلوم اللغة والفقه ، وتثقيف بنيها جيلاً بعد جيل ، ولذلك كان فقده خسارة لا تعوّض . .] .

ثم وقف الدكتور طه حسين ، وأخذ يفصل الكلام عن معرفته بالشيخ المغربي يوم كان تلميذاً بالجامع الأزهر ، وكان الفقيد محرراً في احدى كبريات الصحف المصرية ، يكتب فيها المقالات الدالة على توقد الذهن الشديد والحرص على نشر الدين الصحيح والقوة في الدفاع عن الأفكار الإصلاحية التي نادى بها الإمام الشيخ محمد عبده ، قائلاً عنه : [كان الفقيد أقوى من القوة في الحق ، وأصلب من الصلب في الدفاع عن العرب والإسلام] ثم تكلم عن دور الفقيد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعن إعجاب زملائه به وحبهم له وكيف كان [حضور الشيخ المغربي إلى مصر يعتبر عيداً من أعياد المجمع اللغوي] وكيف كان [مع السن التي وصل إليها أدنى إلى الشباب من كثير من الشباب] ثم ختم كلمته قائلاً : [باسم المجمع اللغوي المصري وباسم مصر ، أرسل إليه أصدق التحية سائلاً الله أن يشمله برحمته وينزله منازل الأخيار] .

ثم ارتجل **الدكتور منير العجلاني** ، خطاباً قويا في تعداد مناقب الشيخ عبد القادر المغربي ، وفي وصف الأثر الذي تركه الفقيد في **طلابه الجامعيين** عندما كان يدرسهم بعض علوم العربية . وتلاه **الأستاذ شاكر الحنبلي** ، فألقى قصيدة وصف فيها جهاد الفقيد في سبيل خدمة اللغة والدين وإصلاح حال **المرأة المسلمة** .

ثم القيت خطبة بليغة أعدها **الشيخ محمد بهجة الأثري** ، بيّن فيها جهود الفقيد في خدمة اللغة وحرصه على النهوض بالأمة العربية عن طريق الدين واللغة . وألقى بعده **شاعر العاصي بدر الدين الحامد** قصيدة في رثاء الشيخ المغربي ، استهلها بقوله :

أدب مشرق ودنيا ودين ومقـــام في النابهين مكين

وكانت منها الأبيات التالية :

كم سطور دبجتها بيراع هو بالحمـــد والخلود قمين
في الذرا أنت ، سمعة تملأ الدنيا ومجد في الخـالدين مصون
كل مجـد إلا البيان هباء هو في الكون روحه المكنون
ثم قرراً فالمرء حياً وميتاً بالذي تكسب اليـدان رهين
لك مجـد في المصطفين عليه يتجـلى البيــان والتبييــن

وانتهى الحفل بكلمة ألقاها **الدكتور محمد أسعد طلس** ، عدد فيها آثار الفقيد وأهم مؤلفاته ، وأنهاها **بإزجاء الشكر باسم لجنة التأبين وأسرة الفقيد** ، إلى السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، وإلى الملوك والرؤساء وكل الذين أسهموا وشاركوا في تأبين الفقيد المعظم .

بعض أقوال المجمعيين في زميلهم الشيخ المغربي

كتب الأستاذ **محمد بهجة الأثري** كلمة في رثاء الشيخ عبد القادر المغربي ، ومما قاله فيها :

[.. وقد تجلت آية « المغربي » في **عبقريته اللغوية** ، في نزوعه باللغة العربية إلى أغراض الحياة المثلى ، وربط الفكر بها وربطها به . وقد كان يحاول دائماً الإبانة عن طبيعة هذه الوظيفة للغة ، وكيفية الإفادة منها في توسيع نطاقها وتذليل صعابها ، والدلالة على مرونتها وطواعيتها وقدرتها على الاستجابة لنداء حاجات العلوم والفنون والصناعات وشؤون الحضارة ومرافق العمران إلى المصطلحات والألفاظ ، ونداء مطالب الحياة المتطورة المتجددة في جوانب الروح والمادة . **وقد عنّى نفسه من أجل هذا** ، مطالب جسيمة **من الإبداع والابتكار** ، **والهدم والبناء** . وقد هدم غير مضارٍّ ولا متعسّفٍ ، قواعد من قواعد النحاة ـ كقاعدة اشتقاق الآلة مثلاً ـ حجرت واسعاً في اللغة ، وحالت دون نموّ مفرداتها في مرافق الصناعة ونحوها بطريقة حرة من طريق الاشتقاق القياسية ، وبنى مكانها قواعد رصينة تستجيب لمطالب هذا العصر الحديث من غير خروج على مقاييس اللغة المعتبرة ، استخرجها بذكائه الحادّ ، واستنبطها بالاستقراء ، وهو **مطلب انقطع العهد بمثله منذ ألف عام** ..] .

وعندما رثى **الدكتور منصور فهمي** ، الشيخ عبد القادر المغربي ، أشار إلى كتاباته في الصحف المصرية وقال : [.. ولعلنا حين كنا نستمتع بما يكتب المغربي في ذلك **الماضي البعيد** ، لم نكن من الإدراك والعلم في منزلة تهيىء لنا تقدير الآراء ووزن الفكر وتقييمها ، ولم نكن من المعرفة بفنون النقد لأساليب الكتابة وثمرات القلم لكي نعين المكانة الأدبية التي تختار لأسلوب

الشيخ في منازل الكاتبين . على أن شيئاً كان يجذبنا إلى قلمه جذباً ويدفعنا إلى تلمس قراءته دفعاً . ولعل ذلك الشيء كان فيما يفيض به قلم المغربي من إنتاج كان بالنسبة إلى مدارِكنا الغضة سهلاً ومهضوماً ومفهوماً ، وكان بالنسبة إلى عواطفنا المطاوعة محركاً وحافزاً ، فكانت كتابته الخالية من التعقيد والصرامة والعسر ، تبدو كأنها باسمة ومتهللة فتغري بالإقبال عليها ، لما فيها من وضوح التفكير وطلاوة التعبير .] .

وكتب الأستاذ عارف النكدي يؤبن زميله الشيخ عبد القادر المغربي ، كلمة قوية معبرة عن عظيم تقديره للزميل الراحل ، جاء فيها : [.. وأستاذنا المغربي – رحمه الله – عرفته الصحافة كاتباً قديراً ، ومرشداً نحريراً ، متخيّر اللفظ مهذّبه ، منتخل الأسلوب منسجمه . وعرفته المنابر خطيباً ملسانا ، ومحاضراً فياضاً ، بيّن اللهجة حاضر البديهة ، ظريف النكتة ، حلو الفاكهة . وعرفه المجمع العلمي ، صدراً من صدوره ، واسع الاطلاع ، يستصبح برأيه ، ويهتدى بعلمه ، ويرجع إليه في تفهّم ما استبهم من الألفاظ ، واستغلق من المعاني ، وفي العويص من دقائق اللغة ومشتبهاتها . وعرفته مجلة المجمع وقراؤها ، بمقالاته القيّمة ، وبحوثه الدقيقة ، ونظراته الصحيحة ، ونقداته الصائبة ، وتنبهاته وتعليقاته ، فعرفت فيه : الكاتب الأديب ، والمؤرخ الدقيق ، والعالم اللوذعي . . .

وأستاذنا المغربيّ يتميز بصلابة وثبات في سهولة ويسر ، صلابة في معتقده ، وثبات على رأيه . كان صلباً في دينه ، في غير تعصب وكان غيوراً على لغته في غير تزمّت ..] .

ومما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد ، في رثاء الشيخ عبد القادر المغربي : [.. إن الأستاذ المغربيّ ليذكر ببحوث كثيرة في اللغة ، ولكنه لا يذكر في هذه الأيام خاصة ببحث من بحوثه الكثيرة ، كما يذكر ببحثه عن الاشتقاق] .

وأنهى الدكتور عدنان الخطيب ، خطابه عن الشيخ عبد القادر المغربي وهو يحتل مقعده المجمعي ، قائلاً :

[لقد اتعبني الشيخ عبد القـادر المغربي ، أول يوم عرفته ، يوم وليمة جمرايا ، حين كنت أجهد لألحق به ، أما اليوم ، وقد شئم أن أتبوّأ مقعده في صفوفكم ، فقد كانت أمراً إدّاً ، لأن مكان الشيخ بيننا سيظل شاغراً ولن يسد مسده أحد ، فقد جاد الدهر به يوم ولد ، والدهر كأم الصقر مقلات نزور .

لقد جاد الدهر بالشيخ عبد القادر المغربي ، فكان ملء السمع ، ملء البصر ، فسلام عليه يوم ولد ، وسلام عليه يوم نزل دمشق فأحبها وأحبته ، وسلام عليه يوم حنت دمشق على رفاته مخلدة ذكره ومآثره] .

آثار الشيخ عبد القادر المغربي العلمية :

ترك الشيخ عبد القادر المغربي للمكتبة العربية ، ثروة طائلة من المؤلفات والأبحاث والمحاضرات القيمة في اللغة والاجتماع والدين والأخلاق ؛ وإذا كان الكثير من هذه الأبحاث والمحاضرات سبق أن نشر في المجلات والصحف دون أن تضمه دفتا كتاب مستقل ، فإن بعضها ما يزال مخطوطاً لم ينشر ، كبعض مؤلفاته القيمـة .

وفيما يلي ثبت بأهم آثار الشيخ العلمية ، المطبوع منها وغير المطبوع :

أولاً : الآثار المطبوعة :

١ ــ كتاب « الاشتقاق والتعريب » طبع في القاهرة سنة ١٩٠٨ م ، وأعيد طبعه فيها سنة ١٩٤٧ م (١٣٦٦ ﻫ) .

٢ – « **النفور والحجاب** » آراء نشرت سنة ١٩١٠ و ١٩١١ م ، وطبعت مجموعة بدمشق سنة ١٩٥٥ م (١٣٧٤ هـ) .

٣ – كتاب « **البينات** » في جزأين ، طبع في القاهرة سنة ١٩٢٥ م (١٣٤٣هـ) .

٤ – كتاب « **الأخلاق والواجبات** » طبع في القاهرة سنة ١٩٢٦ م (١٣٤٤هـ) .

٥ – محاضرات عن « **محمد ﷺ والمرأة** » مع محاضرات في موضوعات أخرى ، طبعت سنة ١٩٢٩ م (١٣٤٧ هـ) .

٦ – كتاب « **جمال الدين الأفغاني** – ذكريات وأحاديث » طبع في القاهرة في سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) .

٧ – « **مناظرة أدبية لغوية** بين المغربي والبستاني والكرملي » طبعت في القاهرة سنة ١٩٣٥ م (١٣٥٥ هـ) .

٨ – شرح وتحقيق « **تائية عامر بن عامر البصري** » طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) .

٩ – تفسير « **جزء تبارك** » طبع للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٤٩م(١٣٦٨هـ).

١٠ – « **على هامش التفسير** » طبع في القاهرة سنة ١٩٤٩ م (١٣٦٨هـ) .

١١ – « **عثرات اللسان** » من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٩ م (١٣٦٩ هـ) .

١٢ – تحقيق رسالة « **التنبيه على غلط الجاهل والنبيه** » لابن كمال باشا ، نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٦ م (١٣٤٤ هـ) في المجلد ٦ ج ١ وما بعده .

ثانياً : الآثار المخطوطة

١ - « المعجم اللغوي للألفاظ العصرية » وقد وصل المؤلف فيه حتى حرف الذال .

٢ - مجموعة « مقالات وأبحاث » وهي في عدة أجزاء وسبق أن نشرت في الصحف والمجلات .

٣ - مجموعة « محاضرات » وهي في مجلد كبير ، ولم يسبق أن نشرت .

٤ - كتاب « أحسن القصص في التاريخ النبوي المقدس » .

٥ - كتاب « العقائد الإسلامية » .

٦ - كتاب « أقرب الطرائق إلى كنز الدقائق » في الفقه الحنفي .

٧ - كتاب « فنون البلاغة » .

٨ - كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » .

٩ - شرح « مقصورة ابن دريد » .

١٠ - كتاب « طائفة من الأشعار في وصف الصحارى والقفار » .

١١ - كتاب « المنتخب أو نوادر العلوم وفرائد الأدب » .

١٢ - كتاب « الأسرة المغربية - أصلها وفروعها » .

مصادر ترجمة الشيخ المغربي

ترجمت للشيخ عبد القادر المغربي مصادر كثيرة ، وأهم ما وقفنا عليه من المصادر هي التالية :

١ - « الشيخ عبد القادر المغربي » محاضرات الدكتور محمد أسعد طلس في معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٥٨ م .

٢ - « الأدب العربي المعاصر في سورية » تأليف سامي الكيالي ص ١٣٧ القاهرة ١٩٥٩ م .

٣ — «المجمعيون» كتاب مجمع اللغة العربية في القاهرة ص١٠٧ القاهرة ١٩٦٦م.

٤ — «عالمنا العربي» كتاب نعمة زيدان ص ٥٨٢ بيروت ١٩٥٦ م .

٥ — «الموسوعة العربية الميسرة» كتاب مؤسسة فرانكلن ص ١٧٢٤ القاهرة ١٩٦٥ م .

٦ — «أعلام الفن والأدب» كتاب أدهم الجندي ج ٢ص ١٢٠ دمشق ١٩٥٨م.

٧ — «تاريخ الأدب العربي الحديث» بالألمانية كتاب كارل بروكلمان الجزء الثالث سنة ١٩٤٢ م ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .

٨ — «المنجد» في الأدب والعلوم معجم فردينان توتل ، المطبعة الكاثوليكية بيروت.

٩ — «قدماء ومعاصرون» تأليف سامي الدهان ، طبع دار المعارف القاهرة ١٩٦١ ص ٢٧٣ .

١٠ — «الشيخ عبد القادر المغربي» مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣١ ص ٤٩٨ دمشق ١٩٥٦ م .

١١— «عبد القادر المغربي» رثاء الدكتور منصور فهمي . مجلة مجمع اللغة العربية مج ١٣ ص ١٧٧ القاهرة ١٩٦١ م .

١٢— «عبد القادر المغربي» خطاب الدكتور عدنان الخطيب . مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣٦ ص ٣٣٢ دمشق ١٩٦١ م .

١٣— «الشيخ المغربي» خطاب الأستاذ محمد الفاسي . مجلة مجمع اللغة العربية مج ١٤ ص ٢٦٣ القاهرة سنة ١٩٦٢ .

١٤— «الشيخ عبد القادر المغربي» خطاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن في احتفال المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة — مجلة الأديب نيسان (ابريل) بيروت ١٩٦٧ م .



- ٦ -

عز الدين التنوخي

١٨٨٩ — ١٩٦٦ م

نشأته وحياته

ولد **عز الدين** بن أمين شيخ السروجية بدمشق سنة ١٣٠٧ هـ الموافق لسنة ١٨٨٩ م . وبهذا الاسم عرف الوليد في أول أمره ، ولكن بآخرته عرف واشتهر باسم **عز الدين علم الدين التنوخي** ، بعد أن عرف أن نسبه يتصل بقبيلة تنوخ العربية فأشاعه .

بدأ عز الدين التنوخي يتلقى علومه الأولية في المدرسة الرشدية الابتدائية بدمشق ، بعد أن كان قد ختم القرآن في المدرسة السباهية ، وقبل أن يتم تحصيله هاجر أبوه إلى فلسطين ، وفي مدينة يافا أقامت أسرة شيخ السروجية إلى جانب ربها الذي كان يتعاطى التجارة طلباً للمعاش ، وفيها أتم عز الدين **تحصيله الإعدادي** ، بعد أن انتسب إلى (مدرسة الفرير الفرنسية) ولما وجد أبوه رغبة منه في الاستزادة من العلم بعث به إلى مصر للالتحاق **بالجامع الأزهر** .

مكث عز الدين التنوخي في مصر نحواً من خمس سنين ، ثم عاد إلى دمشق بعد أن مر بأسرته في فلسطين ، وأخذ يجلس في مسجد دمشق الجامع ويتكلم فيتحلق الناس حوله ، حتى تحدث الناس عن ابن شيخ السروجية الأزهري الذي يدرّس في المسجد دروساً فيها دعوة إلى الاصلاح الاجتماعي تدل على أزهريته وعلى ثقافة تبين عن حداثة وتجديد .

وفي سنة ١٩١٠ م ، اختارته جمعية أهلية ، ألفها بعض أهل الفكر في دمشق ، واحداً من ثلاثة قررت ايفادهم بمئة إلى فرنسة لمتابعة تحصيلهم العالي في إحدى مدارسها ، فسافر ومكث فيها ثلاث سنوات حصل في نهايتها على شهادة المدرسة الزراعية في مدينة أوريزون وعلى شهادة في تطعيم الأشجار ،

وعاد عز الدين التنوخي سنة ١٩١٣ م من فرنسة ، معرجاً على الآستانة عاصمة الدولة ، يعادل فيها شهادته الفرنسية بالشهادات العثمانية سبيل الوظائف الحكومية إذ ذاك ، وأقام في الآستانة مدة انتهت بتعيينه معلماً للزراعة في مركز بيروت الزراعي ، وكان خلال هذه المدة يتصل بالشباب العربي المتطلع إلى نهضة عربية شاملة ، موثقاً علاقاته بالرواد منهم ، منتسباً إلى إحدى منظماتهم المسماة بـ (المنتدى الأدبي) .

وصل عز الدين التنوخي إلى بيروت معلماً للزراعة ولم تمض عليه في وظيفته سنة ، إلا وكانت نيران الحرب العالمية الأولى قد اشتعلت سنة ١٩١٤ م ، فدعي إلى الخدمة العسكرية ، ودخل مدرسة ضباط الاحتياط في دمشق وقبل أن يتم ورفاقه من الشباب العربي المتحمس الدراسة المقررة لهم ، ألحقوا بالجيش العامل تشتيتاً لهم ، وفوجىء عز الدين التنوخي ، وكان مركز اللواء الذي ألحق به في حلب ، بالسلطات العسكرية تلقى القبض على بعض رفاقه ففر مع رفاق آخرين من الخدمة العسكرية وسار هو في طريق العراق



الأستاذ عز الدين التنوخي

شرقاً فوصل سالماً ، وسار غيره في طريق الحجاز جنوباً فألقي القبض عليهم وسيقوا أمام الديوان العرفي في عاليه ثم أعدموا قافلة من قوافل شهداء العرب في العهد العثماني .

وغادر عز الدين التنوخي العراق بعد مدة من وصوله إليه إلى الحجاز للالتحاق بالثورة العربية الكبرى التي كان الملك حسين قد أضرمها في حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦ م ، وفي مكة عينه الملك مديراً للزراعة في حكومته ، ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى ترك منصبه القائم في وادٍ غير ذي زرع ، والتحق بجيش الأمير فيصل بن الحسين المتجه يومئذ نحو دمشق .

وفي ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ م ، دخل عز الدين التنوخي دمشق مع الجيش العربي ، إثر جلاء الأتراك عنها ، ثم اختارته الحكومة العربية ، لما عرف عنه من تضلع بالعربية ومعرفة للفرنسية عضواً في لجنة الترجمة والتأليف ثم عضواً في ديوان المعارف نواة المجمع العلمي العربي فكان من أعضائه المؤسسين ، وظل في هذه الوظيفة إلى أن أوقفت أعمال المجمع العلمي في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ م تخفيفاً لنفقات الحكومة ، وبتاريخ ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠ عين مجدداً في ديوان المعارف ، ثم نقل في أول تشرين الأول (أكتوبر) من السنة نفسها ، مميزاً الرسائل في المجمع العلمي العربي ، بعد أن عاد المجمع إلى نشاطه ، ولم يلبث أن استقال بعد شهر ونصف ، فعين مميزاً الرسائل في مديرية الصحة بدمشق ، ولكنه استقال أيضاً في نهاية آذار (مارس) ١٩٢١ م ؛ وفي شهر آذار (مارس) من عام ١٩٢٢ م ، عين مترجماً في مديرية البرق والبريد ، ولم يحل شهر تشرين الأول (نوفمبر) سنة ١٩٢٣ م حتى أجمع أمره

على الهجرة إلى العراق، بعد أن أتعبه التنقل في مختلف الوظائف الحكومية وكان العراق قد أصبح، بعد احتلال الجيش الفرنسي سورية في تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ م، أمل العرب الجديد.

استقال عز الدين التنوخي من وظيفته في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٣ م، وسافر إلى بغداد عاصمة الدولة العربية الجديدة، وقد استقر فيصل الأول الملك النازح عن سورية ملكاً عليها، وأصبح ساطع الحصري وزير معارف سورية مديراً عاماً للمعارف فيها.

تولى عز الدين التنوخي بادي ذي بدء التدريس في مدارس بغداد الثانوية، ثم نقل سنة ١٩٢٤ أستاذاً إلى دار المعلمين الأولية، ثم أستاذاً إلى دار المعلمين العالية، وعندما نقل إليها أيضاً ساطع الحصري سنة ١٩٢٧ م أستاذاً، ساعده في إصدار (مجلة التربية والتعليم [1]) وأخذ يحرر فيهـا، وكان مما نشره عدد من فصول كتاب (قلب الطفل) مترجماً عن الفرنسية.

ودعي عز الدين التنوخي وهو في بغداد، إلى تأليف بعض الكتب المدرسية، وكان من عمله ترجمة كتاب عن الفرنسية لمؤلفه فرنان ماير أطلق عليه اسم (مبادىء الفيزياء) تعريباً لكلمة Phisique الفرنسية، فكان تعريباً موفقاً شاع واشتهر في أكثر الأقطار العربية بعدئذ.

وفي نهاية سنة ١٩٣١ م حدث ما كره التنوخي بعمله. وهيج الحنين في صدره إلى مرابع صباه، فاستقال من وظيفته، وعاد إلى دمشق، وفيها أشغل

(١) صدرت هذه المجلة في أول عام ١٩٢٨ م واستمرت حتى آخر عام ١٩٣١ م، انظر مذكرات ساطع الحصري في العراق ج ٢ ص ٤٥ بيروت ١٩٦٨ م.

بدءاً من ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٤ م حتى غاية إيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٦م، **أمانة سر المجمع العلمي العربي**، وبتاريخ ١٨ كانون الأول (سبتمبر) سنة ١٩٣٧م، عين **أستاذاً للعربية وآدابها** في المدارس الثانوية في حمص ثم في دمشق، ثم أسند إليه بتاريخ ١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٤٢ م، منصب **مدير معارف محافظة السويداء**، ثم عين في أول سنة ١٩٤٧ م، **مفتشاً للمعارف بدمشق** وعضواً في لجنة التربية والتعليم، وفي مطلع سنة ١٩٤٨ م عين **أستاذاً في كلية الآداب** المحدثة بجامعة دمشق، وقد درّس فيها علوم البلاغة، وفي نهاية سنة ١٩٥٣ م، أحيل إلى التقاعد، لبلوغه السن القانونية بحسب القيود الرسمية.

ومنذ سنة ١٩٥٣ م، تفرغ عز الدين التنوخي **للعمل المجمعي**، وقد انتخب بآخرة **نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي**، فاشغل هذا المنصب العلمي الكبير بما عرف عنه من تضلع ودأب وتدقيق، حتى وافته المنية صباح يوم الجمعة في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٨٦ للهجرة الموافق للرابع والعشرين من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٦ للميلاد، فنعاه المجمع ونعته وزارة التربية وبكاه أهل العلم والفضل، في مختلف البلاد، وقد ووري الثرى في مقبرة الباب الصغير بدمشق.

عز الدين التنوخي المجمعي

كان الأستاذ عز الدين التنوخي في نهاية سنة ١٩١٨ م، في عداد المختارين ليكونوا أعضاء (**الشعبة الأولى للترجمة والتأليف**)، ثم كان في عداد أعضاء (**ديوان المعارف**)، ولما تحول هذا الديوان إلى مجمع علمي كان الأستاذ التنوخي واحداً من **أعضائه الثمانية المؤسسين**، وحضر الجلسة الأولى التي

عقدت في ١٩١٩/٧/٣٠ في المدرسة العادلية الكبرى مقر المجمع العلمي العربي بدمشق إلى اليوم .

ومنذ أن هاجر الأستاذ التنوخي إلى بغداد ، أصبح في عداد **الأعضاء المراسلين للمجمع العلمي العربي** ، وعندما فكر بعض علماء بغداد وأهل الفكر فيها سنة ١٩٢٥ م ، في إنشاء **مجمع علمي عراقي** على غرار مجمع دمشق ، كان في عداد من انتخبوا ليكونوا من الأعضاء المؤسسين ، غير أن الحياة لم تكتب لهذا المجمع ، على أن **المجمع العلمي العراقي** الذي أنشيء سنة ١٩٤٧ م ، انتخب الأستاذ عز الدين التنوخي سنة ١٩٦١ م **عضواً مراسلاً له** في دمشق .

ومنذ سنة ١٩٣٢ م ، عاد الأستاذ عز الدين التنوخي **عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي** ، يكتب في مجلته ويحقق النفائس من المخطوطات ، وقد ألقى باسم المجمع في حفل تأبين أمير الشعراء أحمد شوقي في ١٩٣٢/١١/١٣ م ، خطاباً عن شوقي واللغة . ولما تقررت إعادة المجمع إلى نشاطه بعد أزمة سنة ١٩٣٤ ، كلف الأستاذ عز الدين التنوخي بأمانة سر المجمع فأشرف على جهازه الإداري وعلى مجلته بدءاً من مطلع تشرين الثاني ١٩٣٤ م ، حتى نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٧ م .

وبتاريخ ١٩٥٧/١٢/١٩ م انتخب التنوخي **عضواً في لجنة المطبوعات ومجلة المجمع** وبتاريخ ١٩٦٢/١١/١ ، انتخب **نائباً للرئيس** ، فكان من المنقطعين للعمل المجمعي ، يحقق الكتب ويشرف على المجلة حتى وافته منيته رحمه الله .وقد نعته هذه المجلة في الصفحة ٥٣٨ من المجلد ٤١ لسنة ١٩٦٦ م .

وبتاريخ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ م ، أقامت **وزارة الثقافة والإرشاد القومي حفلة تأبين للأستاذ التنوخي** على مدرج جامعة دمشق ، تكلم فيها عن حياته ومنزلته العلمية واللغوية وأدبه وشعره ، كل من الأستاذ سليمان الخش

وزير التربية ، والأستاذ عارف النكدي والأستاذ عبد الهادي هاشم والدكتور شكري فيصل .

وعندما انتخب الأستاذ عبد الهادي هاشم في مطلع سنة ١٩٦٧ م ، عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق ، دعاه المجمع لاحتلال المقعد المجمعي الذي خلا بوفاة فقيد المجمع الأستاذ التنوخي ، ولكنه لم يستقبل حتى كتابة هذه الأسطر .

عز الدين التنوخي في رأي زملائه المجمعيين

أبّن الدكتور مصطفى جواد باسم المجمع العلمي العراقي عز الدين التنوخي ، برسالة وصف بها الخسران الذي لا يعوض بفقده ، وكان مما قاله :

[.. كان الأستاذ عز الدين علم من أعلام علماء العرب ومن المتبحرين في مفردات العربية ، ومن التراجمة المتقنين من اللغة الفرنسية إلى العربية ، ألف كتاب « صناعة الإنشاء » وجمع بين القواعد الغربية والأساليب العربية ، وترجم كتباً في الطبيعيات والفيزياء ، وهو أول من سماها بـ « الفيزياء » قياساً على الكيمياء ، وعنى كثيراً بترجمة مصطلحات التشريح التي كانت تدرس في العراق ، وبدأ بتدريسها وتدريس العلوم العربية بالشام والعراق ... وكان تعليمه وتدريسه خير قدوة للمعلمين والمدرسين والأساتذة ، وكان يعتز بنسبه التنوخي ويفخر بالعروبة ، ونشر من كتب الأدب واللغة ما هو معروف بين العلماء والأدباء بالتحقيق الدقيق والاتقان والتحري ..] .

وكان مما قاله الأستاذ عارف النكدي باسم المجمع العلمي العربي في دمشق ، في تأبين عز الدين التنوخي :

[.. علمٌ راسخ ، واطلاع واسع ، وتحقيق وتدقيق ، وقوة ذاكرة ، وبديهة حاضرة ، ودأب وجهد ، كل ذلك مكّنه من إنتاج النافع المفيد ،

واخراج الطريف والتليد ، من كتب المتقدمين والمتأخرين ، **نشراً وشرحاً ، ونقلاً ووضعاً** ، فأضاف إلى دور الكتب ، وإلى ثرواتها السابقة ، ثروة قيّمة جديدة ..] .

وكتب الأستاذ **محمد بهجة الأثري** يعزي بالتنوخي واصفاً حزنه بفقده وأنه كان : [صديقاً حميا ، حمدت صحبته في السنين الطوال ، وعالماً محققاً ذا يد باسطة وفضل غزير ، وعربياً مؤمناً صاحب حفاظ على العرب والعربية والإسلام ، **وركناً ركيناً في بنية المجمع منذ ساعة تأسيسه قبل نصف قرن** ..] .

وكتب **الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي** يؤبن التنوخي ويذكر الصداقة التي كانت تربط بينهما ، وكان مما كتبه :

[لقد كان ـ رحمه الله ـ **مغرماً بالآداب والمعارف سمحاً كريماً في تقديره لجهود المعنيين بها** ، إذن ليس ببدع أن تعشق الأذن قبل العين من كلا الطرفين ، حتى إذا التقينا راعني مخبره ومنظره ، واستهوتني شمائله ، وسأذكر دائماً تلك المجالس التي كان المرحوم يهتم بعقدها على ضفاف بردى وفي وسط داريا أثناء زياراتي لبلاد الشام ، والتي كنا نتجاذب فيها الأحاديث عن الشعر والأدب ، ونتفكه بروح أخوية صافية ، ومن آيات **أدبه وظرفه ووده وإخلاصه** ، تلك الأبيات التي كان يرتجلها ارتجالاً ويوجهها إليّ في مناسبات شتى ، منها :

الله يعلم يا عبد العزيز بما ... لكم بقلبي من ودّ وإجلال
أحس بالفضل في غيرى فأعرفه ... ما ينكر الفضل إلا كل ختّال
إن السنابل حين الحبّ يملؤها ... تحني الرؤوس ويعلو الفارغ الخالي] .

ومما ذكره **الدكتور شكري فيصل** ، في حديثه الطويل عن أدب التنوخي قوله : [إني حدثتكم عن التنوخي الأديب **الذي يحسن الشعر ، ويجيد النثر ، ويتلن المحاضرة ، ويزين البحث** . ولكني أغفلت الأدب الآخر ، أدب النفس .. الذي هو تتويج لأدب الدرس ، فقد كان نبضة حية في صدر الأستاذ التنوخي وكان نوراً نيراً في وجهه وسلوكاً واضحاً في سلوكه .. كان من **أطيب الناس معشراً وأصفاهم خلقاً** ، وأبعدهم عن كثير من تعقيدات الحياة المعاصرة ..] .

آثار عز الدين التنوخي المطبوعة

قام الأستاذ عز الدين التنوخي بتأليف وترجمة عدد من الكتب المدرسية والجامعية ، كما أنه حقق ونشر بعض ذخائر المخطوطات العربية الهامة ، وفيما يلي ثبت بما نشر له :

١ — « **الفتح المبين في شروح عينية الرئيس ابن سينا** » وقد طبعت هذه الرسالة بمصر أيام الدراسة في الجامع الأزهر .

٢ — « **دروس في صناعة الإنشاء** » لطلاب المدارس الثانوية في العراق ، وقد طبعت في بغداد أيام كان التنوخي مدرساً فيها .

٣ — « **مبادىء الفيزياء** » ترجمة عن الفرنسية لطلاب المدارس الثانوية في العراق ، وهو في جزءين طبعا في بغداد .

٤ — « **قلب العاقل** » ترجمة عن الفرنسية نشر بعضه في مجلة التربية والتعليم في بغداد ، ثم طبع في دمشق بجزأين .

٥ — « **المنتقى من أخبار الأصمعي** » تحقيق كتاب الإمام الربعي ، وقد ظهر في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٥ م .

٦ — « **تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة** » تحقيق كتاب الإمام الجواليقي ، وقد ظهر في مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٣٦ م .

٧ — « **بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام** » تحقيق كتاب الإمام ابن الحنبلي ، وقد ظهر في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٧ م .

٨ — « **الإيضاح** » شرح كتاب الإمام القزويني في علوم البلاغة ، وقد طبع في مطبعة جامعة دمشق في ثلاثة أجزاء .

٩ — « **إحياء العروض** » لطلاب كلية الآداب ، وقد طبع في دمشق .

١٠ — « **الإبدال** » تحقيق وشرح كتاب أبي الطيب اللغوي ، وقد ظهر في جزأين في مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .

١١— « **المثنى** » تحقيق وشرح كتاب أبي الطيب اللغوي ، وقد ظهر في مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦٠ م

١٢— « **الإتباع** » تحقيق وشرح كتاب أبي الطيب اللغوي ، وقد ظهر في مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦١ م .

١٣— « **الإبدال والمعاقبة والنظائر** » تحقيق وشرح كتاب الإمام الزجاجي ، وقد ظهر في مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦٢ م .

١٤— « **مقدمة في النحو** » تحقيق وشرح كتاب خلف الأحمر ، وقد نشرته وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٦١ م .

١٥— « **وصف المطر والسحاب** » تحقيق وشرح كتاب ابن دريد ، وقد ظهر في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٣ م .

١٦– تحقيق ديوان « **السلطان سليمان بن سليمان النبهاني** » ، وقد طبع في دمشق سنة ١٩٦٥ م .

١٧– وشارك الأستاذ التنوخي في نقل « **المعجم الكندي العسكري** » إلى العربية ، وكان من أعضاء اللجنة المكلفة بذلك ، وقد صدر المعجم بقسميه الفرنسي والانكليزي بدمشق سنة ١٩٦١ م .

١٨– وشارك أيضاً في اللجنة التي ألفها المجمع للنظر في « **معجم المصطلحات الأثرية** » الذي وضعه يحيى الشهابي ، وظهر في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٧ م .

١٩– وكان التنوخي قد بدأ بتكليف من المجمع العلمي بتحقيق كتاب « **الدلائل في غريب الحديث** » لقاسم بن ثابت السرقسطي ، وعاجلته المنية قبل إنجازه .

مصادر ترجمته

كتب الأستاذ عز الدين التنوخي في أول شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٦١ م ، **ترجمة لنفسه** محفوظة في ملفه المجمعي ، وهي ترجمة موجزة لا تتضمن تواريخ الحوادث الواردة فيها **بصورة دقيقة** .

وقد نعته مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في ص ٥٣٨ من مجلدها ٤١ لسنة ١٩٦٦ م وذكرت خلاصة الترجمة التي كتبها بنفسه مع تعديل طفيف ، وقد رجعت في تدوين هذه الترجمة إلى الوثائق الرسمية ومجموعة مجلة المجمع ، وإلى ذاكرة بعض أصدقاء التنوخي .

وفي كتاب « **معالم وأعلام** » لأحمد قدامة ج ١ ص ٢٠٥ المطبوع في دمشق سنة ١٩٦٥ م ، ترجمة موجزة للتنوخي .

وتفكر وزارة الثقافة في سورية ، في إصدار كتاب ، في سلسلة « **العروبة تكرم** » عن الأستاذ التنوخي تترجم له فيه ، وتجمع ما قيل في حفلة تأبينه .



- ٧ -

عيسى اسكندر المعلوف

١٨٦٩ — ١٩٥٦ م

نشأته وحياته

ولد عيسى بن اسكندر المعلوف ، وهو من أسرة غسانية حورانية ، في ١١ نيسان (ابريل) سنة ١٨٦٩ م (أوائل سنة ١٢٨٦ هـ) في قرية (**كفر عقاب**) من قرى قضاء المتن في جبل لبنان ، وفي مدرسة هذه القرية تلقى علومه الابتدائية .

ثم انتسب إلى (مدرسة الشوير) للمرسلين الانكليز ، يتلقى فيها **معارفه الإعدادية ومبادىء الإنكليزية** ، ولكن لم يلبث قليلاً حتى تركها منصرفاً إلى الدراسة والمطالعة لوحده . يحضر مجالس علماء عصره أمثال **الشيخ إبراهيم اليازجي** ويأخذ عنهم ، ويقتني الكتب ملتهماً ما فيها من معارف ، وما كاد يبلغ الخامسة عشرة من عمره إلا وظهرت عليه **علائم النبوغ واشتهر بالثقافة والاطلاع الواسع** ، فكلف بالتدريس في المدارس الخاصة ، فقبل التكليف غير منقطع عن طلب العلم والاستزادة من المعرفة ، فقرأ علوم العربية وآدابها حتى تبحر فيها ، وطالع كتب الانكليزية وآدابها حتى أتقنها .

وفي سنة ١٨٩٠ م، انتقل عيسى اسكندر المعلوف إلى مدينة (بعبدا) **مركز متصرفية جبل لبنان**، وأخذ يحرر في **جريدة لبنان**، وهو يكتب المقالات والأبحاث الأدبية والاجتماعية ويبعث بها إلى مختلف الجرائد والمجلات والتي كانت تصدر في مدينة بيروت، وفي سنة ١٨٩٣ م، وكان في نحو الخامسة والعشرين من عمره، عين **مدرساً في المدرسة الأرثوذكسية** في قرية (كفتين) من أعمال طرابلس الشام، فقضى فيها أربع سنوات عاد بعدها إلى تحرير جريدة لبنان في بعبدا.

وفي سنة ١٩٠٠ م، كلف عيسى اسكندر المعلوف بتدريس **علوم العربية** في المدرسة البطريركية الأرثوذكسية في دمشق، فانتقل اليها غير منقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات ولا سيما مجلة النعمة التي كانت البطريركية المذكورة تصدرها في دمشق.

وانتقل عيسى اسكندر المعلوف بعد سنة، إلى **مدينة زحلة** يدرس في (الكلية الشرقية) لمدة قاربت العشر سنوات، أنشأ خلالها لطلابه مجلة أطلق عليها اسم (**المهذب**).

وفي سنة ١٩١١ م، بدأ بإصدار مجلة خاصة به أسماها (**مجلة الآثار**)، وقد صدرت منها ثلاثة مجلدات قبل اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م، كما صدر بآخرة مجلدان منها خصها بتاريخ **الأمير فخر الدين المعني الثاني**.

وظل عيسى اسكندر المعلوف يشتغل بالتدريس في زحلة وفي سوق الغرب، دون أن ينقطع عن البحث والكتابة والتأليف، حتى انتهت الحرب العالمية بجلاء الأتراك عن سورية، فجاء دمشق أواخر سنة ١٩١٨ م، **فعينته**



الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف

الحكومة العربية سنة ١٩١٩ م ، عضواً في (ديوان المعارف) نواة (**المجمع العلمي العربي**) ، ثم أصبح عضواً متفرغاً في المجمع ، فلما بدأت نيران الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين بالإندلاع ، ترك **عيسى اسكندر المعلوف** دمشق وعاد إلى مدينة زحلة يقيم فيها منقطعاً إلى التأليف والنشر ، وكان حريصاً على **اقتناء نفائس الكتب** وعلى جمع النادر من المخطوطات التي دونها مؤلفوها بأيديهم أو قرئت عليهم ، وكانت خزانته تضم حوالي ألفي مخطوطة وعدداً كبيراً من الكتب المطبوعة والدوريات المتنوعة .

فلما كانت سنة ١٩٥٢ م ، اعتلت صحة المعلوف وضعف بصره ، فانقطع عن العمل المجهد وعن السفر وعن الكتابة والمطالعة ، حتى **وافته المنية** يوم الاثنين الثاني من تموز (يوليو) سنة ١٩٥٦ م ، فبكاه العلماء والمفكرون وشيعته مدينة زحلة في اليوم التالي ، بموكب حافل إلى حيث دفن في ثرى واديها الجميل ملهم العباقرة الشعر الرائع .

عيسى اسكندر المعلوف المجمعي

لما جلا الأتراك عن دمشق في نهاية الحرب العالمية الأولى ، وقامت في سورية أول حكومة عربية مستقلة ، **تطلعت إليها أنظار المفكرين والعلماء في مختلف أصقاع العالم العربي** ، وكان ممن وردها ، معتزاً بالدولة العربية تتحقق وتقوم حقيقة واقعة ، بعد أن كانت تداعب مخيلاتهم زمناً طويلاً ، عيسى اسكندر المعلوف ، وكان معروفاً فيها مشتهراً بالعلم والفضل وحسن المحاضرة ، **فتحت دمشق للقادم قلبها ، كعادتها بالنسبة لكل عربي وزائر** ، وتهادته النوادي الأدبية ضيفاً كريماً ومحاضراً ذا ثقافة متينة وشاعراً فحلاً يجيد النظم والإلقاء .

وعندما أرادت الحكومة في دمشق ، تعريب الدواوين والنهوض بالعربية من كبوتها ، كان عيسى اسكندر المعلوف ، في عداد من عينتهم بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ م ، أعضاء في الشعبة الأولى للترجمة والتأليف ثم كان بتاريخ ١٢ شباط (فبراير) ١٩١٩ م عضواً في ديوان المعارف ، ثم أصبح بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ م عضواً في المجمع العلمي العربي ، وقد حضر مع زملائه السبعة مؤسسي المجمع الجلسة الأولى التي عقدت في المدرسة العادلية بتاريخ ٣٠ تموز (يوليو) ١٩١٩ م ، وكان من أعضاء القسم اللغوي الأدبي في المجمع .

وعندما عاد المجمع العلمي العربي ، إلى نشاطه ، بعد زوال الظروف التي دعت إلى توقفه عند الاحتلال الفرنسي لسورية ، عين عيسى اسكندر المعلوف بتاريخ ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٢١ م ، عضواً متفرغاً في المجمع ، فأخذ يكتب ويحاضر وينشر في مجلته المقالات التاريخية والاجتماعية والأدبية اللغوية والتعريفات الدقيقة لنفائس الآثار والمخطوطات والكتب الجديدة ، بما عرف عنه من علم غزير ودأب على المراجعة والتحقيق ، وقد حوى الجزء الأول من كتاب (محاضرات المجمع العلمي العربي) المطبوع سنة ١٩٢٥ م ، على بعض محاضرات المعلوف التي ألقاها في ردهة المجمع وهي التالية :

١ — « حقائق تاريخية عن دمشق وحضارتها » وقد ألقيت مساء ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٠ م ، وجاءت في ٢٧ صفحة من القطع الكبير .

٢ — « كيف تحقق الآثار التاريخ » وقد ألقيت مساء ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٢ م ، وجاءت في ٢٢ صفحة من القطع الكبير .

٣ — « صناعات دمشق القديمة » وقد ألقيت مساء ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٢ م ، وجاءت في ٣٣ صفحة من القطع الكبير .

وعندما ترك عيسى اسكندر المعلوف الاقامة في دمشق سنة ١٩٢٥ م ، غدا عضواً مراسلاً المجمع العلمي العربي في لبنان ، وما انقطع أبداً عن مراسلته والتحرير في مجلته بعد ذلك خلال سنوات عديدة .

وكان عيسى اسكندر المعلوف من أبرز علماء لبنان الذين فكروا في تأسيس مجمع علمي لبناني سنة ١٩٢٥ م ، غير أنه لم يكتب لهذه الفكرة أن تتحقق .

وعندما أنشىء مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٣٣ م ، كان عيسى اسكندر المعلوف من الأعضاء الرواد الذين وضعوا الأساس المتين الذي قام عليه صرح مجمع القاهرة ، وقد اشترك في عدد من لجانه ونشر في مجلته بعض البحوث اللغوية ، وظل مثابراً على حضور جلسات المجمع كل سنة ، إلى أن اعتلت صحته سنة ١٩٥٢ م ، فقدم استقالته فانتخب عضواً فخرياً في المجمع .

ويوم وافاه الأجل نعاه مجمع اللغة العربية في القاهرة قائلاً :

[ينعى مجمع اللغة العربية عن بالغ أسفه لوفاة الأستاذ الكبير عيسى اسكندر المعلوف ، الذي كان من طليعة أعضائه العاملين يوم أسس ، وقد أسهم في أعمال المجمع بما عرف به من دأب على البحث ووفرة في الجهد ومشاركة في شتى الدراسات اللغوية مدى عمره المبارك . والمجمع إذ يفقد هذا العالم الجليل يبعث بأصدق التعزيات إلى أسرته ، وإلى المجمعيين في سائر البلاد العربية وكل أديب ومشتغل بالدرس والبحث ، عرف قدر الفقيد وأفضاله على الحركة الفكرية العربية [(١)] .

ونعت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ووصفت رزيئة المجمع به قائلة بأنه : [أحد أعضائه الأوائل ، الذين

(١) جريدة الأهرام عدد ٥ تموز (يوليو) ١٩٥٦ م .

شادوا صرحه وأعلوا مجده وحببوا العربية إلى أبنائها ، يوم كان القوم بين عازف عنها منكر لها ، وجاهل بها جاحد فضلها ...

كان الفقيد كريم الخلق ، هادىء الطبع ، واسع الصدر ، عميق الفكر ، جم التواضع ، عالي الهمة ، جواداً بعلمه ..] .

عيسى اسكندر المعلوف في أقوال المجمعيين

قال الأستاذ حامد عبد القادر ، وهو يحتل مقعد الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجمع اللغة العربية في القاهرة : [. . نشأ المعلوف منذ صباه محباً للعلم ، مجداً في طلبه ، مكباً على البحث والدرس ، مولعاً بنشر المعارف ، حريصاً على أن ينفع مواطنيه بعلمه بتعليم النشء ، وتربيتهم على أسس قوية سليمة ، ونشر المقالات الصافية في أمهات الصحف والمجلات ، وتأليف الكتب القيمة في الأدب والتاريخ واللغة وسائر العلوم والفنون . . .

ومما يدل على قيمة هذه المقالات أن كثيراً منها ترجم إلى التركية ، والروسية، والفرنسية ، والانكليزية ، والألمانية ، والرومانية ، والإيطالية] .

.. وقال الدكتور منصور فهمي وهو يرثي زميله المعلوف : [.. تتمثل الصفات الضرورية لسقيا المعارف البشرية ونمائها في الدأب ، والصبر ، والاجتهاد الموصول ، والتحصيل النهم ، والجمع المتلاحق ، وكذلك كان المرحوم عيسى اسكندر المعلوف دؤوباً صبوراً موصول الجد نهماً في طلب العلم جماعاً ، فكان مثلاً عالياً لهذا الصنف من المحصلين ممن فيهم لغيرهم مدد ، وعندهم للدارسين ذخيرة صالحة لمن ينتفع بها من المفكرين والمبتكرين] .

وقال الدكتور فؤاد صروف في حفل تكريم ذكرى عيسى اسكندر المعلوف : [إن رجلاً يقضي ستين سنة أو تزيد ، يبحث ويحقق ويؤلف ويحاضر وينشر ويخزن مالا يتاح نشره ، ثم يبيعه للباحثين الذين يطلبونه ، كما فعل بالمئات الخمس من مجموعة مخطوطاته التي اقتنتها مكتبة الجامعة الأميركية ، ويشترك اشتراكاً فاعلاً حصيناً في ثلاثة مجامع علمية في دمشق وبيروت والقاهرة ، فيشهد دوراتها ويسهم في مناقشاتها ومنشوراتها ، ويصدر مجلة الآثار ويكتب لمجلة ـ المقتطف ـ وغيرها لهو حقاً رجل من الأقيال] .

ومما قاله الأستاذ عارف النكدي في المعلوف : [العلامة عيسى اسكندر المعلوف زميل كريم وأستاذ جليل خدم وطنه وتاريخه ولغته أجل الخدمات] .

ومما قاله المستشرق الفرنسي الأستاذ لويس ماسينيون في زميله المعلوف : [قد اجتمعنا للمرة الأولى ، يوم صرنا عضوين منتخبين بدمشق في المجمع العلمي العربي ، الذي كان قد أسسه صديقنا الأستاذ محمد كرد علي . . ثم حظيت بلقاء الأستاذ عيسى المعلوف مباشرة في القاهرة سنة ١٩٣٤ م ، يوم كنا عضوين دائمين في مجمع اللغة العربية وللمؤتمر السنوي للمعجم الكبير ، ثم زاد ما بيننا التعارف في الجلسات المجمعية ، وبتقارب آرائنا في المسائل اللغوية العامة والاجتماعات لتكوين نخب مختارة في المدن والقرى لتعليم الصنائع والحرف المفيدة لصالح الأمة والتي لها تأثيرها على اللهجات اللغوية . وإنني أنوه ببحوث الأستاذ عيسى في اللغة الصناعية الدمشقية المفيدة ، وهي أيضاً موضوع اهتمامي وبحوثي ..]

ومما قاله الأستاذ فيليب طرازي في عيسى اسكندر المعلوف : [إنه حاد المزاج والذهن ، كثير الجلد على الكتابة والمطالعة ، لا يكاد يمل ،

وقد صرف نحو ثلاثين سنة في العمل العقلي الدائم ، **طيب القلب** لا تحني ضلوعه على ضغينة ، ولا يدخل قلبه حب الانتقام ، **متساهل في آرائه على غير تردد** ..] .

ورثى **الأستاذ أمين نخلة** الأستاذ المعلوف برائعة قال فيها :

قعد العلم بعيسى مأتما — واليراع العف والصدر النقاء
شهد العلم المزكى أنه — من هوى خلو ومن لغو براء
برّ بالنقل على النقد له — ونفى عنه تهاويل الرياء
ظفر العلم بمعلوفية — من يراع كالرياض وضاء
علمت ما الجهد والدأب ولم — تدر ما الدعوى ولا ما الخيلاء
رب سطر لامع في طرسه — بسواد الليل والعين أضاء
لا تبال اللون من أسوده — فالدم الأحمر والحبر سواء !

* * *

يا أبي التاريخ بلغت ذرى — لم تتح علياؤها للنظراء
هات من أنبائه وانظر لنا — هل ليالي الغد من أمس ملاء
وهل الناس — على أطوارهم — في توالي جدد أو قدماء
ألهوا القوة في الأمس وهل — سجدوا اليوم لغير الأقوياء
وهل الفرد تولى عصره — واستذلته ألوف الجبناء
كان بالميلاد والتاج ، فهل — عاد فيهم برعاع وغثاء
وهل العلم تجلى بأسه — في اجتذاب الخير أو سوق الرخاء
أم تولته يد طاغية — سخر العلم لشر وشقاء

آثار عيسى اسكندر المعلوف العلمية

ترك الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، المكتبة العربية ثروة ضخمة من المؤلفات والأبحاث والدراسات التاريخية واللغوية والأدبية ، وهي تقدر بنحو سبعين مجلداً ، ولكن من المؤسف أن تكون أكثر آثاره العلمية مخطوطة لم تطبع ، يتنادى محبوه وعارفو فضله بين الفينة والفينة للتعاون على نشرها ، وفيما يلي أهم الآثار التي تركها :

أولاً : الآثار المطبوعة :

١ — « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » ، وقد طبع سنة ١٩٠٨ م في ٧٥٠ صفحة .

٢ — « تاريخ مدينة زحلة » وقد طبع سنة ١٩١١ م ، في ٢٩٨ صفحة .

٣ — « مجلة الآثار » وقد صدر منها ثلاثة مجلدات قبل الحرب العالمية الأولى .

٤ — « تاريخ فخر الدين المعني الثاني » الذي حكم لبنان في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، وقد طبع سنة ١٩٣٤ م في ٤٤٨ صفحة .

ثانياً : الآثار المخطوطة .

١ — « تاريخ الأسر الشرقية » ويقع في ١٤ مجلداً تتضمن أنساب أهم الأسر المعروفة في العالم العربي .

٢ — « معجم الألفاظ العامية والدخيلة » .

٣ — « نوابغ النساء في الشرق والغرب » .

٤ — « تاريخ خزائن الكتب العربية » .

٥ — « تاريخ سورية الجوفة » ويبحث في تاريخ بلاد البقاع وبعلبك .

٦ — « تاريخ حضارة دمشق وآثارها » .

٧ — « تاريخ بلاد حوران » .

٨ — « الأمثال العامية » معجم مرتب على حروف الهجاء .

٩ — « التذكرة المعلوفية » وتقع في عشرة أجزاء ، تتضمن مجموعة أبحاث ودراسات في العلوم والفنون والآداب والآثار .

١٠— « حياتي » وهو كتاب يتضمن أعمال مؤلفه وشيئاً من مذكراته .

مصادر ترجمة المعلوف

لم يوف الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف حتى اليوم ، حقه من الدراسة والتنويه بفضله وخدماته للغة والتاريخ ، رغم المحاولات التي قام بهـا نفر من العلماء والأدباء والأوفياء ، وقـد ترجمت للمعلوف باختصـــار كل من المصادر التالية :

١ — « الموسوعة العربية الميسرة » ص ١٧٢١ .

٢ — « أعلام الفن والأدب » لأدهم الجندي ج ٢ ص ٢٩١ .

٣ — « مجلة المجمع العلمي العربي » مج ٣١ ص ٦٨٢ .

٤ — « مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة » مج ١٠ ص ١٦٨ .

٥ — « مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة » مج ١٣ ص ٢٧٧ .

٦ — « المجمعيون » القاهرة ص ١٤١ .

٧ — « العلامة عيسى اسكندر المعلوف » بقـــلم ولده رياض . المجلة المخلصية ١٩٦٢ م .

٨ — « مجلة البيدر » عدد خاص برقم ٥١٣ بيروت حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م .

هذا وكنت قرأت أن الأستاذ يعقوب عودات (البدوي الملثم) ألف كتاباً عن المعلوف ، ولست أدري إن كان طبع أم هو في طريقه إلى الطبع .



- ٨ -

متري قندلفت

١٨٥٩ — ١٩٣٣ م

نشأته وحياته

ولد متري (١) بن ابراهيم قندلفت ، في دمشق سنة ١٢٧٦ هـ الموافقة لسنة ١٨٥٩م، في أسرة دمشقية أرثوذكسية المذهب ، وكان أبوه صاحب معمل لصناعة الحرير ، ويرغب في أن يرى ابنه إلى جانبه في مصنعه الصغير ، ولكن الولد لم يكد ينهي تحصيله الأولي ، حتى بدا متعطشاً للعلم والمعرفة ، يصادق الكتب ليل نهار مفتشاً عن مصادر يتلقى العلم منها ، فاستسلم أبوه لرغباته وساعده على الالتحاق ببعض المدارس الاهلية ، كما سمح له بحضور مجالس بعض شيوخ عصره من العلماء ، فشبَّ الولد وهو يتقن العربية والتركية ، وقد تعرّف وهو غض الشباب على سيدة أميركية تنتسب إلى بعثة تبشيرية هي (مسز كوروفورد) فأخذ يتردد عليها بقصد تلقي الانكليزية عنها ،

(١) كان المترجم يرسم اسمه بهذه الصيغة في أول حياته وفي الأجزاء الأولى من مجلة المجمع بدمشق ، ولكن كتابه المطبوع في مصر سنة ١٩٢٨ م حمل اسم مترجمه (ديمتري قندلفت) وهذا الرسم للاسم هو الأصل فيه عند تعريبه عن اللاتينية ، وهو فيها (ديمتريوس) والصيغة الأولى هي التعريب الدارج على ألسنة الناس .



الاُستاذ متري قندلفت

فإذا بها تغمره بعطفها ، لما توسمته فيه من أمائر الذكاء واستعداد فطري لإتقان الانكليزية ، وكان أن فتنته عن مذهبه الأرثوذكسي إلى مذهبها الإنجيلي ، فأخذ يساعدها في نقل المواعظ والخطب الدينية إلى العربية ، ثم دفعت إليه كتاب الدكتور بويد أحد كبار الوعاظ الإنجيليين ، ليعمل على ترجمته إلى العربية ، فقام بالمهمة التي عهدت بها إليه بترجمة الكتاب جاعلاً عنوانه (طوق الأمان لمحدث الإيمان) ، وقدمه إليها في شهر إيلول (سبتمبر) سنة ١٨٨١ م مع كلمة إهداء قال فيها : [لقد طوقتني سيدتي هن نعم علمك وإرشاداتك ، وغمرتني من بحر فضلك وإفادتك ، مذ كنت في روض الصبا غضاً ندياً ، تلاعبه نسمات الصبا بكرة وعشيا ، بما يوقرني حمله كلما ذكرته ، ويعشني شكره كلما نشرته . وإنما هي باكورة من ثمار غرسك ، لعلها تنسيك في تهذيبي بعض العناء ..] .

وقامت السيدة كروفورد بعرض الكتاب على الواعظ الإنجيلي المعروف (مستر مودي) ، فشهد للكتاب بأنه خير ما يحتاج إليه حديثو الإيمان ، وعندئذ قامت (مطبعة الأميركان) في بيروت بطابعه وتوزيعه على مختلف البعثات الإنجيلية التبشيرية في أرجاء البلاد العربية .

وانصرف متري قندلفت بعد هذه البداءة الناجحة ، إلى المطالعة والاستزادة من مختلف أنواع المعرفة ، حتى لمع اسمه في ظلام ذلك العصر الحالك ، وأخذت المدارس الخاصة ، تكلفه بتدريس طلابها اللغة الانكليزية والعلوم الاجتماعية ، وكان يقبل التكليف عاكفاً في أوقات فراغه ، على ترجمة كثير من الكتب الاجتماعية إلى العربية .

(١) توجد نسخة من هذا الكتاب بدار الكتب الوطنية ـ الظاهرية ـ بدمشق مسجلة برقم (٣٢٠٦) .

وعندما حمي وطيس المعارك خلال الحرب العالمية الأولى التي اندلعت نيرانها سنة ١٩١٤ م ، كان متري قندلفت في جملة المفكرين العرب الذين أمر قائد الجيش العثماني في سورية ، بنفيهم مع أسرهم إلى بلاد الأناضول بحجة الحفاظ على أمن الجيش ، ونجم عن هذا النفي الفاجع ضياع المكتبة القيمة التي كان متري قندلفت قد اقتناها ، وفقدان جميع أوراقه الخاصة والكتب التي كان قد أفنى زهرة شبابه في نقلها إلى العربية .

وأقام متري قندلفت طوال المدة الباقية من أيام الحرب ، في مدينة طوقات من أعمال سيواس في تركية منفياً ، فلما خمدت نيران الحرب عاد إلى دمشق ، وقد قامت فيها أول حكومة عربية مستقلة ، فعين أستاذاً في مدرستها التجهيزية وفي دار المعلمين ، يدرس علم النفس والتربية والإنكليزية ، وعندما قررت الحكومة إنشاء (ديوان المعارف) كان متري قندلفت في عداد اعضائه لما عرف عنه من تضلع بالعربية وإتقان للترجمة إليهـــا عن الإنكليزية ، ثم كان عضواً متفرغاً في المجمع العلمي العربي ، فلما كانت سنة ١٩٢١ م نقل مميزاً إلى معهد الحقوق العربي بدمشق ، وبقي فيه سنوات قليلة أحيل بعدها إلى التقاعد ، فغادر دمشق سنة ١٩٢٤ م إلى بيروت حيث أقام فيها عاكفاً على الترجمة والتأليف وتدوين مذكراته ، متنقلاً بين لبنان ومصر في سبيل ذلك ، حتى وافته المنية في مدينة بيروت سنة ١٩٣٣ م وفيهـا دفن .

متري قندلفت المجمعي

عندما أطلقت الحكومة العربيـــة ، بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٩ م ، على (ديوان المعارف) اسم المجمع العلمي ، كان متري قندلفت

الموظف في معارف دمشق وأحد أساتذة المدرسة التجهيزية ودار المعلمين ، واحداً من أعضائه الثمانية المؤسسين ، الذين حضروا جلسته الأولى التي عقدت في المدرسة العادلية بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ م الموافق ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م ؛ وقد اختير في هذه الجلسة عضواً في القسم اللغوي الأدبي .

وفي نهاية سنة ١٩٢٠ م ، وعندما ابتدأ المجمع العلمي العربي بنشاطه الفعلي ، تفرغ الأستاذ متري قندلفت للعمل المجمعي ، وكلف بالإشراف على طبع مجلة المجمع والتحرير فيها وقد تقرر إصدارها بدءاً من عام ١٩٢١ م ، فقام بهذه المهمة ، وصدرت الأعداد الأولى من المجلة وقد حرر فيها باب « آثار وأخبار » واصفاً فيه بعض العاديات التي أدخلها المجمع في دار الآثار العربية ، وكانت ادارتها جزءاً من عمله ، مسجلاً بعض الأخبار الهامة مثل الاحتفال بذكرى فقيد المجمع الشيخ طاهر الجزائري كما عرّف الأستاذ قندلفت بعض الكتب المهداة إلى مكتبة المجمع مثل كتاب « الأخلاق والواجبات » تأليف الشيخ عبد القادر المغربي ، وكان يوقع ما يحرره باسمه الصريح تارة ، وبالحرفين الأولين من اسمه (م . ق) تارة أخرى .

وألقى الأستاذ متري قندلفت ، في ردهة المجمع بتاريخ الثاني والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٢١ م ، محاضرة عامة بعنوان « إحياء اللغة العربية » ، وبتاريخ ١ آب (اغسطس) سنة ١٩٢١ م ، صدر قرار من وزير المعارف يقضي باعفاء الأستاذ متري قندلفت من تفرغه للأعمال المجمعية وتعيينه بوظيفة مميز في معهد الحقوق العربي ، حيث قام بمهمة الاشراف الإداري وبأعباء الترجمة إلى العربية . ومن التاريخ المذكور اعتبر من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين حتى وافاه الأجل سنة ١٩٣٣ م .

آثار متري قندلفت العلمية

كان من جنايات الحرب العالمية الأولى ، أن فقدت مكتبة الأستاذ متري قندلفت وفيها كل ما ترجمه أو كتبه وكان مخطوطاً ، ولما أقام في بيروت سنة ١٩٢٥ م عكف ، على ترجمة كتاب الفيلسوف الأميركي **جون ديوى** John Dewy المنون « **المدرسة والاجتماع** The School and Society » وهو كتاب شهير في أصول التربية والتعليم وقد ترجم إلى لغات عديدة ، وطبعت ترجمته إلى العربية **دار المعارف** في مصر سنة ١٩٢٨ م ، بناءً على توصية من الأستاذ بولس الخولي أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأميركية في بيروت ، وقام الأستاذ **أمير بقطر** أمين الجامعة الأميركية في القاهرة بالتعريف بالكتاب في عدد حزيران (يونيو) من « **مقتطف** » سنة ١٩٢٧ م ، ثم كتب مقدمة لترجمته قال فيها : [لقد أتيح لي أن أتصفح الكتاب فصلاً فصلاً ، مع مقابلته بالأصل ، والحق انني وجدت معربه الفاضل ، شديد الحرص على آراء المؤلف ، **أميناً** في نقلها **إلى العربية** فقرة فقرة ؛ إن لم أقل عبارة عبارة ، مع مراعاة المعاني وسبكها في **قالب عربي قشيب** ، والمبالغة في التدقيق والتمحيص انتقاءً للمفردات المناسبة للمكان المناسب .

أما معرب هذا السفر الجليل ، فقد توخى **الدقة وأمانة الترجمة** ، وأحسن اختيار الألفاظ لتأدية المعنى بأسلوب لا تعوزه السلاسة ولا تنقصه البلاغة ، خال من التعقيد والحشو والاطناب .

وليس جون ديوى ، **بالمؤلف السهل الذي يبسط آراءه** فيدرك مغزاها لأول وهلة الصغير والكبير ، وليس من السهل على علماء الانكليزية من أهلها قراءة مؤلفاته وفهم ألغازها وسبر غورها ، فكأن صاحبها أراد أن يصوغها في قالب من الألفاظ يناسب ما احتوت عليه من فلسفة المعاني وعمق الأفكار .

غير أن المعرب ، لم يترك شاردة أو واردة في الكتاب إلا وحل رموزها وأجلى غامضها ، وأخرج السّفر للقراء درة في تاج الأدب عامة والتربية والتعليم خاصة] .

وفي المقدمة القيمة التي قدم بها الأستاذ كتابه بها إلى القراء أشار إلى مذهب مؤلفه في أصول تربية الطفل قائلاً انه : [اعتمد في بيان تلك الأصول ما أجمع عليه كبار المصلحين المربين ، من إطلاق حرية الطفل في حركاته ومجلسه واتباع ملاهيه في غرفة الدرس على وجه لا يعترض فيه هيبة المعلم ولا رهبة العقاب عند المراقبة والضبط والاشراف ، اقتناصاً لميوله ورغباته الفطرية وتطبيقاً على ما يلائمه من طرق التعليم الحكيم في ذلك الطور الغض من النماء البشري ، إلى آخر ما أوضحته **ماري منتسوري كبرى المربيات العالمات العاملات** ، وتابعها فيه عظام المربين وجرى عليه المؤلف في كتاب (**مدرسة الغد**) الذي نمي النفس باخراجه إلى عالم التعليم الشرقي بعد عهد غير بعيد إن شاء الله] .

ويظهر أن المعرب بعد نشر هذا الكتاب ، أخذ يعمل في ترجمة كتاب جون ديوى (**مدرسة الغد**) وكتاب المربية الإيطالية الشهيرة السيدة منتسورى عن (**تربية الأطفال ومدارسهم**) ولكن لم ترَ ترجمته لهذين الكتابين النور نظراً لوفاة المعرب سنة ١٩٣٣ م (١) .

---

(١) كتبت إلى المربية الفاضلة السيدة أليس قندلفت الابنة الوحيدة للأستاذ متري قندلفت ، أسألها عن بقية آثار والدها العلمية فأفادتني بأن جميع كتب أبيها وأوراقه فقدت للمرة الثانية عند وفاته وحيداً في بيروت خلال وجودها في الولايات المتحدة الاميركية تتابع دراستها في جامعة كولومبيا ، وبعد رجوعها للوطن لم تعثر سوى على مخطوطة ترجمة كتاب السيدة منتسوري المشار إليه ، وأنها تقوم ببذل جهود لنشر الترجمة في القاهرة .

مصادر ترجمة متري قندلفت

لم أعثر على ترجمة للأستاذ متري قندلفت ، في أي مصدر من المصادر المطبوعة أو المخطوطة ، حتى أن ملفه المجمعي لم يتضمن أي معلومات تفيد شيئاً عن نشأته وحياته وآثاره العلمية ، وذلك لقصر المدة التي قضاها في المجمع زمن تأسيسه من جهة ، ولهجرته بعدئذ من سورية من جهة ثانية ، وقد جمعت المعلومات التي اوردتها في هذه الترجمة ، مما عثرت عليه ، أو مما اتصل بي من آثاره أو وجدته في بعض الوثائق الرسمية ، ومما روته لي السيدة أليس متري قندلفت ، ومما سمعته من بعض من يعرفه من الأحياء .

كما أني لم أجد عند أحد من أقرباء أو أصدقاء الأستاذ قندلفت ، أي رسم شمسي منفرد له ، غير أني عثرت أخيراً على الرسم المطلوب عند الأستاذ برهان الكيلاني الدمشقي ، أحد هواة اقتناء رسوم الحكام والمشهورين من الرجال .

(يتبع) عدنان الخطيب



امارة مجهولة

المكان ، الزمان ، السّند ، الامارة

مكان الامارة

مكان الإمارة : هو بلدة « بادِس » ، وقد عنّاني طول البحث عنها منذ أواخر سنة ١٩٥٥ أيام ظفرت بنص معـــاهدة بين البندقية وبادس موقّع بإمضاء أميرها .

واقتربت من بادس في رحلة كنت بها مع الملك محمد الخامس ملك المغرب السابق عليه رحمات الله ، وبلغنا « الحُسَيْمَة » في ريف المغرب الأقصى ، ولم أكن أدري أن بادس التي أبحث عنها كانت على مقربة من الحسيمة ، وعدت من تلك الرحلة ولم يتح لي أن أراها أو أرى موضعها .

وجاءني من أعلمني بعد ذلك أن على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، بين « سبتة » و « مليّلة » جزيرة صغيرة اتصلت مؤخراً بالبر المغربي ، فأصبحت شبه جزيرة ، وأنها كانت تسمى « حَجَرة بادس » أو « حَجَر بادس » أو « حصن بادس » لقربها من بلدة بادس المغربية ، التي هي موضوع بحثي .

وقرأت في كتاب « المغرب »(١) ، أن بادس مدينة تاريخية من المدن المؤسسة في القرن الأول للفتح الإسلامي لعبت دوراً خطيراً في تاريخ المغرب ،

(١) للصدّيق بن العربي ص ٦٥ .

وقد اندثرت الآن ولم يبق منها شيء غير الاسم ، قال : وموقعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، أمام الجزيرة المعروفة بنفس الاسم ، وفي الطريق بين سبتة ومليلة .

وفي تاريخ تطوان [١] : بادس ، جزيرة أو شبه جزيرة على البحر الأبيض المتوسط ، هي الآن في يد الاسبان .

وفي الدليل الأزرق المغرب[٢] ما ترجمته :

على الشاطىء المغربي بين مدينتي سبتة ومليلة الاسبانيتين أمام قرية « القُميرة » المساة بالاسبانية بنيون دوفيليز دولا قميرة Penion de velez de la gomera « تقع بلدة بادس وهي قرية صغيرة على نهر يدعى باسمها ، كان الرومان يسمونها باريانتينا Parientina وكان لمينائها شأن في القرون الوسطى ، في مواصلات « فاس » الخارجية ، وأهمل الميناء بعد استقرار الاسبان في القميرة . هـ

وتكرر ورود ذكرها في تاريخ المغرب القديم :

١ — أمر عبد المؤمن سنة ٥٥٧ هـ ، بإنشاء الأساطيل ، فكان منها بطنجة وسبتة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة [٣] .

٢ — وفي سنة ٦٠١ هـ بنى عامل الريف ، من قِبَل الناصر ، واسمه « يعيش » سورَ بادس ولِمدية ومليلة ، حياطة من فجأة العدو[٤] .

٣ — وأمر السلطان يعقوب ببناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور من بلاد غمارة سنة ٦٧٤ هـ[٥] .

---

(١) للأستاذ محمد داود ١ : ٤٤٥ .
(٢) Guide Bleu Maroc الطبعة الثامنة ١٩٤٥ ص ٤٩٦ .
(٣) الاستقصا ، الطبعة الثانية ٢ : ١٢٨ .
(٤) المصدر نفسه ٢ : ١٩٥ .
(٥) أيضاً ٣ : ٤٢ .

٤ — وفي سنة ٦٧٨ هـ ، قدم من بادس وسلا وآنفي خمسة عشر أسطولاً انضمت إلى بقية الأسطول في مرفأ سبتة (١) .

٥ — وفي سنة ٧٦٠ هـ ، ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة وفر منصور ابن سليمان إلى بادس ، فقبض عليه ، وجيء به إلى السلطان أبي سالم فقتله (٢) .

٦ — وبادس (في القرن السادس للهجرة) مدينة متحضرة ، فيها أسواق وصناعات قلائل ، وغمارة يلجأون إليها في حوائجهم . وهي آخر بلاد غمارة (٣) .

٧ — وأخرجت علماء ، منهم عبد الحق بن اسماعيل البادسي ، مصنف « المقصد الشريف ، في صلحاء الريف » رأيت مخطوطة منه في خزانة الرباط (المجموع ١٤١٩ د) فرغ من تأليفه سنة ٧١١ هـ . وانظر مجلة المجمع العلمي العربي ١٢ : ٦٠

الزمان

زمن البحث في الامارة المجهولة هو ، القرن العاشر للهجرة ، والخامس عشر الى أوائل السادس عشر للميلاد .

السند

وسند البحث : معاهدة عُقدت يوم ١٩ رمضان سنة ٩١٣ هـ الموافق ٢١ يناير ١٥٠٨ بين الأمير منصور بن يوسف ، والقبطان لوِرْزِرْمَان البندقي ، في بلدة بادس .

---

(١) الاستقصا ، الطبعة الثانية ٣ : ٥٢ .
(٢) أيضاً ٤ : ٧ .
(٣) الشريف الادريسي ، في نزهة المشتاق كما في الحلل السندسية ١ : ٦٨

وكان قد اتفق لي الاطلاع على الأصل الفريد لهذه المعاهدة ، بينما كنت أقلّب أضابير « الأركيفيو » الأربع عشرة ، في البندقية ، وما فيها من رسائل ووثائق واردة عليها من بعض ملوك المغرب وسلاطين مصر ، والدولة العثمانية .

نص المعاهدة

الحمد لله وحده ، هذه معاهدة وشروط عقدها القبطان الكبير في قومه ، العزيز بين أبناء جنسه الحسيب الأصيل لِورزْ بِزّمانُ هداه الله ، بينه وبين الأمير المعظم الأسعد الأنجد أبي علي منصور بن يوسف كان الله له ، وأصلح قوله وعمله ، وكانت المعاهدة بينهم في حين وصول القبطان إلى مرسى مدينة بادس أمنها الله .

الأول — اول المعاهدة والشروط أن الصلح مُنعقد بين المسلمين من أهل بادس وعملها ، وبين النصارى من البنادقة وعملها ، من يوم تاريخ هذه المعاهدة ، طول ما يبقوا يمشوا ويجوا لبادس من الآن لقدّام إن شاء الله .

الثاني — العقد الثاني ان كل جفن يجيء من تحت علام الشنيوريّة من أرض البنادقة فإنه ينزل في مدينة بادس أمنها الله ، مؤمّناً في نفسه وماله على هذه المعاهدة التي عقدها القبطان مع الأمير أيّده الله ، من غير زيادة ولا نقصان إن شاء الله .

الثالث — العقد الثالث ألاّ يأسر أحد من البنادقة أحداً من أهل بادس وعملها ، ولا يأسر أحد من أهل بادس أحداً من البنادقة وعملها ،

من بعد هذه المعاهدة . ومهما ظهر أسير عند كلي الفريقين فانه يحرر من الأسر في الساعة التي يرى فيها إن شاء الله .

الرابع — الرابع لايؤخذ أحد بذنب أحد . مثل أن يكون لمسلم دَيْنٌ على نصراني بندقي مما مضى من سالف الأعوام ، ويريد المسلم أن يحبس فيه أحداً من البنادقة ، فان ذلك لايكون إن شاء الله .

الخامس— العقد الخامس إذا جاء تاجر نصراني بندقي في جفن من أجفان النصاري غير أجفان البنادقة فان مَأمَنَهُ ومَحْرَمَهُ يكون على ما في هذه المعاهدة من غير زيادة ولا نقصان بعون الله .

السادس— العقد السادس إذا هال البحر على الطرائد في مرسى بادس ، أو دهمهم عدوٌ أو تنكسر لهم سفينة واحتاجوا إلى النزول في البر فإنهم مُؤَمَّنين (كذا) في أنفسهم وفي أموالهم بعون الله .

العقد السابع إن تجار البنادقة ينزلوا بسلعهم في مدينة بادس أمنهـا الله يبيعون ويشترون على أنهم إذا باعوا شيئاً لمسلم بماية دينـر (دينار) ذهباً فانهم لايفارقون المسلم المشتري حتى يحملونه ، لأن المشتري يُغرَم على مشتراه عُشُراً غير ربع وذالك سبعة ذهب ونصف من كل ماية ، فان فرّط النصرانيُ البائع في المشترى ، فانه يَغرَمُ بدلاً منه سبعة ونصفاً من كل ماية إن شاء الله .

السابع — العقد السابع إن جميع ما يشترونه من القمح والدقيق والخبز وغير ذالك من الفواكه والخُضَر فانهم يرفعون ذالك للطرائد بغير مغرم يلزمهم على ما ذكر بعون الله .

الثامن — العقد الثامن أنّ الورقي (؟) الذي في طريدة القبطان إذا يبيع سلعة بمايتي ذهب التي تجب عليه فيها خمسة عشر دينَراً ذهباً فانه يُحرّر ولا يَغرمُ منها قليلاً ولا كثيراً إن شاء الله . وكذالك رئيس كل طريدة وهو رئيسٌ في كل طريدة فانه يُحرّر له من مغرمه الذي يبيع به سلعته سبعة دنانير ونصف دينَرٍ ، ولا يُزاد عليها ولا يُنقص بعون الله .

العقد التاسع ، إذا هرب إلى الطرائد أسير نصراني من بادس وعملها فانهم يُنَزّلونه لصاحبه ، وإنْ حملوه معهم ويُخرجوه في أرض النصارى ويطلقوه فانهم إذا جاءوا لعام آخر يُحبس فيه واحد منهم إن شاء الله .

على جميع ما ذُكر من المعاهدة والشروط توافق الأمير أبو علي منصور أعزّ الله أيامه مع القبطان الحسيب لِوِرْزِيرَمَانُ البندقيّ أكرمه الله ، وكتب جميع ما ذكر بينهما محمد بن أحمد الرزيني وفقه الله يوم السبت التاسع عشر من شهر رمضان المعظم عام ثلاثة عشر وتسمماية وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر يَنَيْرْ العَجَمي الذي من عام الف وخمساية وثمانية أعوام . ه

صورة فوتوغرافية عن المخطوطة التي فيها نص المعاهدة

الفصل التاسع اذا هرب الى البحر احد اسرى النصارى من بلادهم
وحملها قبل ان تصل يعطى لوفيه لصاحبه وان حملوه معهم
ويعطى جعوبه في ارض السلطان ويطلقونه فلا يمنعوا اذا اتاهما
لعام اخر يحبس فيه واحد منهم ان شاء الله
على جميع ما ذكر من الفصول عقدته والشروط وقع التوافق بين الاميرين
ابو علي منصور اعزه الله ابانهة مع الفقيه الحسيب
ليوزعم ما ان البندقي رحمه الله وكتب جميع ما جرى
بينهما محمد بن احمد الذي بينهم ووفقه الله يوم السبت التاسع
عشر من شهر رمضان المعظم عام اثنة عشر وتسعمائة
وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر يناير العجمي الذي من عام
الف وخمسمائة وستة اعوام

صورة فوتوغرافية عن تتمة نص المعاهدة

الامارة

ليس فيما وقفت عليه من تواريخ المغرب أي ذكر لامارة في بادس ، تولاها أو قام بها أمير يدعى « منصور بن يوسف » ولعله كان مستقلاً غير تابع لإحدى دولتي عصره : الوطّاسية المرينيّة ، ودولة بني الأحمر ، وإلا لما فاته أن يشير في بدء المعاهدة ، أو ختامها إلى الدولة التي هو من عمالها .

ويُلاحظ في السطر الرابع من الصفحة الأولى من نص المعاهدة ، فراغ كان قد تركه الكاتب لاسم الأمير منصور ، وملأه هو بخطه على طريقة سلاطين المغرب في تحلية رسائلهم بتوقيعاتهم في أعلى الرسائل ، وانفرد هذا بادخال اسمه في صلب الفقرة الأولى من المعاهدة .

ثم ، هل هناك أكثر من التشابه في الأسماء ، عندما نجد في تاريخ المغرب كبيراً من الوطّاسيين اسمه ، يوسف بن منصور (بن زيّان الوطّاسي) قد تولى خلع سلطان فاس أبي عبد الله الحفيد سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ؟ أم يذهب بنا الحدس إلى أن منصور بن يوسف صاحب معاهدة بادس ، سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٨ م ، هو ابن ليوسف بن منصور بن زيّان ؟ فتكون الإمارة « وطّاسيّة » يُلحق ما يمكن أن يُعرف عنها بتاريخ الوطّاسيين . هذا خاطر يسنح عند محاولة التعرف إلى نسب منصور وأوّليّته ، لا يدخل في صميم موضوع « الإمارة » .

أما مادة التاريخ لبلدة بادس ، بعد زمن المعاهدة ، فتوفرة ، وأهم ما يتعلق ببحثنا منها ، أن الإسبان احتلوا جزيرة بادس في ٢٣ يوليو ١٥٠٨ م

٢٣ صفر ٩١٤ هـ أي بعد زهاء سبعة أشهر من توقيع المعاهدة ، وأورد صديقنا محمد بن تاويت التطواني(١) نصوصاً مفيدة لأحداث وقعت في بادس وما حولها في بعض أعوام ١٥٢٢ — ١٥٦٤ م (٩٢٢ — ٩٧١ هـ) لم أجد فيها ما يسعفني في كشف حقيقة « الإمارة المجهولة » التي يمكن أن يكون اسمها منذ الآن في تاريخ بادس « إمارة منصور بن يوسف » ، إلى أن يظهر عنها من نشوئها ومدتها ، وعلاقاتها بجاراتها ، مالا يزال فيما أحسب ، في عالم الغيب .

نزيل بيروت : خير الدين الزركلي



(١) في مجلة تطوان : العدد ٥ الصفحة ١١٦ .

العقل بين النظريتين المادية والروحية

المقـــدمة

في العقل وحقيقة الوعي

يقول أحد الفلاسفة [إن الإنسان كلما أمعن في دراسة العلوم من ناحيتها المعنوية ، والمادية ، ازداد اعتقاداً بأنه ليس في العلم ما يمنع اتفاقه مع أبعد الفلسفات ، لأننا لا نعلم إلا الظواهر والقشور ، وأما الحقيقة والعلة فتأبيان أن تنكشفا لنا .

نعم ! العلة ، والحقيقة هما ما يسعى العقل دائماً لاكتشافها وفهم حقيقتها فهل يوفق إلى ذلك ؟ يجيب العلم بأننـا لا نزال نسعى . ولكن المجردات لاتدخل نطاق التجربة ، ولذا ولحينما يتمكن العلم من إيجاد الوسائل التجريبية لفهم حقيقة العقل الذي هو وسيلة المعرفة ، فستبقى المجردات في نطـاق الفلسفة التي تبحث عن الحقيقة ، ويبقى العلم يفرض نظرياته لحل المبهمات ، والغوامض ومنها مانسميه المجردات [كالعقل والروح ، والقوة ، والعلة ، والنهاية ، والأزلية ، والجمال] الخ .

وما دام العقل هو الوسيلة للمعرفة والإدراك ، فمن الضروري الإحاطة به من حيث وجوده ، وماهيته ، وفعله ، وكيفية حصول الوعي ، والإدراك وماذا تكون نهايته بعد مفارقته الحياة وفناء الجسم ؟

إن الأسئلة التي تثيرها ذاتنا التي نعبر عنها « بالأنا » وهي شغوفة دائماً بالبحث والتحري عن المعميات والمجردات إذ هي من خاصيته الطبيعية الإنسانية العاقلة ، لا بد من الإجابة عليها حتى لا تبقى شاغلة الفكر وموجبة الشمر والحيرة لما نحس بوجوده ونشعر بفعله .

إن البحث عن ماهية العقل وأفعاله وكيفية حصول الإدراك والوعي يتناوله علم النفس ، وعلم الحياة ، وعلم الفيسيولوجيا ، وعلم التربية والسلوك وعلم الأمراض العقلية ، وعلم الفلسفة ، وعلم اللاهوت . وكلها تتناوله بحسب علاقته بها منفرداً وعلاقتها به مجموعاً .

ونحن حباً بالعلم وإجابة لرغبات النفس ، وإزالة للشك ، والإبهام ، نبحث عن العقل كظهر من مظاهر الحياة ، ونرى من الفائدة أن نشرح ما نريد حسب ما ترويه العقيدة المادية ، والعقيدة الروحية ، ولا تدخل بالتفصيلات الفلسفية ولا بالآراء البيقولوجية ، ولا بالنظريات المادية لتعقدها وسعتها . (إن العقيدة الأولى هي ما يُرويها السير « ارثوركيت » وهو من علماء المادة . و (العقيدة الثانية هي ما يرويها السير اوليفر لودج) وهو من علماء الطبيعة .

وحيث إن الدكتور « هالبرتون » أحد علماء الفيسيولوجيا له عقيدة واضحة خاصة به يرويها ، وهي حد وسط بين العقيدتين فسنعرضها إتماماً للبحث ، وللسامعين الباحثين أن يحكموا بالأرجحية لأحدها حسب المبدأ القائل [أقرب المبادىء إلى الحقيقة ما وافق الاختبار وما طابق الواقع] .

١ ــ نظرية [ارثوركيت في العقل وماهيته :

يقول السيد « أرثوركيت » إن الإنسان مازال منذ القديم يبحث عن الحياة وأسرارها ، وما يظهر من فعاليتها في محيطه الخارجي وفي محيطه

الداخلي. وفي رأس المسائل التي كانت تشغله أيضاً بمظاهرها البارزة، مسألة العقل وطبيعته وأفعاله، وكيفية عمله، ومسألة العقل والعلاقة بينه وبين المادة، والجسم، وبينه وبين الروح والنفس، والوعي والإدراك، وبينه وبين الضمير، والإلهام والوحي والرؤيا، والأحلام، وكان يتساءل هل العقل غير « الأنا »، والذات، أم هو العقل الفيسيولوجي للجهاز العصبي الذي تتوقف أفعاله ومظاهره، على عمل الخلايا الدماغية وعلى المواد الحياتية والكيميائية، والقوى الميكانيكية والفيزيكية ؟

وهل هو كسائر وظائف أعضاء الجسم المتعددة خاضع لسنن الطبيعة من نشوء ونمو وغـذاء وإفراز، وامتصاص، وتوالد، وتوقف ثم ضعف وانحلال وزوال .

٢ - عجائب الحياة لا تعد ولا تحصى :

إن عجائب الحياة ولا شك لا تعد ولا تحصى، ومنها أننا لا نجد اثنين من ملايين المواليد يقطعان رحلة الحياة في طريق واحدة . فقد تحدث لاثنين أو أكثر مغامرات فذة تختلف عن مغامرات الآخرين . ولذا تختلف العقائد باختلاف الطريق التي يقطعها كل منا في حداثتنا، فعقائد الناس عن الغوامض من الظواهر والقوانين والأفعال الروحيـة، والأفعال العقلية، والآثار الأدبية والمادية تختلف اختلافاً بيّناً كثيراً، أو قليلاً، بحيث لا تتماثل بهذا الخصوص عقيدتان كل التماثل .

٣ - أسباب الاختلاف والتباين في العقائد :

أما أسباب الاختلاف فلأن الإنسان كما قلنا مطبوع بطابع البحث والسؤال عن المبهم . ومن المتعذر عليه أن يصيب اتفاقاً تاماً في العقائد، والتفكير،

والعواطف ، والمشاعر . وعليه بقدر ما تختلف سبلنا في الحيـــاة تختلف عقائدنا كذلك .

ومعظم الناس مقضي عليه أن يسير في السبيل المهدة أمامه ، وهم في الغالب لا يملكون من الفراغ أو الرغبة ، ما يمكنهم من دراسة ما يعرض لهم من ضروب الاختبار ، وتمثيلها ، وقليل من الناس من يتاح له أن يختار طريقة ويخططها ، وكما أننا لا نجد اثنين من اللايين من الناس يقطعان رحلة الحياة بطريق واحدة ، كذلك لا نجد اثنين يستهلان الحياة بزاد واحد من قوى الجسد والعقل ، فعلى كل وجه وسمة شخصية تدفعه عند انبثاقه من الرحم ، وكل طفل يهل على الأرض يهل ببصمة على أنامله خاصة به دون غيره ، وفقاً لقانون [التباين والتشابه] . وما يصدق على وجوه المواليد وبصمات أناملهم يصدق على أدمغتهم ففي الدماغ توجـد [١٨٠٠٠] مليون خلية عصبية دقيقة لا ترى إلا بالميكروسقوب أي (المجهر) . وهي مقسمة الوظائف والطوائف ، كل طائفة منها متصلة بالطوائف الأخرى ، وخطوط الاتصال بينها تزرى بأكبر لوحة تليفون وأكثرها تعقيداً .

ومن غرائبها أنك لا تجد بين هذه الخلايا خلية واحدة منفردة عن الأخرى ، وجميعها يشترك في تناول الرسائل التي تنهال على الدماغ عن طريق العيون ، والأذن ، والأصابع وغيرها من حواس الجسم وأعضائه . هذا السيل المتدفق من الرسائل يبدأ عند الولادة ولا يقف حتى الموت . وهو أساس اختباراتنا فإذا تفهمنا هذه الصورة لبنـاء الدماغ وصلته بخبرة الإنسان ، وتجاريبه ، سهل علينا أن نفهم كيف أن هذه الصورة الجديدة تؤثر في تغيير معتقداتنا ، أو في بعضها على الأقل .

٤ — رأي السير ارثور كيث بمادية العقل :

يتساءل السير « ارثوركيث » هل الدماغ مزدوج التركيب ؟ ثم يقول : عني المشتغلون بالمباحث الطبية عناية خاصة بدماغ الإنسان ، فوجدوا تركيبه معقداً كل التعقيد ، وطرق تأدية عمله مبهمة ، يصعب الكشف عنها ، ومع ذلك ثبت لهم ان تعقيد الدماغ ومقدرته على تأدية عمله يسيران جنباً إلى جنب ، فالعقل له أساس مادي دليله أن دماغ الطفل من ولادته إلى سن المراهقة يزداد وزنا ، ويكبر حجما ، ويزداد تركيبه تعقيداً ، وكلما اتسع نطاق عمله نما . فإذا أصيب الدماغ في دور من أدوار النمو بآفة أو علة أوقفته عن نموه وظلّت مقدرة صاحبه العقلية ناقصة . وبقيت حيث هي لا ترتقي ولا تنمو . كذلك لو أن مرضاً من الأمراض أصاب هذا الجانب من الدماغ ، أو ذاك الجانب عطّل الملكة العقلية التي مركزها في ذلك الجانب المريض . فالتهاب الدماغ السحائي [١] إذا أصاب دماغ طالب في المدرسة أوقف نموه العقلي وترك في خلقه أثراً سيئاً دائماً .

والأطباء في إمكانهم أن يخدّروا الدماغ فيضعفوا بعض أجزائه ، ويضعفوا بذلك الملكات المتصلة بها ، وبامكانهم أن يحقنوا بعض الأجزاء الأخرى بمواد مختلفة ، فيغيروا بذلك تصرف العقل ، وشعوره ، وبعبارة أخرى إن الدماغ آلة حية تحرق الوقود ، وتحول القوة إلى شعور ، وفكر ، وذاكرة ، وعاطفة ، من ارادة وغيرها من الملكات العقلية والنفسية . فاذا قطعنا مصادر الوقود التي يحرقها الأوكسجين عن الدماغ وقفت خلايا الدماغ عن العمل وخمدت فعاليتها كما تخمد النار إذا حبس عنها الهواء ، أو نفذ الوقود .

(١) نسبة إلى سحايا الدماغ . وهي الأوعية الدموية الشعرية الدقيقة المنتشرة في الأغشية الموصلة التي تغذي النخاع وتلافيفه .

ولذلك يرى بعض العلماء بأن الدماغ عضو مزدوج التركيب مؤلف من مادة وروح . والذي جمعهم عليه أن كل حقيقة تمكنوا من امتحانها واثباتها تحتم عليهم القول بأن العقل والروح مظهران من مظاهر فعالية الدماغ الحي كما أن اللهب مظهر من مظاهر الشمعة المحترقة .

٥ ـ الرأي الثاني القائل باستقلال العقل وعدم ماديته :

وهو رأي (اوليفر لودج) أحد علماء الطبيعة ويرى البعض الآخر وفي مقدمتهم السير « اوليفر لودج » أن الدماغ قائم على الاعتقاد بأنه آلة مادية لوحدة غير مادية ، هي « الروح » .

والروح في رأي السير اوليفر كما سنرى متميزة عن الدماغ تميز الموسيقى عن القيثار الذي يعزف عليه الفنان . وهو وزملاؤه مسوقون إلى هذا الاعتقاد لأنهم يستطيعون أن يفسروا به الكثير من المظاهر الروحانية .

ويقولون بأن « بروتو بلازما » الدماغ ليس إلا آلة لالتقاط ما يأتي من الخارج من العالم المطلق فتجعل منه جسداً حياً يستخدمه لأداة مظاهره ، ثم لا يلبث أن يتجرد عن هيكله المادي ويرجع إلى حيث أتى . والفرق بين الرأيين أن عالم الحياة يقدم الجسم والشمعة ، على الروح واللهب والعالم الروحاني يعكس الأمر ويقدم الروح على الجسد واللهب على الشمعة .

٦ ـ خلود الحياة في نظر الماديين والروحانيين :

ولذا في نظر الأول أن الحياة خالدة مادامت الأرض صالحة ، وعنده أن كل إنسان يولد وفي جسمه عناصر الخلود . وفي نظر الثاني أن الشخصية خالدة ومستقلة ولها عالمها وحياتها .

٧ ـ رأي السير اوليفر لودج في الجسم والعقل :

يقول السير اوليفر لودج وهو عالم من علماء الطبيعة [إن العلماء ينقسمون إلى قسمين فريق يشتغل بالمادة ، دون النظر إلى ما وراءها من عامل روحي قد يكون موجوداً وذي علاقة بها ، وفريق يشتغل علماؤه بالمادة ولكنهم ينظرون إلى ما وراءها من عامل روحي (قد يكون موجوداً) وذي علاقة بها .

الأولون نسميهم علماء المـــادة لأنهم لا يعلمون للمادة مظهراً آخر غير ما وجدوه في مشاهداتهم وتجاربهم . والآخرون يسمون علماء ما وراء الطبيعة لأنهم يعلمون أن في الطبيعة مظاهر أخرى عديدة لا يمكن تعليلها وتفسيرها بالأسباب المادية البحته . بل يقرون بوجود القوة المطلقة [واجبة الوجود] يسندون إليها خاصية المظاهر المتعددة في الوجود ويطلقون عليها قوة « ما وراء الطبيعة » ويعدون الحياة ، والعقل والروح والفن والجمال والإبداع ، والخلق والنظام من مظاهرها .

ويقول هؤلاء العلماء أيضاً إن في الوجود ثلاثة أشياء يستطيع الإنسان الوصول إلى قسم منها ، ويعجز عن الوصول إلى ما تبقى منها .

وهذه الأشياء الثلاثة هي [الحقيقة ، والجمال ، والخير] التي إذا تكاملت في موجود سمي قدسياً وإذا نقصت فلا وجود للكمال لأنها مجردات ضرورية لإتمام الوجود الكامل .

إن البشر إذا لم يصلوا تماماً إلى إدراك هذه الأسس العاملة ، فيستطيعون أن يسموا وراءها والعمـــل على إدراك واحدة على الأقل منها ، ضمن قابليتهم ومحدوديتهم .

ولكن باتساع مدارك العقل واستنارته بالمعرفة قد يتسنى لهم مع تضافر الجهود الصادقة أن يحصلوا على جزء من العناصر الباقية .

٨ ــ الغاية من العلم :

ولما كانت الغاية من العلم كشف المجهول ، وإدراك الحقيقة . فإن العلماء يخطئون كثيراً إذا حصروا بحثهم ودراستهم في نقطة واحدة من الدائرة ، وحجبوا بصيرتهم عن رؤية مافي الوجود من نقاط أخرى تفيد المعنى وتدل على القيم التي يملكها الواقع الواضح . نعم ! إن المعرفة لديهم قد تكون كثيرة ، ولكن يجب أن لا ينقصهم الشيء الأكثر بالنسبة لمجموع الأشياء حتى لا يضلّوا الهدف ويفوتهم البحث عن كل شيء .

٩ ــ ما تراه الفلسفة الحقيقية :

إن الفلسفة الحقيقية لا تنظر إلى الشيء بعين واحدة ومن جهة واحدة ، بل يجب أن ننظر إليه من نواحيه العديدة وجهاته المختلفة ، وتراه بكل العيون والوسائل . وتدرس قضاياه واحتمالاتها من جميع نقاطه ، وتترجم عن الحقيقة والأمر الواقع ، فتنقذ صاحبها من هفوات العقول الضيقة ، والمدارك المحدودة في الذين يظنون التكامل في أنفسهم وصحة العلم والإحاطة لديهم .

ومادام من خواص الوجود ، دوام تبدله وتنوعه وتحوله ، فالعالم مهما أبدى من قوة المعرفة والبصيرة لا يستطيع وحده تمييز جميع الموجودات ودرسها بأجمعها ، ولذا تحتم على أهل العلم أن ينقسموا فرقاً فرقاً كل يشتغل في دائرة اختصاصه ، وبذلك توسعت دائرة العلم واستحال الانفراد بها ، وصعب على الواحد ادعاء الإحاطة بما لا يعلم لأن ما يمكن للواحد معرفته لا يخرج عن نقطة واحدة من خضم اللانهاية .

١٠ ــ اتساع عين العلم :

ومما لا شك فيه أن عين العلم قد اتسعت فأصبحت ترعى في الكون فضاء لا حدَّ له ، تسبح فيه عوالم من الأجرام منها مشتعل وحادٌ ، ومنها مظلم بارد ، تفرقت بدون قصد لكنها اتبعت النظام والترتيب في حركاتها وعلاقاتها ، وهي وحركاتها قابلة القياس والتحديد ، يعرفها العلم ويخبر عن أماكنها وبعينها .

والمادة إذا فحصناها عن كثب بما لدينا من كواشف ومقاييس وضوابط ومعايير وآلات دقيقة صحيحة نجدها من مركبات وجواهر Moleules & Atoms ذات حجم وبناء وطور معلوم ، ونجد الجواهر ــ والعلم يدرك وجودها ــ ليست منتهى ما تتركب منه المادة بل هي ذاتها مركبة من الكترونات وبروتونات سلبية وإيجابية ، تظهر أنها أيضاً مركبة من أشياء أخرى بالكتل الكبيرة ، ولها حركة ممتادة ذات منطقة وقوانين جميلة تتحرك بموجبها ، وترتيبات محفوظة ضمن الجواهر تسير على غرارها .

وعندما نقترب من المنطقة الداخلية لدراستها تتراءى لنا كأنها خالية ، وهي في الواقع مملوءة بشيء يصهر جميع أجزاء المادة ويذيبها إلى « كلّ » عام يحمل القوة والاهتزازات من واحد إلى آخر .

ومن أوضاع الذرات المقدة يتجلى لنا انبعاث شيء جديد للحقيقة ، قادر على تكوين الأساسات الطبيعية للعضويات الحية التي لا يشابه درسها درس الأعمال الكيميائية ، لأن مقدرة العقل على ذلك لا تزال محدودة .

على أننا وإن تمكنا من البحث عن هذه العضويات فتدقيقاتنا لا تستقيم إلاّ بالدساتير الفيزيكية والكيميائية التي عرفناها ولكن الواسطة تبقى وحدها عاجزة عن إيقافنا على الحقيقة فنضطر للتعليل والفهم أن نرجع إلى ما نسميه

فعل الحياة . ونكوّن منه علماً يسمى (علم الحياة) يدرس التركيب الذري والأخلاط الناشئة عنه في الأحياء ، وتطور النشوء والارتقاء ، وحصول النمو وقوانينه .

١١ ــ الحياة ومصدرها وفعلها :

والحياة مهما تكن هي التي تسيّر قوة الوجود ، وهي آتية من الشمس تتحول منها لإيجاد بنية لا يمكن للكيمياء ولا الفيزياء إيجادها بدون فعل الحياة ومساعدتها . فالقوقعات البحرية ، وخلايا النحل ، وأعشاش الطيور ، والأشجار ، وكل ما في الطبيعة من المظاهر الحية شاهد على تلك القوة الخاصة بأعمالها وأفعالها في نواميس المادة والأثير ، تساعدها ولكن ليست المسببة لوجودها .

١٢ ــ ماذا ينتج عن الحياة ؟

وبفعل الحياة واختباراتنا الذاتية نعلم بأن الفرح والسرور واللذة والألم والحب والبغض والكدر والجبور والقصد والإرادة والرغبة والنفرة ، والشعور ، والإحساس ، والأمل ، والإلهام ، والوحي والإيمان هي حقائق موجودة لا مجرد وهم ، وينفيها الشك والجحود الأعمى . إنها حادثة ومن جملة الأشياء الكونية مهما يكن اعتبارها .

وقد وجد « علم النفس » وغيره من فروع العلم للبحث عنها وعن الروح البشرية التي تمارسها . وإذا كان علم الدين قد تناولها من ناحيتها العلمية فإن علم اللاهوت نظر إليها من جهتها الفلسفية . وكلاهما من العلوم الكلية يبحثان الكليات كما تبحث بقية العلوم عن جزئيات الوجود ، كعلم التاريخ ، وعلم الجغرافيا وعلم طبقات الأرض ، وعلم الاجتماع ، وعلم الطب وعلم الحيوان

والنبات وعلم الرياضيات ، وعلم الزراعة والفلاحة ، وعلم المعادن والكيمياء وعلم الميكانيك وعلم الآلات والصناعة وما يتفرع عنها ؛ وكلها تتعلق بالأرض وما عليها ولكن هل يستطيع الإنسان أن يلم بكل شيء ؟

إن العلم مهما بلغ من السعة والعمق والشمول لا يستطيع أن يلم بكل شيء يتعلق بالوجود . فدائرة الأدب والفن والشعر والموسيقا ومملكة الخير والجمال لا تزال خارجة عن حدوده ، ولكن لا بد من الولوج إليها والبحث في حرمها وفهم أسرارها ، واكتشاف ما فيها .

أجل ! يجب البحث حباً بالحقيقة ، لأننا إذا أنكرنا وجودها جعلنا علوم المادة وفلسفة الطبيعة لا تزيد قيمتها عن قيمة العظام المجردة من اللحم إلا شيئاً قليلاً ، مع أننا نستطيع أن نكسوها لحماً ونبعث فيها دماً وحياة وروحاً .

١٣ — الروح البشرية تحب الأدب والشعر والفن :

والحقيقة التي يسلم بها كل صحيح العقل أن الروح البشرية تحب الأدب والشعر والفن وتحب التعمق فيها أكثر مما تحب تحريات العلم وتخبطاته .

ولماذا ؟ لأن الروح تحب أن تلهو وتهيم في فضاء الخيال المطلق . ومن حقها ذلك مادام لهوها وهيامها يسببان وجود الجمال في الموسيقا ، والشعر والغناء ، والبناء والهندسة والرسم والنحت والتصوير .

وهل بغير ذلك نجد في رسالة الغفران للمعري ورسالة الجحيم لدانتي ، وفي روايات شكسبير وفي السونوتار ، والبانتيون ، وفي معابد بعلبك وفي تاج محل بالهند ، وفي قصور الزهراء في قرطبة والحمراء في غرناطة ، وفي جامع الصخرة في القدس ، وفي الرسوم والصور وأشعار الشعراء الخالدين ما نجده ونتذوقه من جمال وروعة وإبداع ، وتناسق وعبقرية وإلهام .

ولكن هل الاكتشاف في هذه المنطقة هو المقصود ؟ أم المقصود الإيجاد الحقيقي له ؟ إذ لولاه لما كان للفن وجود بعظمة العلماء والأدباء وتعبده النفوس ، وتخضع له الرؤوس ويهيم به (دانتي ، وانجيللو ، وشيلر وبتهوفن وواغنر ، وزرياب ، وإبراهيم الموصلي ، ورباب ، وعلية المهدي ، ورابعة العدوية ، وابن الفارض وابن عربي) ، ولما عشق الأنبياء والعلماء والصوفيون والفنانون والأدباء والشعراء مبادىء الحق والحقيقة والجمال والخير والمحبة ، وتمالت نفوسهم في عملها حيث شاهد كل منهم بقدر بصيرته واستمداده لمحات من الحقيقة لا تتغير فهاموا وسعدوا ! إن طرق البحث مهما تعددت فهي واحدة وسواء أكانت في الدين أم في العلم ، أم في الفن ، فهي تتجه لنقطة واحدة [الحقيقة] لأنها هدف الجميع وغاية الغايات .

١٤ — الحقيقة والمادة :

وما دام لنا شعور حي يوجهنا نحو الحقيقة ، ويدفعنا وراءها . فأفهامنا لا بد واصلة إلى المحيط القدسي محيط الخير والمحبة والجمال ، وبسعينا للوصول إليه ، وهي أمنية تسيطر على كل نفوس البشر نصل إلى معرفة الحق كما قال كيت : [إن الحقيقة لا يقدر على حصرها أحد ، ولا على احتكارها أحد أو جماعة ، لأنها جزء من القدسية . ومع أنها حقيقة والوصول إليها يندر فهي تحير العقول بعظمتها ، وعنها تظهر صحف الجمال وصورها بأبدع مما نتصور ، وبأبهى مما يمكن للعقل إدراكه] . ولما كانت الأشياء على ما ذكر من الصورة فكيف نقول بمادية العلم ونرضى من رجل العلم في أي طور من أطواره أن يحول بصره عن رؤية آيات الوجود ويتجاهل معاني الموجودات وصورها التي لاتعد . وكيف يجوز حصر الفكر في نطاق قوانين المادة وحركة الذرات والجواهر ، وهل هذا هو طريق الصواب ؟ وهل كل

شيء في الطبيعة خاضع لقوانين الماده الأساسية ، مع أنها قد تكون بذاتها خاضعة لقوانين أخرى نجهلها !

لقد قال « لابلاك » عندما سأله نابوليون أين الله ؟ في عالم الرياضيات ! أجابه [إنني لم أحتج لحل هـذه القضية] . إذ كان يستخرج نظرياته بحسب قوانين المادة والقوة فقط ، ولذا كان جوابه ناقصاً من جهة فلسفة الوجود كما كان جواب زميله « نيوتون » الذي عندما استكمل علمه في تدقيق مسائل الطبيعة شعر بالنقص الذي يعتريه في التعليل فرجع عن رأيه وقال بالحقيقة . ولكي يتضح اختلاف الهدف لبيان الفرق بين من ينشـد الحقيقة المطلقة ، وبين من ينشد الحقيقة المقيدة بالمادة نقول : إن « نيوتون » اختصر علم السماء بقوانين وأنظمة أساسها الفرضيات الرياضية ثم آمن بالحق فأوحى إلى العالم بصحيح المبادئ التي جعلت كل مافي المـادة من جواهر فردية وحركات ذرية . والكترونات ، وكهارب ، وايونات ، قابلة الحل ببراهين تستمد أساساتها من الفرضيات الرياضية والمبادىء الميكانيكية ؛ وأما « لابلاك » فقد ابتدع فرضيته المشهورة التي تخـالف الفلسفة الإلهية . فقال [أعطني مقدمات وأعطني ذكاء بشرياً رياضياً يفوق الحدّ لأعين لك طريق كل جوهر فردي ، وأعين محركه الذي سـار عليه ، والذي سيسير فيه بكل ما في الطبيعة من ماض وحاضر ومستقبل يمكن حسابه بدون صعوبة] .

١٥ — ليس من السهل قبول دعوى المادية :

ولو صح قول (لابلاك) فهل من السهل الجزم بمسألة مبدأ الآنية أي آنية الحياة في سلم الأطباء ؟ كلا ! لأنها لاتزال تحت البحث .

إن طريق الذبابة وهي تلعب حول الشيء المعلق ليصعب تعيينه ، واستنتاجه من المقدمات الفيزيكية والمبادي الميكانيكية ، فكيف كل ما في الحيـاة وفي

سلم الحيوانات ، والنباتات ، والإنسان من مظاهر الحياة ؟ ولذا فالقول برأي حاكمية المبادىء المادية في تلك العوالم لايزال مشكوكاً فيه وفي صحتها ولا يمكن حل مسائل الحياة بقوانين مادية .

١٦ — الحياة وماهيتها :

وهي الحياة ؟ إنها ظاهرة لانعرف غير أعراضها ، وهي تستخدم المادة وتستكملها وتحول الجهد الفيزيكي Physical Inergy إلى طرق جديدة فتقطع لسان البر لتوصل بين بحرين ، وتقيم الجسورة والقناطر لتوصل البرين ، تخرج من الأرض شجراً ، وزهراً ، وثمراً ، ورطباً ، وفاكهة مختلفة أزواجاً إنها تمطر السماء فتسيل فيها الجداول والأنهار وتبدل حالة الاقليم ، وتشق مفارش المياه ، وتخر من الجبال ، وتفتّت الصخور ، وتنشئ ما صنعته المدنية من بناء وعمران ، ولا يقتصر عملها في الأحياء العليا بل تعمل في الأحياء الدنيا كخلايا النحل ، وتستهلك حبة القمح لتخرج من البويضة ريشاً بديع اللون والشكل ، ومن البذرة زهوراً زاهية لا عدّ لها . وتطعم دود القز ورق التوت لتوجد أجنحة الفراشة الجميلة ، وخيطان الحرير للكسوة والزينة وإذا ما ارتقت علت بروح الإنسان فوق جميع الموانع الماديّة والمعنويّة والجسمانية ، وسكنت مناطق الذهن لتلهو بالخيال والفن والشعر والألحان ، وتتخذ الأشياء الخارجة عن نطاق الحس واللمس مادة مغذية لذاتها تلتذ بها نفوسنا وتشعر بأنها قريبة من ذلك الوجود الكامل القدسي .

إذاً ما نعرفه عن هذا المؤسس العامل الذي أسميناه الحياة قليل جداً . وقليل بالنسبة لما ستوجده الحياة . ألا نتذكر بأن كثيراً من الأفعال التي نسميها كيميائية قد برهن باستور أن سببها كائن حي ، وأن هذا الكائن

التمثيل المجهري يدبر ما ظهر من تفاعلاتها ، ونتائجها الكيميائية بطريقة عجيبة شبيهة بالتفاعلات الكيميائية التي يجريها الكيميائي في مخابره ؟ أليس التخمر ، والهضم ، من أعمال الأحياء المجهرية خلايا كانت أم فيروس ، أو جراثيم ، لها خدمة زراعية ، ووظيفة في نشر الأمراض والأوبئة ومحاربتها ؟

كيف يتعامى البصير عن رؤية الحق أمام هذه المظاهر الحية ! وكيف يجحدها المنطق السليم ! ألا يكون الجحود تقليداً ومكابرة ؟

١٧ — ما يقبله العقل ويدركه المنطق ؟

إن ما يقبله العقل ويدركه المنطق ، هو أن الحياة شيء حقيقي ، وموجود ثابت . يفيدنا القول به بقاء باب التحقيق والبحث مفتوحاً ويمكننا من طرق أبواب عالم المجهولات واكتشافها ، ولعل يوماً يأتي فنهتدي إلى ثمرة الموضوع الذي له ما بعده . ولا بد من القول أن غاية ما وصل إليه علمنا عن الحياة أنها (فرضية) تلازم المادة وخواصها ولكن قد يكون للحياة وجهة أخرى .

إننا نجدها تشرق وتغيب وتظهر في المادة الجامدة مدة ثم تفارقها ، ولها نظير في عالم الطبيعة كقطرات الندى ، تظهر فوق الأشياء اليابسة ثم تختفي ، ولكن إن كانت قطرات الندى لا توجد إلا فوق جسم يابس تقف عليه ، ويتراءى للجاهل أنها تظهر وتختفي وهي مرتشحة عن الجماد ، وإذا كنا نعرف عنها غير ما عرفه ذلك المخلوق ، إذ نعلم سبب حصولها ، وأن لها وجوداً دائماً ثابتاً ، وإنما تكونت بشكل غير مرئي وغير ملموس وهو البخار وما وجوده إلا حادث موقت لا يلبث أن يزول ، أفلا يتضح لنا من هذا التشابه الظاهري كيف تتجلى الحياة عند حلولها في المادة كما تشير إليه الآية [وجعلنا من الماء كل شيء حياً] وندرك مظاهرها السامية

خاصة عندما ندقق في الدرجات العليا من الأحياء كالإنسان حيث يوجد فيه العقل والإرادة وهما ليسا جهداً إنما يستخدمان الطاقة ويسوقانهـا للطريق المؤدية إلى الغاية ، كأنما يقصدان شيئاً لا نعرفه ثم يبلغـانه ومن خاصيتها التمييز بين الحق والباطل ، بين النبيل والحقير ، بين الصدق والكذب بين النافع والضار ، بين القبيح والجميل ، وبين الناقص والكامل ، ويعملان فيما هو خارج عن نطاق قوى المادة ، ولهما دوافع أخرى ، ويتأثران من المستقبل ويستكشفان المجهول والمـاضي ، ويتنبأان عن المستقبل . ان الدليل واضح مع الملاحظة أن قوة الانفجار عمياء تنطلق من مكمنها فلا تزيد ولا تنقص . ولا ضابط يصلح أن يكون عاملاً لها يدير نفسه ، ولهذا تعتبر الطاقة كالقوة تحفظ وتبقى تحت تأثير المدبر لها ، بواسطة القوى المادية ومساعدتها أيضاً .

ومن هذا يتضح أن تغيير مجرى الحركة أي حركة المـادة يحتاج لقوة تعمل عليها لخلوها بذاتها من الآنية Spontanity أي العفوية ، ولكونهـا عطلة من بذاتها أيضا = Inert .

وحيث إن المادة غير لية ، فالضغط يدفعهـا إلى الأمام ، وتسير في حركتها عمياء لا يؤثر فيها المستقبل ولا لها طريق تلقائي معين ولا غاية محدودة .

١٨ ـ العقل ومزاياه :

أما المخلوق الحي ذو العقل السليم فوضعه خلاف ما تقدم . إنه يندفع إلى الأمام شاعراً بحاله وترحاله ، ومدركاً لما يأمر أو يؤمر به ، وينقاد أو ينفر منه ، وله صفات وخواص تميزه منها الجوع والعطش والرضى والغضب . وإدراك الأشياء على ما هي عليه ، وإطلاعه على المستقبل وسيره في الطريق المعين . أما عقله فمن مظاهره الإرادة والرغبة والنية والغاية ، وإن أنكر

بعض العلماء وجود القصد والغاية في الوجود وقالوا بنظرية « التصادف » ولكن جحودهم لا يسلم به مادام الوجود يملك الإبداع والنظام ، والإيجاد ، ومادامت الإنسانية تملك الغاية والإرادة والأمل فعلينا أن نتمسك بالعقل لشعورنا بوجوده فينا ، وشعورنا بقوة التدبير في العالم الحي والجامد ، ويؤيد مدعانا ما نشعر به ونشاهده ، ونقول عن المادة مهما تكن إنها [حمولة العقل] .

وان حلوله فيها وسيلة للظهور والعمل المتبادل في صور الأشياء وأشكالها . وهو ينطوي ضمن تركيبات المادة المعقولة ، سواء أكانت عاطلة أم جامدة . هذا طريق الجبل أليس هو رمزاً صحيحاً لشيء إنساني ؟ نعم ! إنه رمز العقل ليهدي الساري إلى جهة معينة ، ويوصله إلى غاية مقصودة . مع أن الطريق بذاته عطل والجهد لم يكن جهد الطبيعة إنما من عمل العقل ، كالصوت الموسيقي تخرجه آلة نافخة يحركها محرك ميكانيكي ولكن العقل يدير العامل . وهو الموجد للنغم ، وخالق الإيقاع والتناسق . ولولا دماغ الوسيقار لما وجدت النوطة ولما كان للصوت وظيفة . فإيجاد اللحن والأنغام وتنفيذها يحتاج الآلة ، وهي تحتاج في وضعها وترتيبها لفاعل يترجم النغم عن عقله وهو بعيد عنها بعد الشرقين .

١٩ – ماهية العقل ومظاهره :

وبعد فالدماغ آلة العقل وبه تظهر مظاهر الحياة بأكمل ما يمكن وتبقى محفوظة في المادة . وقد يقال بأن الوسيقى يمكن تجسيمها بالنوطة فتبقى محفوظة مهما طال الزمن ، ولكن فاته أن المحفوظ ليس رسم الصوت ولا صور الحوادث والوقائع كما هو في الشريط السينمائي أو الشريط المسجل ، وإنما عقل الفنان وعقل الممثل ، وعقل المتكلم . وعمل الإنسان أبدعه ذهنه

فأنتج الموضوع ومثل الرواية ، وأنشأ الآلات والمصانع ، وخلق من الجماد والحجر ، والحديد ، والخشب ، والذهب أشكالاً وصوراً وأشياء وبقي خالداً فيما صنعه ووضعه . ولو فرضنا أن يد الحدثان امتدت إلى النوطة أو غيرها فخربتها ومحتها . فهل باستطاعة المادة أن تعيدها ؟ إنها لا تعود من ذاتهـــا ولكن لو بقي الصانع أو الواضع حياً لأعاد العمل بقوة عقله سواء أكان الأثر قطعة موسيقية أو بنـاءً ، أو رسماً ، أو مصنعاً أو آلة أو لعبة أو شعراً أو رواية . وبكلمة أخرى إن العقل لم يمت وفي استطاعته أن يعيد ما أنشأه وجسّمه مرة ثانية . ومن هذا يتبين ان إدراك الشكل الجميل بذات المعنى ينبه الفكر إلى إبداع شيء آخر ، أبدع من الشكل الأول ويدل على بقاء العقل وفعاليته .

٢٠ ــ حقيقة مذهب المادة :

لهذا كان مذهب المادة حقيقة ناقصة لم تتكامل معداتها للتصوير والتحديد . فما يظهر في المادة هو تلونها بالحياة . والذي يبقي لها الحياة هو حمولتهـا انطبـاعات العقل ، ذكريات الراسم الذي أوجد ما أوجد ورسم ما رسم ، وألبس الصور المعنى والروح والنغم ، فذهب عمره [وهو مدة بقاء الدماغ في فعاليته] وبقي عمله حافظاً لشخصيته ، وأليفاً لمعانيهـا ، ومدلولاتها . وهذا ما جعل في ألوان العَلَم رمزاً خالداً يحفظ ذكرى البسالة ، والبطولة ، والشجاعة ، والوطنية ، والتضحية ، وشهادة أرواح الألوف من أبناء الوطن رفعت الراية لأجلهم ، تذكّر من ينظر إليها من الجنود الأحياء بإخوانهم فيمجدونها ويعبدونها لمعانيها وذكرياتها .

وإني لأعتقد بأن لبعض الآثار الشخصية التي تتعلق بأشياء أرضية معاني ربما تكون مبهمة ، لكنها لبعض العقول النيّرة سيفسّر واضح المعنى ندرك

ماهيتها ومراميها . ومن هذا القبيل ماذا توحي إليه العبادات والطقوس الدينية، والترتيلات الروحية والعادات العقائدية ، فإن المؤمنين بها ، وإن أيدوا المذاهب المادية ، ولكن سبب وجودها هو المبالغة بالشيء أو نكرانه بتاتاً أي نكران المادية .

إن المادة موجودة في كل شيء بنسب مختلفة كوجود الراديوم والأثير ، وهي تتجسد لإظهار العقل . ولكن للتجسد درجات ، أكملها أجسامنا المادية لما نحن عليه ، ومع هذا فتجسدها بهذه الصورة هو منتهى الكمال ، وقد يحتمل أن شخصيتنا لا تظهر في العالم الأرضي بل في عالم آخر ، إذا قلنـا بوجود « النفس السامية المطلقة » .

ويجب أن نتذكر بأن تجسد العقل في البشرية درجات أعظمها ما ظهر في المصلحين أصحاب الرسالة وفي العلماء أصحاب العقول النيرة ، وفي المبدعين والفنانين والمخترعين .

والحقيقة أننا لو نسبنـا دوران الأفلاك ، وتموجات النور ، وحركات الأثير ، وغروب الشمس وشروقها ، وهذا الكون اللامتناهي، الى العقل الفيزيكي والكيميائي ، وإلى الصدفة العمياء ، وأنكرنا النظام العام ، والتنوع ، والإبداع والجمال الظاهر في الأشياء والمعاني ، وأنكرنا الحياة ومعانيها ومظاهرها ؛ لقضينا على العلم والعلماء الذين هدتهم معرفتهم وهدتهم بصيرتهم إلى الاعتقاد بأنهم يمثلون عقلاً فوق العقول ، وقوة مدبرة فوق كل قوة هي « الله » . الذي قال عنه (غاندي) بَطلَ الإلـه أن يكون إلـهاً إذا قام الدليل المادي على وجوده . وقال القرآن الحكيم [وفي أنفسكم أفلا تبصرون] .

٢١ ـ الرأي الثالث رأي البروفسور هالبرتون أحد علماء الفيسيولوجيا :

يقول الموما إليه [لا يشك أحد بأن فينا شيئاً نعلم به ، وندرك الأشياء على ما هي عليه . ونميل بواسطته نحو الشيء ، وننقبض ، وننشرح ونتألم ونتلذذ بحسب ما يؤثر فينا ونتعظ مما سبق اختباره وتجربته في ذهننا ونسميه « العقل »] .

ويختلف العلماء في تعيين ماهية العقل ، ومركزه ، وكيفية عمله ، وعلاقته بالجهـــاز العصبي ، فالأوائل يقولون بأنه قوة روحانية حبست في الجسم ، ونور يشع من القلب ويسمونه « النفس » ويدعون أنه « الروح » التي تتصل بالذات الإلهية ويطلقون عليه أسماء أخرى تفيد وجود شيء فينا لولاه ما عرفنا الموجودات . والمتأخرون ينظرون إليه كأنه وظيفة من وظائف الدماغ ، ولكن تختلف ماهية هذه الوظيفة وكيفية حدوثها . ثم يقولون بأن العقل شيء غير مستقل ، ويبنون نظريتهم على أساس أن الوعي هو محصول فعالية خلايا الدماغ كالصفراء تفرزها خلايا الكبد ، وكالانقباض المشاهد في عضلات الرجل أو اليد عند الحركة ، وكلاهما نتيجة لفعالية الخلايا العضلية في العضوين المذكورين ، وبحسب نظريتهم ان إدراك الموجودات ومعرفة الأشياء هي نتيجة فعالية الدماغ ولا شيء سواه .

ثم يقول الأستاذ « هالبرتون » إن أساس المشابهة والقيـاس في المثال الأخير ليس فيه صحة البرهان ولا دقة الاكتشاف ، وما ادعوه لا يقربهم من الحقيقة .

أما نظريتهم في ذلك فخلاصتها :

أولاً : إن بعض الإحساسات المختلفة التي نشعر بها يتوقف مظهرها على سلامة وصحة البقع الوضعية المعلوم مكانها في القشرة الدماغية Cerebral cortex

ثانياً : إن المخدرات والمنبهات كالكلوروفورم والكحول ، والأفيون ، والقوقائين ، والقهوة ، والمورفين ، والحشيش تؤثر في مجرى الإدراك .

ثالثاً : إن بعض التشوهات والآفات العصبية ، وبعض الأمراض الدماغية يعقبها نقص أو اختلال في القوى العقلية .

وهي حقائق لا شك فيها يدعونها ، ومفهومها واضح . ولكن الرد عليها يثبت استقلال العقل ويبين الحقيقة . ثم يردّ عليهم الأستاذ ويقول إن مادة الأعصاب الدماغية وإن كانت أساساً لمظاهر الوعي والإدراك لكنها لا تدل على عدم الاستقلال ، ولا على صحة الادعاء بأن هذا الفعل يصدر عن تلك المادة . إن أكثر الفلاسفة يختلفون في المدعي الأول ، ويعتقدون أن جميع المادة حية كانت أو جامدة تنتج عن فعالية العقل (١) ويقولون لولا العقل لما كان وجود ولا إدراك لخواص الصوت ، واللون ، والثقل والصلابة إلى آخر الخواص التي يتألف منها عالمنا « غير العقلي » .

نعم ! إن الصفراء إفراز ناتج عن فعالية الكبد لكن الحصول في هذه الحالة [فيزيكي] مكون من فعل فيسيولوجي أي وظيفي ، تركب من فعلين كيميائي وميكانيكي . وأما في حالة الوعي فإن قلنا الدماغ هو الذي يفرز نكون قد خلطنا بين فعلين في آن واحد [مظهر العقل الذهني] و [مظهر الفعل الفيسيولوجي] مع أننا لا ندرك أمر العلاقة بينها . وعليه بدلاً من القول [إن الفعالية الفيسيولوجية هي المسببة للفعالية العقلية ، تقول إن الفعاليتين المذكورتين تعملان في خطين متوازيين بعضها لبعض ، وان العلاقة بينها مجهولة لدينا] وبهذه الفرضية وهي (توازي القوى الفيسيولوجية والقوى العقلية) يسهل علينا حل معاياات المسائل العقليّة ولكن يبقى لدينا سؤال واحد عظيم

(١) فذهب (ديكارت) يقول لماذا أنا موجود ؟ لأني أفتكر ، فلولا العقل لما عرف الوجود .

وغير قابل الحل ، وذلك معرفة أيها يفعل بالآخر « العقل يفعل بالدماغ ، أم الدماغ يفعل بالعقل ؟

والجواب : ان كل فعل عقلي يعقبه أو يرافقه تبدل دماغي ، لكن رسم هذا التبدل صعب ودراسته أصعب ، ولو أمكن تحقيقه يوماً ما ، لما اقترب العلم من العلاقة بين الدماغ والعقل ولا بقدر ذرة واحدة . ومثله جهل الشمعة بأن جسمها يضيء ، أو جهل الجسم الشع بالنور أنه يضيء على غيره . ولهذا علينا أن لا نخلط في الفهم بين هذا التوازي . لأن الفعل العقلي شيء ، والفعل الفيسيولوجي شيء آخر ثم يقول : ومن الحق أن نبحث عن الشعور ونعني به الدافع فان فعلنا خلطنا بين علمين متباينين . والنسبة بينها نسبة الشيء إلى ظله أو إلى صورته .

وعلماء العقل يعزون فعاليته بثلاثة مظاهر . (الأول الاطلاعية = Cognative) وهو مظهر يجعلنا واعين لمداركنا ، أو مدركين للأشياء التي نتنر بهـا . والثاني العاطفية (Affective) وهو مظهر يجعلنـا نتلذذ ونتألم من حالتنا الإدراكية . (والثالث الإرادية = Conative) ، وهو مظهر آخر يجعلنـا نميل نحو الشيء ونطلبه ونسعى لنيله .

ومن الملاحظ : أن في كل حالة عقلية تظهر هذه المظـاهر . ولكن بنسب مختلفة من حيث البروز والشدة ؛ ففي الإدراك ، والحفظ ، والتخيل ، والتصور ، والمحاكمة ، تكون الاطلاعية أقوى وأشد بروزاً .

وفي حالة الحب والبغض والحزن ، والفرح ، والأمل والخوف تكون العاطفية أشد تقدماً وأقوى بروزاً وفي حالة الرغبه والحرص ، والتملك ، والطلب ، تكون الإرادية أقوى وأشد بروزا .

والوعي له حالات تفيدنا ما هو الفرق بين الموجود الخارج عن أنفسنا أي الظاهر ، والموجود الداخل ضمن شعورنا أي الباطن . ومن وجود هذه العلاقه بين الظاهر والباطن نستدل على فعالية الذات ، التي تختبر حالات الواعية فتتطلع وتحس وتريد .

وفي الحقيقة لا يمكن تصور وجود حالة نفسية مالم تكن الذات مختبرة لها . فاذا ظهرت الحالة النفسية فانها تمتزج مع اختبارات الذات أي النفس ، الموجودة سابقاً وتعمل لتغير بها ، أو لتصلحها . وعلى هذه الكيفية تقوم فعاليتها متكيفة بحسب الحالات الواعية واختباراتها ومكيفة لها .

وفي النتيجة يجب أن نعلم أن حالات الوعي ليست وحدات [مستقلة] بل جهاز العقل مثل جهاز العصب المركزي يشتغل كموجود واحد مستقل بالرغم عن ميزاته المركبة .

هذه هي خلاصة رأي الدكتور « هالبرتون » تأخذ شكلها الوسط بين العقيدتين ، ولم أشأ الدخول في بيان تفصيلي لكيفية وقوع فعل الوعي من الجهة الفيسيولوجية لأن الكتب الخاصة بهذا العلم تتناول بحثة بمزيد من الإسهاب والشرح . وإنما أوردته لأثير انتباه القارىء إلى ضرورة التعمق بأبحاث [العقل] حتى نزداد يقيناً بأن هذه المنحة التي منحتنا إياها الحياة وموجد الحياة ، لأثمن شيء في الوجود . فمعرفة أنفسنا بقدر ما وصل إليه العلم يجعلنا ندرك مسؤولياتنا في تنمية قوانا العقلية والمحافظة على سلامتهـا وعلى فعاليتها . إذ لا شيء أثمن من العقل ، ولا شيء أكمل منه في الخليقة ، وإذا اختل أو اعتل نقصت قيمة الإنسان وقل اعتباره وفسدت حياته ، ولا حيـاة لمن لا عقل له . ولا عقل لمن لا يدرك نفسه ، ولا علم لمن لا معرفة له بالحياة .

❋❋❋

عبد الرحمن الكيالي

العوامل الخفية في التطور اللغوي

من المعلوم أن الإنسان قد اهتدى منذ عهد عريق في القدم إلى استنباط الكتابة واستعمالها في شتى حاجاته . وكانت كتابته في أول عهدها عبارة عن رسوم بدائية ساذجة يستعين بها على التعبير عن ضروريات حياته البسيطة . لكنّ الإنسـان لم يبق في طوره البدائي طوال العصور التي مرت عليه . بل أخذ مع كرور الزمن يرتقي ويتقدم في الاختبـار والمعرفة . وبتقدّمه وارتقائه ارتقت لغته الكتابية أيضا . وما زالت تسير في طريق الارتقـاء حتى أصبحت ذات قوالب لفظية معيّنة وتراكيب تقوم على قواعد منظّمة .

على أن تلك القوالب والتراكيب لم تتوقف عبر التاريخ عن التطور ، ذلك لأن الجماعة الإنسانية نفسها قد طرأ عليها منذ عهدها الأول تغيرات وتحولات كثيرة كان نتائجها أنها توزّعت إلى كتل عديدة مختلفة البيئـات والاختبارات . وبالتالي متباينة اللهجات واللغات .

ولقد عُني فقهاء اللغات قديماً وحديثاً بدراسة تاريخها وأسباب نموّهـا وتقدمها وقطعوا شوطاً بعيداً في الكشف عن الوشائج التي تربط بعضها ببعض . فأوصلهم ذلك إلى الجزم بأن اللغة لم تأت الإنسان رأساً عن طريق التوقف كما زعم بعض القدماء بل نشأت ونمت ككلّ حيّ تبعاً لناموس التطور الطبيعي العام . وانها لا تزال حتى الآن خاضعة لهذا النظام . والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى وأبين من أن تحتاج إلى تبيان . ونظرةٌ واحدة

على ما دخل ولا يزال يدخل كل لغة من أوضاع جديدة كافية لأن ترينا أثر التطور المستمر في لغات الأمم جمعاء ، وإن كان هذا الأثر يتفاوت فيها بالنسبة إلى أحوالها ودرجة تقدمها . خذ مثلاً لغتنا العربية إبّان نهضتها الأخيرة فقط وتأمل ما استجدّ فيها وتولد من كلمات واصطلاحات في شتى حقول العلم والحضارة ، سواء أكان ذلك عن طريق الوضع أو عن طريق الترجمة . فهي دون مغالاة تتجاوز الألوف بين ما كان من قبيل الماديات ، أو ما كان من قبيل المعنويات .

* * *

والتوليد وضعاً « أو ترجمة » قديم في العربية . على أنه قد اتسع كثيراً في هذا القرن الأخير ومعظمه جار على ألسنة الكتاب وأقلامهم . وكثيرٌ منه قد دخل حرَمَ المعاجم فأصبح متأصّلاً في اللغة .

وما يصدق على التوليد في اللغة العربية يصدق عليه في شتى اللغات العالمية الحية إلا أن أساليبه قد تختلف بين لغة وأخرى . فالتوليد في العربية عملية داخلية تتمّ عادة بواسطة الاشتقاق الصرفي طبقاً لأصول هذه اللغة . فيستعان عليه باستعمال الصيغ الصرفية المعروفة من مصدر أو اسم فاعل أو اسم مفعول أو اسم مكان أو اسم آلة أو مبالغة وما إلى ذلك . مما يَسِمه بسمة الاشتقاق الداخلي لا بزيادات خارجيّة عليه كما هي الحال في اللغات الإفرنجية حيث يحدث التوليد بواسطة سوابق أو كواسع تضاف إلى الألفاظ الأصلية . كما ترى في الأمثلة التالية :

Operation — أي (عمل أو عملية) فاذا سبقتها (Co) تصبح Cooperation أي (التعاون) .

Like — أي (يودّ) أو يستحسن أما Dislike (فتعني يكره) .

Teach — أي (يعلّم) أمّا مع الكاسعة (Able) فتعني (قابل للتعلّم) .

Ordinary — أو Ordinaire — معناها الشيء العادي فإذا تقدمتها Extra أصبحت تعني (ما فوق العادي) .

Poison — أي (السمّ) أضف إليها ous تصير Poisonous أي الشيء (السامّ) .

Coherent — أي (المتماسك) — incoherent غير متماسك أو متفكك

Stand — أي (يقف أو ينتصب) — Under stand (أي يقف على معنى الشيء) .

وقس على هذه الأمثلة ما لا يمكن حصره في مثل هذا المقام .

وقد أخذ بعض هذا النوع من التوليد الأجنبي يتسرّب إلى العربية فصرنا نقول مثلاً : برقية لاسلكية — ولون فوق البنفسجي — الفلسفة اللاأدريّة — تعاليم لادينية ، وخام كبريتيد (Blend sulphide) وحامض بروخليك (Brono acetic acid) وأمثالها مما اضطرّ إليه ناقلو الأوضاع والاصطلاحات الكيماوية والأحيائية والطبية وسواها من العلوم الطبيعية إلى اللغة العربية .

وكما دخل اللغات أوضاع جديدة عن طريق التوليد والترجمة دخلها كذلك أوضاع جديدة عن طريق الاقتباس بعضها من بعض . فاللغة الواحدة كثيراً ما تتبنى لفظاً أجنبياً لا فائدة من تكلف ترجمته . وهو أمر يكاد يكون شائعاً على درجات متفاوتة في جميع اللغات . ويطلق العرب على هذه الألفاظ المقتبسة اسم الألفاظ الدخيلة أو المعرّبة .

ولقد حاولتْ بعض الدول الحديثة بدافع من عصبيتها القومية أن تستغني عما انتشر في لغتها من ألفاظ دخيلة وأن تستعيض عنها بوضع ألفاظ أصيلة

فوجدت في ذلك من المشقة والإسراف في الوقت والجهد ما صدّها عن التمادي في مثل هذه المحاولة. فكيف يمكن للتركية أو الفارسية مثلاً أن تجرّد نفسها مما تأصل فيها من الألفاظ العربية، وهو شيء كثير جداً يكاد يطغو على الألفاظ الأصليّة وكذلك كيف تستطيع اللغات الأوروبية أن تجرد نفسها من أصولها اليونانية أو اللاتينية. وهذا شأننا في ما دخل العربية من أوضاع أجنبية وشاع على الألسنة والأقلام في الأوساط الأدبية والعلمية. وقد شعر بذلك العاملون في حقل اللغة وأدركوا استحالة التخلص منه. حتى إن مجمع اللغة بمصر وهو من أشدّ المحافظين على أصالة اللغة وعلى الأخذ بأسباب رقيّها ونموّها لم يسعه إلا أن يعترف بفائدة التعريب. ولكنه احتاط لضرر التمادي فيه فأجاز، كما ورد في مقرراته «استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم» (١).

فالتوليد وضعاً وترجمة، والتعريب، وسائر ما طرأ على ألفاظ اللغة من تجديد وتغيير ومن نموّ واندثار إنما هو حدَث تطوّري كان ولا يزال يحدث في مختلف الألسنة البشرية على أشكال ودرجات شتى، ووراءه عوامل طبيعية تعمل باستمرار دون أن نراها أو نحسّ بها. وفي الغالب قلّما ننتبه إلاّ إلى نتائجها. وها نحن أولاء نثبت أهم هذه العوامل.

العامل الزمني — ويراد به تأثير الزمن في تحويل بعض الألفاظ من معنى إلى معنى آخر. ولنمثل عليه أولاً ببعض ألفاظ أجنبية:

Meat — كلمة إنكليزية معناها اللحم الذي نستعمله للطعام. على أنها لم تكن قديماً على ما يظهر محصورة في هذا المعنى. بل كان

(١) راجع مجلة المجمع ١ — ٣.

يقصد بها الغذاء عامة . وعلى ذلك وردت في التوراة المترجمة
إلى الانكليزية في عهد الملك جايمس قبل نحو ٢٥٠ سنة ،
إذ قال الله لآدم مشــــيراً إلى ما خلق من أنواع النبات
To you they shall be for meat أي لك تكون طعاماً .
وبكرور الزمن تحولت عن معناها العام واستقرت على معناها
الخاص المعروف الآن .

Virtus — كلمة لاتينية معناها الأصلي « الرجولة » أو قوة الرجل .
أما الآن فقد تجاوزت هذا المعنى في بعض اللغات . فهي في
الإنكليزية (Virtue) وفي الفرنسية (Vertu) أي الفضيلة
والخلق الحميد أو المروءة في الإنسان رجلاً كان أو امرأة .

Plume — كلمة فرنسية تعني قلم الحبر . وهي في معناها الأصلي ريشة
من جناح طائر . ولـمّا كانوا قديماً يستعملون للكتابة ريشة
الطائر فقد علق بها مع الزمن هذا الاستعمال فاكتسبت
معنى القلم .

Board — كلمة انكليزية . يراد بها في الأصل قطعة من الخشب مستطيلة
مسطّحة الشكل يوضع عليها الطعام . ومع الزمن تحولت
إلى أن صارت تعني الطعام نفسه كما في قولنا للنزول في فندق ما
(With bodging and board) أي مع المنام والطعام ،
وتحولت أيضاً إلى معنى ظهر السفينة — في مثـل قولهم
Fell over board أي سقوط من على ظهـــر السفينة .

Étoner — كلمة فرنسية تعني بوغت بعنف أو دهش دهشاً شديداً .
وهي من أصل قديم Extonare أي ضربته الصاعقـــه .
وينطبق عليها تماماً قولنا في العربية صعق للخبر .

Tawdry — كلمة انكليزية يراد بها ما كان من السلع رخيصاً أو تافهاً وقد زخرف ظاهره زخرفة مبتذلة . وأصلها مما كان يعرض قديماً للبيع من مثل هذه السلع الرخيصة في عيد القديس Taudrey فلصق به هذا الاسم .

Fee — ويراد بها ما يترتب من مال لقاء خدمة أو عمل ينتفع به . كقولهم مثلاً (School fees) أي رسوم التعليم في المدرسة . وهذه الكلمة من أصل جرماني قديم (Feoh) وكانت تعني الماشية من بقر وسواها ، مما يرجّح أنهم كانوا قديماً يستعملون المواشي بدل النقود في معاملات البيع والشراء أو تسديد الديون والحسابات[1] .

Trampire — كلمة من أصل لاتيني معناها يُخرج النَّفَس — يرشح وقد اكتسبت في اللغة الانكليزية مع الزمن معنى إضافياً هو تسرّب الشيء الخفي إلى الخارج كقولهم :

It transpired to the press that woill not the cabinet stay on more than a weak .

أي تسرّب إلى الصحافة أن الوزارة لن تبقى أكثر من أسبوع .

Bureau — (فرنسية) أي مكتب أو طاولة للكتابة . وأصل معناها قماش كانت تغطى به المكاتب في الدوائر الرسمية فتحول معناها إلى المكتب نفسه أو الدائرة .

(١) Bloomfield - Lang. Hist. 1933 P. 426

وقد يكون عمل الزمن في اللغة عن طريق المجاز . كالأمثلة التالية :

Chair - Chaise — أي الكرسي . وقد اكتسبت مع الزمن معنى جديداً فلم تعد تقتصر على أداة للجلوس بل صار يكنى بها عن مركز رئيسيّ في الجامعات أو دوائر الحكومة وسواها فيقال مثلاً كرسي الأدب – كرسي الرئاسة — كرسي القضاء .

Bar — تعني أصلاً دكة خشبية تحجز القضاة عن أصحاب الدعاوى ، أو تستعمل لتقدّم عليها زجاجات الشراب ، فأصبحت يكنى بها عن مجلس القضاء نفسه أو عن محل المشروبات الروحية .

وهناك عدد وافر من أمثال هذه الكلمات في اللغات الأجنبية ، كما أن منها عدداً غير قليل في لغتنا العربية . قديماً وحديثاً — ومن أمثلة ذلك ما يلي :

الكفر — هذه اللفظة تعني في الأصل التنطية من فعل كفر أي غطى وستر فتحولت إلى معنى الإلحاد .

الصفر — وهي في الأصل الخلاء مطلقاً . ثم استعملت في العلوم الرياضية للرتبة الخالية من الكمّ .

النحو — وهي كما يقولون من نحا ينحو أي قصد يقصد ثم أصبحت تعني العلم المعروف (في اللغة العربية) .

المقامة — وهي أصلاً المجلس أو المقام تلقى فيه القصص أو العظات فتحولت إلى هذا النوع من القصص المسجع الذي عرف به الهمذاني والحريري ومن جرى مجراهما قديماً وحديثا .

القطار — أصل معنى هذه اللفظة صفّ من الجمال يقطر بعضه إلى بعض . وهو الآن يكنى به عن عربات سكة الحديد .

اللواء — أي الراية أو العلم . ويكنى بها الآن عن صاحب رتبة رفيعة في الجيش .

فنّان — في كتب اللغة القديمة اسم يطلق على الحمار الوحشي لتفنّنه في العدو . وهو الآن لقب لصاحب الموهبة الفنية أو لمحترف الفن .

اللّغز — في الأصل جُحر الضب أو اليربوع . وهو حفرة كثيرة التعاريج والتعمية ومنها جاء المعنى الحاضر للكلام المعمّى .

الجيب — في الأصل طوق القميص أو الثوب . وهو الآن أشبه بكيس صغير يخاط بالثوب من الداخل لحفظ الأشياء .

السفرة — معناها في الأصل طعام المسافر وهي الآن ما يوضع عليه الطعام .

وقس على هذه الأمثلة القليلة كثيراً من الألفاظ التي كان للزمن فعل ظاهر في تحويل معانيها . أما كيف أو متى حدث هذا التحول فذلك مما يصعب تحديده . فطرق التحويل تختلف باختلاف الظروف والأسباب . ولا سبيل لنا إلا أن نقول إنه أمر قد حدث في زمن ما . .

العامل الاجتماعي : ويراد به ما كان سبباً في توليد ألفاظ في لغة ما نتيجة لاحتكاك أهل تلك اللغة بسواهم من الشعوب ، إمّا عن طريق الاتصال التجاري أو الفكري أو السياسي . وهذا باب واسع جداً أكتفي منه بقليل من الأمثلة :

Marble — كلمة انكليزية معناها البلاط الذي يستعمل في الأبنية — وقد أُخذت عن الفرنسية Marbre أما أصلها القديم فجرماني Marmaros أي حجر أو صخر .

Mayor انكليزية } أي محافظ المدينة أو المقاطعة . وأصلها لاتيني (Major)
Maire فرنسية } أي الأكبر أو الأعلى .

Conscience — (الضمير) أو شعور داخلي في النفس بما هو خير وما هو شر ، واللفظة واحدة في اللغة الفرنسية وهي من أصل لاتيني (Conscuntia) .

Befteek — لفظة فرنسية مأخوذة عن الإنكليزية لنوع من لحم الطعام (Beefstiak)

Magnanimous انكليزية } صفة للرجل الشهم أو ذي المروءة . مأخوذة عن كلمة
Magnanim فرنسية } لاتينية مزدوجة Magnus أي كبير و Animus أي روح أو نفس . (أي ذو الروح الكبيرة) .

Philosopohy — الفلسفة — في كل اللغات مأخوذة عن كلمة يونانية مزدوجة معناها حب الحكمة وهي Philosofia – (Philis حب و Sophia حكمة)

Coffee—Café — وهذه كلمة عالمية مأخوذة عن العربية (القهوة) وأصل معناها الخمرة ثم تحولت إلى مَقْليّ البنّ المعروف .

Saffron—Safron — أيضاً كلمة عالمية مأخوذة عن كلمة زعفران العربية .

Admiral—Amiral — وهذه أيضاً من أصل عربي هو أمير البحر . ومثلها القلي والجبر (Alkali—Algebra) وكثير غيرها من الألفاظ الأجنبية التي أخذت عن العربية عن طريق العلم والتجارة أو السياسة أو الدين ، وخصوصاً في الفارسية وفي التركية . كما أن هناك أيضاً كثيراً جدًّا من الألفاظ الأجنبية التي دخلت العربية قديماً وحديثاً عن هذا الطريق كقولنا ، وهو قلّ من كثر ، أو نقطة من بحر :

ديوان ـ قبطان ـ آجر ـ سكر ـ أفيون ـ ازميل ـ كيلو ـ قنطار ـ فستان ـ قيراط ـ طابور ـ اكسوجين ـ

ريال ـ توابل ـ منبر ـ تفون ـ فيلم ـ بورصة ـ بنك ـ سراي . الخ الخ .

ويدخل في هذا الباب ألفاظ صيغت من أسماء أعلام اشتهروا باختراع شيء أو إجادته . ومن ذلك في الإفرنجية —

Pasteurize — أي عقّم الحليب أو سـواه على طريقة Pasteur العلامة الفرنسي المشهور .

Galvanize — أي لبّس الحديد بالزنك — نسبة إلى العالم الإيطالي Galvani .

Algorism — اصطلاح حسابي مستمد من اسم الرياضي العربي الكبير الخوارزمي

أما في العربية فنجد أمثال :

الرُّدينيـات — (الرماح) نسبة إلى إمرأة اسمها ردينة كانت تصلح الرماح .

تبرمـــك — أي جاد بالعطـاء نسبة إلى البرامكة وزراء الدولة العباسية الذين عرفوا بكثرة العطاء .

تنمـــرد — أي طغى وتجبّر نسبة إلى نمرود الجبار الأسطوري . ومثلها

تفرعن — نسبة إلى فرعون .

وغير ذلك .

(العامل الجغرافي) : نظرة عامة إلى عدد من اللغات الراقية في العالم ترينا ما للموقع الجغرافي من أثر في تطورهـا . فكل بلد تربط أبناءه لغة واحدة كان في أول أمره مؤلفاً من أقاليم مختلفة اللغات أو اللهجـات ثم قضت الأحوال أن تتغلب إحدى هذه اللغات على سواها فتصبح اللغة القومية العامة مع احتفاظها ببقايا من اللغات أو اللهجات الأخرى .

هكذا أصبحت لغة لندن مثلاً هي لغة الإنكليز الرئيسية أو الجامعة . ذلك لأن لندن هي العاصمة والمركز الأكبر للحياة العلمية والسياسية والاجتماعية

والتجارية . وباطراد تقدمها العلمي وارتفاع مستواها الحضاري استطاعت لهجتها أو لغتها تدريجاً أن تتغلب بل تقضي على شتى اللهجات واللغات الإقليمية .

وكذلك قل في اللغة الفرنسية اليوم فهي في الواقع لغة باريس العاصمة وموطن الطبقة الراقية وأهل العلم والأدب وأرباب القيادة السياسية فكان من الطبيعي أن تطغى على سائر اللغات واللهجات الإقليمية في فرنسا .

والألمانية هي لغة برلين التي ترجمت إليها التوراة على يد لوثر المشهور وقد جرى مثل ذلك في كثير من البلدان .

وإذا التفتنا إلى لغتنا العربية السائدة اليوم في الأوساط الأدبية الراقية بين كل الشعوب التي تنطق أو تكتب بها وجدناها بالأكثر وريثة لغة قريش ، بل لغة مكة عاصمة العرب الدينية والعمرانية . قال ابن فارس في فقه اللغة : « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة . وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً (ﷺ) فجعل قريشاً قطان حرمه وولاة بيته . فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم . وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها . فصاروا أفصح العرب » وهذا ما ذهب إليه الفارابي في كتابه المسمّى بالألفاظ والحروف كما ذكر السيوطي في المزهر [١] وعليه أكثر فقهاء اللغة العربية قديماً .

---

(١) ج ١ ـ ٢١٠ .

وللعامل الجغرافي أثر في ما تكتسبه اللغة من هجرة أهلها واستيطانهم بلاداً جديدة كما حدث للغة الإنكليزية مثلاً بعد أن استقرت في أميركا الشمالية وأصبحت اللغة السائدة فيها . فقد دخلها ألفاظ وأوضاع إقليمية جعلتها ذات صبغة خاصة حتى صار بعضهم يطلقون عليها اسم اللغة « الإنكليزية الأميركية » أو الأميركية فحسب . وهذا يصدق على كل لغة هاجرت من موطنها الأصلي واختلط أهلها بسواهم من الشعوب .

ومن الأثر الجغرافي في اللغة نشوء ألفاظ فيها ترجع إلى أسماء بعض المدن والأقاليم كالألفاظ التالية المستعملة في اللغات الأوروبية :

Dmask — تطلق بين الافرنج على نسيج كانوا يستوردونه من دمشق ثم أطلق عليه اسم دمشق عرفاً .

Mousline — نسيج حريري رقيق مأخوذ من اسم موطنه الأصلي الموصل في العراق .

Calico — نسيج قطني يرجع اسمه الإفرنجي إلى مدينة Calient الهندية التي كان يستورد منها .

Balas—Balais — وهي البلخش حجر كريم موطنه بلخشان .

Benjoin—Benzoin — صمغ من جاوى سماه العرب لبان جاوي وعنه نقل إلى الافرنجية .

Tabby — Atabis — نوع من القماش ينسب إلى محلة في بغداد قديماً كانت تسمى العتابية ذكرها ابن جبير في رحلته . قال : وبها تصنع الثياب العتّابية .

ومن الإفرنجية أيضاً :

لفظة البورجوازية Bourgeoisie ومعناها الطبقة المترفهة أو المترفة وأصل الكلمة من bourg أي المدينة وكان يدعى ساكن المدينة بورجوازي ثم صارت تعني هذه الطبقة الخاصّة من الشعب .

وتقول في العربية المهنّد والهندواني أي السيف المصنوع في الهند — والصيني نوع من الآنية الخزفية ينسب إلى الصين والكشمير نوع من الأنسجة نسبة إلى مقاطعة الكشمير في الهند ، والكوفية غطاء للرأس ينسب إلى الكوفة في العراق — وعبقريّ نسبة إلى عبقر ، وهي في أساطير العرب موطن الجن وينسبون إليها كل رائع أو متفوق .

والتبغدد أي الزهو بالنفس تشبهاً بأهل بغداد قديماً . ومثلها عدد من الألفاظ المنسوبة إلى أسماء بلاد أو أماكن كتأمْرك وتفرنس وأتهم وأنجد وغرّب وأشام وأيمن وأصحر (من الصحراء) وغيرها .

وهناك عوامل أخرى أثرت في اللغة فأحيت بعض ألفاظها وقضت على سواها أو أضافت إليها صوراً معنوية لم تكن من قبل . ومنها :

العامل الاقتصادي : ويراد به الميل الفطري إلى تغليب لفظ على لفظ توفيراً على الذهن ما قد يتكبده من مجهود لا داعي له ، كتفضيل اللفظ السهل الواضح المألوف على الشاق أو غير المألوف . وهكذا تدور الألسنة والأقلام على استعمال ألفاظ دون مرادفاتها كقولنا مثلاً :

المرآة	بدلاً من السّجنجل	والرقص	بدلاً من الزفن
الخادم	« « النادل أو الماهن	و أمين السر	« « الناموس
السائق	« « الحوذي	و الشرطي	« « الجلوز

الفنّان المحترف	بدلاً من المتكسّب	و المحامي	بدلاً من الدرء
ومنديل السفرة	〃 〃 الشوش	و الجبة	〃 〃 الدلق
والرصاص	〃 〃 الصرفان	و الخمـــر	〃 〃 الخندريس
واللوبيــاء	〃 〃 الدّجـــر	و الباذنجان	〃 〃 المغد
وربان السفينة	〃 〃 الناخوداء	و الواش	〃 〃 الحشيّة
والبسكويت	〃 〃 الجبـــاز	وغيرها كثير . . .	

ومن باب الاقتصاد الذهني في اللغة الخروج أحياناً عن قاعدة الاشتقاق الأصولي فنستبدل حرفاً بحرف آخر أدلّ منه على المعنى المراد . وهكذا نستعمل الآن (دعاية) (Propaganda) بدلاً من (دعاوة) لأن هذه وإن كان الفعل واوياً لا تعطينا المعنى المقصود .

ونقول (قيّم) السلعة بدلاً من قوّم لأن (التقييم) مأخوذة من القيمة لا من الفعل قوّم . ونقول هو (أحيل) منه أي أكثر حيلة لا (أحول) . وليس ذلك بدعةً في العربية ، فالقدماء قالوا مسنيّة بدل مسنوة ، والمليا‌ء بدل الملواء ، ومرضيّ بدل مرضوّ ، والقُصوى بدل القصيا ، وأليط بالقلب بدل ألوط وأمثالها (راجع أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٦١٥ ـ ٧١٧) .

العامل اللغوي ، والمعنوي :

ومما أدّى إلى توسع اللغة ونمو مفرداتها استعمال حروف المعاني مع الأفعال لدلالات خاصة — كاستعمالنا الأفعال التالية في غير معناها الأصلي :

أتى (جـــاء) نقول أتى عليه أي أنفقه أو أهلكه

ضمّ (جمـــع) 〃 ضم جناحه إلى النّاس أي ألان لهم جانبه

عثر (زل وكبا) 〃 عثر عليه وجده

عهد (عرف) نقول عهد إليه بالأمر أوصاه به أو أوكله إليه
قعد (جلس) « قعد للأمر . اهتم به وقعد عنه انقطع
مثل (حضر) « مثل به نكّل به
بسط (نشر) « بسط فلاناً على فلان سلطه عليه ، وبسط من فلان أزال احتشامه
دعا (طلب الحضور) « دعا على فلان طلب له الشر ودعا له طلب الخير
سكن (هدأ) « سكن إلى فلان استأنس به واستراح إليه
فزع (خاف) « فزع إليه التجأ ، فزع من نوعه انتبه
وقف (قام) « وقف على الشيء اطلع عليه ، وقفه عن الشيء منعه .

ومثل هذا التوسع نجده في غير العربية من اللغات الأجنبية . ففي الإنكليزية خذ مثلاً الفعل (give) ومعناه الأصلي (يعطي) ولكن هذا المعنى يتغير بحسب الحرف الداخل عليه فاذا قلنا (give up) صار المعنى (يترك) أو give in (يستسلم) . وخذ فعل get (حصل على) تقول get up (ينهض) أو get in (يدخل) . ومثل هذه التعبيرات شائعة في عـــدد غير قليل من أفعالهم .

ويدخل في هذا الباب عندنا التضمين اللغوي وهو استعمال فعل مع أحد الحروف بمعنى فعل آخر وقد أقره مجمع اللغة بمصر وسواها وجعله قياسياً بشروط هي (١) تحقيق المناسبة بين الفعلين (٢) وجود قرينة تدل على المعنى (٣) ملاءمة للذوق العربي .

ومن باب العوامل اللغوية ما سماه الأقدمون بالقلب والإبدال وهو واسع جداً وقد أسهبوا في شرحه ووضعوا الكتب فيه ،

والمقول أن هذا التوسع في معاني الأفعال بواسطة الحروف لم يوضع في الأصل وضعاً على يد علماء اللغة بل جاء سليقة وإنما أقره العلماء بعد أن جرى على الألسنة والأقلام ثم مكّنهُ الاستعمال العام .

ولنستطرد هنا إلى القول أن أكثر هذه التحولات التي طرأت على اللغة لم ترق أولاً المحافظين المتشددين فكانوا يهاجمونها ، وقد حدثت في كل عصر مشادّات بينهم وبين المجارين لناموس التطور الذين يرون فيه متسعاً لتنمية اللغة وصقلها . وكان الزمن غالباً في جانب هؤلاء .

ومن المحافظة المتشدّدة عند بعضهم مثلاً كتاب درّة الغواص للحريري صاحب المقامات المشهورة . فقد تتبع ما رآه أو توهمه من أغلاط الكتّاب في زمانه فجاء بالغث والسمين مما حمل بعضهم ومنهم الخفاجي شارح كتابه على تفنيد كثير من انتقاداته . وقام بعد الحريري في أعصر مختلفة من حذا حذوه وتابعوه في مثل قوله — إن كلمة التشويش خطأ وصوابها التهويش ، وإن الطرب يستعمل للحزن والفرح على السواء . وان أراضي جمع أرض خطأ وصوابها أرضون ، وإن النسبة إلى مثل فاكهة وباقلّى فاكهي وباقلّي لا فاكهاني وباقلاني ، وإن القافلة هي الرفقة الراجعة من السير لا غير .

إلى غير ذلك مما لم يثبت مع الزمن . وقد حاول إبراهيم اليازجي وهو من هو في علم اللغة انتقاد أغلاط الكتاب فأجاد ، ولكنه غالى في التشدد فأصابه ما أصاب الحريري وسواه من المتشددين . وتبعه حتى وقتنا الحاضر عدد من أهل الغيرة على اللغة فضلّوا السبيل في كثير مما زعموه ، ذلك لأنهم لم يعيروا أي اهتمام لغير ما نقل في كتب اللغة ، ولم يكترثوا لما أثبته الاستعمال العامّ مما لم ينقل في كتب القدماء .

ولم يكتف بعض من أهل عصرنا الحاضر بتقليد المتزمّتين السابقين في تخطئة ما توهموه مخالفاً للأصول بل تجاوزوا ذلك كثيراً حتى تركوا أوضاعاً صحيحة متعارفة داعين إلى مرادفات لها . هي وإن تكن صحيحة ، لم تجر في الاستعمال مجرى الأولى .

فغلّبوا مثلاً صيغة أسهم على صيغة ساهم بمعنى المشاركة .

وتبعهم في ذلك كثيرون الآن . ولا غبار على أيٍّ منها . إلا أن صيغة فاعل أدل على المشاركة من صيغة أفعل . ولذا شاعت قبلاً في الأوساط الأدبية وهي الأولى بالاستعمار .

وغلّبوا أيضاً صيغة أسمى على صيغة سمّى في مثل قولهم (أسمى ابنه كذا) وصار الكثيرون يتحاشون استعمال سمّى ، مع أن هذه هي الفضلى وهي التي يتصرف اللسان والقلم بمشتقاتها فنقول (تسمية الأشياء) (لا إسماؤها) . وتقول (إلى أجل مسمّى) بالتشديد لا غير .

وتوهّموا أن قولهم (أفاد من الشيء) أصحّ وأفصح من القول (استفاد منه) وهو وهم غريب يتمسكون به ويخشون أن يقال عنهم غير فصحاء إذا استعملوا سواه .

وانقلبوا مؤخراً على الإصلاح الشائع بين الكتاب وهو (بصفته كذا) بدلاً من (بوصفه كذا) في مثل قولهم (بصفته رئيساً أو مسؤولاً) والواقع أن استعمالهم (بوصفه كذا) ضعيف . لأن معنى (بصفته كذا) لكونه كذا أو لثبوت هذه الصفة فيه . لا لأننا نصفه بها كما يزعمون .

وانبرى بعضهم لمحاربة النسبة إلى الجمع المكسّر زاعماً أنه يجب ردّه إلى المفرد . مع أن النسبة إلى هذا الجمع هو مذهب صحيح من مذاهب

النحاة الكوفيين . وهو أولى في أكثر الأحيان من النسبة إلى مفرده . وإذا كان بعضهم لا يزال يرى أن النسبة إلى الدول دَولي هي الصحيحة فما قوله في النسبة إلى — أمم ـ عقائد ـ عمّال ـ صُحف ـ أخبار ـ حُقوق ـ مُلوك ـ كتائب — شُعوب ، وكثير غيرها .

وينادي بعضهم بالويل والثبور إذا جمع أهل القلم اليوم بائس على بؤساء زاعمين أن الصحيح في جمعها هو بُؤُس . كما أنهم مثلاً يرفضون لفظة مآكل ويقولون الصحيح أكل . وهكذا نراهم يفضلون التضييق على أنفسهم وسواهم ورفض القياس والاشتقاق الذي تستسيغه السليقة اللغوية والاستعمال بحجة أنهم يصلحون اللغة ويغارون على ما رواه الأقدمون منها . كأنه لا يجوز للغة أن تتطور مع الزمان نحو الأسهل والأفضل والأدلّ على المراد مع المحافظة على القياس العربي الفصيح .

* * *

قلنا إن لناموس التطور أثراً فعالاً ، بل الأثر الأكبر في تجديد اللغة واختيار الأنسب من ألفاظها . وهنا فلنقف قليلاً متسائلين — ما هو ناموس التطور ومن الذي ينفذه في أقوال الناس وكتاباتهم . وما هي خصائص البلاغة اللفظية المُجمع عليها عند الأمم على اختلاف لغاتهم ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا من أن نوضح ما نقصده باللفظة هنا فنحن لا نقصد بها اللفظة التي عناها الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، أي تلك التي تتوقف بلاغتها على حسن نظمها في الجملة أي على ما لها من دلالات بالنسبة إلى موقعها في الكلام . فهذي هي اللفظة الأدبية التي يُعنَى بها البلغاء في الإنشاء الأدبي العالي . وإنما نقصد اللفظة

من حيث هي وحدة كلامية ذات معنى خاص . وهي التي توضع أو تختـار لتدلّ بنفسها على شيء معيّن أو لتحدّد معنى من المعاني . ومثل هذه اللفظة هي ضالّة أرباب العلوم والأسـاتذة ، العاملين في حقول المعرفة بحثاً عن المعلومات الراهنة وإثباتاً للحقائق .

فإذا كان لبلاغة اللفظة الأدبية العالية مقاييس أوضحها علمـاء البلاغة وأرباب البيان ، فإن للفظة العلمية المحددة المعنى مقاييس يجب مراعاتهـا إذا أردنا لها الحياة . والمُجمَع عليه قديماً وحديثاً أن فصاحة أو بلاغة اللفظ تقوم على الأسس التالية :

(١) تفضيل الأسهل على الأشق (٢) تفضيل الأوضح على الأقل وضوحاً (٣) المألوف على الحوشي (٤) المتناسق الحروف على المتنافر (٥) اللطيف الجرس على الخشن . وإذا تحرينا هذه الأسس وجدنا أنها ترجع إلى ناموس عقلي ويقتضي وجوب الاقتصاد على انتباه السامع أو القارىء ، وعلى المجهود الذي يبذله لإدراك المعنى المقصود . وهذا هو هدف التطوّر اللغوي .

بقي أن نقول إن التطور اللغوي لا يتم عمله خارج العقل البشري أو بالأحرى دون وجود سليقة جمـالية في النفس البشرية هي أسـاس الذوق الأدبي العام الذي يختار الأفضل والأصلح ويوطده مع كرور الأيام .

وإذا اعتُرض أن الذوق العام لا يُعتمد عليه إذ هو يختلف باختلاف البيئة ودرجة التقدم الفكري والخبرة العلمية . وإنما الاعتماد في هذا الشأن على أهل الاختصاص ممن مارسوا اللغة وحذقوا قواعدها وأدركوا أسرارها ، قلنا ذلك صحيح فالذوق العام لا شأن له عادة في وضع الألفاظ اللغوية ولكنه في الواقع ذو قدرة فعّالة على قبول أو رفض ما يضعه أهل الاختصـاص

وغيرهم . وهو الحَكَم الأخير في إبقاء الأصلح والقضاء على سواه مما يُعرض عليه . وتاريخ اللغات شاهد على هذه القوة الخفية التي تعمل باستمرار على تنمية اللغة . نعم إن الذين يبحثون ويصوغون الألفاظ الجديدة للأشياء الجديدة والمعاني المستحدثة هم فئة مختارة . على أن السليقة اللغوية العامة والتي نسميها الذوق المثقف العام هي عند التحقيق القوة التي تعمل في الخفاء وفي كل أمة لترقية لسانها والمحافظة على عناصر الحياة فيه ، ولا بد لنا من مراعاتها في الوضع والترجمة والعمل على تهذيب اللغة وتوسيعها وإلا صح فينا قول الشاعر :

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار

أنيس المقدسي



الجهاد ومسوغاته الشرعية

في التاريخ صفحات سوداء، سطرتها أيدي الطغاة والبغاة بعداد الظلم والعدوان. فجاءت سجلاً قاتماً حافلاً بصور التقتيل والتعذيب، والتشريد والتخريب.

ومن أبشع هذه الصفحات ما ارتكبه، ويكرر ارتكابه اليوم، الصهاينة وأعوانهم من المستعمرين في فلسطين. من ذلك ذبح الأطفال والنساء والأهلين العزّل من السلاح، وقتل الأسرى وتعذيبهم وتسخيرهم بأقسى الأعمال، وغصب البيوت والأموال، والتمثيل بالجرحى والعجزة، وقصف المستشفيات، وتدمير المعابد، وانتهاك حرمات سائر الأماكن المقدسة، التي هي من أعز تراث المسيحية والإسلام.

ومعلوم أن هذه الأعمال الوحشية قد حرمتها مبادئ القانون الدولي المسلم بها، والمدونة في الاتفاقيات الدولية الصريحة، أمثال اتفاقيات لاهاي لسنة ١٨٩٩ المعدلة في سنة ١٩٠٧، وبروتوكول جنيف لسنة ١٩٢٥، واتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩.

وقد تجاهل الصهاينة وأعوانهم هذا كله، لا سيما اليوم في الذكرى العشرين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وذلك على الرغم من مقررات مؤتمر الأمم المتحدة لهذه الحقوق المنعقد في طهران منذ عدة شهور، ذلك المؤتمر الذي سجل انتهاك إسرائيل لتلك المبادئ والاتفاقيات، ودعاها إلى احترامها والتقيد بها. غير أن ذلك كله بقي من دون جدوى، وكأنه صرخة في واد.

لا بل زاد في تغطرس إسرائيل ومن وراءهـــا ، وفي إصرارهم على تصرفهم الغاشم .

ففي هذه الأيام العصيبة ، إبّان أمثال هذه الأعمال الرهيبة ، كثر الكلام عن فرض الجهاد لدفع العدوان وإزالة آثاره الغاشمة . فكانت هذه فرصة مفيدة لبحث هذا الموضوع الخطير ، ولبيان أحكامه الشرعية ، بوجه وجيز ، وفق ما يسمح به هذا المقام .

ولا بد من الإشـارة ، بادئ بدء ، إلى أن السلم مبدأ جوهري في العلاقات الدولية الإسلامية ، وأن السلم والمسالمة من صفات الإسلام ومشتقاته . فواجب السعي له فرض لازم ، لا سيما متى جنح له العدو وامتنع عن القتال . وهذا ما حث عليه القرآن الكريم بقوله :

« يا أيهـا الذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كافة ... فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقَوا اليكم السَّلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ... وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم »(١) .

وهكذا جعل الإسلام السلم ، لا الحرب ، هدف الحيـاة الاجتماعية ، والمثل الأعلى للتعايش بين الأمم المحبة للسلام والعدالة . وقد نشأ الجهاد في الأصل لداعي الضرورة ، كوسيلة لحماية المسلمين من اضطهاد المشركين ومضايقتهم . ثم تنظم كحرب مشروعة لحماية الدين والديار ولمنع الظلم والعدوان . ولقد حافظ دائماً على صفته هذه كحرب وقائية ودفاعية وزجرية ، ولم يسـوّغ أبداً كتدبير عدواني .

والجهاد لغة معناه بذل الجهد والطاقة . وشرعاً هو « بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو

(١) سور البقرة (٢) ٢٠٨ ، والنساء (٤) ٩٠ ، والأنفال (٨) ٦١ .

البالغة في ذلك »(١) . وبعبارة أخرى ، الجهاد قتال مشروع يستوجب التضحية بالأنفس والنفائس ، في سبيل غاياته الشرعية ، ووفق شروطه المفروضة .

والجهاد فرض ثابت بالأدلة الشرعية المعروفة . وأهمها نص القرآن الكريم ، حيث ورد فيه آيات صريحة عديدة (٢) . منها :

« وقاتلوا في سبيل الله ... وجاهدوا في الله حق جهاده ... انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »(٣) .

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم »(٤) .

نعم القتال كره للناس ، لما فيه من مشقة وعذاب وتضحية وأخطار وويلات . لكن على الرغم من ذلك ، كتب عليهم فرض الجهاد ، لأنه ضروري للمصلحة العامة . ومن المعلوم ، في القواعد الكلية الشرعية ، أنه « يختار أهون الشرين » ، كما « يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام »(٥) .

---

(١) تعريف علاء الدين الكاساني ، في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (القاهرة ، ١٣٢٧ — ١٣٢٨ هـ ، سبعة أجزاء) ج ٧ ص ٩٧ .

(٢) راجع كتاب الأم للشافعي (بولاق ، ١٣٢٥ هـ ، سبعة أجزاء) ج ٤ ص ٨٤ — ٨٥ .

(٣) سور البقرة (٢) ٢٤٤ ، والحج (٢٢) ٧٨ ، والتوبة (٩) ٤١ .

(٤) البقرة (٢) ٢١٦ .

(٥) وردت القاعدتان في مجلة الأحكام العدلية العثمانية (بالمادتين ٢٦ و ٢٩) ، نقلاً عن كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم (المطبعة الحسينية المصرية ، ١٣٢٢ هـ) ص ٣٠ ، وكتاب المجامع للخادمي وشرحه المنافع للكوزلحصاري (الاستانة ، ١٣٠٨ هـ) ص ٣١١ .

فكره القتال وما ينتج عنه من شر ومن ضرر خاص على الأفراد أولى بالاختيار والتحمل من الضرر العام الناتج عن ظلم المتدي وما يستتبعه من شرور الذل والاستعباد والتدمير والإفناء وعموم البلوى .

والجهاد فرض كفايه فقط ، في قول الجمهور في المذاهب الفقهية السنية ، لا سيا المذهب الحنفي ، خلافاً لما ذهب إليه الخوارج ، الذين قالوا بأن الجهاد ركن سادس من أركان الإسلام . وكذلك هو فرض كفاية في المذهب الجعفري[1] .

وهذا معناه أن الجهاد مفروض على جميع من هو من أهل الجهـاد ، إنما إذا قام به بعضهم وحصلت الكفاية بذلك سقط التكليف عن الباقين .

وتأييداً لهذا القول ، يستند الفقهاء ، علاوة على السنة النبوية الفعلية ، إلى نص القرآن الكريم ، الذي حذّر من إرسال جميع المؤمنين للقتال ، وأوصى بإبقاء فريق منهم يتخصصون في فقه الدين ، ويعلمونه أبناء قومهم . وقد جاء ذلك واضحاً في الآية الكريمة :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة . فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »[2] .

أما إذا لم تحصل الكفاية بما قام به بعض المؤمنين من الجهاد بأن هجم العدو على بلد ، فعندئذ يصبح النفير عاما ، ويصير الجهاد فرض عين ، أي فرضاً واجباً على كل واحد من المسلمين . وهذا ثابت بالآية الكريمة ، التي مرت سابقاً ، وهي « انفروا خفافاً وثقالاً » ، كما هو ثابت أيضاً بالآية :

---

(١) انظر شرائع الإسلام للمحقق الحلّي (طبع بيروت ، جزءان) ج ١ ص ١٤٦ .
(٢) سورة التوبة (٩) ١٢٢ .

« ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه »[١] .

ويعتبر من المكلفين بواجب الجهاد ، بوجه الاجمال ، كل رجل ، بالغ ، قادر على الجهاد ، صحياً ومالياً . ذلك لأن القتال يستوجب توافر هذه الصفات والمؤهلات . فهو إجهاد وعناء وبلاء ، لا يقدر عليه إلا من اتصف بالرجولة ، والبلوغ ، والصحة ، واليسار . ومعلوم في قواعد الشرع الكلية أن شرط التكليف هو القدرة على المكلف به ، مع التيسير للمشقة والحرج[٢] .

لذا ، يعفى من واجب الجهاد ، بسبب العجز الصحي أو المالي عن القتال ، كل من المريض ، والأعمى ، والأعرج ، والزمين ، والمقعد ، والشيخ الهرم ، والفقير الذي لا يجد ما ينفق[٣] . وقد ورد هذا الإعفاء في أكثر من آية قرآنية كريمة ، منها :

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ... ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ... »[٤]

---

(١) التوبة أيضاً ١٢٠ .

(٢) الموافقات للشاطبي (المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، أربعة أجزاء) ج ٢ ص ١٠٧ ، وفلسفة التشريع في الإسلام لصاحب هذا المقال (الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦١) ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

(٣) البدائع ج ٧ ص ٩٨ .

(٤) سور التوبة (٩) ٩١ ، والنور (٢٤) ٦١ ، والفتح (٤٨) ١٧ .

ويعفى من الجهاد أيضاً الأولاد الصغار ، لأنهم يدخلون في فئة الضعفاء المنوه بهم . إنما يجوز للأب أن يأذن للمراهق بالقتال . أما الولد البالغ الذي له أبوان أو أحدهما ، فلا يجوز جهاده إلا بإذنهما ، لأن طاعتهما فرض عين . وهو ألزم مما هو فرض كفاية كالجهاد(١) .

وكذلك تعفى النساء من الخدمة العسكرية ، لضعف بنيتهن . وقد استبدل بها لجهتين الحج إلى مكة المكرمة ، بالاستناد إلى الحديث الشريف : « جهادكن الحج »(٢) . فلذا ، لا يجب الجهاد على المرأة غير المزوجة ، ولا يجوز جهاد المزوجة إلا بإذن زوجها .

أما في حال النفير العام ، يوم يصبح الجهاد فرض عين على كل مكلف ، فيباح للنساء أن يخرجن للجهاد حتى من دون إذن أزواجهن ، كما يباح للصغار أن يخرجوا من دون إذن والديهم .

وقد زاد بعض الفقهاء إلى لائحة الأفراد الذين يصيبهم الإعفاء من الغزو العلماء الذين ليس في بلدهم أفقه منهم أو من يساويهم ، وذلك خوف ضياعهم في المعارك (٣) . وهذا ، بلا مراء ، من أحسن الاجتهاد ، لما فيه من تعزيز للعلم وتقدير للعلماء ، وحرص على المصلحة العامة .

ثم ان الفقهاء توسعوا في تفصيل تصنيف المكلفين ، وشروط التكليف . وما ذلك إلا دليل عنايتهم بهذه القضية الحيوية المصيرية ، وتدقيقهم في ترجيح المصالح المتعارضة فيها . وهذا كله واضح في كتب الفقه المعتبرة . ولا مجال لتفصيله في هذا البحث الوجيز .

(١) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (دار السعادة ، ١٣٢٤ هـ ، خمسة أجزاء) ج ٣ ص ٣٠٤ .

(٢) البخاري بشرح العيني (القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ٢٥ جزءاً) ج ١٤ ص ١٦٤ .

(٣) رد المحتار ج ٣ ص ٣٠٥ . والأم ج ٤ ص ٨٥ ، والبدائع في الوضع المذكور .

أما مسوغات الحرب ، فكانت أيضاً موضع عناية الفقهاء والمؤلفين . وهي ترجع جميعاً إلى الدوافع التي تسبب الحرب وتبررها من الناحية الشرعية والواقعية .

فابن خلدون يعتبر أن أصل جميع الحروب إرادة انتقام بعض البشر من بعض ، وإن سبب هذا الانتقام في الأكثر يعود إلى أربعة دوافع ، تتدرج الحروب وفاقاً لها في أربعة أصناف . فالدافع الأول هو الغيرة والمنافسة ، كما يجري في الحروب بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة ، والثاني هو العدوان ، ويكون في الأكثر من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر ، لأنهم علقوا أرزاقهم بسلاحهم ، وجعلوا همهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم . والدافع الثالث هو الغضب لله ولدينه ، وهو المسمى في الشريعة بالجهاد . أما الدافع الرابع ، فهو العناية بالملك والسعي في تمهيده ، كما يكون ذلك في حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها . فهذه ، بعبارة ابن خلدون ، « أربعة أصناف من الحروب . الأولان منها حروب بغي وفتنة . والصنفان الأخيران حروب جهاد وعدل » .

وبكلمة أخرى ، لم يعتبر ابن خلدون الحرب مشروعة إلا إذا كان الدافع لها الجهاد في سبيل الله والدين ، أو تأديب البغاة والعصاة[1] . أما التي يكون الدافع لها الغيرة والمنافسة والعدوان ، فانها لا تسوغ بحال .

وكذلك اتفق الفقهاء على أن الحرب عمل مكروه بغيض . فلا تباح إلا في أحوال استثنائية ، تبررها ضرورة قطعية ، ولا تسوغ إلا إذا استوفت شروطها المفروضة . وعلى هذا الاعتبار ، قسمت مسوغات الحرب

(١) مقدمة ابن خلدون (المطبعة البهية ، القاهرة) ص ٢٣٥ .

إلى الأقسام الآتية : وهي حماية النظام الاجتماعي ، وحماية الدين وأماكن العبادة ، ودفع العدوان عن الديار ، ومنع الظلم .

فالقسم الأول ، وهو حماية النظام الاجتماعي ، تندرج فيه تدابير العنف المشبهة بالحرب ، التي تلجأ إليها الدولة أحياناً ، بغية توطيد السلطة وحماية النظام العام في داخل أراضيها . فهي تشمل محاربة البغاة الخارجين عن طاعة الدولة ، وتأديب قطاع الطرق ، وأهل الردة . ففعل هؤلاء جميعاً هو من نوع الجرائم التي تمس الدين وأمن الدولة ، وتخضع من ثم لأحكام قانون العقوبات الداخلي ، وبهذا الوصف تخرج عن موضوعنا المتعلق بالجهاد . فنكتفي لذلك بشرح مسوغات الحرب الشرعية الأخرى :

أولاً — حماية الدين وأماكن العبادة :

لا مراء في أن حرية العقيدة من الحقوق الأساسية ، التي أقرتها الدساتير الحديثة الراقية ، والإعلان الدولي لحقوق الإنسان . وقد أقرتها أيضاً الشريعة الإسلامية ، وأكدت حرمتها وحمايتها . فالآية الكريمة « لا إكراه في الدين »[٢] دليل قاطع على هذه الحرية ، علاوة على الأدلة الأخرى العديدة الواردة في الكتاب والسنة ، والتي لا مجال لتفصيلها في هذا العرض .

فمن هذه القاعدة الذهبية استدل الفقهاء على أنه يباح للمسلمين أن يقاتلوا دفاعاً عن دينهم هم ، كما يباح لهم ذلك لتأمين حرية الدين والعبادة لغيرهم .

ونحن نذكر بعض الآيات الكريمة تأييداً لذلك :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين »[١] .

(١) سورة البقرة (٢) ٢٥٦ .
(٢) البقرة (٢) ١٩٣ .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون »(١) .

« . . . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز »(٢) .

فأماكن العبادة لغير المسلمين وردت في الآية المذكورة قبل مساجد المسلمين . وهي كهذه تتمتع بالمنعة والحماية . فأماكن العبادة جميعاً تباح الحرب للدفاع عنها ، لمنع هدمها وتخريبها ، لأنها حرب في سبيل الله ، ودفاع عن حرية العقيدة ، وعن أماكن يعبد فيها الله عز وجل ، ويشاد فيها بذكر اسمه الخالد أبداً . وإنما اسم الله ذي العلى والجلال والإكرام لهو أكبر شفيع بمنعة كل مكان يذكر فيه . وان هذا ، بلا ريب ، من الأمثلة المثالية على النظرة الإسلامية الواسعة للتسامح الديني ، ومن المؤيدات الفعالة لحريّة العقيدة . ولا تقدّر قيمة هذه الأحكام الحقيقية إلا إذا قورنت بما يجريه الصهاينة اليوم ، بعد أربعة عشر قرناً ، من تخريب وتدمير وانتهاك لحرمات الأماكن المقدسة والمعابد والآثار الشريفة المباركة ، في نفس بيت المقدس ومدينة الخليل وغيرهما من مدن فلسطين العزيزة .

فاذن ، لا تكون الحرب عادلة ومشروعة في هذه الحالة ، أي حماية الدين وأماكن العبادة ، ما لم تكن ضرورية لمنعة الإسلام ، ولحماية الأديان السماوية جميعاً ، ولحماية المعابد حيث يذكر فيها كثيراً اسم الله تبارك وتعالى .

---

(١) سورة الممتحنة (٦٠) ٨ ـ ٩ .
(٢) الحج (٢٢) ٤٠ .

ثانياً — دفع العدوان عن الديار :

الدفاع عن النفس حق ثابت ، سواء في القانون الداخلي أم في القانون الدولي .

وهذا الحق بالذات أساس الحرب الدفاعية ، الواردة في ميثاق الأمم المتحدة ، والتي أقرها الشرع الإسلامي ، وأعلنها في كثير من الآيات القرآنية الصريحة ، وبوجه خاص في الآيات الكريمة الآتية وهي :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . . . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين »(١) .

أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . . . »(٢) .

فالقتال ، إذن ، يجوز للدفاع عن النفس ولدفع العدوان ، وذلك ممن اعتدي عليهم ، أو ظلموا افتراء ، أو أُخرجوا من بيوتهم وشردوا من ديارهم وطردوا من أوطانهم بغير حق ، كما حصل لأهل فلسطين في هذا القرن العشرين . فالجهاد في هذه الحالة ليس جائزاً ومشروعاً فحسب ، بل هو من أولى الواجبات الدينية والوطنية والاجتماعية ، ومن مقومات حياة الدول ، ودعائم كرامة الأوطان والمواطنين جميعاً .

غير أن القتال ، إذا جاز ووجب في سبيل دفع العدوان ، فإنه لا يجوز ابتداء ولا اعتداء ، كما لا يجوز قتال من ألقى السَّلَم ورد الغصب وكف عن الحرب ، ولا قتال غير المحاربين من النساء والشيوخ والمرضى . فالآيات القرآنية صريحة بتحريم الحرب العدوانية . وكلها محكمة ، ليس فيها ناسخ

(١) سورة البقرة (٢) ١٩٠ و ١٩٤ .

(٢) الحج (٢٢) ٣٩ ـ ٤٠ .

ولا منسوخ . ولا تحتمل أي تأويل أو تفسير آخر ، في قول أهل العلم من الأقدمين والمحدثين[١] .

ثالثاً — منع الظلم :

علاقات الحياة الاجتماعية ، سواء أكانت بين الأفراد أم القبائل أم الدول ، إنما تبنى على العدل والتعاون في إنجاز هذا الهدف ، وعلى منع الظلم والإثم . وان القرآن الكريم قد حضّ الناس على تأدية هذا الواجب في آية عامة صريحة ، حوت الأمر والنهي الآتيين :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[٢] .

وهناك أمثلة أخرى من القرآن الكريم ، توضح هذا التعاون في محاربة الظلم ، وذلك في آيات بينات هي :

« ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها . . . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين »[٣] .

وواجب التعاون هذا ، في مكافحة الظلم والفساد في الأرض ، إنما هو نتيجة للأخوة الإنسانية ، وللتضامن الاجتماعي المفروض بين البشر . فكل اعتداء على أحدهم يعتبر موجهاً إليهم جميعاً ، ويوجب على الجميع التناصر لدفعه وإزالته . ويدل على هذا التضامن ما أوضحه القرآن الكريم في المثل الآتي :

---

(١) انظر بهذا المعنى قول فضيلة الشيخ محمد بهجة البيطار ، في مجلة المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٦ ، ص ٥١٦ .

(٢) سورة المائدة (٥) ٢ .

(٣) سورة النساء (٤) ٧٥ ، والبقرة (٢) ٢٥١ ،

«من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ...» (١) .

فظلم إسرائيل وأعوانها لأهالي فلسطين ، وجرائمهم الوحشية التي ارتكبوها ويرتكبونها كل يوم على مرأى من العالم أجمع ، وتحدياً للأمم المتحدة ولقراراتها ، لا تصيب الفلسطينيين وحدهم ، ولا العرب وحدهم ، ولا المسلمين والمسيحيين وحدهم . بل تصيب أبناء البشر جميعاً ، لأنها انتهاك للمبادئ الأساسية التي بني عليها العمران والشرائع جميعا . وعلى هؤلاء أن يتضامنوا لإزالته بالجهاد الإنساني الفعال ، لا بالحماسة الكلامية تلقى من على المنابر الدولية ، ولا بالنصوص المجرّدة تحبَّر في أوراق المواثيق الزائفة .

ولا بد من الإشارة إلى أن الحرب ، الدفاعية عن العدل والاحترازية من الظلم ، ليست مباحة عندما يقع العدوان أو الظلم على الدولة الإسلامية فحسب . بل هي تباع شرعاً أيضاً عندما تكون هذه الحرب مطلوبة لمساعدة دولة مظلومة أخرى حتى وإن كانت غير إسلامية . وتصبح هذه المساعدة واجبة إذا كانت مستندة إلى معاهدة للمساعدة المتبادلة ، عملاً بحرمة المعاهدات في الشرع ، المبنية على نص القرآن الكريم في آياته البينات . ومنها :

«وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ... وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا» (٢) .

«إلاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين» (٣) .

(١) سورة المائدة (٥) ٣٢ .
(٢) سورة النحل (١٦) ٩١ ، والإسراء (١٧) ٣٤ .
(٣) سورة التوبة (٩) ٤ .

« وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير »[١] .

وهكذا ، نحن نرى أن التضامن لرفع الظلم واجب شرعا ، لا سيما إذا كان مؤكداً بميثاق . فعندئذ يقدم الوفاء بالعهد حتى على التناصر بسبب الدين . فالحق يعلو ولا يعلى عليه ، ورفع الظلم واجب ، والجهاد في سبيل ذلك مفروض ومقدس .

وعلى الجملة ، ينبغي للجهاد أن يستوفي شروطه المفروضة ، وأن يتوافر فيه أحد مسوغاته الشرعية وغاياته النبيلة ، التي نوهنا بها ، وهي حماية الدين وأماكن العبادة ، ودفع العدوان عن الديار ، ومنع الظلم عن الناس . فهذا النوع من الجهاد ، المبني على مسوغه ومقتضياته الشرعية ، مقدس بكل معنى الكلمة . وللقيام به أكبر الثواب في الدنيا والآخرة . فالتاريخ العربي خصص صفحاته الذهبية لسيرة النبي (ﷺ) ولأبطال العرب الميامين ، كما حفظ التاريخ الإنساني العام أنصع صفحاته لسير الأبطال من جميع الأمم .

ثم إن القرآن الكريم كرم المجاهدين بتنويه خاص ، وجعل جزاء الشهداء في سبيل الله الإقامة الخالدة في الجنة ، وفاقاً للآيتين :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون . . . ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون »[٢] .

---

(١) الأنفال (٨) ٧٢ .

(٢) سورة التوبة (٩) ١١١ ، وآل عمران (٣) ١٦٩ .

وكذلك أنزلت السنة النبوية الشريفة واجب الجهاد في سبيل الله بين أوائل الفروض المرغوب بها ، وذكرته مع أحب الأعمال إليه تعالى ، بعد الصلاة على وقتها ، ثم برّ الوالدين (١) . وقد جاء في الحديث الشريف : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » (٢) .

وهذا ، بلا مراء ، توكيد سام لبطولة من يضحي في سبيل المبادئ الروحية الخالدة ، والمثل الوطنية العليا ، وتقدير جدير لنضال من يذود عن الديار ، ومجد الوطن ، وكرامة المواطنين .

صبحي المحمصاني



(١) البخاري بشرح العيني ج ٥ ص ١٣ .
(٢) نفس المرجع ج ١٤ ص ١١٤ .

تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام

والمجمع العلمي اللبناني

تمهيد

كثيراً ما لاحظت أن الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجمع العلمي اللبناني . ويعود ذلك إلى قلة السنين التي قضاها هذا المجمع وإلى تقصيرنا ، نحن اللبنانيين في تدوين أعماله . وهي أعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رأيت أن أتلافى هذا التقصير على أن أتخذ هـذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخنا ، وأعني بها ناحية تطور نهضتنا الثقافية في بلاد الشام على مر العصور حتى الآن وذلك بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى فحسب رابطةً الأسباب بالمسببات .

العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي « العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب » الذي صدر سنة ١٩٥٧ جعلت هذا العنوان عنواناً للفصل الثالث منه . حيث بيّنت بالأدلة أن القرون الثلاثة التي تبدأ بمطلع القرن الثامن الميلادي وتنتهي بختام القرن العاشر منه كانت قروناً ذات طابع عربي في العالم سواء أكان ذلك في النواحي السياسية والتجارية والصناعية ، أم في النواحي الصناعية

والزراعية والثقافية ، وأنها كانت كلها تقتبس من معين الحضارة العربية . ثم جعلت عنوان الفصل الرابع « أين من سادوا وشادوا وبنوا ؟ » يتناول انهيار العرب ، وتغلب الأعاجم عليهم إلى أن استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال فسيحاً في هذا المقال للتبسط في جميع أطراف هذا الموضوع ، وإنما أكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية ، فقط ، وذلك نتيجة للأحداث السياسية .

الحملات الصليبية على سورية وما حولها

لقد دعا كل من البابا سيلفستر الثاني في سنة ٣٩٣ هـ = ١٠٠٢ م والبابا غريغوار السابع في عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٥ م ، ملوك أوروبا وأصحاب الاقطاعات لتخليص بيت المقدس . ولكن دعوتيهما ذهبتا أدراج الرياح . حتى إذا ما شب الخصام بين الأسرة السلجوقية بعد موت السلطان ملكشاه ونشبت الحروب بينها وبعد نحو عشرين سنة من هاتين الدعوتين كانت صرخة ناسك فقير هناك كافية لجمع كلمة الاوروبيين من أجل انقاذ قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثماني حملات كانت أولاها في سنة ٤٠٩ هـ = ١٠٩٦ م ، والأخيرة منها في سنة ٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ م .

وبين هذه وتلك استقر الصليبيون في بلاد الشام مدة طويلة ، وتسلطوا على بيت المقدس إلى أن تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام (٥٣٢ — ٥٨٩ هـ = ١١٣٧ — ١١٩٣ م) وأخرجهم من فلسطين وما حولها ، ثم كان للمماليك البحرية خلفاء الأيوبيين بمصر شرف صد الحملات الصليبية الأخرى عن مصر ، وإخراجها من كافة بلاد الشام .

غير أن هذه البلاد وأعني بها سورية ظلت نحو جيلين دار حرب فكسد فيها سوق العلم والأدب ، ولولا الحاجة الماسة إلى العلوم الدينية لانصرف الناس عنها أيضاً . هذا فضلاً عن أن أكثر بيوت العلم قد أقفلت في تلك الحقبة ، وأن المكتبات قد احرقت بفعل تلك الحرب . وحسبنا أن نذكر أن مكتبة طرابلس التي أحرقت في عهد الصليبيين ، أو أحرقوها ، كانت على ما قيل تحفل بثلاثة ملايين مخطوطة . وكل ذلك كان من أسباب ذبول الحضارة العربية في المشرق .

الحملات المغولية على بلاد الإسلام

وجاءت النكبة الثانية على الحضارة العربية من المشرق فأودت بها . ففي غضون الحروب الصليبية خف المغول إلى اكتساح بلاد الشام . وهم قوم غزاة كانوا ينزلون في منشوريا بين نهري سنكاري والأيرتس ولطالما هددوا الصين ، وتعرضوا لها حتى اضطر أحد أباطرتها شي هنغ تي لتشييد السور الكبير ، ابتداء من سنة ٢٤٠ إلى سنة ٢١٠ ق م ليكون سداً بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو على ما أثبت بكتابي « الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية كأنك تراها » ، وذلك بعد زيارتي له نفس سد ذي القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم . غير أن هذا السور لم يقوَ فيما بعد على دفع غارات المغول ، بل إن ملكهم جنكيز خان الذي أنشأ امبراطورية كانت تمتد من بحر اليابان إلى بحر قزوين تعداه إلى الصين وفرض على حكومتها الشرقية جعلا لقاء حراسة الحدود ، كما أن ولده كوبيلاي نقل عاصمة بلاده من قره كروم إلى بكين .

وكان جنكيز خان يرنو بعين الطمع إلى بلاد الإسلام لما بلغه عن خيراتها وعمرانها ثم لما علمه من تنازع ملوك الترك في أطرافها ، وبالإضافة إلى

ضعف الخلفاء العباسيين الذين لم يترك لهم هؤلاء الأعاجم إلا السلطة الروحية فتقدم إليها حتى استولى على تركستان . ولكن الأجل عاجله قبل أن يدرك أمنيته من البلاد العربية . ولما بويع الخان منكو بن طولي ، سنة ١٢٤٦م ، عهد إلى قائده هولاكو فتح بغداد ، كما عهد إلى قادة آخرين اكتساح أقاليم أخرى .

وقد أرسل هذا الخان وفداً إلى لويس التاسع ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية السابعة يدعوه فيها للاتفاق بينهما على المسلمين ، كما أن عطف هولاكو على النصارى إذ كانت أمه وزوجته مسيحيتين أغرى البابا اسكندر الرابع بدعوته إلى اعتناق دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته على المسلمين ، ولكن هولاكو استنكر هذه الدعوة ، وبقي على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينهما فلم يصلا إلى توحيد العمل وانما اقتصرت الملاقات بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولاكو بغداد ، سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م ، قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها ، وألقوا في دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال (م ١٩ ص ٣٩٢) : « شيئاً لا يعبر عنه » ثم لما استتب له الأمر فيها سيّر جنوده إلى فتح الشام ، وقد تمكنوا من الاستيلاء عليها حتى بلغوا غزة ، غير أنهم لم يتعرضوا للثغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين ، وأهمها أنطاكية ويافا وعكا . أما فظائعهم فيها ولا سيا في حلب فعلى قول ابن العبري تجاوزت الحد الذي ارتكبوه في العراق . وكان أشدها تعرضهم للمكتبات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها . ..

نتائج الحملات الصليبية والحروب المغولية في الناحية الثقافية

« إن الملوك إذا دخلوا قرية جعلوا عاليها سافلها » . فيكفي القول ان بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن ، أي من مطلع القرن الحادي عشر للميلاد إلى أواسط القرن الثالث عشر ، يكفي هذا القول لتقدير سوء أحوالها المادية والمعنوية فضلاً عن الثقافية . ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك الحروب الداخلية بين الأسرة السلجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل أيوب ، ناهيك بالفتن الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من حصيلة كل ذلك اندراس المكتبات ، وإقفال المدارس ، وضياع الأوقاف المحبوسة على تلك المدارس والأعمال الخيرية ، وتحطيم الأقلام ، ومحل القرائح . على أن هذه الكوارث لم تنته بانتهاء القرن الثالث عشر ، وإنما استمرت وبرزت على أشدها في مطلع القرن الخامس عشر بحملة تيمورلنك التركي على آل عثمان وعلى بلاد الشام فقضيت على البقية الباقية من معالمها الثقافية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلم كان قد التجأ بعد سقوط بغداد إلى مصر وسورية . وقد رعاه الأيوبيون بمصر والماليك بعدهم فازدهر بمصر ، وانتعش ببلاد الشام التابعة لهم إلا أنهم طاردوا الفلسفة ولاحقوا ذويها . وفي ذلك الحين تناولت حلب علم الزعامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها على رواية محمد كرد علي في خطط الشام « ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة » ، ولكن هذه المدارس وغيرها قضت عليها حملة تيمورلنك فأضاعت الشهباء ازدهارها .

وعلى كل حال فلولا تلك النهضة العلمية التي برزت بمصر خلال حكم بني أيوب وخلفائهم المماليك وشخوص الطلبة السوريين لتلقي العلم ولا سيما في أزهرها لاندرست الثقافة في بلاد الشام ، ولما بقي فيها عالم أو أديب في المنى الصحيح . وعلى الرغم من أن كثرة العلماء أمسوا فيها من الحشويين الذين يختارون في التأويل الغريب المدسوس على الصريح المعقول ، ومن أن أكثر الأدباء أمسوا يمنون بالألفاظ الرنانة والعبارات المنمقة دون المعاني ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فان البلاد لم يدركها القحط الكلي. بل ظهر فيها من العلماء والأدباء نفر أتيح لهم أن يتمتعوا بالشهرة كابن عساكر المتوفى سنة ٦١٦ ﻫ ، وابن الفارض ٦٣٥ ، وابن الأثير ٦٣٧ ، وابن تيمية المولود سنة ٦٦١ ﻫ .

عهد السلطنة العثمانية

كان من المفروض في بني عثمان الذين أتيح لهم أن يقيموا امبراطورية عظيمة على أنقاض الممالك العربية وعلى أنقاض الامبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك العصر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض فيهم أن يستغلوا مخلفات هاتين الأمتين وأن يعطوا العالم حضارة جديدة أو أن يسيروا على الأقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باستثناء سلاطينهم الأولين ، الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والأدب ، وتحلوا بها ، انصرفوا عن كل ذلك إلى حروب كانت غايتها في البداية التوسع في أوروبا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الحربية ، ثم الدفاع عنها تجاه الاتحاد الأوروبي المقدس الذي أبرم ضدهم . وبهذا وذاك ظلوا بعيدين عن العلم والأدب ، فما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من

الغرب إلا بعد أن أشرفت دولتهم على الانهيار . على أنهم ما إن فكروا في وجوب الخروج من نطاق الجمود ومباشرة الإصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية فحسب . فأنشأ السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ م — ١٧٧٤) مدرسة الفنون الحربية . ولكن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ م — ١٨٣٩) ما إن أتيح له القضاء على الانكشارية ، هذه الطغمة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى أراد الانطلاق في سبيل الاقتباس من أوروبا . وفضلاً عن بنائه المعهد الطبي باستامبول فقد أوفد بعثة من الطلبة للتخصص في معاهد أوروبا . كما أن خلفاءه شرعوا يعنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز إنشاء مدارس إعدادية وعسكرية كانت الغاية منها إعداد الموظفين للحكومة ، وإعداد الضباط للجيش .

وأما الشعب فلم يكن أحد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ من سباته بالتماس مع العالم الغربي بالمدارس والتجارة والهجرة ، وأصبح توافاً للمعرفة ومجاراة الركب العالمي فلم يسعه إلا الإقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان علاوة على المدارس الخاصة التي أنشأتها الطوائف . فكانت العاقبة أن رعايا السلطنة العثمانية ، الذين هم في الأصل لا يشكلون وحدة قومية ، أمسوا كتلاً متباينة الأهداف في السياسة ومتباعدة في النطاق العلمي . وكل ذلك أفضى في النهاية إلى متاعب واجهتها السلطنة عجلت في زوالها :

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة   وغاب عنها تولى رعيها الأسد

النهضة الثقافية الحديثة في الشام :

أثر اختلاط الغرب بالمسلمين في بلاد الشام ، والأندلس وصقليه ، وفي أعقاب هجرة علماء بيزنطة إلى بلاده بعد فتح العثمانيين عاصمتهم القسطنطينية

سنة ٨٥٧ هـ = ١٤٥٧ م انتفض الغرب انتفاضة جبارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر انتفاضة كانت منطلقاً لحياة جديدة في الأجيال اللاحقة. ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية، وإنما تناولت الشؤون الاقتصادية، وتركزت على القوة العسكرية.

ولكن الغرب على الرغم من انصرافه إلى بناء مطرد لم ينس أبداً بيت المقدس. وآية ذلك أن ملك اسبانيا فيليب الثاني اكتسب فرصة وجود الأمير فخر الدين المعني الثاني في ضيافته بصقلية، وذلك في مطلع القرن السابع عشر، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة ولكن الأمير أبى واستنكر وفضل العودة إلى بلاده على التواطؤ مع الأجانب على دولته، وعلى مقدساته.

ثم لما جاء عهد الاستعمار وانتقلت المبادرة إلى الدول الأوروبية ظلت فلسطين ماثلة أمام أعين هذه الدول. ولا سيما منذ تداعت السلطنة العثمانية. وأصبحت كل واحدة منها تسعى لأن تؤمّن نصيبها من إرث الرجل المريض.

وقد وضعت اعتمادها على الإرساليات التبشيرية التي كانت بمثابة طلائع جيش الفتح لأن هذه الارساليات لم يكن يعهد إليها التبشير بواسطة المدارس فقط، وإنما كانت تعمل كدائرة استخبارات لتسهيل الفتح، والاعداد له بشتى الوسائل. ومهما يكن من أمر هذه الارساليات التي ترجع أولاها إلى عهد الأمير فخر الدين المعني المشار إليه فإنها ولا شك عملت لبعث نهضة ثقافية في سورية، ولا سيما بلبنان، رافقتها نهضة تجارية واجتماعية.

ثم كان لاحتلال نابليون بونابرت لمصر سنة ١٢١٣ هـ = ١٧٩٨ م أثر كبير في نهضة الشرق العربي، ذلك لأن هذا الفاتح الكبير استصحب معه لوادي النيل بعثة علمية فنية كانت حافلة بأشهر علماء فرنسا. فوضعت التصاميم الاصلاحية. وقامت ببعض المشاريع العمرانية التي كانت فيما بعد منطلقاً للنهضة

هذا الشرق الحديثة في عهد الأسرة العلوية ، وخيدّويها ولا سيما في لبنان الذي ساهم أبناؤه في النهضة المصرية باكراً .

النهضة الثقافية في لبنان :

مذ عني الأوروبيون بطباعة الكتب العربية وترجمتها في مطلع القرن الخامس عشر بادروا إلى الاستعانة ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولا سيما رجال الاكليروس . فانتقل هؤلاء إلى روما ، وإلى أكثر العواصم الغربية والجنوبية ، وساهموا فيها بأعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزاً لهم وللمتخلفين منهم للالتفات إلى وطنهم ، فأنشأوا في عام ١٠٤٢ هـ = ١٦٣٢ م المدرسة الأولى في قرية حوقة ، والثانية في حلب عام ١٠٧٣ هـ = ١٦٦٢ م وكانت أولى المطابع تلك التي استجلبها البطريرك أثناسيوس دباس إلى حلب في مطلع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب الحلبي عبد الله زاخر في دير مار يوحنا الطبشة في الخنشارة بلبنان ، هذا وفي غضون تسابق الدول الأجنبية إلى فتح المدارس التبشيرية في المدن والقرى في كل من ولاية بيروت ومتصرفية لبنان وغيرها أدرك البيروتيون ، وعلى رأسهم رجال الدين ، مغبة ترك تربية أولادهم لسواهم فخفت كل طائفة منهم لإنشاء المدارس الوطنية فاتحة أبوابها لجميع الطوائف .

وكان من نتيجة انتشار العلم في الساحل السوري على وجه عام ذلك الاقبال الشديد الذي برز من قبل مثقفي الشعب ، على المزيد من فتح المدارس وإصدار الصحف ، وإنشاء المطابع ، وقراءة الكتب وتأليفها . وقد رافق هذا الإقبال ميل من الشعب لتأليف الجمعيات ولا سيما الأدبية والخيرية منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا في البداية إلى اللجوء

للتعاون مع الأجانب، الذين كانت تحميهم الامتيازات من أجل تأليف الجمعيات المنشودة . وقد ألف بعض علماء بيروت وأدبائهـا سنة ١٨٥٨ بالتعاون مع بعض المرسلين الأميركان « الجمعية العلمية السورية » التي كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة . وخدمة الأدب فعاشت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث أن عادت للحياة في عام ١٨٦٧ ، وأصدرت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكن هذه الجمعية لم تعش طويلاً .

وفي أعقاب ذلك تبدل الوضع في سورية حينما نصب مدحت باشا الملقب بأبي الدستور والياً عليها سنة ١٨٧٩ م . فهو إذ كان يطمع بالاستقلال في بلاد الشام على غرار خيديوية مصر وذلك بتشجيع فرنسا ، فشرع يتحبب إلى أهلها فأطلق لهم شيئاً كثيراً من الحرية . وكان الجو الذي بدا في أيام ولايته وما بعدها مشجعاً لبعض أهل العلم والأدب من البيروتيين لأن يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة ١٨٨١ م بالاستقلال عن الأجانب . ولعلهم اختاروا هذا الاسم لجمعيتهم من قبيل التمثل بالأوروبيين ومجامعهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العامين من العمر . فانبرى بعيد ذلك المطران يوسف الدبس لإنشاء الدائرة العلمية المارونية برياسته . ولم تكن أطول عمراً من سابقاتها . ذلك بأن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩ م) لم يكن يرتاح للتكتلات الشعبية الأمر الذي أدى إلى انحلال الجمعيات الخيرية أيضاً ، وفي مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية . ولولا أن جمعية شمس البر الأدبية كانت تستند إلى رعاية الأميركان وحمايتهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨ م) . ولا بدع فلقد كان عهد هذا السلطان شديد الحذر من مؤامرات الدول الأجنبية التي كانت تحاك حوله . ولذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذي تخرج في المدارس الأجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حمله على التشديد في المراقبة والمعاقبة على الشبهات أحياناً . من ذلك أن شاعراً بيروتياً ، وأظنه مصباح البربير نظم قصيدة غزلية كان مطلعها :

ان حبي كل يوم في ازدياد والهوى يأتي على غير المراد

فقامت قيامة الولاية في بيروت ، وانتصب الميزان . لماذا ؟ — لأن للسلطان أخاً اسمه مراد كان قد اتهم بالخبل فخلع وبويع السلطان عبد الحميد مكانه . ومن هنا اتهم الشاعر بأنه يعرّض بالعاهل المخلوع ، وسيق للمحاكمة .

وفي عهد كهذا ليس من المنتظر أن تتألف الجمعيات ، وإذا تألفت لم يكن من القدر لها أن تعيش .



المجمع العلمي اللبناني

حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الموفورة فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب ، ولما أصبح له شبه كيان سياسي في عهد الانتداب الفرنسي بالقانون الأساسي والحكم الدستوري اتجهت أنظار الطبقة المثقفة فيه إلى أن تكون لها هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي ، وذلك بإنشاء مجمع علمي أسوة بسورية منذ عام ١٩١٩ ، فرفعت أصواتها مطالبة بهذا المجمع . وكان الشيخ ابراهيم المنذر الأديب الكبير عضواً في المجلس النيابي اللبناني فأثار هذا الموضوع ، ثم كانت له وقفات حوله قوية خلال عام ١٩٢٧ سرعان ما أثمرت . فقرر المجلس إنشاء المجمع المنشود على الرغم من أن الانتداب ، الذي كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تبعيده عن شقيقاته ، لم يكن راضياً عن هذا العمل . واستناداً إلى قرار المجلس المذكور أصدر رئيس الجمهورية الأستاذ شارل دباس قانوناً بإنشاء

مجمع علمي لبناني وذلك في ٣٠ شباط ١٩٢٨ غايته المحافظة على اللغة العربية، ورفع شأنها، والعناية بالمباحث والأعمال المتعلقة بأصولها وآدابها، والحفاظ على الآثار، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته، وغير ذلك مما يتعلق بإدارة الشؤون العلمية وتنظيمها، وأصدر مرسوماً آخر بتعيين السادة الآتية أسماؤهم أعضاء لهذا المجمع: الشيخ ابراهيم المنذر، والشيخ عبد الله البستاني، والشيخ أمين تقي الدين (١)، والشيخ منير عسيران، والشيخ محمد الحسيني، والأستاذ بولس خولي، والبطريرك أغناطيوس أفرام الرحماني، والشيخ عبد الرحمن سلام، والخوري بولس عبود، والأستاذ وديع عقل، والأستاذ الياس فياض، والشيخ أحمد عمر المحمصاني، والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف، والأب لويس المعلوف، والشيخ حسين مغنية.

وفي التاسع من شهر آذار ١٩٢٨ افتتح المجلس أعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذي كان وزيراً للتربية الوطنية، وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي: الشيخ عبد الله البستاني رئيساً، والشيخ أحمد عمر المحمصاني، والأستاذ وديع عقل، معاونين للرئيس. وقد اتخذ المجمع في أول الأمر وزارة المعارف والتربية الوطنية مقراً له، ثم انتقل إلى دار الكتب الوطنية، ووالى اجتماعاته فيها إلى أن استقل في دار له خاصة.

وقد حالت بعض الأسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والأب لويس معلوف، والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف، والشيخ محمد الحسيني، والشيخ حسين مغنية في جلسات المجمع الأولى فقرر هذا اعتبارهم أعضاء مراسلين وانتخب بدلاً عنهم السادة: الشيخ علي زين، والخوري جرجي

(١) وهم من المشايخ المدنيين الذين تحمل أسرهم هذا اللقب.

ستيتي « الذي أصبح من بعد مطران السريان بدمشق » ، وجرجي صفا ، وأسد رستم ، ومحمد جميل بيهم . ونتيجة لهذا التبديل اجتمع المجمع في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٨ وانتخب الاستاذ وديع عقل رئيساً له ، والياس بك فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع خلاله نظامه الداخلي .

ولما أزف موعد الانتخاب في السنة التالية ، وشعرت السلطة بأن نية أكثر أعضاء المجمع منصرفة لانتخابي للرياسة تحركت فوراً لأني كنت من أشد المعارضين بلبنان للانتداب ، والمنادين بالوحدة العربية . وقد عهدت إلى الشيخ بشير الخوري المندوب من وزارة المعارف للإشراف على الانتخابات للسعي لتوجيه الأعضاء إلى تجديد الرياسة للأستاذ وديع عقل ، وذلك في جلسة الانتخاب المحددة في ١٨ تشرين الأول ١٩٢٩ . ولما باءت مساعيه بالفشل تحول بكليته إليّ ، وشرع يقنعني بالتخلي عن الرياسة للأستاذ عقل لسنة أخرى على أن أعلن ذلك لزملائي . فكان جوابي له : « أني لم أكلف أحداً منهم أن ينتخبني ، كما أني لا أعلم من هو المرشح عند كل منهم ، فكيف يسوغ لي من بعد أن أطلب منهم أن لا ينتخبوني لمنصب الرياسة فأعرّض نفسي لقول قائل : من أخبرك أني مزمع أن أصوت لك ؟ » ولما استولى عليه اليأس أجل الانتخاب ريثما يقابل نسيبه الرئيس الشيخ بشارة الخوري . ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى عاد حاملاً إليّ بشرى الوعد بتعييني وزيراً للمعارف والتربية الوطنية إذا تخليت عن رياسة المجمع . فقلت له مبتسماً « أنت تعلم يا شيخي أني لست من طلاب الوظائف ، كما تعلم أيضاً ، مما نشرته الصحف في حينه ، أني كلفت بإشغال مناصب عالية من قبل فرفضت التعاون مع العهد ، فكيف تريدني التحول الآن عن مبدأي ؟ فما وسع البشير إلا السكوت على مضض . ولما جري الانتخاب يومئذ أسفر عن إحرازي معظم الأصوات

للرئاسة ، وعن انتخاب الشيخ إبراهيم المنذر والأستاذ سعيد عقل معاونين لها . وهنا مجال للتنويه بالأستاذ عقل هذا الرجل الوطني الموهوب ، ذلك لأنه تعاون معي في نطاق خدمة المجمع ، وكأن شيئاً لم يقع من قبل ، وكرس جريدته الراصد للتكلم بلسانه .

وكان أول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظامه الداخلي الموضوع في العام الفائت بتوزيع أعضائه على أربع لجان عهد إلى كل منها أن تعمل بجد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة إليها وهي :

اللجنة الأولى « الإدارية » : ومهمتها القيام بالأعمال الإدارية ، وتحضير الموازنة المالية كل عام . وكانت تتألف من السادة : محمد جميل بيهم ووديع عقل وإبراهيم المنذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » : ومهمتها التدقيق في وضع الكلمات والمصطلحات للمعاني العلمية الجديدة وللمسميات الحديثة . والتعاون مع المجامع العلمية العربية الأخرى توصلاً لوضع معجم يوفي حاجة العصر . وكانت تتألف من الشيخ منير عسيران ، والشيخ ابراهيم المنذر ، والياس بك فياض ، والشيخ أمين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » : التي عهد إليها بالإضافة إلى التحقيقات التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على أسلوب علمي حديث . وكانت تتألف من الأساتذة أسد رستم ، وبولس الخولي ، والخوري جرجس ستيتي ، والسيد علي زين ، ومحمد جميل بيهم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » : التي عهد إليها وضع إحصاء عام للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية ، وترتيب تدوينها على طريقة علمية تسهيلاً لمراجعتها . وكان قوامها الشيخ أحمد عمر المحمصاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، وجرجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد إليها على خير وجه في جو من التعاون والوئام ورفعت إلى المجمع تقاريرهـــا لتكون أساساً للبحث والإقرار ، ومن ثم للتنفيذ .

١ — تقرير اللجنة الإدارية :

تناول التقرير الأوضاع العلمية والأدبية في البلاد العربية ولا سيما لبنان كما تناول إنشاء المجمع العلمي اللبناني وأعماله منذ نشأته حتى ذلك التاريخ ، وأشار إلى ما عقد العزم على تحقيقه في تلك السنة وما بعدها . ولا سيما في حقل توثيق العلاقات بينه وبين المجامع العربية الأخرى . كما أنه أشار إلى بعض الدعوات الخـارجية التي وردت له ، وعلى رأسها دعوة المجمع الأدبي العام في باريس .

٢ — تقرير اللجنـة اللغوية :

بعد أن أكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر المجامع العلمية العربية ، وبعد أن أشار إلى آراء طائفة من أكابر كتاب العرب بشأن إصلاح اللغة توصلت اللجنة إلى الاستنتاج بأن هؤلاء على خلاف في وجهة السير . فبينما أن بعضهم يقبل بما يقرره الأفراد المعنيون باللغة فان البعض الآخر كان يرى أن للمجامع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة . وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم رأى المجمع العلمي اللبناني قبل أن يجزم في هذا الشأن أن ينتدب رئيسه الحالي الأستاذ جميل بيهم فيقصد مصر ، ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض ، ويسعى لإيجـاد صلة بين الهيئات اللغوية والمجامع العلمية في الأقطار العربية تمهيداً لعقد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لأجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية .

« ولقد سافر الأستاذ الرئيس إلى مصر فقابل وزير المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبسط لهما مهمته فلقي منهما الارتياح التام . ثم أخذ يبث الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعده على ذلك بعض أهل الفضل والوجاهة بما عقدوا من حفلات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تألفت لجنة في القاهرة من كبار مفكريها وعلمائها جعلت همها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطل العهد حتى نقلت إلينا الصحف البشرى بإنشاء المجمع المصري للثقافة العلمية وترقية اللغة العربية » .

وبعد أن أشار التقرير إلى البيان الوافي الذي وضعه سنة ١٩٢٨ م الشيخان عبد الرحمن سلام ، وأحمد عمر المحمصاني في كيفية المحافظة على اللغة العربية ، وأوجزاه ، قالا في الختام : « لذلك نرى أن باب الاشتقاق في اللغة العربية يجب أن يفتح على مصراعيه توصلاً إلى استخدام الأفعال والأسماء والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر ، فيتسع بذلك مجال الإنشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانون من المشاق والمصاعب . » ومضى يقول « وسننظر فوق ما تقدم في أصول اللغة ، أي قواعدها الأساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والإنشاء . وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الأئمة لم يطرح منها باب ، ولا عدلت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لأنهم رزحوا تحت أعبائها ، وضاعوا بين المؤلفات الضخمة ، والآراء المتباينة ، والقواعد المعقدة التي يجب أن تطرح من كتب اللغة تسهيلاً لتناولها . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الأمنية من الصعوبة تجاه المتفننين . ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على عظمتها وتعابيرها الشائعة مستعينين بأقطابها المدققين العاملين الضاربين في مشارق الأرض ومغاربها . »

٣ — تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

أشار التقرير إلى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على أحوال بلاده وقوفاً صحيحاً ويلم بكل ما فيها من المعالم والآثار بالإضافة إلى تراجم كبار اللبنانيين الذين تركوا خير ذكر في العلم والأدب أو الوجاهة مع العمل البناء . ثم مضى يقول :

« لما كان العالم العربي في الشرق والغرب في حاجة إلى المجامع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة أن يعنى المجمع في بدء أعماله ، عناية خاصة بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والأنهار والجبال في الجمهورية اللبنانية ، وأن يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفريق من أساتذة الجامعتين الأميركية والفرنسية في بيروت . فطلبنا إلى حضرة الأب هنري لامنس اليسوعي أن يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، وإلى الأب جبرائيل لوفتك أن يكتب مقالة في جغرافية الجبل الاقتصادية كما أننا رغبنا إلى بعض أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، وهم الفريد داي ، ويوليوس برون ، والدكتور ويليم فانديك الكتابة في جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه . وأما القسم الأكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ عن البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام . وفي كل منها حقول متنوعة تتناول المدن والقرى وعدد النفوس فيها ، والمذاهب ، والأنهار والينابيع والجبال والمناجم ،

والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ، ومواطن الآثار ، وأهم الحاصلات الزراعية والمنتوجات الوطنية إلى غير ذلك من الشؤون عدا أماكن الاصطياف . ورفعنا هذه الجداول إلى وزارة الداخلية الجليلة لتأمر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية . وقد أعيدت الجداول المذكورة ، معبئة ، وعهد بها إلى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح . ولتنسيقها . »

٤ — تقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

أشار التقرير إلى الصعوبات التي تعترض من ينقب عن هذه المخطوطات ، ولا سيما لأن أكثرها موزع على مكتبات خاصة لم تمتد بعد أيدي الباحثين إلى التحري عنها . وأكثرها غير معروف ثم بينت اللجنة أنها بدأت بإحصاء ما في مدينة بيروت ، وأنها ستشرع من بعد في البحث عما يوجد في غيرها من المخطوطات حتى إذا اكتمل العمل تنظم منه معجم محيط ليسهل الرجوع إليه على أن يشمل هذا المعجم إشارة إلى موضوع كل كتاب ، وإلى الزمن الذي وضع فيه ، وإذا كانت له مزية أخرى . وختمت اللجنة التقرير بذكر ما أحصته في مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الأميركية	١٨٣	مجلدا	و	١٣٤	رسالة
مكتبة الآباء اليسوعيين	٢٤٥	مجلدا	و	٠٤٤	رسالة
دار الكتب الوطنية	٠٤٨	مجلدا	و	٠٢٠	رسالة
	٤٧٦			١٩٨	

وفي هذه المناسبة يطيب لي أن أذكر أن مكتبة المخطوطات في داري تحتوي على ٤١ مخطوطة بعضها ليس له نسخة ثانية في المكتبات الأخرى .

إلى الأمام في خدمة العرب والعربية :

وقد استمع المجمع إلى تقارير لجانه وناقشها ، وحث أعضاءها على المزيد من النشاط حباً بالقيام بالتبعة الملقاة عليهم على خير وجه . وقرر في الجلسة التي عقدها يوم ٢٩ آذار ١٩٢٩ تكليفي بأن أفاوض المجمع العلمي العربي بدمشق من أجل التعاون على تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذي كنت دعوت إليه في مصر فأنجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت مقالاً لصاحبها (الأخطل الصغير) الأستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع إكمال دائرة المعارف التي أصدر بعض أجزائها الأستاذ بطرس البستاني قبل حين ، فرحب المجمع بهذا الاقتراح وفوض إلى اثنين من أعضائه : الشيخ عبد الرحمن سلام والأستاذ جرجس صفا ، لدرس هذا الموضوع وليقدم كل منهما تقريراً في الوسائل التي يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح . وفضلاً عن ذلك فقد قرر إنشاء نادٍ يشتمل على مكتبة عامة ، ومجلة عربية على أن يجعل من هذا النادي داراً للمحاضرات . ومحجاً لطلاب المعرفة .

إلغاء المجمع العلمي اللبناني :

كان بين الأستاذين المحاميين أميل اده والشيخ بشارة الخوري تنافس على الرياسات في عهد الانتداب وبعده . فلما خلف الأستاذ اده الشيخ بشارة على رياسة الوزارة ، وهو رائد من رواد عزلة لبنان واعتماده على فرنسا لم ترق له اتصالات المجمع العلمي اللبناني بالمجامع العلمية واللغوية العربية . لذلك فوجئ المجمع في عهده بمرسوم صادر عن رياسة الجمهورية مؤرخ في

٣ شباط ١٩٣٠ يقضي بإلغائه تحت ستار التوفير على الخزينة . فكان لهذا المرسوم أثر سيء ، ولا سيما على أعضائه الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، لا يريدون جزاءً ولا شكوراً ، فقدموا استدعاءً إلى وزارة الداخلية بطلب الترخيص لهم لمتابعة العمل باسم المجمع المذكور دون الاعتماد المالي . ولكن المجمع اضطر فيما بعد إلى التوقف لأن موسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات لا يطول عمرها إذا لم تمدّها الحكومات بالمساعدة . ثم ما برح أعضاء المجمع ، الذين كانوا يشعرون بالفراغ ، يطالبون بإعادته ، وقد استجاب لهم المجلس النيابي عام ١٩٤٤ . وقرر تخصيص مبلغ من المال لإعادة المجمع . ولكن الحكومات المتتابعة ضربت صفحاً عنه فقضى نحبه هكذا قبل القطاف .

(بيروت) محمد جميل بيهم



العلم القديم

بين الشرق والغرب

نَعْني بالعلم القديم — أو بالفلسفة القديمة ، إذا شئت — ذلك العلمَ الذي كان قبل الإسلام . لا شكّ في أن العلم قديم قِدَمَ الإنسان ، غير أن تاريخ العلم متأخّر عن نشأة العلم لأن جانباً كبيراً جداً من ذلك العلم القديم قد ضاع ، كما ضاع جانب كبير من الشعر الجاهليّ وغير الجاهليّ عند العرب وعند غيرهم .

وحينما يأتي الدارسون اليوم إلى دراسة العلم والفلسفة فانّهم يبدأون بالدراسة المنظّمة الشاملة للعلم والفلسفة عند اليونان ، وربّما بدأ نفر منهم بنتف من العلم القديم قبل اليونان . فما سبب ذلك ؟ وإلى أيّ حدّ كان العلم القديم يونانيّاً غَرْبياً ؟ وإلى أي حدّ كان ذلك العلم شرقيّاً غير يوناني ؟

أقدم الذين وصلت إلينا أخبارهم من فلاسفة اليونان ثاليس الملطي . ولا ريب في أنه قد كان قبل ثاليس هذا فلاسفة وعلماء يونانيون لم تصل إلينا أخبار علمهم موثوقةً أو كثيرةً . فثاليس بالإضافة إلى الشعر العربي . كان ثاليس المَلَطيّ من مَلَطيَةَ ، على الجانب الغربي من آسية الصغرى وليس من بلاد اليونان القائمة في أوروبّة ، ولكنّه كان على كل حال يونانيّ النسب يونانيّ اللغة .

ويخبرنا ثاليس عن نفسه أنه زار بلاد مصر متعلّماً ، تعلّم هنالك الهندسة في الأكثر ، كما قيل إنه زار بلاد ما بين النهرين متعلماً أيضاً فتعلم هنالك

الفلك على الأكثر . ولو لم يقل لنا ثاليس ذلك كله عن نفسه لوجدناه مدوّناً في فلسفته وعلمه لا حجاب دونه .

أ — يرى ثاليس أن الماء أصل الوجود ، وأن الأرض لوح سابح على الماء . وهذا رأي مصري قديم جدّاً ، فالنون عند قدماء المصريين (النون هو الماء) مصدر الوجود حتى ان الله عندهم خرج من النون . والشمس في كل يوم تطلُع من الشرق ثمّ تغيب في الغرب في النون ، مارّةً فيه تحت الأرض ، حتى تستعيد نشاطها لتطلع في اليوم التالي نشيطة قوية .

ب — ويُنْسَبُ إلى ثاليس الملطيّ نظريّات في الهندسة منها أن مجموع الزوايا الثلاث في المثلث تساوي زاويتين قائمتين (مائة وثمانين درجة) ؛ ومن هذه النظريات أنّ قطر الدائرة يُنَصِّفُ الدائرة ، وأن الزاويتين المتقابلتين في المثلّث المتساوي الساقين متساويتان ؛ إذا تقاطع خطّان مستقيمان فكلّ زاويتين متقابلتين تتشكّل من تقاطعهما متساويتان . . .

لا ريب في أن ثاليس الملطيّ كان مهندساً (أو رياضيّاً ، كما يقال الآن) عبقرياً ، وأنه أول من أدرك الحاجة إلى تنظيم علم الهندسة (في نطاق التاريخ الذي وصلت إلينا أخباره) ، ولكن المعارف الهندسية التي تنكشف عنها هذه النظريات المنسوبة إلى ثاليس كانت معروفة عند قدماء المصريين من الناحية العلمية في بناء الأهرام والهياكل قبل أن تشرق شمس الحضارة على بلاد اليونان .

ج — ويبدو في تاريخ العلم أن ثاليس الملطي قد عرف المِزْولة (الساعة الشمسية ، وقيل إن الذي عرفها — أولّ ما عرفت في اليونان — كان أناكسمندروس تلميذ ثاليس) . على أن الراجح أن ثاليس (أو أناكسمندروس) قد أدخل المزولة إلى اليونان آتياً بها من بابل أو من مصر . ويجوز عندنا في تاريخ العلم أن يكون ثاليس أو تلميذه أناكسمندروس قد اخترع المزولة

ابتداء من عند نفسه ، فالمزولة أداة فطرية بسيطة لمعرفة أقسام الزمن بوساطة الشمس . ولكنّ الذي نعرفه من التاريخ القديم الثابت أن بابل ومصر والصين قد عرفت المزولة منذ العهد الأقدم .

ومن مشاهير المهندسين (علماء الرياضيّات والهندسة) في تاريخ اليونان فيثاغورس (ت ٥٠٣ ق.م) . يبدو أن فيثاغورس كان تلميذاً لثاليس . والذي نعلمه من حياته أنه غادر جزيرة ساموس مسقط رأسه وجاء إلى مصر وتعلم فيها على الكهّان في الهياكل . ثمّ إنه جاء إلى فينيقية (سورية الساحليه) ومكث فيها مدّة طويلة وعرف المذاهب الباطنية واعتنق بعضها . وكذلك يبدو أن ذلك قد حمله على أن يذهب (أو أن يذهب ثانية) إلى مصر لأن مصر كانت مصدر المذهب الباطني في ذلك الزمن فمكث في مصر مدّة لا تقلّ عن اثني وعشرين عاماً يدرس الهندسة والفلك والمذهب الباطني . ولما فتح قمبيز الفارسي مصر عاد فيثاغورس في ركابه إلى بابل حيث مكث اثني عشر عاماً يَدْرُس الحساب والموسيقى وعلوماً أخرى من علوم المجوس . ولمّا عاد فيثاغوس إلى ساموس كان قد أصبح في السادسة والخمسين من عمره . غير أن فيثاغورس وجد أن الأحوال السياسية في جزيرة ساموس لا تزال سيّئة فتابع طريقه إلى جنوبيّ ايطالية .

واشتهر فيثاغورس بانشاء جمعية سرّية في ايطالية ، كما نسب إليه وضع النظرية الهندسية المقرونة باسمه والتي تسمّى أيضاً نظرية السلّم (لأنّ السلّم الملقي أعلاه على الجدار يشكل مع الجدار والأرض التي بين أسفله وأسفل الجدار مثلثاً قائم الزاوية) . هذه النظرية تقول بأن المربع المنصوب على وتر المثلّث القائم الزاوية يساوي مجموع المربّعين المنصوبين على ضلعي ذلك المثلّث . واشتهر عن فيثاغورس قوله بالتناسخ (تقلّب النفس في أجسام أحياء كثيرة من النبات والحيوان والإنسان) . أمّا الجمعية السريّة وأمّا

التناسخ فأثر الشرق ظاهر فيها بلا شبهة . وأما النظريات الهندسية فالغالب أن له عدداً منها وأن العدد الأكبر منها من عمل آله (تلاميذه وأتباعه) . ومعظم هذه النظريات أقدم في الشرق (في مصر وبابل) من عهد فيثاغورس .

وتعلّق الفلاسفة اليونانيّون زماناً طويلاً ، بنظرية العناصر الأربعة (بأن الوجود مؤلّف من أربعِ عناصرَ هي الماء والهواء والتراب والنار) وأورثوا العالم الوسيط هذه النظرية الخاطئة . وهذه النظرية في الأصل نظرية هندية .

ونطوي أحقـــاب العلم والفلسفة في اليونان حتى نصل إلى أفلاطون (٤٢٩ — ٣٤٧ ق . م .) ولد أفلاطون في أثينة وطوّف كثيراً في الأرض وزار مصر . وفي مصر تنقّل أفلاطون بين الآثار والهياكل وأدرك فضل تلك الحضارة العريقة . وقد ترك لنا أفلاطون في كتاب تيماوس حواراً بين صولون الحكيم (اليونانيّ) وبين كاهن مصري جعل فيه الكاهن المصري كأنّه يتهكّم بحضارة اليونان الطفلة . من هذا الحوار :

الكاهن المصري : يا صولون ، يا صولون ، أنتم اليونانيّين أطفال أبدا . ليس ثمّة شيء يصح أن يسمّى « اليونان العتيقة » .

صولون : وما تعني بهذا القول ؟

الكاهن المصري : أنتم ذوو نفوس طفلة ، كلّ واحد منكم كذلك . انكم في اليونان كلّها لا تملكون مذهباً واحداً قديماً أو مستمدّاً من تراث جلّله الكِبَر بالهيبة .

ليس من المعقول أن يكون هذا الكلام هزؤاً بالحضارة اليونانية ، ولكنّه احترام بالغ للحضارة المصرية القديمة ، ثمّ إنّه معرفة بالحضارة المصرية القديمة . وهذا — بطبيعة الحال — تأثّر بالغ بالعلم الشرقيّ . وفي كثير من كتب أفلاطون — في كتاب السياسة (الذي يسميه كتّابنا الحديثون « الجمهورية »

تسمية خاطئة) ـ وفي كتاب النواميس شيء من العلم الشرقي ومن الأثر البارز للعلم الشرقيّ (من فارس وبابل) .

والأثر الشرقي في أرسطوطاليس (٣٨٤ — ٣٢٢ ق . م .) فيلسوف اليونان والفيلسوف المطلق ، قليل البروز ، ذلك لأنّ العمل الأساسي لأرسطو كان في تدوين الفلسفة التي وقعت إليه وتنسيقها ونقدها . غير أنّنا نجد عند أرسطو (أرسطوطاليس) عنصراً مهمّاً من هذا الأثر .

كان علماء اليونان الطبيعيّون قد أخذوا عن الهنود القول بالعناصر الأربعة ـ كما أشرنا آنفاً ـ ثمّ جاء لويكوبوس فردّ القول بالعناصر الأربعة وقال بأنّ الأجسام مؤلّفة من الذرّات . وخلف لويكوبوس تلميذه ديمقريطس (الذي مرّ ذكره) فوسّع القول بالذرّة . ومع أنّ قول لويكوبوس وتلميذه في الذرّة كان مزيجاً من العلم والخرافة فإنه كان أقرب إلى المعقول وإلى الواقع : إنّ الأجسام كلهـــا مؤلفة من ذرّات ذات طبيعة واحدة . ولكنّ بعض الأجسام يختلف عن بعض لاختلاف الذرّات فيه بالحجم والعدد والترتيب (لا في النوع) . وجاء أرسطوطاليس فردّ القول اليوناني بالذرّة ورجع إلى القول الهندي (الشرقي) بالعناصر الأربعة . وكان ذلك خطأً من الأخطاء المشرين التي وقعت في فلسفة أرسطو أو التي وقع فيها أرسطو في فلسفته .

أمّا بعد أرسطو ـ وبعد حملة الاسكندر المقدوني (تلميذ أرسطو) على الشرق (في سورية ومصر والعراق وفارس والسند ـ غربيّ الهند) فان الحضارتين اليونانية والشرقية تمازجتا وأثّر بعضها في بعض تأثيراً كبيرا . وكان فعل الفكر الشرقيّ في الفكر اليوناني أكبر حتى استحال أن نسمّي العلم والفلسفة اللتين تلتا حملة الاسكندر علماً وفلسفة يونانيّين .

لا أستطيع الآن أن أستعرض تاريخ العلم والفلسفة هنا استعراضاً وافياً ، ولكن يكفي أن أشير إلى أنّ أقليدس صاحب الهندسة المشهور كان اسكندرانياً . وأنّ نيقوماخس صاحب كتاب المدخل إلى علم الحساب شرقيّ من عنجر في سهل البقاع من الشام (في الجمهورية اللبنانية اليوم) . وأفلوطين صاحب مذهب الفيض والإشراق مصري من أسيوط . ثم انّ بَطْلَيْموس صاحب كتاب المَجسطي في الفلك إسكندراني من مصر . غير أنّ هؤلاء جميعاً كتبوا باللغة اليونانية .

* * *

لعلّ نفراً من القرّاء قد عَجِلوا وظنوا أنني إنما أردت بهذا المقال أن أسلب اليونانيّين فضلهم على العلم والفلسفة أو أن أرفع شأن الشرقيّين تعصّباً وعصبية .

إنّ هذا شيء لم يخطر لي في بال ـ إلاّ استدراكاً وظناً أن يفعل أحد ما أريد من نفسي ألاّ أفعله . إنّ العلم إنساني لا يُحَدّ بتخوم على سطح الأرض ولا بسدود في مجرى التاريخ ، ولا تستأثر به قوميّة ولا يستقلّ به مذهب . ثم إنّ الحضاراتِ كلّها تطوّر نشأ بعضها من بعض ، فأخْذُ المتأخرين أسبابَ الحضارة عن الذين تقدّموهم والزيادةُ فيها بقدر ما يحتاجون إليه وبقدر ما يطيقون أمر طبيعيّ . ومن ظنّ أن حضارة نشأت بين ليلة وضحاها مقطوعة من كلّ شيء قبلها فقد ظنّ عجزاً .

وإذا كان اليونانيّون قد أخذوا كثيراً من علمهم وفلسفتهم عن الشرقيّين ، فلماذا عُرف هـــذا العلم وتلك الفلسفة باسم الذين أخَذوهما عن غيرهم ولم تعرف باسم الذين ابتكروهما ثمّ أخِذا عنهم ؟ هذا هو الأمر الذي دفعني

في الواقع إلى اختيار هذا الموضوع الذي جعلت له هذه المقدّمة الطويلة التي سبقت .

إنّ ترديد النظر في معالم الحضارة الشرقية من شرقيّ الصين إلى غربيّ مصر يجعلنا نقف أمام حضارة باهرة — من الناحية العملية ومن الناحية النظرية أيضاً — . انّ معالم الحضارات الشرقية ماثلة أمامنا ، ولا يمكن أن يكون الذين أقاموا الأهرم مثلاً — وقد كشفوا في دقّة البناء ما نعيا عن مثله الآلات الحديثة — جاهلين للقواعد المتّصلة بعلم الهندسة من الناحية النظرية أيضاً . وكذلك إذا نحن نظرنا في التقاويم التي عرَفها الشرقيّون عموماً — في الصين والهند ثمّ في بابل ومصر خاصّة — أدركنا وشيكاً أن البابليّين والمصريين القدماء كانوا على جانب كبير من العلم العملي والنظري في الحساب والفلك . ثمّ إذا نظرنا إلى التحنيط وإلى عدد من الصناعات كالنسيج والصباغ والصياغة وصنع السيوف رأينا فيها براعة في الكيمياء والفيزياء عظيمة جدّاً . فلماذا إذن ، ننسب العلم القديم إذا درسناه في نطاق التاريخ المعروف إلى اليونان ولا ننسب منه إلى أمم الشرق القديم سوى نتف متفرّقة .

لقد كان لذلك سببان في الشرقيّين القدماء وسببان في اليونانيّين الغربيين .

كان العلم في الشرق القديم من الدين، وكان الكهّان الذين يستقلّون به يضنّون به على الناس لأنه كان مقدّساً لا يجوز أن يتّصل به عامّة الناس . من أجل ذلك ظلّ نتاج الفكر الإنساني في الشرق القديم سرّاً يتلقّاه الصالحون من الخلف عن سلفهم بالرواية . فلمّا انقرض أولئك الذين كانوا يظنّون في أنفسهم ذلك ذهب نتاج الفكر معهم ونشأ الخلف الجديد في أميّة . بذلك خسر الذين كشفوا عن قواعد العلم والمعرفة حقّهم في نسبة الفضل في ذلك إليهم .

ومع أنّ معظم ما بقي لنا من العلم الشرقي القديم قضايا تدلّ على عبقريّة بالغة ، فانها في الأكثر قضايا عملية مفردة ، لعلّ أصحابها لم يجعلوها عامّة حتى تنطبق على كلّ ما يشابهها من القضايا — ولعلّ أصحابها عرفوا ذلك وفعلوه ولكن لما ضنّوا به وكتموه ثمّ ضاع ظننا نحن انهم لم يفعلوا ذلك — .

من أجل ذلك نستطيع أن نقول ، مثلاً ، إن المصريين بلغوا ذروة البراعة في الهندسة والحِيَل (الميكانيك) — ممّا يدل عليه بناء الأهرام ، ولكنّا لا نستطيع أن نقول إنهم وضعوا علم الهندسة أو دوّنوا علم الهندسة .

أما اليونانيون فتناولوا علماً كثيراً من الشرق — لا شكّ في ذلك — ثمّ أضافوا إلى ما تناولوه من الشرق أشياءَ من عندهم ، مما لا شكّ فيه أيضاً ، ولكنهم زادوا على الشرقيين في أمرين :

١ — لقد جمعوا ما ابتكروه إلى ما كانوا قد تناولوه من الشرق ثمّ نظّموا ذلك كله — في وقت متأخر طبعاً — واستخرجوا منه علوماً محدودة بقواعد . ومع العلم بأن كثيراً من حقائق الهندسة لم يكن يونانياً ، بل كان شرقياً من قبل اليونان بألوف السنين ، فاننا نسمي الهندسة علماً يونانياً (مع أن الذي دوّن الهندسة نفسَه شرقي من الاسكندرية في مصر . وسأرجع إلى أقليدس مدوّن الهندسة مرّة أخرى حين أتكلم على الصلة بين اللغة وبين العبقرية) . فقضايا الهندسة إذن لم تكن كلها من عمل اليونان ، ولكن علم الهندسة علم يونانيّ .

الهندسة علم يونانيّ بعامل التنظيم والتدوين لا بعامل المادّة التي جمع منها .

إنّ العلم - في هذا الشأن - لم يكن المادّة التي جُمِعَت ، بل كان التنظيم الذي خلق من هذه المادّة مجموعاً .

٢ — إن علماء اليونان بذلوا العلم للناس من جميع الأجناس والطبقات ، فلما ذهبوا هم لم يذهب علمهم معهم ، بل بقي في غيرهم ، ولكن ظلّ يحمل اسمهم .

* * *

وهنا أعود إلى صلة اللغة بالعبقرية ونسبة العبقرية إلى اللغة أو إلى القومية .

نحن لا نعلم أن اقليدس صاحب الهندسة كان شرقياً من الاسكندرية وأن أفلوطين صاحب المذهب الاسكندراني على المشهور كان من أسيوط في صعيد مصر ، وأن نيقوماخس صاحب الحساب كان من عنجر في بقاع العزيز من بلاد سورية (الجمهورية اللبنانية اليوم) ، وانّ فرفوريوس صاحب المدخل إلى علم المنطق كان من صور الواقعة على الشاطىء الشرقي من البحر الأبيض المتوسّط ، إلا إذا اطلعنا على ذلك في كتب التاريخ . ولكنّنا حينما نقرأ نتاج هؤلاء في اللغة اليونانية نقول عادة إنّ هذا النتاج كان يونانياً . حتى إنّنا نقول إنّ المذهب الاسكندراني الذي رأى النور في مدينة الاسكندرية (ومن هنا جاء اسمه) فوُلدَ ونشأ على أيدي ثلاثة من الشرقيين من أهل الاسكندرية هم فيلون اليهودي وأمّونيوس سكّاس (أمون الحمّال) وأفلوطين هو مذهب يونانيّ ، مع أن الغاية الأساسية من نشأة هذا المذهب (الدفاع عن العقائد الدينية اليهودية والنصرانية) لا صلة لها باليونان . ولكنّ اللغة التي عُرض هذا المذهب فيها كانت يونانية والاتجاه الذي سلكه هذا المذهب في الجدل والتخريج كان يونانياً . وهكذا سمّي هذا المذهب بلغته واتجاهه لا بقومية مُنْشِئيه .

* * *

وفي العصر العبّاسيّ نُقِلَ العلم للعرب عن الأمم السابقة ، نُقل عن الهند والفرس واليونان ، ولا ريب في أن الأساس الذي قام عليه التفكير الفلسفي عند العرب كان العلم الأجنبي الذي أُخِذَ عن العلم في الهند وفارس والصين واليونان . ولا شكّ في أن عدداً من أوجه هذا العلم قد تبدّل على أيدي العرب تبدّلاً أخرجه عمّا كان عند أصحابه بل جعله خلاف ما كان عند أصحابه كالجبر والكيمياء . ثم كان ثمّةَ علومٌ أخذها العرب عن غيرهم فزادوا فيها زيادات كبيرة كالطبّ والفلك . أمّا الهندسة فقد نُقِلَتْ للعرب عن اليونان ولم يزيدوا هم فيها شيئاً ـ ذلك لأن اليونان لم يتركوا في الهندسة إمكانَ زيادةٍ لمستزيد ـ ولا زاد أحدٌ غير العرب في الهندسة الاقليدية شيئاً . ومع ذلك فإنّ مجموع هذا العلم الذي أخذناه عن غيرنا لا يزال يسمّى عندنا وعند مؤرّخي العلم من أبناء الأمم المختلفة **العلم العربي** . وفي هذا العلم أمر واحد ظاهر هو الأعداد . أخذنا نحن الأعداد عن الهنود فسمّيناها الأرقام الهندية . ثمّ أخذها الغرب عنّا نحن فسَمَّوْها الأرقام العربية ، ولو أنهم أخذوها عن الهنود مباشرة ، كما فعلنا نحن ، لسَمَّوْها كما سمّيناها نحن « الأرقام الهندية » .

وعَمِل في العلم والفلسفة اللذين أخذناهما عن غيرنا — أو أخذنا أصولَهما عن غيرنا على الأصح — نفرٌ من المسلمين من أبناء أقوام مختلفة : كان في علمائنا وفلاسفتنا الفارابي التركي والغزّالي الفارسي وابن باجّه الفرنجي . ولكنّ هؤلاء كتبوا باللغة العربية كما فعل الكندي وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون — وهؤلاء الأربعة عرب — فسمّينا نحن هذا النتاج كلّه — كما سمّاه غيرنا أيضاً — العلم العربي ولقد كان بالإمكان أن نسميه العلم الإسلاميّ لأن الغاية الأولى التي اقتبسنا ذلك العلم من أجلها كان الإسلام : أخذنا أصول الرياضيّات والفلك لمعرفة المواقيت وعروض البلدان لضبط

مواعيد الصلوات والصيام ، وأخذنا المنطق وما وراء الطبيعة حتى نستفيد منها أدلةً وبراهين على صحة العقائد الإيمانية . ولكنّنا لو سمّينا هذه العلوم وهذه الفلسفة العلومَ والفلسفةَ الإسلامية لمثّلَ أمامنا اعتراض هو أنّ هذه تسمية قاصرة ، فانّ نفراً كثيرين من المسلمين كتبوا في العلم والفلسفة بلغات غير اللغة العربية ، ونحن لا نعالج في العادة أوجه العلوم والفلسفة التي عالجوها . تلك هي المشكلة التي اعترضت مؤرّخي الفلسفة الأوّلين ثمّ خرجوا من مأزِقها بأن سمّوا النتاج الذي ظهر في اللغة اليونانية **العلم اليونانيّ** ، مع أن نفراً كثيرين من أولئك الذين خلقوا هذا « العلم اليوناني » لم يكونوا يونانيين .

* * *

بين يديّ العددُ السابع من نشرةٍ دوريةٍ (بلا تاريخ) تُسمّى « المجال » (يُصْدرها قسم الصحافة والنشر بوكالة الإعلام الأميركية ، بيروت ؟) فيها مقال اسمه **المستعربون في أميركا** يتكلّم على ثلاثة من هؤلاء هم هاملتون جيبْ الانكليزي وغوستاف فون غرونيباوْمْ اليهودي النمساوي وفيليب حتّي العربي (من لبنان) . إنّ النشرة الأميركية الرسميّة تعدّ هؤلاء الثلاثة مستعربين (يهتمّون بالشؤون العربية) لأنهم يكتبون باللغة الانكليزية ، مع أنّ فيليب حتي عربيّ أصيل ولكن معظم كتب الدكتور حتي باللغة الانكليزية ، فهو إذن مؤلّف انكليزي . وبما أن اللغة التي يتكلّم بها الإنسان ويكتب بها ويجعلها حاملة آرائه تكسب اتجاهاً عقلياً معيّناً مخالفاً لرأي الذين يتكلّمون لغاتٍ غيرَ لغته ، عدّته النشرة الاميركيّة أميركيّاً (وهو أيضاً أميركيّ الجنسية منذ عام ١٩٢٤) ثم جعلته مستعرباً يهتمّ بالأمور العربية ، لا عربياً لأنّ اتجاهه الفكري هو اتجاه اللغة التي يكتب عادة بها .

* * *

بهذا المعنى قيل عن الفلسفة اليونانية **إنها يونانية** لأنّ المفكّرين الذين كتبوا بها خضعت آراؤهم للاتجاه الفكري اليونانيّ ، مع أن عدداً كبيراً منهم لم يكن يونانيّاً .

ومَعَ هذا كلّه فانّ الصلة بين اللغة وبين الثقافة معدودة عند بعض الناس مشكلة : آللغةُ وسيلة للتفاهم فقط ، أم هي حاملة لخصائص ذاتية تجعل المتكلّم بها منتسباً إلى اتجاه فكري دون اتجاه فكري ؟

أنا أرى الرأي الثاني ، ولكنّ هذا لا يمنع من طرح القضية للبحث ؛ لا لأنّ الرأي الأوّل صحيح بل لأنّ جماعات منّا قد ذهبوا إلى ذلك فنحبّ أن نعرف آراءهم مقرونة بالمبادئ وبالأمثلة .

الدكتور عمر فروخ



بعض الكلمات

عن الأدب العربي الحديث

في المغرب الأقصى

لا أزال أتذكر أقوال صديقي المغربي الأستاذ محمد الصادق عفيفي حينما أهدى إليّ كتابه عن الأدب المغربي فقال إن النثر في المغرب لا يزال ينمو في براعمه كما لم تتقدم شخصيته وطابعه بشكل مكتمل — فقد اشار الأستاذ عبد اللطيف السحرتي الناقد المصري العبقري إلى أنّ جبال الأطلسي بالرغم من عديد من الحقائق الطبيعية والأفكار الأساسية والتجارب الناضجة التي تقدم نفسها لمؤلفي المغرب ، إلى جانب شجاعتهم الفائقة لاسترداد حقوقهم الاستقلالية ، بقي معظم الإنتاج للمغاربة في الغموض ، وأكثره ذهب مع الريح ! » وهذا قول قاسٍ لا ينتسب إلا إلى الماضي الغابر ، لأنه يوجد الأمل بأن المغرب الإسلامي سوف يشيد من جديـــد المؤلفين الذين سيتغنّون بأغاني الشابي ، أو يقص ويروي مثل ابن طفيل ، أو ينشر المطور مثل نفح الطيب للمقري وإذا ما كان الأدب النثري في المغرب لا يزال جنيناً مستغرقاً في نومه في رحم الانتعاش الثقافي ، فإنه سوف يندفع قوياً في الغد مثل الصبي الشديد وينمو ويكتمل .

إن الأستاذ صادق العفيفي حاول أن ينمش ويقوي بتحليله النقدي المؤلفين الشباب ، حاثاً إياهم على مباراة أندادهم في مصر ، غير أنه يخشى

بأنهم سوف لا يستطيعون الوصول إلى السمو الذي بلغه طٰـه حسين أو Maupassant ، Chehow ومحمود تيمور لأن الخبرات الشخصية تختلف من عصرٍ إلى عصرٍ وبعض المؤلفين يتوقف عند وصف بعض الأحداث والآخرون يشكلّونها أو يفسرونها ، والبعض الآخر يتأثر بها فقط .

ويقوّي العفيفي تأكيداته عن كيفية الذوق التي تتغير مع الزمن ، مورداً مثالاً : كيف أن عباس العقاد لام يوماً ما أحمد شوقي قائلاً بأنّه ـ أي شوقي ـ رغم ارتجاله يفتقر إلى الانسجام والاقتباس ، ويستعمل تعبيرات سوقية ، غير أنه الآن حوّل بشدّة موقفه عن أمير الشعراء ، ونظر باستصغار لأشعار جيلنا لأنها تفتقر إلى الوزن والقافية ! ومن منّا يمكن أن يعرف ماذا تكون وجهة نظر العقاد عن ذلك بعد ثلاثين عاماً — لو كان حياً ؟

ويجب علينـــا الحذر عند استعراض أدب هو في دور التنقيح والنضوج حتى إن واحداً من الكتاب يتقدم من درجة لدرجة . وبقي البناني وزياده وطويس وصفيين ، بينما نجـد أن الفاسي وبنجلون يعرضون الأفكار الجديدة ، وبعض الشبان من الكتاب يميلون إلى استجابةٍ ، للقصص الملهمة والرمزية ، وإلى نقد الحياة الاجتماعية ـ ويظهر بذلك أن ثمار المحصول الأدبي متنوع ـ وهو غنيٌ بانتعاشه وهو تراث الإبداع العربي التقليدي يعني المعتبر وانعكاساً للكتابة الشرقية العربية الحديثة ، وأنفاس من الغرب الأوروبي أيضاً وهذه طلعة لا تقلّ ولا تزيد عما هو معروف في نواحي البحر المتوسّط ـ وقد روّى كتاب المغرب تعطشهم للإلهام ، خصوصاً من مصر وفرنسا ، وقد حمّسهم وادي النيل بثقافته المتصاعدة بالعروبة ـ أما فرنسا فانها خلال

احتلالها العسكري والمدني لقنتهم بروح النبوغ ـ فمن التأثير المصري برز العقاد والزيات وطه حسين وتوفيق الحكيم،بينما كانت روائع فرنسا القديمة Corneille, Racine, Molière, Lafontaine وأخيراً Dumas, Hugo, Balzac, Moupassant, Flaubez. كانوا أعمـــدة الإلهام منذ بدء التعليم الثانوي فصاعداً . بينما ترسّل العهد الجديد إلى الأمام بأفكاره المجنّحة ، والتي فتحت أعين الكتّـاب المغاربة على روائع المؤلفين الروسيين أمثـــال Chehow, Gogol, Tolstoy, Dostoyewesky, Gorkiy وعبرَ المحيط الأطلسي Shakespeare, Dickens, Carlyle وآخرين غيرهم . وقد برز موكب من الكتّاب والمفكرين الذين لم يكتمل بعد كيانهم ، ويفتقرون إلى اختبار ناقدٍ غربي لكن لانستطيع أن ننسى أن أسلاف هؤلاء المؤلفين لم يفهموا كلمةً من العربية قط ، وكانت هذه الحال نتيجة إهمال سياسة الأجانب أثناء الاحتلال الفرنسي ، وإلى جانب التأثير الآنف الذكر نجد مسّة رقيقة من الأدب الاسباني الحديث قد هبّت على سواحل المغرب .

وكنتيجة لجميع الروايات التي جمعها العفيفي من أصولها المختلفة فانها تختلف باتساع عن نظرتها العامة ، غير أن اعتباراً واحداً لا يزال يربطها ، وهذا هو محاولة خلق عملٍ فنيٍ بالرغم من جميع الصعوبات اليومية للمادية الواقعية والإدارية فيما يختص بالإدارة ، فالمغرب قاسى كثيراً من الشرور الاجتماعية والاستغلال الاقتصادي ، غير أن على الأدب أن يكسر القيود الاصطناعية ويجب أن يُظهر نفسه في فن ناصع الثوب .

فقد دافع يوسف نجم عن كلمة الشعار ! « الفن للفن » وكذلك استشهد بمحمود تيمور الذي صرح في فن القصص بأن الكاتب يجب أن يشبع جميع استهلالاتِ محيطه الاجتماعية ، غير أنه يجب عليه أن يعبّر عن أفكاره بإخلاص ،

وبكل قدرة مواهبه ، غير مكبّل بالقيود ، وبلا إدغام أو انحراف ـ أو مع صبغة التقاليد .

ويمكن تقسيم قصة النثر المغربي إلى ثلاث مراحل ، وتمتدّ المرحلة الأولى من عام ١٩٠٥ إلى ١٩٢٩ وخلالها ظهرت مؤلفات متعددة غير متكاملة ، وموضوعاتها وطابعها تختلف عن المقامة والقصة والأقصوصة أو التراجم والروايات التمثيلية ـ وقد عضد النوع الأخير وصول فرقة تمثيلية مصرية عام ١٩٢٣ بقيادة الشيخ **سلامة حجازي**[1] وبعده فرقة **فاطمة رشدي** ويمكن أن نعتبر **محمد القاري** أوّل من أعدّ تمثيلية مسرحية من أربعة فصول وهي : اليتيم المهمَل .

وقد أعلنت أعضاء جمعية طلاب المدارس الثانوية في مدينة فاس عن مسابقة لإنتاج قصة اجتماعية أخلاقية للمسرح ـ ومما يستحق الاعتبار ، فانّ الدافع قد تولد في مدرسة القرويين الدينية المحترمة في فاس ـ وكانت نتيجة المسابقة قصة مسرحية في ثلاثة فصول وأربعة مناظر واسمها : « الفضيلة » وكاتبها هو **عبد الله الجراوي** ويمتد مضمون القصة خلال حديث دائر بين صديقين اضطر أحدهما لإيقاف دراسته في مبدأ حياته ، بينما يوجه صديقه السعود الأسئلة إليه فاننا نجده يعدد الظروف التي أعاقته عن دراسته ، ويدور الحوار حول التعليم والتشجيع عليه وعن الظروف الصحية ، وكل ذلك لكي يكون لمساعدة مواطنيه في رفع مستواهم وخلق الحياة الملائمة للتعليم . وقد شرح الكاتب أهدافه بهذه القصة ، ولكن يبرر التأخر الذي سببه الاستعمار الهادف إلى إفقار الشعب وحفظهم في أغلال الجهل . ورغم أن القصة ساذجة فقد نتج عنها إنشاء العمال المدارس الابتدائية في فاس والرباط والدار البيضاء ، والتي كان يدرس فيها اللغة العربية وأسس الدين الإسلامي . فقد كانت

(١) المعروف أن الشيخ سلامة توفي عام ١٩١٧ م . (لجنة المجلة)

معيناً للوجدان الوطني الذي أهملته السلطات الغربية . ولم يجرؤ العمال على إطلاق لقب مدرسة عليها حتى لا يجد الفرنسيون الحجج لإغلاقها .

وعلى كل حال فان تعليم الحساب والجغرافية والتأريخ في هذه المدارس الدينية قد حرمت ودُرّست في السر فقط .

وفي شمالي البلدان إلى تطوان قام **عبد الخالق الطويس** إلى عام ١٩٢٢ بتجربة مماثلة في شكل مسرحي وقصته : « انتصار الحق بالباطل » ذات ثلاثة فصول هي نوع من المواعظ الخلقية والتربوية .

ولم تكن التجربة الثالثة من هذا النوع ، من المسرحيات بل ساعدها ظهور بعض الدوريات مثل مجلة المغرب ، والثقافة المغربية ، والمغرب الجديد ، التي قدّمت القصص الوصفية . وكان الجديد من هذه التجارب أن بعض الكاتبات تعرضن لأهدافها مثل **ملكة الفامي** التي طبعت لها قصة بعنوان : « الضحية » .

وبدأت المرحلة الثانية مع مستهل عام ١٩٣٠ وأبرزت أحد المحاصيل الأدبية المثمرة . وكتب خلال هـذه المرحلة **علال الفامي ومختار السوسي وعبد القادر حسن** القصص الشعرية . وقد استعادت الروح الوطنية حقوقها كاملة ، وأوجدت الاصطلاحات في الفكر واللغة التي نمّت عن بقايا المعرفة الأوربية التي عظّمها البهاء الشرقي . وإن من أكبر ممثلي هذا الاتجاه هو **عبد المجيد بنجلون** وقد قادته وطنيته المتحمسة وطلب العلم في مصر إلى التبصر في انطباعاته حول ضفاف النيل ، وتجربته للغرب التي صوّرها في العدد غير المتناهي من القصص التي سُطرت بسرعة على الورق ، ولكن مع ذلك فإنّ لها الذوق الفني . وقد ترجم عشرات الأقاصيص الغربية من الانجليزية والفرنسية والروسية بقصد توجيه مواطنيه ـ غير أن الحظ حرمه

نهائياً مثل العديد من معاصريه – حرمه من الاستمرار في حماسه الأدبي إذ أن الالتزامات الرسمية والتوظيفات الإدارية قد استنفدت جميع قدراتهم .

وقد ألقت تلك المرحلة الضوء على اتجاهين : اتجـاه يقوده **بنجلون وعبد الرحمن الفامي** وعبد **الكريم ثابت** وآخرون ، الذين اعتبروا بأن واجبات الكاتب في خلق الأقصوصة هي لأجل الفن . وقد تطورت موضوعات قصص هذه المدرسة في فترة زمنية قصيرة وحافظت على الوحدة الزمنيـة والمكانية مصوّرة جوها الذي عزم الكاتب على نقله للقارئ مع زرع الخوف أو المرح والبسمة والأمل أو الحسرة في نفسه . فالقصّاص الحقيقي في رأيهم هو ذلك الشخص الذي يدمجك في جو القصّة كما لو أنك تعيش وتتنفس مع أبطالها . وإن أسلوب هذه القصص يكشف عن الإلهام بها وتشرب مؤلفيها للبيئة النفسية ، الواقعية ، وفي بعض الأحيان الرمزية . وإن الخبرات الذهنية هي عماد منظرهم العام ، وترفع وجهة النظر هذه من قيمة اللون الفني لأعمالهم الأدبية . ويؤكد **عبد اللطيف السحروني** في كتابه أهمية الأصول النفسانية لكتابة القصة ، التي استمر في قوله ، بأنها غير موجودة في معظم القصص العربية الحديثة .

أما الاتجاه الآخر لكتّاب النثر المغاربة فهو القصص التمثيلي الوصفي . وإن ممثليها البرزين هم **أحمد بناني وعبد الله إبراهيم وعبد الله طويس وأحمد زيادة** وآخرون . وطابع هذه المدرسة هو قصة مماثلة للصورة ، التي تؤثر على كل من الكاتب والقارئ . وقد فتح كتّاب هذا النوع من القصص عيون الجماهير على الخراب والاستعمار في المغرب وعلى وجه الخصوص لفت انتباههم إليه ، وهم قد فضّلوا موضوعات الظروف الاجتماعية . ولو انتظرنا أن وضعهم تجاه الحكم الأجنبي كان من النوع الإبداعي والرمزي كنا خاطئين

في الرجاء ، لأن الواقع هو أن كُتّاب هذه المدرسة قد بدأوا اتجاهاً واقعياً جريئاً قد يكون تقريباً قريباً من قص الحكايات أو الأخبار .

إن الكاتب الموهوب **أحمد بنّاني** وُظف في البلاط الملكي ومع الأسف هجر دراسته التاريخية وكتابة القصص ، لكنه قد قدّم لنا في إحدى قصصه المنونة بـ « صاحبنا » شخصية تكاد تكون مألوفةً في كثير من البلدان رغم أنها غير شعبية ، فإنها ناجحة جداً ، لأنه ظل لرؤسائه في العمل ، فإن جميع المصادفات يمكنها أن تستمر عبر مجراه الخاص ، وحتى الشؤون الخاصة لرئيسه وأمور تدبير منزله فإنها تعتمد على إدارة صديقنا الطيبة . إن أسلوب **البناني** يذكرنا بسهولة وبحرية **بديع الزمان الهمذاني** بينما تتشابه أبطاله مع أمثالها عند Dostoyewsky . وقد صور **البناني** بطله كأحد فقرات المجتمع المغربي المحافظ جداً ، بينما الأمر والحل في أيدي الأجانب الذين يكافح ضدهم بكل قواه .

وإن أبطال **عبد الله إبراهيم** مأخوذه من التاريخ ومن وقائع الحياة اليومية في البلاد . وقد استعمل المؤلف المحيط التاريخي للتهرب من انتباه الرقابة . ويبدو على أسلوبه الطابع الفلسفي الواقعي ويذكر فيه أشخاصاً وهميين .

أما صور **طويس** فإنها تشبه السيّر إذا قيست مع إنتـــاج **البناني** أو **عبد الله إبراهيم** .

ومنذ عام ١٩٥٦ م فقد بزغ الاستقلال في المغرب ودخلت كتابة القصص في مرحلة جديدة . وللأسف ، فان الحصيلة الكبيرة للقصص لم تضمن بعد الإتمام الفني ، ورغم أن هذا يجب أن يسيطر على الانفعال الناجم عن الفكر ، ومع ذلك تبرز نخبة مختارة من الكتاب المغربيين أمثـال **الحبابي والريسوني والسميحي والبنّالي وبراده وبو علو ولمتوني والعرايشي**

والهواري والخطابي وعبد الله جلال . وعلى كل حال فإننا يجب أن نشير إلى نوع من الخوف من النقد عند الشبان المؤلفين . لذلك نجدهم يخشون حتى عرض إنتاجهم على الأصدقاء .

محمد صادق العفيفي في كتابه : القصة المغربية الحديثة خصّص عدداً كبيراً من القصص وعلّق عليها مشيراً إلى مزايا الأدباء ويقدم لنا تاريخ المغرب وحياته الاجتماعية وتقلب الحياة اليومية في موضوعات لا حصر لها للتعبير الأدبي ، وإن الكتاب المغربيين سوف يجدون الطريق الذي يقودهم نحو أهداف مشابهة مع التي تحكم في بلاد الناطقين بالضاد الأخرى ويكونون مشيرين للفجر الجديد في الأدب العربي الحديث (١) .

المستشرق

(بودابست) الدكتور عبد الكريم جرمانوس



لمحة عن التاريخ الليبي

منذ أقدم العصور الإسلامية تأسست في القطر الليبي مدارس كثيرة لبث العلوم الدينية واللغوية والأدبية في ذلك البلد العربي الصميم ، ولقد قام بانشاء تلك المدارس رجال من حكامه الأسبقين ومن لفيف من أعيانه وسراته ، ولا تزال تلك المدارس قائمة إلى الآن في تلك الربوع ، وكل من يتصفح مراجع التاريخ الليبي يجد فيه تراجم أعلام من العلماء ، من الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم وبث الثقافة الإسلامية في تلك المعاهد ، وهذه لمحة تاريخية تتعلق بذكر ما تركه رجال النهضة العلمية والأدبية من تراث علمي وأدبي ولغوي في ليبيا ، وذلك من أواسط القرون الإسلامية إلى اليوم ، ولا يخفى على المطلعين على التاريخ ، أن ليبيا انتابتها كوارث ومحن وحروب طاحنة ذهبت بالطارف والتالد مما خطه علماؤها من مؤلفات في شتى العلوم ، وما نظمه شعراؤها من شعر رائق يمتزج بالنفوس رقة ، ولكن الحمد لله الذي أزال ذلك الكابوس الاستعماري عن ليبيا ، وأصبحت قائمة على قدميها تجاري الأمم الراقية ، وتبحث عما تركه أسلافنا من تراث علمي ، إن النهضة العلمية اليوم في ليبيا أصبحت في تقدم مستمر ، فقد أنشأت فيهـــا كثيراً من المدارس الابتدائية والثانوية في جميع أرجاء المملكة ، كما أنشأت فيها جامعة عصرية تحتوي على كليات الحقوق والآداب والعلوم والهندسة والتجارة والمعلمين والزراعة ، وان عدد الطلاب والطالبـات في تلك المدارس والجامعة حوالي ٥٠٠ ألف طالب وطالبة ، وهذه النهضة قامت بعد استقلال ليبيا أي منذ ستة عشر

عاماً فقط ، وفضلاً عن ذلك فان البعثات الجامعية تُرسل كل عام إلى الجامعات في القاهرة وبيروت ولندن وباريس وبروكسل وأنقرة وغيرها ، وبذلك أصبح الوعي العلمي منتشراً بين طبقات الشعب الليبي ، الذي كان محروماً من جميع وسائل العلم والتعلم إبان الحكم الإيطالي الغاشم ، وآثار العلماء والأدباء والشعراء الليبيين كانت مغمورة في زوايا الإهمال بسبب الكبت الفاشستي ومن قبله أيام حكم الأتراك الذي كان لا يقيم وزناً لعلماء العرب وآثارهم ، كل هذه الأسباب كادت تقضي على تراثنا الذي خلفه أسلافنا رحمهم الله ، وفي هذه اللمحة أقدم عرضاً موجزاً عن رجال العلم والأدب والتاريخ في ليبيا من المتقدمين والمتأخرين أيضاً ، وعلى سبيل الانموذج أذكر لفيفاً منهم :

علماء اللغة

١ — من علماء اللغة أبو اسحق ابراهيم بن الأجدابي من أعلام القرن السادس ، اشتهر بعلم اللغة وله كتاب قيم أسماه كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ وهو مطبوع في بيروت منذ ثمانين سنة ، وقد مدح هذا الكتاب بعض الأدباء المتأخرين بهذين البيتين :

من كان يطلب في الغريب وسيلة ... من شاعر أو كاتب متلفظ
أو كان يبغي في الكلام بلاغة ... فليحفظنْ كفاية المتحفظ

ومن مؤلفاته أيضاً كتاب الأزمنة والأنواء وهو مفيد جداً في فنه ، وقد طبع حديثاً في دمشق .

٢ — ومن كبار علماء اللغة الذين أحرزوا قصبات السبق في هذا الميدان ، العلامة جمال الدين محمد ابن منظور صاحب لسان العرب أحد أعلام القرن الثامن ، وهو أشهر من أن يُعرَّف ، حيث إن تأليفه المذكور جمع فيه ما لم يجمعه غيره من مشاهير اللغويين في معاجمهم ، وهو يحتوي على ثمانين

ألف مادة من كلام العرب حسبما قرره العلماء في هذا الصدد ، وفضلاً عن ذلك فهو كتاب تفسير وشرح لغريب الحديث ، وفيه بحوث مستفيضة في علوم النحو والصرف والاشتقاق واللغة ، كما أنه يشتمل على مجموعة كبيرة من أمثال العرب وغير ذلك من الفوائد ، وابن منظور ليبي صميم حيث رفع نسبه في مادة ج ر ب من اللسان إلى الصحابي الجليل رويفع بن ثابت الأنصاري دفين مدينة البيضاء بليبيا ، وفضلاً عن ذلك فالمؤلف نفسه تولى قضاء طرابلس ، ولابن منظور مؤلفات أخرى ، منها مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ومختصر الأغاني ، ونثار الأزهار في الليل والنهار وهو صغير ومطبوع قديماً في مطبعة الجوائب بمدينة « فروق » اسطنبول .

العلماء والفقهاء

من علماء الشريعة العلامة أبو الحسن النمر من رجال القرن الخامس صاحب التأليف المسمى بالكافي في الفرائض ، وقد أثنى عليه ابن خلدون في المقدمة ثناءً عطراً ، ومن الفقهاء الكبار أيضاً عمر بن عبد العزيز الطرابلسي من رجال القرن السادس ، ذكره ياقوت في معجم البلدان ، وهو القائل في كتب الغزالي :

هذب المذهب حبر أحسن الله خلاصه
ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصة

ومن الفقهاء المتضلعين في المذهب المالكي أبو عبد الله محمد الحطاب من أعلام القرن العاشر صاحب مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الضياء خليل ، وهو شرح مستوفى في ستة مجلدات ضخمة طبع على نفقة سلطان المغرب الأسبق المرحوم عبد الحفيظ ، ومنهم العلامة أحمد زروق صاحب المؤلفات

المدينة ومن ضمنها شروحه على حكم ابن عطاء الله التي بلغت سبعة وعشرين شرحاً حسبما ذكره في نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ومن كبار علماء الشريعة على مذهب أبي حنيفة النعمان العلامة محمد كامل بن مصطفى مفتي طرابلس الأسبق ، ومن مؤلفـــاته الفتاوي الكاملية في الحوادث الطرابلسية ، وهي مطبوعة ومتداولة بين العلماء ، وله حاشية على تفسير البيضاوي لا تزال مخطوطة في مكتبة الأوقاف بطرابلس ، ومن علماء الشريعة أيضاً العلامة عبد الرحمن البوصيري قاضي طرابلس الأسبق ، وله عدة مؤلفات منها المحاكمة بين ابن حجر والعيني وحاشية على الجوهر المكنون .

المؤرخون

من المؤرخين القدماء أبو الحسن علي بن مخلوف الطرابلسي كان له اهتمام بالتواريخ وصنف تاريخاً لطرابلس ، وكان فاضلاً في فنون شتى ، أخذ عنه السلفي وهو من أعلام القرن السادس ، ذكره ياقوت في معجم البلدان عندما تكلم على طرابلس ، ومنهم ابن غلبون المؤرخ وهو صاحب التاريخ المسمى بالتذكار في من ملك طرابلس ومَن كان بها من الأخيار ، والمؤلف من علماء القرن الثاني عشر ، ومنهم أحمد بك النائب الأنصاري صاحب التاريخ المسمى بالمنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب في جزأين ، وهو مطبوع ومتداول بين طلاب التاريخ والأدب في ليبيا ، ومن المعاصرين الذين ألفوا في التاريخ الليبي محمد بن مسعود خريج دار العلوم بالقاهرة ، ألف تاريخ ليبيا العام في جزأين ، وله غير ذلك في التاريخ والجغرافيـا والاجتماع ، ومنهم أيضاً مصطفى بعيو خريج كلية الآداب بالقاهرة ، فانه ألف المجمل في تاريخ ليبيا ، ومن الليبيين الذين تخرجوا من الأزهر وألفوا في التاريخ الليبي طاهر الزاوي فانه ألف : أبطال الجهاد ، وأعلام ليبيا ، وليبيا بعد الفتح العربي .

الصحافة الليبية

إن أول جريدة صدرت في طرابلس كانت بتاريخ ١٨٦٦ ، وكان اسمها طرابلس الغرب ، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية ، وهي الجريدة الوحيدة في ذلك الوقت ، ولقد استمرت على الصدور أسبوعياً إلى أن احتلت إيطاليا البلاد الليبية في سنة ١٩١١ ، وهي نظيرة أمثالها من الجرائد الرسمية التي كانت تصدر حينئذ في بلاد الامبراطورية العثمانية ، وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين صدرت صحف متعددة في طرابلس قام باصدارها صفوة من رجال العلم والأدب والسياسة ، نذكر منها : مجلة الفنون وهي نصف شهرية ، جريدة الترقي ، العصر الجديد ، الكشاف ، تعميم حريت « وهي جريدة أسبوعية كان يصدرها المحامي محمد قدري باللغة التركية » ثم المرصاد ، اللواء الطرابلسي وهي لسان حال حزب الإصلاح الوطني ، الرقيب ، الوطن ، البلاغ ، بريد طرابلس ، الوقت ، الذكرى ، الإصلاح ، العدل ، بريد برقة ، ليبيا المصورة وهي مجلة شهرية ، ثم في عهد الاستقلال صدرت عدة صحف ومجلات ، منها طرابلس الغرب وهي يومية وبرقة الجديدة ، والرائد يومية أيضاً ، والطليعة ، والحرية ، والميدان ، هذا ولا يخفى على المطلع على ما تنشره تلك الصحف الليبية في العهود السالفة وفي عصر الاستقلال أيضاً ، ان أكثرها يتمشى وسياسة الحكومة شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وأن القليل منها جداً يقوم بنشر مقالات وطنية تهدف لخدمة الوطن والصالح العام ، وينتقد في دائرة ضيقة اجراءات الحكومة التعسفية ، ولقد أصدرت الكتلة الوطنية بطرابلس زمن الإدارة البريطانية جريدة باسم صوت الأحرار ، ولكن تلك الإدارة ومن جرى على غرارها قضي عليها في مهدها بدون مبرر قانوني .

الشعراء في ليبيا

في هذا البلد العربي الصميم كثير من الشعراء الذين نبغوا في القرن العشرين ، وأكثر هؤلاء الشعراء ترسموا خطى المولدين من الشعراء كأبي الطيب المتنبي والبحتري وأبي تمام وأضرابهم من فحول الشعر والأدب ، والقليل من شعراء ليبيا من يسير على غرار الشعر المصري الذي لا يتقيد بأوزان الخليل والقافية ، وهؤلاء الشبان الذين ينادون بتحرير الشعر من الأوزان والقافية هم قلة لايؤبه لهـا ، وكل من له أدنى ذوق أدبي عندما يقرأ ما ينشره هؤلاء الذين يدعون تجديد الشعر العربي من قيود العروض والقوافي ، يتبين له بوضوح تام أن شعرهم ليس بعربي ، ولا يمت للشعر العربي بصلة ما ، وقائل هذا الشعر المختل الأوزان والقوافي والمعاني أيضاً ، هو رابع الشعراء الذي قيل فيه « وشاعر من حقه أن تصفعه » إن بث هذه السخافات الشعرية بين الناشئة وطلاب الأدب العربي مما يفسد ملكات الناشئين الذين يتتبعون ما ينشر على المجلات والصحف اليومية في الشرق العربي كله ، وأرجو أن يقوم أنصار الأدب وحماة لغة العرب ، بحملة أدبية تردع أولئك الشبان عن غيهم فيما ينشرونه الفينة بعد الفينة من الشعر المسمى عندهم بالشعر الجديد ، وبذلك تتقوم ملكات رواد الأدب ، وتنشأ الناشئة العربية على أسس قوية من اللغة وأساليب فصحاء العرب ، والشعراء الليبيون أكثرهم يترسم خطى شعراء الصدر الأول في الإسلام ، ومن هؤلاء أحمد الشارف وأحمد رفيق المهدوي رحمهما الله وأحمد الفقيه حسن أطال الله في عمره ، ودواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة مطبوعة ومتداولة بين رجال الأدب العربي ، وهؤلاء الثلاثة هم البارزون من شعراء ليبيا ، وإلى القراء الكرام مقتطفات

من شعر المرحوم أحمد الشارف الذي كان رئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية بطرابلس ، وهذه إحدى قصائده قالها في حرب الكماليين مع اليونان بعنوان :

«حياة على الضيم بئس الحياة»

لقد آن للعزم أن يصدقا وحملته اليوم لن تكذبا
وأسيافنا أخذت موثقـــا بأن يبلغ السيل منها الزبى

* * *

رعى الله جيشاً غدا قائماً بدق الطبول وخفق البنود
فجرد من عزمه صارماً ليعرف مركزه في الوجود
سيبقى الزمان له خادمـــاً كما كان يخدم تلك الجدود

* * *

قد اخترقت خيله مأزقاً حذاراً على المجد أن يذهبا
وحتم على السيف أن يسبقا إذا لم يجد في الملا مطلبا

* * *

ولا يعجب القوم من عنصر غدت منه نار الوغى تستعر
كذا المجد يقضي على معشر حياتهمُ آذنت بالخطر
جزاءً لما كان في « سيفر » وما جاء في ذلك المؤتمر

* * *

بحيث اليراع غدا مطلقاً فيكتب ما شاء أن يكتبا
ولسنا على الضيم نرضى البقا ولا ننصر الدين والمذهبـا

* * *

ولما تعذر فصل القضا وزاد اللجاج وطال الخصام
أتى السيف بالرغم لا بالرضا لحسم القضية بين الأنام
فإن الحسام إذا ما مضى يُنزه عن شبهة الاتهام

* * *

فلا غرو إن جد يوم اللقا وسالت نفوس بحد الظبا
فما الشرق أوجب أن تهرقا ولكنما الغرب قد أوجبا

* * *

حياة على الضيم بئس الحياة ونعم الممات إذا لم نفز
لقد قام فينا «كمال» الصفات بأوفر حظ وأكمل عز
فتى أدرك الأمر قبل الفوات ومهما بدت فرصة ينتهز

* * *

حريص على الشرف المنتقى بإدراك ما كان مستصعبا
وقد أوشك الضيم أن يحدقا ولكن أباه بكل الإبا

هذه القصيدة طويلة اخترنا منها هذه الأبيات كأنموذج لشعره في الحماس والوطنيات ، وقد طرق الشارف أبواب الشعر ، فنظم في الفخر والمديح والرثاء والغزل وفي غير ذلك ، فمن قصائده في الرثاء هذه القصيدة التي رثى بها ملك العراق الأسبق المرحوم فيصل بن الحسين ، وهي :

سهاد على أجفاننا قد تحكما وحزن بأعماق القلوب تجسما
وأعظم خطب في الورى فقد سيد أقام له الشعب العراقي مأتما
يشق على سمعي مقالة نعيه وأكره أن ألقى بها متكلما
فلو مدت الأمداد من نحوه يداً على أمة الإسلام كان المقدما
ولم تبك أقطار العروبة وحدها عليه ولكن كل من كان مسلما

إمام سـري أريحي سميذع بصير إذا ما دبر الأمر أحكما
ولا عجب أن قام بالأمر وحده على جده جبريل صلى وسلما
مكارم في دار السلام تأيمت وبجد لأبناء الرسول تيتما
ومدت سراة القوم أعظم حادث ولكنه في فيصل كان أعظما
هو الدهر لا تغررك منه ابتسامة إذا غضب الضرغام يوماً تبسما

★ ★ ★

ومن الشعراء المجيدين في ليبيا أحمد رفيق المهدوي أحد هؤلاء الشعراء الثلاثة المذكورين آنفاً ، وهو شاعر مطبوع يجيد في كل باب من أبواب الشعر ، فمن قصائده في رثاء المركيز ماركوني هذه القصيدة وهي بعنوان :

« نظيرك نادر في الكائنات »

نظيرك نادر في الكائنات « لحق أنت إحدى المعجزات »
رسول الفن أنت ظهرت تهدي بآي الكهرباء البينات
نقلت الصوت فهو بغير سالك يحلق في قوى متموجات
وأرسلت الصدى في البرق يسري أميناً حافظاً للمرسلات
طوى الآفاق بين فم وإذن فزال بذاك تحريف الرواة
وأصبحت الإذاعة من مكان تعم بسرعة كل الجهات
فأغنت في الدعاية عن كثير من الصحف المديدة والدعاة
وتلك يد لنشر العلم جاءت بمعجزة تفوق المعجزات

* * *

أمر كوني رثيتك لاحترامي وحبي للمباقرة الدهــاة
وأنت أجلهم عندي لأني رأيتك فوق هاتيك الصفات
نفعت النـاس أجمع باختراع خلا من كل أنواع الأذاة
فكم لك من يد كانت شفاءً لآلام البرية في الحيــاة
وكم أشفت على عطب سفين دعتك فكنت أسباب النجاة
ولم تك مثل من يسعى ليأتي بمـا يقضي على باقي الحيـاة
يفكر في اختراع الموت قتلاً بغـاز خانق ومفرقعـات
ولكن كنت تسعى لاكتشاف يخفف شــر تلك المهلكات
فليتك طال عمرك كي ترينا غرائب ما يزلن مكتمات

* * *

علوم العصر ان بسقت وأثت فأنت لهـــا بمنزلة النواة
كشفت بفضل نور العلم سراً سيكفل حل عقم المشكلات
فهذي رؤية الصور استطعنا على بعد نراهـــا واضحات
رأينـا من تكلم من بعيد كما يبدو على سطح المراة
وسوف نرى بفضلك عن قريب طريقاً لاكتشاف النيرات
مسائل لا يزال العلم يسعى ليجعلهـــا لرأيك طائعات
وكان يعد رأيك مستحيلاً فأصبح في عداد الممكنات
وصار الفخر في كل اختراع يعود إليك في ماضٍ وآت
فما لسوى علاك يقـال حقاً «علو في الحياة وفي الممات»

ونكتفي بهذه القصيدة للدلالة على مكانة الشاعر الذي أجاد في رثائه للمركيز ماركوني العالم الإيطالي الشهير الذي يعد بحق أستاذاً للمخترعين المعاصرين ، ونختم هذه اللمحة التاريخية ببعض ما جادت به قريحة السيد أحمد الفقيه حسن رئيس مجلس الأوقاف بطرابلس ، وهو من الشعراء الذين فازوا بقصبات السبق في مضمار الشعر والشعراء ، وديوانه ضخم وقد طبع حديثاً ، وهذه إحدى قصائده وهي بعنوان :

« ليبيا المستقلة »

عزم أهاب بليبيا متقدما ودعا إلى استقلالها وتكلما
وطن يؤيد حقه أبناؤه وطن إلى صُيَّابة العرب انتمى
ضحى بأبطال وبرهن أنهم كانوا له يوماً حماة للحمى
فالفخر ما ضحى به أبناؤه والمجد ما كتبت صحيفته الدما
هبوا إلى استقلاله بين الورى ولنيله طرقوا السبيل الأقدما
عقدوا الخناصر للجهاد وقد رأوا أن يستقل وأن يصان ويكرما
قوم أبت أخلاقهم أن يخضعوا للغاصب العاتي وأن يتحكما
طبعوا على كرم فكان جهادهم للنصر والمجد المؤثل سلما
وطن يقدسه بنوه وما رأوا من صالح يوماً بأن يتقسما
جمعت طرابلساً وبرقة وحدةٌ تبقى على طول المدى لن تفصما
هذي لتلك يد وتلك لهذه سند إذا ما الخطب أصبح مضرما
هي وحدة الوطن الذي أضحى بها عما يحاول في الحياة مترجما
نادي بها أبناؤه فتوحدت كل الجهود لكي يعيش مكرما

فاليوم تظفر ليبيا إذ أبرمت   للقصد الأسمى اتحاداً محكما
رفعت عقيرتها لنيل حقوقها   بين الشعوب وقد أبت أن تهضما
فالشرق أجمع لا يزال مؤيداً   لرجالها ولسعيهم مترسما
لا غرو إن نجحت قضية ليبيا   فالشرق فاه بحقها مترنما
والحق ما استندت دعائمه على   حجج مؤيدة فكان مدعما

هذه إحدى قصائد أحمد الفقيه حسن في الميدان السياسي ، وقد طرق موضوعات كثيرة في شعره ، ولولا خوف الإطالة لذكرت من قصائده ومن قصائد الشاعرين أحمد الشارف وأحمد رفيق ما يبرهن على أن هؤلاء الثلاثة هم في طليعة شعراء العرب في هذا العصر ، وما ذكرته من شعرهم يؤيد ما قلته فيهم ، والخلاصة إن النهضة العلمية والأدبية سائرة قدماً إلى الأمام في ليبيا ، وذلك بسبب الموارد الطبيعية في البلاد ، ورغبة الشعب في طلب العلم في جميع مراحله .

(طرابلس)   علي الفقيه حسن



المتحف الوطني بدمشق

(نواة المديرية العامة للآثار والمتاحف)

في عيده الحُسيني

لمحة تاريخية عن مولد المتحف ونموّه :

إن بلادنا الحبيبة بموقعها الهام المتوسط في العالم القديم ، وبشعبها الذكي الطموح الفعال ، لعبت دوراً كبيراً في إنشاء الحضارة الإنسانية وازدهارها على مرّ العصور . وإن تربتنا الطيبة خبأت لنا آثار الماضي ، وحفظت لنا الشواهد الصادقة على إسهام الإنسان العربي في خدمة الإنسانية .

في عصر الجمود والانحطاط في العهد العثماني تفشى الجهل وساد التواكل والكسل وعدم المبالاة . في ذلك الوقت بالذات كان الغرب قد تفتّح ، وأخذ يبحث عن أصول الحضارات ، فأخذ يغشى بلادنا باحثاً ومنقباً ، ولما كانت السلطات غافلة ، وهي تجهل أصلاً قيمة التراث الحضاري ، فإن آثارنا المكتشفة عفواً وقصداً أخذت طريقها إلى الغرب ، وراجت تجارة الآثار رواجاً عظيماً ، وذهب جزء كبير من تراثنا في هذا السبيل .

تنبهت الدولة العثمانية في آخر القرن التاسع عشر ، فأسست متحف استانبول حفظت فيه أيضاً بعض الآثار المكتشفة في بلادنا . ولما أراد السلطان عبد الحميد الثاني أن يكرم الامبراطور الألماني ولهلم الثاني ، سأله هذا أن يهديه المخطوطات

السريانية المودعة في قبة الخزنة من جامع بني أميه ، فقدمها إليه دون أن يعلم قيمة هذه الهدية .

ظهر في دمشق في آخر القرن التاسع عشر بوادر من اليقظة والتفتح من الطبقة المثقفة النابهة كان على رأسها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، كان من آثارها أن أنشئت المكتبة الظاهرية ، وجمعت فيها المخطوطات القديمة .

جمع القنصل الألماني مجموعات أثرية هامة طوال مقامه في دمشق في أول هذا القرن العشرين ، ولما انسحب الألمان من بلاد الشام بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى وضعت مديرية المعارف آنذاك يدها على هذه المخلفات وخزنتها .

كانت أول بادرة تدل على وعي الشعب العربي في بلاد الشام في فجر الاستقلال سنة ١٩١٩ أن سارعت الطبقة المثقفة النابهة إلى تأسيس المجمع العلمي العربي ومتحف دمشق . وأقرت المؤسستان في بناء المدرسة العادلية الكائنة في باب البريد .

كانت المجموعات الأثرية المخزونة في مستودع مديرية المعارف هي النواة الأولى في المتحف ، ثم أخذت تنمو شيئاً فشيئاً بضم اللقى والمكتشفات الطارئة ، والاكتشافات التي تمّت عن طريق التنقيب العلمي ، واقتناء القطع الهامة من السوق الأثرية ... هذا وقد قدّم بعض المواطنين أيضاً التحف التي كانوا يملكونها ...

صُنّفت الآثار في المتحف القديم تبعاً للموضوع والمادة(١) ، وكان من بين المعروضات بعض التحف الفولوكلورية كالمحمل وشمائر الطرق الدينية ، كما كان بينها بعض الطُرَف الحديثة . هذه التحف والطُرَف أصبحت فيما

---

(١) راجع دليل مختصر للأستاذ الأمير جعفر الحسني ـ دمشق ١٩٣٠ .

بعد نواة لمتحف التقاليـــد الشعبية الذي أقرّ في قصر العظم بدمشق ، وافتتح سنة ١٩٥٤ .

أخذت المجموعات تتكاثر حتى ضاق بنـاء المدرسة العادلية عن استيعاب هذه المجموعات ؛ ففكرت الدولة السورية في بناء متحف جديد يليق بحفظ التراث القومي ، فاختيرت الأرض المجاورة للجامعة وتكية السلطان سليمان ، وكانت أرضاً واطئة مرزغية مزروعـة بأشجار الكينا (الأوكاليتوس) . استصلحت الأرض ، وعهد إلى المهندس السيد ايكوشار وضع تصميم لمتحف دمشق يكون قابلاً لتنفيذه على مراحل .

انتهى بناء القسم الأول سنة ١٩٣٦ في أثناء تسلّم الوطنيين الحكم . وكان هذا القسم مؤلفاً من ردهة بعد المدخل ورواقين وأربع قاعات في الطبقة الأرضية ، وردهة وثلاث قاعات في الطبقة العلوية ؛ أعيد في قسم من القبو إنشاء مدفن للأسرة التدمرية (يرحاي) ، كما أعيد في الجهة الشرقية للمتحف إنشاء كنيس (١) دورا أوروبوس ، وكان الجناح الجنوبي مخصصاً لمكاتب الإدارة والعمل الفني .

في ذلك الوقت كان متحف حلب قد تأسس منذ سنة ١٩٢٩ ، فارتأت السلطات الأثرية حينذاك أن يختصّ متحف حلب بالآثار السورية القديمة التي تعود إلى ما قبل الغزو اليوناني ، وأن يختصّ متحف دمشق بالعهود الكلاسيكية (٢)

(١) من الجدير بالذكر أن القطع الفنية التي تؤلف الكنيس وهي حصة سورية كانت قد نقلت إلى الولايات المتحدة الأميركية مقابل تعويض ، إلا أن الأستاذ الأمير جعفر الحسني محافظ متحف دمشق إذ ذاك ، أصرّ على الاحتفاظ بها فأعيدت إلى دمشق ، وأعيد إنشاء الكنيس .

(٢) اليونانية والرومانية والبيزنطية .

والإسلامية . وعلى هذا الأساس حصل تبادل بالقطع الأثرية بين المتحفين ، وشغلت آثار العهود الكلاسيكية متحف دمشق ما خلا قاعتين خصّصتا لآثار الفن العربي الإسلامي ، إحداهما في الطبقة الأرضية والأخرى في الطبقة العلوية .



في سنة ١٩٣٦ جرى التنقيب في قصر الحير الغربي الواقع على بُعد ٨٠ كم إلى جنوبي غربي تدمر برئاسة الأستاذ دانييل شلومبرجه ، فارتأى المسؤولون الأثريون إذ ذاك أن تنقل العناصر الزخرفية إلى متحف دمشق ، ويعاد فيه إنشاء قسم من القصر إلى جوار القسم الأول من بناء المتحف ، فأعيد إنشاء القسم الأوسط من الجهة الشرقية ، وهو يتضمن الواجهة الرئيسية والباب والدهليز وجزء من رواق الباحة والدارين اللاصقتين للدهليز . ما كان من الممكن أن يحافظ على اتجاه القصر كما كان بالأصل ، فأتت الواجهة الرئيسية متجهة إلى الشمال عوضاً عن الشرق .

استمرت أعمال نقل الزخارف وتصنيفها ورسمها وترميمها وجمع أجزائها ووضعها في مكانها من البناء زمناً طويلاً ، ذلك لأن البلاد وقعت منذ سنة ١٩٣٩ في حالة حرب ، ولأن هذه الأعمال تتطلب الدقة والتروّي . وأخيراً تمّ هذا العمل الهام في سنة ١٩٥٠ ودُشّن القصر في السنة نفسها في عهد المدير العام الدكتور سليم عادل عبد الحق . وكانت هذه أول خطوة توسعية للمتحف الوطني بدمشق .



كان الجناح الجنوبي من القسم القديم من المتحف مشغولاً بمكاتب الإدارة والمعمل الفني على نحو ما ذكرنا آنفاً ـ فنقلت المكاتب إلى البناء الإداري الجديد في الجهة الجنوبية الغربية من المتحف ، والمعمل الفني إلى قبو هذا

البناء ، وأعيد تنظيم هذا الجناح من جديد ليكون لائقاً بالمعارض الأثرية والفنية ، وخاصة لأنه يتميز بوجود باب خاص له . في سنة ١٩٥٢ نُظّم أول معرض أثري في هذا الجناح ، وقد عرضت فيه نتائج تنقيبات فنية أجريت في ماري ورأس الشمرة (اوغاريت) والرقة والرصافة . . . . كانت المكتشفات القديمة منها نواة لفرع الآثار السورية القديمة الذي أحدث بعد قليل .

صدر في سنة ١٩٥٣ تشريع جديد أصبح فيه المتحف الوطني بدمشق مؤلفاً من الفروع الآتية :

١ — فرع الآثار السورية القديمة ، حفظت فيه الآثار التي تعود إلى ما قبل العهد اليوناني (من الألف الثالث حتى القرن الرابع ق . م) .

٢ — فرع الآثار السورية من العهود اليونانية الرومانية والبيزنطية .

٣ — فرع الآثار العربية الإسلامية .

٤ — فرع الفن الحديث ، وقد تكوّن هذا الفرع بنتيجة إقامة عدّة معارض فنية دورية منذ سنة ١٩٥٠ ، اقتني من كل منها عدد هام من اللوحات الجيدة ، فكانت المقتنيات نواة هذا الفرع .

★ ★ ★

في سنة ١٩٥٣ أنشئ الجناح الجديد من المتحف إلى غربي قصر الحير الغربي ، وهو مؤلف من ثلاث طبقات ومستودعات تحت مستوى الأرض . وقد خصصت الطبقة الأرضية لفرع الآثار العربية الإسلامية ، والطبقة الأولى للفرع الحديث ، والطبقة الثانية لتكون مقرّاً للمعارض الأثرية والفنية المؤقتة . في سنة ١٩٥٤ دشنت الفروع الثلاثة الجديدة : فرع الآثار السورية القديمة ، فرع الآثار العربية الإسلامية ، فرع الفن الحديث .

★ ★ ★

في سنة ١٩٥٥ أعيد تنظيم الجناح الجنوبي (الطبقة العلوية) من القسم القديم ، وأقيم فيه معرض المكتشفات الأثرية الثاني ، فكان المعرض تظاهرة علمية موفقة ، أثارت انتباه الاختصاصيين إلى سورية وأهميتها في الميدانين الأثري والتحفي .



في سنة ١٩٥٦ وضع الحجر الأساسي لامتداد الجناح الغربي للمتحف الوطني بدمشق ، وكان المشروع يتضمن إضافة رواق وست قاعات للفرع الإسلامي وقاعة محاضرات ومكتبة ، وإضافة ثلاث قاعات للطبقة الأولى حيث مقرّ الفرع الحديث .



في سنة ١٩٥٨ أهدى المرحوم جميل مردم بك رئيس الوزراء الأسبق العناصر الفنية لقاعة داره الشامية المؤرخة من سنة ١١٥٠ هـ = ١٧٣٧ م ، فرأى المسؤولون إحلال هذه العناصر في قاعة المحاضرات وإكمال الزخرفة على النسق نفسه ، بحيث يُمثّل فيها الفن الشامي في القرن ١٢ هـ = ١٨ م . عهد بالعمل إلى الفنان الدمشقي الأصيل المرحوم السيد محمد علي (أبو سليمان) الخياط وأولاده وصنّاعه ، فأتت أعمال التركيب والإكمال جيدة .

ضُمّ إلى الجناح الغربي سنة ١٩٦٠ رواق كان يطلّ على الملعب المجاور نقل إليه فرع الآثار السورية القديمة ، وعندئذ وصل المتحف في توسعه إلى غايتـــه .

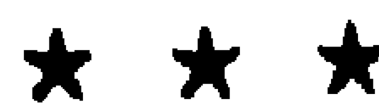
انتهت الأعمال العمرانية وأعمال تنظيم المتحف من جديد في سنة ١٩٦٢ ودشّنت الأعمال الجديدة باحتفال رسمي . وإلى هنا نستطيع أن نقول إن المتحف الوطني بدمشق استكمل لوازمه الأساسية ؛ لكننا في الواقع لا نقبل

أن يتجمَّد المتحف على هذا الشكل إلى مدى طويل ، فإن الآثار تتدفق من عدة مصادر على المتحف ، ومن الطبيعي أن نظلَّ مرنين نساير سنة التطور والنموّ . لهذا يبدو لنا أنه من الضروري أن نضع في مشاريعنا المقبلة بناء متحف خاص بالآثار السورية القديمة ومتحف خاص بالفرع الحديث ، ومن ثَمَّ يستطيع الفرعان الباقيان أن يتوسعا في المساحات التي ستشغر .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن مكتشفات ما قبل التاريخ في سورية غدت كثيرة ، وهي تبشر بأن في سورية من هذا التراث المغرق في القدم شيئاً هاماً وعظيماً . ومن الطبيعي في هذه الحال أن ينشأ متحف خاص بما قبل التاريخ تسهم فيه كلية العلوم في جامعة دمشق ، أو يخصص جناح هام في المتحف المزمع إنشاؤه للآثار السورية القديمة ريثما تتهيأ الإمكانات لإنشاء متحف خاص .



هذه لمحة عن تطوّر متحف دمشق منذ سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٦٩ ، لكن ما ذكرناه يتعلق بمتحف دمشق بالذات فقط ، وهو ليس بكاف لأن محافظ متحف دمشق القديم ما كانت أعماله مقتصرة على تنظيم المتحف وعرض الآثار واستقبال الزوار ؛ وإنما كان يشرف على قضايا تهريب الآثار ومراقبة تجار الآثار ومصادرة الآثار التي يتاجَر بها بصورة غير قانونية ، كما كان يُعنَى أيضاً بترميم الأبنيـة الأثرية . إذاً كان متحف دمشق القديم نواة المديرية العامة للآثار والمتاحف الحالية . ومن حقنا أن نلقي نظرة على هذه المديرية وفروعها وتنظيماتها وتتبّع تطورها لتكون الصورة التي رسمْنا كاملة .



تطور متحف دمشق من الناحية الإدارية حتى أصبح مديرية عامة:

كان متحف دمشق واسمه قديماً « دار الآثار الوطنية السورية » من الناحية الإدارية تابعاً لرئاسة المجمع العلمي العربي ، وادارة المؤسستين مرتبطة بالحكومة الوطنية في ظل الانتداب الفرنسي . وكان في هيئة المفوضية العليا إدارة للآثار القديمة تولاها الأستاذ فيرولّو ثم الأستاذ سيريغ . وكانت هذه الإدارة هي التي تشرف على جميع آثار سورية ولبنان وتمنح رخص التنقيب ، وقد سنّت قانوناً للآثار ، ووضعت تنظيمات لم تكن جميعها في مصلحة البلد ، ولكننا يمكن أن نذكر للحقيقة والواقع أن المشرفين من الفرنسيين على مصلحة الآثار كانوا مخلصين لها ، ولم يتهاونوا في حمايتها ، ما خلا عدداً ضئيلاً اشتغلوا لمصالحهم الشخصية . أما الذين أدّوا خدمات عظيمة لسورية فهم الأستاذ فيرولّو ، الأستاذ سيريغ ، الأستاذ سوفاجه ، الأستاذ دونان ، الأستاذ شلومبرجه ، الأب ستاركي ، المهندس ايكوشار ، المهندس آمي . . . وهؤلاء كانوا مقيمين في سورية يعملون في الإدارة والتنقيب وترميم الأبنية الأثرية ، ودراسة الآثار ونشرها ، ويشرف بعضهم على بعثات التنقيب الأجنبية لئلا يساء الاستعمال .

أما علاقات متحف دمشق بالإدارة الأثرية الفرنسية ، فقد كانت علاقة ودّ وتفاهم بصورة عامة ، وقد تشكلت لجنة إدارية مشتركة برئاسة رئيس المجمع العلمي العربي ، أمين سرها محافظ متحف دمشق الأستاذ الأمير جعفر الحسني ، وأعضاؤهـا الأستاذ فيرولّو عن المفوضية العليا ، السيد راجي مستشار وزارة المعارف ، الأستاذ أوستاش دولوري مدير المعهد الفرنسي في دمشق ومستشار الفنون الجميلة ، وعضوان من المجمع العلمي العربي ، كانت هذه اللجنة تدعى إلى الاجتماع بناء على اقتراح أمين السر وموافقة الرئيس . لم تجتمع هذه اللجنة إلا مرة واحدة .

لا يمكن أن نغفل دور المعهد الأثري الفرنسي في بيروت والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق (الذي كان في الوقت نفسه مركز الفنون الجميلة) في إيواء العلماء الفرنسيين والمهندسين والعاملين في الحقل الأثري وفي تشجيع الفنون الجميلة وخاصة الصناعات اليدوية الدقيقة (الأرتيزانا) وحفظ بعض التقاليد الشعبية ... ومن الجدير بالذكر أن قصر العظم بدمشق كان مقرّ المعهد الفرنسي، وفيه أحييت هذه الفنون.



بعد انتهاء عهد الانتداب وجلاء القوات الفرنسية سنة ١٩٤٦ وحصول سورية على الاستقلال التام، كان لا بدّ من وضع تشريع وتنظيم جديدين للآثار، عندئذ أحدثت مديرية للآثار العامة جعل مقرها أولاً في قصر العظم بدمشق، ثم نقلت إلى البناء الجديد المجاور لمتحف دمشق.

وضع قانون جديد للآثار سنة ١٩٤٦ كان أول ما يلفت النظر فيه حماية الآثار القومية، وقد حُرّم على بعثات التنقيب أن تقاسم البلد آثارها بالتساوي، وإنما سمح لها بأن تأخذ القطع المتكررة؛ ولما كان لا يوجد في الآثار القديمة قطعتان متكررتان، لأنها جميعاً من صناعة يدوية؛ لذا فإن البعثات اكتفت بحقها في السبق بالنشر وأخذ النسخ الجصية عن القطع الأثرية التي تهمّها، وسمح لها في حالات خاصة استعارة الآثار بقصد دراستها كالرُقُم الفخارية وإعادتها.

عُدّل قانون الآثار سنة ١٩٦٣ مسايرة لسنة التطور، وقد سمح القانون الجديد بمنح البعثات الأثرية بعض الآثار المتماثلة.



كان جهاز مديرية الآثار العامة ضعيفاً في سنة ١٩٤٦، وقد توسع ملاكها على مراحل: سنة ١٩٤٧، سنة ١٩٥٠، سنة ١٩٥٣، سنة ١٩٥٩

وقد غدا اسمها في الإصلاح الأخير « المديرية العامة للآثار والمتاحف » وأصبحت منذ سنة ١٩٥٣ ثم ١٩٥٩ مكونة من المديريات الآتية : مديرية الشؤون الإدارية ، مديرية المتاحف ، مديرية التفتيش ، مديرية التنقيب (الحفريات والدراسات) ، مديرية الهندسة ، مديرية الوثائق التاريخية ، مديرية المعمل الفني ، شعبةالتوجيه ، شعبة التصوير ، أمانة المكتبة (ملحقة بمديرية الشؤون الإدارية) .

صار للمديرية العامة فروع في المحافظات على درجات متفاوتة أهمها : مديرية آثار ومتاحف المنطقة الشمالية (وهي تضم متحف حلب والأجهزة الإدارية والفنية المماثلة لدمشق للإشراف على حماية الآثار وترميمها وحفظها ...)

أحدث **متحف حماة** منذ سنة ١٩٥٦ ، ونظم سنة ١٩٦٠ في قصر العظم بحماة ، وجعل أيضاً مقرّ مفتش المنطقة الوسطى . في الوقت نفسه أحدث **متحف طرطوس** وأقر في معبد طرطوس الأثري ، وأنيط بمحافظ المتحف الإشراف على الأعمال الأثرية في الساحل . أنشىء أيضاً **متحف تدمر** في بناء جديد وعيِّنَ له محافظ متحف ، أنيط به الإشراف على المنطقة الأثرية . وكان **متحف السويداء** قد أنشىء منذ سنة ١٩٢٥ ، فنما المتحف وبات من الضروري جداً إنشاء متحف جديد ، ومحافظ متحف السويداء يشرف أيضاً على الأعمال الأثرية في الجبل . أنشىء في **بصرى متحف** في سنة ١٩٦٧ في أحد أبراج القلعة ، وسمّي له محافظ يشرف في الوقت نفسه على جميع الأعمال الأثرية في حوران .

لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف مشاريع جديدة لإنشاء عدة متاحف في حمص ودير الزور واللاذقية ، وقد بات من الضروري جداً أن يعاد النظر في ملاك المديرية العامة فيوسع لتلبية الحاجة الملحّة ، حتى تستطيع هذه المديرية أن تنهض بالأعباء المنوطة بها .

منجزات المديرية العامة للآثار والمتاحف :

يحسن بنا أن نختم هذه الكلمة بخلاصة سريعة عن المنجزات التي أعطاها متحف دمشق منذ أن كان نواة حتى أصبح مديرية عامة في مدى نصف قرن .

١ — أشرنا إلى **المتاحف الحديثة** في المحافظات لكننا لم ننوه بإنشاء **متحف التقاليد الشعبية والصناعات الدقيقة** منذ سنة ١٩٥٣ وإقراره في قصر العظم بدمشق . إن هذا المتحف يعتبر من أجود المتاحف العالمية لموقعه في المدينة القديمة ، ولإطاره الجميل في أحسن دور دمشق ، ولعناية القائم عليه التي تبدو في جمال العرض وحسن التنسيق وكمال الذوق .

بعد أن وضعت المديرية العامة يدها على المدرسة الجقمقية التي خربتها الغارة الفرنسية سنة ١٩٤٢ ورممتها ، فقد أحدثت فيها **متحفاً تمثل فيه المدرسة العربية القديمة** وتطور الخط العربي . هذا المتحف في طريق الإعداد الآن .

ويجدر بنا أيضاً أن نشير إلى بناء **متحف حلب** الجديد الذي سيكون بعد الانتهاء من إعداده من أحسن متاحف الشرق الأوسط . فهو يضم ثروة هامة من الآثار السورية القديمة وعدداً لا بأس به من الآثار الكلاسيكية والعربية الإسلامية .



٢ — عنيت المديرية العامة **بترميم الأبنية الأثرية** في جميع أرجاء القطر العربي السوري حسب إمكاناتها المادية ، وكانت طبعاً تفضل الأهم على المهم ، واستطاعت في هذه المدة أن تنقذ مواقع أثرية وأبنية من الانهيار ، ولا بد من أن نشير إلى بعض الأعمال الضخمة التي حققتها في تدمر وبصرى والرقة وحالياً في أفامية والرصافة وقلعة حلب وقلعة الحصن وقلعة المرقب وقلعة صلاح الدين والمدرسة الجقمقية بدمشق والمطبخ العجمي بحلب ... بالإضافة

إلى الوزارة العامة التي تقدمها إلى وزارة الأوقاف في إنقاذ المباني الدينية ، وبخاصة جامع بني أمية في دمشق .

★ ★ ★

٣ — **الاهتمام بالتنقيب**[1] عن الآثار وتشجيع البعثات الأجنبية المخلصة على العمل في بلادنا لإلقاء الضوء على تراثنا العظيم . سنذكر فيما يلي ثبتاً بالبعثات الأجنبية وآخر بالبعثات الوطنية :

البعثات الأجنبية : بعض هذه البعثات لا يزال مستمراً ، وبعضها انقطع منذ زمن : البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ الدكتور **كلود شيفر** العاملة في رأس الشمرة (أوغاريت) .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **أندره بارو** العاملة في تل حريري (ماري) .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **سيريغ** التي عملت في تدمر .

البعثة الفرنسية التي عملت في حمص برئاسة الأستاذ **سيريغ** .

البعثة الفرنسية برئاسة **فويزول** وإشراف الأستاذ **سيريغ** في سيرهوس .

البعثة الفرنسية التي عملت في المدن الميتة في الشمال برئاسة الأستاذ **تشالنكو** .

(وقد كان عملها يستهدف أخذ المخططات والدراسة أكثر من التنقيب) .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **شلومبرجه** في قصر الحير الغربي .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **دومينيل دوبويسون** في قطنة (المشرفة) وخان شيخون وتدمر .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذين **جورج سال وأوستاش دولوري** في مسكنة على الفرات .

---

(١) عرضت هذه الفقرة من البحث على السيد نسيب صليبي (من مديرية الحفريات والدراسات).

البعثات الفرنسية برئاسة الأستاذ **تورو دانجان** والأستاذ **دونان** في أرسلان طاش وتل أحمر وتل حاجب والمشارة .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **بول بيزار** في تل النبي مند (قادش) .

البعثة الدانماركية برئاسة الأستاذ **هارولد إنهولت** في حماة .

البعثة الدانماركية برئاسة الدكتور **ريس** في تل سوكاس (قرب جبلة) .

البعثة البلجيكية برئاسة الأستاذ **مايانس** في أفامية .

البعثة البلجيكية برئاسة الأستاذ **بالتي** في أفاميه .

البعثة البلجيكية برئاسة الأستاذ **فيفيه** في تل قنّاص (حوض الفرات) .

البعثة الأمريكية الفرنسية المشتركة برئاسة الأستاذ **كيمون** بالاشتراك مع أساتذة جامعة ييل في دورا أوروبوس منهم الأستاذ **كربلنغ** والأستاذ **براون** والمهندس **بيرسون** .

البعثة الأمريكيه برئاسة الأستاذ الدكتور **أوليغ غرابار** في قصر الحير الشرقي.

البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ **رالف سوليكي** في يبرود .

البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ **كون** في جرف العجلة (قرب تدمر) .

البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ **فان لون** في المريبط وسلنكحية (حوض الفرات)

البعثة الإنكليزية برئاسة الأستاذة **سيتون وليامز** في تل رفعة .

البعثة الإنكليزية برئاسة الأستاذ **مالوان** في الميناء (قرب انطاكية) **وتل براك وشاكر بازار** .

البعثة الألمانية[١] برئاسة الأستاذ **فون أوبنهايم** في تل حلف .

البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ **شنيدر** ثم الأستاذة **أوتودورن** في الرصافة .

---

(١) يجدر بنا الإشارة إلى أن هذه البعثة الأثرية الألمانية برئاسة الأستاذ فون أوبنهايم قامت بالتنقيب في الموقع نفسه قبل الحرب العالمية الأولى بين سنتي ١٩١١ ـ ١٩١٣ .

البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ **كولونيز** في الرصافة .
البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ الدكتور **مورتغاورت** في تل الفخيرية ثم في تل الخويرة .
البعثة الألمانية برئاسة الدكتور **كلاوس بريش** في جبل أسيس (البادية) .
البعثة البولونية برئاسة الأستاذ **ميخائيلوفسكي** في تدمر .
البعثة الإيطالية برئاسة الأستاذ **ماتي** في تل مرديخ .
البعثة السويسرية برئاسة الأستاذ **بول كولار** في تدمر .
البعثة اليابانية برئاسة الأستاذين **سوزوكي وكوبوري** التي قامت بتحريات في مواقع إنسان ما قبل التاريخ .
البعثة الكندية برئاسة الأستاذ **بيير كانيفييه** في الغاب (شمالي قلعة المضيق) .
البعثة السويدية برئاسة الأستاذ **ألفريد هالدر** في تل الصالحية (غوطة دمشق).

البعثات الوطنية :

قامت هـــذه البعثات بمواسم متعددة في المواقع المذكورة فيما يلي ، ولا يزال أكثرها مستمراً :
بعثة التنقيب في الرقة برئاسة الدكتور **سليم عادل عبد الحق** وبمؤازرة الأستاذ **دونان** وتنفيذ السيد **نسيب صليبي** .
بعثة التنقيب في الرقة برئاسة السيد **نسيب صليبي** .
بعثة التنقيب في الرقة برئاسة الأستاذ **قاسم طوير** .
بعثة التنقيب في أم حوران برئاسة الأستاذ **عدنان البني** بالاشتراك مع السيد نسيب صليبي والسيد نظمي خير .
بعثة التنقيب في عمريت برئاسة السيد **نسيب صليبي** ومؤازرة الأستاذ **دونان** .
بعثة التنقيب في تل الكزل برئاسة الأستاذ **عدنان البني** ومؤازرة الأستاذ **دونان** والسيد **نسيب صليبي** .

بعثة التنقيب في تدمر برئاسة الأستاذ **عدنان البني** وعضوية الأستاذ **خالد الأسعد** والسيد **نسيب صليبي** .

بعثة التنقيب في تدمر (مدفن طاعي والمقبرة الشرقية والجنوبية) برئاسة الدكتور **سليم عادل عبد الحق** وتنفيذ السيد **نظمي خير** و **عبيد الطه** .

بعثة التنقيب في تدمر (المدافن الشرقية الجنوبية) برئاسة السيد **نسيب صليبي** بالاشتراك مع السادة : **عبيد الطه** ، **نظمي خير** ، **سليمان المقداد** .

بعثة التنقيب في مينة البيضا برئاسة الدكتور **هشام الصفدي** بالاشتراك مع السيد **نسيب صليبي** والمرحوم **أكوب كيريشيان** .

بعثة التنقيب في عين دارا برئاسة الأستاذ **فيصل الصيرفي** .

بعثة التنقيب في دمشق (الحريقة) برئاسة الأستاذ **عدنان البني** وتنفيذ السيد **نسيب صليبي** .

بعثة التنقيب في دمشق (الخراب) برئاسة الأستاذ **عدنان البني** وتنفيذ السيد **نسيب صليبي** .

بعثة التنقيب في دمشق (الجامع الأموي) برئاسة الأستاذ **عبد القادر الريحاوي**.

بعثة التنقيب في دمشق (فاخورة الصالحية) اشترك بها السيد **رئيف الحافظ** والسيد **نظمي خير** .

بعثة التنقيب في تل الرماد قرب (قَطَنـا) بمؤازرة الأستـاذ **هنري دوكونتانسون** (تكليفاً) .

بعثة التنقيب في تل الخويرة وتل أبو الشويخات بمؤازرة السيد **لوفوى** (تكليفاً) والأستاذ **عبد القادر الريحاوي** في موسم ، والسيد **نسيب صليبي** في موسم آخر .

بعثة التنقيب في تل عشترة (حوران) برئاسة الأستاذ **علي أبو عساف** .

بعثة التنقيب في تل الخزامى (مطار دمشق الدولي) برئاسة الأستاذ **هنري دوكونتانسون** تكليفاً بمؤازرة السيد **مصطفى الملوك** وثلاثة خبراء من الأجانب .

بعثات التنقيب برئاسة السيد **رفيف الحافظ** في دير العدس وأم نير وطيبة الإمام وقحانة وصوران وأم جلال (اكتشاف قطع هامة من الفسيفساء) .

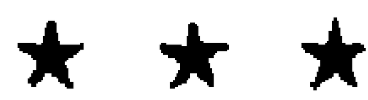
بعثة التنقيب في بصرى برئاسة السيد **سليمان المقداد** .

بعثة التنقيب في قنوات وشهبا برئاسة السيد **غالب عامر** .

بعثة التنقيب في اللطامنة بمؤازرة الأستاذ **مودومان** ثم الأستاذ **ديزمون كلارك**.



٤ — أولت المديرية العامة عنايتها بحماية **الممتلكات الأثرية** ومنع سوء الاستعمال في التنقيب عن الآثار بصورة غير مشروعة وتهريب الآثار ، وكانت الدائرة المختصة في معالجة هذه الأمور هي **مديرية التفتيش** . ومن الحق أن نذكر أن هذه المديرية قدّمت خدمات كبيرة سواء أكان في تقديم الدراسات والاقتراحات في ترميم الأبنية الأثرية ، أم في منع التنقيب السري وتهريب الآثار وإساءة الاستعمال أياً كان شكله .



٥ — **المنشورات** : أهم منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف هي « مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية » وقد صدرت بانتظام منذ سنة ١٩٥١ . أصدرت المديرية العامة باللغات العربية والأجنبية أدلّة وكتب عن المتاحف العربية

السورية والمواقع الأثرية، ونشرت بعض الكتب التاريخية والأثرية والفنية النافعة وبعض النشرات المبسطة . وأصدرت أخيراً مجموعات من الصور الملونة عن روائع التحف المحفوظة في متاحفها .



وأخيراً نحب أن نقول : إن ما ذكرناه هنا ليس إحصاءً تاماً مبنياً على استقصاء دقيق ، وإنما هو رصيد مجمل عن نشاط وأعمال هذه المؤسسة في مدى نصف قرن . وإذا قيس هذا الرصيد بالإمكانات الفنية والمالية والبشرية لهذه المؤسسة الصغيرة ، فإنا نجد أن منجزاتها شيء يذكر في حياة هذه البلاد . وإنا لنرجو أن تهتم الدولة في رعاية هذه المؤسسة وتشجيعها ومدّها بالأموال اللازمة حتى تستطيع أن تلعب دورها وتقوم بالأعباء المترتبة عليها بشكل أكمل .

محمد أبو الفرج العش
المحافظ الرئيسي للمتحف الوطني بدمشق



ذكريات ... المجمع العلمي العربي

والأستاذ محمـــد كرد علي

في أعقاب الفتح العربي لبلاد الشام أواخر عام ١٩١٨ وجلاء الجيش العثماني عن ربوعها قامت في المنطقة الشرقية من بلاد الشام تحت إمرة القائد العام لجيش الثورة العربية الشمالي (الشريف فيصل بك) — الملك فيصل فيما بعد — حكومة عربية عسكرية موقتة تمثل أماني الثورة وحركة التحرير العربي في تلك الأيام وتنادي بدولة عربية متحـــدة تضم الأراضي العربية المحررة وتبوىء الأمة العربية في المشرق مكانها تحت الشمس. وانطلاقاً من تلك الأماني شرع روادها وحملة لوائها يوفرون أسباب قيام تلك الدولة بجميع مشخصاتها، وكان من أهدافهم بالإضافة إلى بناء الجيش العربي النظـامي (القوات المسلحة) أن ينقلوا سلطان الدولة إلى الشعب عن طريق المنظمات الشعبية والانتخابات النيابية العامة، وأن يرفعوا صرح التعليم الجامعي بنقل علومه وفنونه من اللغـات الأجنبية إلى اللغة العربية، وأن يجعلوا من لغة الضاد لغة التعليم والتدريس في جميع الكليات بما في ذلك (الكلية الحربية) مع تعريب جميع المصطلحات العلمية والفنية بما في ذلك مصطلحات التدريب العسكري وفنون الحرب والرتب والألقـاب العسكرية والمدنية، وكنتيجة حتمية لهذا المنهاج أنشئت منذ قيام الحكم العسكري (لجنة التأليف والترجمة) أواخر عام ١٩١٨.

* * *

هذه اللجنة تحولت في فترة وجيزة وبصلاحيات أوسع إلى (ديوان المعارف) ، وهذا الديوان لم يلبث حتى ألغته الحكومة القائمة وأحلت محله (المجمع العلمي العربي) ليكون أوفى بحاجات النهضة القومية الحديثة ، وعهدت برئاسته إلى المغفور له الأستاذ محمد كرد علي لكفاءته العلميـة والأدبية وشهرته الواسعة فكان أول رئيس لهذا الصرح الشامخ كما أعتني مميزاً للمجمع ، وإنْ أبقتني في منصب (أمين السر الخاص لحاكم سورية العسكري العام) على سبيل الاستعارة ، ومن غير أن تقطع صلتي الوثقى بالأستاذ الرئيس .

وتابع الأستـاذ كرد علي سيره الموفق في إدارة المجمع وفي التخطيط لمناهجه وحمل سراجه ، فاتسع مجاله وأصبح أكثر من ندوة لغة أو مصطلحات ، بل أصبح مركزاً ثقافياً هاماً يتطلع إلى إحياء التراث العربي والإسلامي ، وذلك بالقاء المحاضرات الممتعة ـ يلقيهـا الزملاء وعلمـاء وأدباء مختصون ـ ووضع البحوث القيمة ونشر المخطوطات المطوية النادرة وعقدِ الصلات وتبادل المعلومات مع كبار المستشرقين ورواد العلم في المغرب والمشرق . وقد أنشئت للمجمع مجلته الخاصة فحفلت بمقرراته وبحوثه وظلت منـاراً لآثاره وبستاناً لأزهاره وثماره . ولم يكن كرد علي في مسلكه ومناهجه وما وجّه إليه المجمع مع زملائه إلا مرآة لمذهب أستاذه أو مدرسة أستاذه (الشيخ طاهر الجزائري) رحمه الله . تلك المدرسة التي فتحت عينيها على أضواء الدستور العثماني الأول (دستور مدحت باشا أبي الأحرار العثمانيين) وعلى حركة اليقظة العربية الأولى والإصلاح الإسلامي منسجمة إلى حـد كبير مع دعوة السيد جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ محمد عبده .

وكان الشيخ طاهر الجزائري من الذين استهواهم العلم فعشقوا المعرفة للمعرفة ، وتبحروا في المعقول والمنقول ، وعاشوا عيشة زهد وتقشف واستغراق في الهوايات الروحية والحياة الفكرية ، وله في العلوم العربية والإسلاميه

مؤلفات قيمة منها (توجيه النظر إلى أصول الأثر) و (التقريب إلى أصول التعريب) و (التبيان في معاني القرآن) ومن أمتع كتبه المخطوطة وأنفعها (الكناشات) وقد علمت أنها فقدت بعد وفاته لسوء حظ المكتبة العربية (١) .
والشيخ طاهر هو الذي أسس مكتبة الملك الظاهر وحشد فيها نفائس المخطوطات والمطبوعات ، وهي المكتبة التي آلت إلى المجمع العلمي العربي وكان الأولى أن تُسمى (المكتبة الطاهرية) لا (الظاهرية) نسبةً إلى مؤسسها وتخليداً لذكره الطيب وعمله المبرور .



أعود بعد ذلك لمتابعة كرد علي أتأثر خطاه ، وأتحدث عن مغداه وممساه ، مشيراً إلى أني عرفت الأستاذ أول ما عرفته سنة ١٩١٢ عندما غادرت بيروت إلى دمشق لتوثيق الصلات وشد الأواصر بين طلاب البلدين ، وكانت الحركة الطلابية العربية في أوج نشاطها وعنفوان شبابها ، وللكرد علي يومئذ صحيفتان صحيفة (المقتبس) اليومية ومجلة (المقتبس) الشهرية ، أولاهما تدعو إلى التحرير السياسي والثانية إلى التحرير الفكري . كانت الصحيفتان مركزاً من مراكز القوة الأدبية في بلاد العرب ، ولهما أثر محمود في توجيه الشباب العربي ، والدعوة إلى رفع الكمائم وشد العزائم ، وقد كان الكرد علي يومئذ ثالث ثلاثة في دمشق : (شكري العسلي) نائب دمشق وخطيبها الشجاع في البرلمان العثماني ، و (عبد الوهاب الانكليزي) مفتش الملكية أو المفتش الإداري والداعية الأنيس الرصين إلى الاصلاحات الادارية في بلاد العرب ، و (الأستاذ كرد علي) نفسه وهو صاحب القلم الحر والنقد اللاذع المر ، وشدّ ما كنت مغتبطاً بلقاء الأستاذ المناضل في مكتب (المقتبس) لما تميز به رحمه الله من لطف المقابلة وحسن المجاملة ووضوح المداولة ، ورأيت عنده الدكتور (صلاح الدين القاسمي) شقيق العلامة (الشيخ جمال الدين القاسمي) صاحب

(١) لم تفقد وهي محفوظة الآن بدار الكتب الظاهرية . (المجلة)

(مصطلح الحديث) .وناشر (لقطة العجلان) للإمام الزركشي . أما الدكتور القاسمي فقد كان طبيباً وأديباً ومن النقاد الموهوبين المنصفين ، تصدى لمن أسرفوا في نقد الكاتب المجدد (مصطفى لطفي المنفلوطي) فنشر في مجلة المقتبس مقالاته المتسلسلة (نظرات في النظرات) فأبدع وأنصف وأفاد ، وقد تعارفنا في هذا اللقاء لأول مرة وتبادلنا الأحاديث القومية والأدبية ، وحدد الأستاذان بحماسة وكياسة معالم الطريق ، وانتهى بنا المجلس على خير ما أردنا . وقد كان الأستاذ كرد علي يومئذ غير مأمون الجانب لدى غلاة الطورانيين حتى إذا تشبثوا باضطهاده ، في فترة من فترات تنمرهم فرَّ إلى الغرب وتنقل في أرجائه ، واتصل بدور كتبه ومتاحفه ومعاهده ومعابده ، واضطلع عن كثب على مسالك الحياة الغربية والتقدم المادي والأدبي في أوروبا ، وكتب كتابه (غرائب الغرب) فازداد بذلك شهرة ومكانة ، ودار الفلك دورته فلم ألق الكرد علي إلا في صيف عام ١٩١٤ قبيل الحرب العالمية الأولى ، وكنت في طريق عودتي إلى ديار الشام من القاهرة ، فمررت بدمشق وعلمت أنه قد عاد إلى الوطن ولم يستأنف إصدار صحيفته ، بل لزم بيته مكباً على دراساته التاريخية الخاصة ، فزرته في منزله مشوقاً إلى لقائه ، ووجدت عنده زائراً آخر هو (الشيخ محمد الخضر حسين) التونسي من كبار علماء تونس وأحرارها ، وهو الذي تولى بعد زمن طويل ولمدة من الوقت مشيخة الجامع الأزهر في عهد الثورة المصرية الحاضرة . وقد أنِستُ بلقاء الأستاذين الكبيرين معاً ، وتبادلنا الأحاديث عن المغرب والشرق ، وكان الكرد علي في سبيله إلى إنجاز كتابه الكبير (خطط الشام) الذي سلخ في تأليفه وجمع مواده أربعة عشر عاماً ، وأعلمنا في ذلك المجلس أن رحلته إلى الغرب وما اطلع عليه في دُور كتبه من مخطوطات عربية وإسلامية نادرة ولا سيما في (روما) قد أعانه كثيراً على إنجاز مخطط كتابه (خطط الشام) .

ودّعنا الأستاذ مغتبطين بلقائه المؤنس وحديثه النافع ، ولم ألقه بعد ذلك حتى عام ١٩١٥ وكانت الحرب العالمية الأولى قد عمّ خَطبُها واستفحل كربهـــا وأخذت تهب رياح الاضطهادات المشهورة في بلاد العرب ، وقائد (عربستان) أو قائد الجيش الرابع (جمال باشا) قد بدأ يسوق أحرار الأمة إلى (الديوان العرفي) في عاليه بحقد وعنف ، وجاء دور صاحبي الكرد علي (شكري العسلي) و (عبد الوهاب الانكليزى) فكان نصيبها كجُملةِ الشهداء الأبرار وجهٌ أغبر وموت أحمر . ولبس الكرد علي على رأسه فآثر (التقية) ، ولبس ثوباً غير ثوبه كما حمل قلماً غير قلمه ، ودخل فيما أسماه بعد ذلك (أدب الحرب) وهو ما سمته ينعت به كتابيه (النهضة العلمية) و (الرحلة الأنورية) وعندما وضعت الحرب أوزارها وجلا العثمانيون عن الوطن ظل ملتصقاً بوطنه ، وهو يعلم أن له من الماضي الحافل ومحصولِ قمحه المِعْطاء ما يُغطي على الزوّان ورحب به العهد العربي الجديد ولم يتخل عنه إخوانه القدماء ، بل التقوا معه على درب العلم فولوه رئاسته ، فكان أول رئيس للمجمع العلمي العربي على ما أسلفنا .

وكان البقاء كل البقاء والذكرى أنفعُ الذكرى لهذا المجمع العلمي ورائدِه الأول ، وقد مر على تأسيسه نصف قرن ، وما زال راسخ البنيان مشرق الإيمان والبيان ، ومسيرتُه هي المسيرة تلوح على الدوام شعلةً في قمة ، وعلماً في أمة .

محمد الشريقي



نظـــرة فى

مجمع اللغة العربية في دمشق

إدارات التربية (المعارف) عندنا عبـارة عن إدارة المدارس الابتدائية والثانوية لا غير ، ثم دخلتها مؤخراً ، إدارة الكليات ثم الجامعة ، وكلها إدارة مدرسية لا غير .

وإن ما يرفع العلوم والآداب إلى مستوى مقبول ومرتكز على ثقافة راقية المؤسسات العلمية والأدبية والفنية ، وهذه هي جماع الثقافة المقبولة .

وإن جهودنا التفتت إليها من وقت قريب . وكانت المدارس العلمية تقوم بها ، فانصرفت عنها الأذهان لما لحقها من خمول نوعاً من عدم العناية بها ، وإهمال رعايتها .

وعندنا في الشام أول مؤسسة عربية علمية أدبية تكونت على يد أفاضل كانوا حريصين على ثقافة الأمة وأن ترتفع عن مستواها هذه المؤسسة .

كان الأستاذ محمد كرد علي المغفور له زاول الصحافة مدة وأظهر جريدة المقتبس ، ومجلة المقتبس وعلم قيمة التعاون العلمي ، ولحظ أن من أجله ما ينفع ثقافة الأمة وإعلاء شأنها .

اجتمع مع أفاضل من أهل الشام ، وأكابر رجالهم لهذا الغرض . فقرروا تأليف (مجمع علمي بدمشق) ، فلم تمانع الدولة في تشكيله بل رحبت بالمشروع وتم رسمياً . ودعي للمشاركة فيه جماعة من أفاضل أهليه . ومن سائر الأقطار

العربية والإسلامية والأجنبية . وكان تأسيسه في سنة ١٩١٩ م . ولم تمض مدة حتى تأسست له :

١ — (مجلة المجمع العلمي بدمشق) ، وصدر أول عدد منها في سنة ١٩٢١ م ثم سميت أخيراً بـ (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) . والآن بهذا الاسم ودامت من حين صدور أول عدد منها إلى اليوم مستمرة النشر . وهذه المجلة أكبر ظاهرة لأعمال المجمع المهمة . في خلال عمرها المديد . ونأمل لها الحياة السعيدة الطويلة .

وفي بحوثها أفادت الثقافة والدراسات العربية كثيراً ، وصارت من جلّ المصادر . اشترك في تحريرها علماء وأدباء كثيرون . وتراكمت بحوثهم فصارت لا يستهان بها للمتتبعين . ومصدراً مهماً من مصادر الدراسات العلمية . وقد نرى فيها ما نراه في غيرها .

٢ — ولم تقف أعمال المجمع عند هذا ، وإنما نشر بعض المحاضرات على حدة .

٣ — أحيت بعض التراث النافع من آثار الأمة .

٤ — نشرت بعض آثار كتابها وغيرهم .

٥ — أسست خزانة كتب يحتاجها المتتبع كثيراً ، ولا يستغني عنها بوجه ، ومن جملة ما فيها مجلة المجمع . وصارت مجموعة كبيرة .

وبذلك زادت في الثقافة والثروة العلمية . وفي هذا العمل الجليل ما يشكر عليه المجمع . وبمثله تزداد الحركة العلمية والأدبية وتنتعش وتتوالى البحوث ، وترسخ في نمو وازدياد وتكامل ونشاط .

عاش المجمع عيشة طيبة نافعة ، نرجو له الدوام ما دامت الحياة خالدة سعيدة في تكامل وتزايد . ومجلته روضة مختلفة الألوان . وفيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين . فيها من المعرفة ضروب . ومن الثقافة أنواع شتى .

لا تقابل بجهود شخص ، بل هي بمجموعة جهود . وبذلك علت قيمتها ، وارتفع قدرها . وزاد ثمنها ...

ونحن الآن في زمن تقاربت أقطاره الشاسعة ، وحصل إمكان تعاون ثقافي أكبر في أقطار عديدة . فمن الضروري التعارف ، وتبادل هذه الثقافة ليعلو المستوى العلمي والأدبي ، استفادة من كل تجدد ، اتصلت مجامعه ، وزاد تبادل الثقافة . وجل ما نتمناه أن توكد الصلات ، وأكثر ما يهمنا إحياء التراث العربي . ليزيد في ثقافه الأمة ، من جنس ما تتطلب فقد كشف عنها الغطاء ، وفيها نشاط العلوم والآداب التي هي أولى بنا ، ونحن أحق بها ، وأهلها ، واليوم خزائن الكتب مفتوحة ، وممدة للراغبين . وفيها ما يطمئن الحاجة العلمية والأدبية مما تدعو للمعرفة المكينة ، وتبين الماضي الجليل للأمة وعلاقة كل قطر به وربما شارك أقطار عديدة . وتقديم خدمة من الواحد خدمة للكل . وهذا المجموع ثروة متراكة ومهملة من مدة تحتاج إلى إشارة وإحياء .

وفق الله العاملين لخير الأمة

عباس العزاوي



آراء وأنباء

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٨٨ / ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الدكتور حسني سبح

٢ الدكتور أسعد الحكيم
٣ » أمجد الطرابلسي
٤ الأستاذ جعفر الحسني (الأمين العام للمجمع)
٥ الدكتور جميل صليبا
٦ » حكمة هاشم
٧ » سامي الدهان
٨ الأستاذ شفيق جبري
٩ الدكتور شكري فيصل
١٠ الأستاذ عارف النكدي
١١ » عبد الهادي هاشم
١٢ الدكتور عدنان الخطيب
١٣ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٥ » محمد كامل عياد
١٦ الأستاذ محمد المبارك
١٧ » وجيه السمان

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الأستاذ عمر أبو ريشة
٣ » محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٤ الدكتور قسطنطين زريق

الجمهورية العربية المتحدة

٥ الدكتور أحمد زكي
٦ » طه حسين

لبنان

٧ الأستاذ أمين نخلة
٨ » أنيس المقدسي

٩ الدكتور صبحي المحمصاني

١٠ « عمر فروخ

١١ الأستاذ محمد جميل بيهم

فلسطين

١٢ الأستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الاردنية الهاشمية

١٣ الأستاذ محمد الشريقي

١٤ الدكتور ناصر الدين الأسد

الجمهورية العراقية

١٥ الأستاذ أحمد حامد الصراف

١٦ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث

١٧ الأستاذ عباس العزاوي

١٨ الشيخ كاظم الدجيلي

١٩ الأستاذ كوركيس عواد

٢٠ الشيخ محمد بهجة الأثري

٢١ الدكتور مصطفى جواد

٢٢ « فيصل دبدوب

٢٣ الأستاذ ناجي معروف

٢٤ « محمود شيت خطاب

السودان

٢٥ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٦ الأستاذ حمد الجاسر

٢٧ « خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٨ الأستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٩ الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور

٣٠ « محمد الفاضل ابن عاشور

٣١ « عثمان الكعاك

المملكة المغربية

٣٢ الأستاذ عبد الله كنون

٣٣ « علال الفاسي

ايران

٣٤ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٥ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي

٣٦ « أبو الحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٣٧ الأستاذ عبد العزيز الميمني

٣٨ الأستاذ محمد صفير حسن معصومي
٣٩ « يوسف البنوري

فرنسة

٤٠ الدكتور بلاشير (رجيس)
٤١ الأستاذ كولان (جورج)
٤٢ « لاوست (هنري)
٤٣ « ماسه (هنري)

بريطانية

٤٤ الأستاذ أربري (أ. ج.)
٤٥ « جيب (ه. ا. ر.)

المانية

٤٦ الأستاذ ريتر (هلموت)

السويد

٤٧ الأستاذ ديدرنغ (س.)

الولايات المتحدة الاميركية

٤٨ الدكتور ضودج (بيارد)
٤٩ « فيليب حتي

اسبانية

٥٠ الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥١ الدكتور اشتولز (كارل)
٥٢ الأستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٥٣ الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو)

هولاندة

٥٤ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

٥٥ الأستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٥٦ الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)

البرازيل

٥٧ الأستاذ رشيد سليم الخوري

المجر

٥٨ الدكتور عبد الكريم جرمانوس



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ « سليم البخاري
٣ « مسعود الكواكبي
٤ الأستاذ إلياس قدسي
٥ « أنيس سلوم
٦ « جميل العظم
٧ « سليم عنحوري
٨ « عبد الله رعد
٩ « رشيد بقدونس
١٠ « أديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الأستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ « محمد البزم
١٦ « سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الأستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ الأب جرجس منش
٢٣ الأستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ « راغب الطباخ
٢٨ « عبد الحميد الجابري
٢٩ « عبد الحميد الكيالي
٣٠ « محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ أمين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الأستاذ متري قندلفت
٣٩ « عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
٤٠ « نظير زيتون
٤١ « الرئيس الأمير مصطفى الشهابي

الجمهورية العربية المتحدة

٤٢ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٣ « رفيق العظم

٤٤ الأستاذ أحمد كمال
٤٥ « أحمد تيمور
٤٦ « أحمد زكي باشا
٤٧ الدكتور يعقوب صروف
٤٨ السيد محمد رشيد رضا
٤٩ الأستاذ حافظ إبراهيم
٥٠ « أحمد شوقي
٥١ الشيخ أحمد الاسكندري
٥٢ الأستاذ أسعد خليل داغر
٥٣ « داود بركات
٥٤ الدكتور أمين المعلوف
٥٥ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٦ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٧ الدكتور أحمد عيسى
٥٨ الأمير عمر طوسون
٥٩ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٦٠ الأستاذ أنطون الجميل
٦١ « خليل مطران
٦٢ « إبراهيم عبد القادر المازني
٦٣ « محمد لطفي جمعة
٦٤ الدكتور أحمد أمين
٦٥ الأستاذ عبد الحميد العبادي
٦٦ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٧ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٨ « منصور فهمي
٦٩ الأستاذ أحمد لطفي السيد
٧٠ « عباس محمود العقاد
٧١ « خليل ثابت
٧٢ الأمير يوسف كمال
٧٣ الأستاذ أحمد حسن الزيات

لبنان

٧٤ الأستاذ حسن بيهم
٧٥ الأب لويس شيخو
٧٦ الشيخ عبد الله البستاني
٧٧ الأستاذ جبر ضومط
٧٨ « عبد الباسط فتح الله
٧٩ الشيخ عبد الرحمن سلام
٨٠ « مصطفى الغلاييني
٨١ الأستاذ عمر الفاخوري
٨٢ « بولس الخولي
٨٣ « أمين الريحاني
٨٤ الأمير شكيب أرسلان
٨٥ الشيخ إبراهيم المنذر
٨٦ الأستاذ جرجي يني
٨٧ الشيخ أحمد رضا
٨٧ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨٩ « فيليب طرازي
٩٠ الشيخ فؤاد الخطيب

٩١ الدكتور نقولا فياض
٩٢ الشيخ سليمان ظاهر
٩٣ الأستاذ مارون عبود
٩٤ « بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

فلسطين

٩٥ الشيخ سعيد الكرمي
٩٦ الأستاذ نخلة زريق
٩٧ الشيخ خليل الخالدي
٩٨ الأستاذ عبد الله مخلص
٩٩ « محمد إسعاف النشاشيبي
١٠٠ « عادل زعيتر
١٠١ الأب ا. س. مرمرجي الدومنكي

الجمهورية العراقية

١٠٢ الأستاذ محمود شكري الآلوسي
١٠٣ « جميل صدقي الزهاوي
١٠٤ « معروف الرصافي
١٠٥ « طـه الراوي
١٠٦ الأب أنستاس ماري الكرملي
١٠٧ الدكتور داود الچلبي
١٠٨ الأستاذ طـه الهاشمي
١٠٩ « محمد رضا الشبيبي
١١٠ « ساطع الحصري
١١١ « منير القاضي

الجمهورية التونسية

١١٢ الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب

الجمهورية الجزائرية

١١٣ الشيخ محمد بن أبي شنب
١١٤ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

١١٥ الأستاذ محمد الحجوي
١١٦ « عبد الحي الكتاني

تركية

١١٧ الأستاذ زكي مغامز
١١٨ « أحمد أتش

ايران

١١٩ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
١٢٠ الأستاذ عباس إقبال

الهند

١٢١ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١٢٢ الأستاذ فران (جبرئيل)
١٢٣ « هوار (كليمان)
١٢٤ « بوفا (لوسيان)
١٢٥ « مالنجو

١٢٦ الأستاذ كي (ارتور)
١٢٧ « باسه (رينه)
١٢٨ « ميشو بلّير
١٢٩ « مارسيه (وليم)
١٣٠ « دوسو (رينه)
١٣١ « ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٣٢ الأستاذ مرجليوث (د . س .)
١٣٣ « بفن
١٣٤ « براون (ادوارد)
١٣٥ « كرينكو (فريتز)
١٣٦ « غليوم (الفرد)

المانية

١٣٧ الأستاذ هومل
١٣٨ « ساخاو (ادوارد)
١٣٩ « هوروفيتز (يوسف)
١٤٠ « هارتمان (مارتين)
١٤١ « ميتفوخ (أوجين)
١٤٢ « بروكلمن (كارل)
١٤٣ « هارتمان (ريشارد)

المجر

١٤٤ الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)
١٤٥ الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الأميركية

١٤٦ الأستاذ ماكدونالد (د . ب .)
١٤٧ « هرزفلد (ارنست)
١٤٨ « سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٤٩ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
١٥٠ « برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٥١ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٥٢ الأستاذ لوپس (دافيد)

ايطالية

١٥٣ الأستاذ جويدي (اغنازيو)
١٥٤ « نالينو (كارلو)
١٥٥ « غريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٥٦ الأستاذ مونته (ادوارد)
١٥٧ « هس (ج . ج .)

بولونية

١٥٨ الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تشكوسلوفاكية

١٥٩ الأستاذ موزل (الوا)

هولاندة

١٦٠ الأستاذ هورغرنيه (سنوك)
١٦١ « اوراندوك (ك .)
١٦٢ « هوتسما (م . ت .)

الدانيارك

١٦٣ الأستاذ بوهل (ف . م . ب .)
١٦٤ « استروب (ج .)

السويد

١٦٥ الأستاذ سترستين (ك . ف .)

البرازيل

١٦٦ الأستاذ سعيد أبو جمرة



بيان أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق

لدورة سنة ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ (١)

نستهل هذه الدورة لعام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ برئاسة رئيسنا الجديد الأستاذ الدكتور الفاضل حسني سبح الذي أجمع السادة الأعضاء على انتخابه في آخر جلسة من الدورة السابقة المنعقدة بتاريخ الثلاثين من شهر أيار ١٩٦٨ لهذا المنصب العلمي الخطير فجاء خير خلف لخير سلف وأنتهز هذه المناسبة لأقدم لسيادته باسمكم جميعاً أطيب الترحيب متمنين في عهده للمجمع دوام الازدهار والمزيد من التوفيق في خدمة أغراضه العلمية رحم الله السلف ومد بعمر الخلف وأيده بعنايته .

يطيب لي يا سادتي أن أعرض لكم بياناً موجزاً عن مجمعكم في دورته السابقة وما حققه خلالها من المشروعات وما ينوي القيام به في دورته الحالية .

المطبوعات :

قرر مجلسكم الموقر في دورته السابقة طبع عدد من المخطوطات أوكل إلى أمانة المجمع العمل على تنفيذها إلا أنه حالت بعض الصعوبات دون تحقيق أكثرها مع الأسف منها صعوبات مالية ، ومنها إدارية وهي التي عرقلت سير أعمال المجمع وأضرت بها ، وهنالك سبب آخر لا يقل خطورة عما ذكرت وهو عجز مطابع دمشق عن تلبية حاجة المجمع وإنجاز مطبوعاته في مواعيدها وعذرها هو أزمة العمال التي تشكو منها أكثر المطابع ، وعلى الرغم من كل ذلك فقد تمكنا من إنجاز طبع الكتب الآتية :

(١) تلي هذا البيان في الجلسة الافتتاحية لمجلس المجمع المنعقدة بتاريخ ٣ تشرين الأول ١٩٦٨.

١ ــ ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري .
٢ ــ رسالة آداب العشرة وذكر الأخوة للغزي .
٣ ــ الأمير مصطفى الشهابي ــ حياته .

وقاربت الكتب التالية على النهاية وستصدر خلال الأسابيع القريبة القادمة وهي:

١ ــ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية الوطنية (قسم الحديث) .
٢ ــ » » » » » » (قسم الطب) .
٣ ــ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ملحق شعراء الشام) .
٤ ــ التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني .

المجلــة :

صدر منها المجلد (٤٣) لعام ١٩٦٨ ، ويمتــاز هذا المجلد بوفرة بحوثه التي وضعها نخبة من الباحثين السوريين وغيرهم من أعلام العرب ، مما حملنا على مضاعفة حجم المجلة وزيادة صفحاتها وهذا الإقبال المتزايد على الكتابة بالمجلة هو دليل على مكانتها وتقدير العلماء والأدباء والباحثين لها .

مطبوعات جديدة :

علينا في هذه الدورة السابعة إنهاء ما تبقى من الكتب التي قرر مجلسكم طبعها وعددها / ١١ / كتاباً في دورته السابقة وحالت الظروف دون انجازها مع إضافة الكتب الجديدة التالية :

١ ــ ديوان الخالديين جمع وتحقيق الزميل الدكتور سامي الدهان .
٢ ــ قطب السرور لأبي إسحق القيرواني : تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .
٣ ــ كتاب اللامات للزجاجي : تحقيق الدكتور مازن المبارك .
٤ ــ ديوان ابن هرمة جمع وتحقيق السيد محمد نفاع .

الوفيـــات :

فجع المجمع خلال الدورة السابقة بوفاة رئيسه المرحوم الأمير مصطفى الشهابي بعد تسع سنوات من توليه رياسة المجمع ، وهو ثالث رؤسائه بعد المغفور لهما محمد كرد علي وخليل مردم بك وقد فقد المجمع بوفاته علماً من أعلام اللغة العربية وعضواً من أبرز أعضائه العاملين على تحقيق أغراضه ، ومن الوفاء لذكرى الفقيد تسجيل هذه الحقيقة وهي أن مدة رياسته كانت من أزهى ما عرفه مجمعنا خصباً منذ تأسيسه حتى يومنا هذا . وقـد كتب في مجلة المجمع الزميل الدكتور عدنان الخطيب سيرة وافية عن حياة الفقيد ومنزلته العلمية وهي تغنينا على التكرار تغمده الله برحمته وأجزل ثوابه .

وتوفي من الأعضاء المراسلين المرحومان :

١ — الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) من لبنان .

٢ — الأديب الكبير أحمد حسن الزيات من الجمهورية العربية المتحدة .

رحمهما الله رحمة واسعة .

انتخابات :

١ — انتخب الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيساً للمجمع خلفاً للرئيس الراحل المرحوم الأمير مصطفى الشهابي .

٢ — الأستاذ وجيه السمان عضواً عاملاً خلفاً للمرحوم فارس الخوري .

٣ — الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً خلفاً للمرحوم عز الدين التنوخي .

ملء الشواغر :

على مجلس المجمع في هذه الدورة ملء الشواغر التالية :

١ — نائب الرئيس .

٢ — الأمين العام .

٣ — عضوان عاملان خلفاً للمرحومين الدكتور مرشد خاطر والأمير مصطفى الشهابي .

٤ — أعضاء مراسلون من البلاد العربية والأجنبية .

٥ — وظائف إدارية في المجمع ودار الكتب الظاهرية .

إنشاءات :

أنهى المجمع هيكل الجناح الجديد الملحق بدار الكتب الوطنية الظاهرية ونأمل أن يتم البناء نهائياً خلال الدورة الحالية . وقد عهد استكمال نواقص البناء إلى متعهد على أن ينجزها خلال ستة أشهر من تاريخ المباشرة ، سيتسع البناء الجديد لنحو (٣٠٠) قارىء أي أضعاف ما تستوعبه غرف القراءة الحالية ، ونأمل أن نحصل في ميزانية العام القادم على الاعتمادات الكافية لننهي المرحلة الثانية والأخيرة من برنامج توسيع دار الكتب المذكورة لتتمكن من استيعاب نحو (٥٠٠) قارئ في قاعات مجهزة بجميع وسائل الراحة الحديثة . لم يطرأ على دار الكتب الوطنية ما يجب بيانه فهي تسير سيرها المعتاد ، وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لوقاية المخطوطات من أخطار الطوارئ فجمعت نفائسها ضمن صناديق معدنية .

شعبة التصوير :

أنجزت خلال هذه الدورة الأعمال التالية :

١ – تصوير وتحميض (٢٤٠) فلماً (ميكرو فلماً) .

٢ – تصوير (٨٠٤) مخطوطات من مختلف القاييس والحجوم .

٣ – الصور المسحوبة (١٨٠٠٠٠) صورة ميكروفلم .

وبذلك يصبح مجموع ما صور من مخطوطات دار الكتب حتى الآن (٧٥٠٠) مخطوط أي نحو ثلثي الموجود فيها .

الخاتمة :

هذا أيها الزملاء مجمل ما حققه المجمع في الدورة السابقة ونرجو أن نوفق في السنين المقبلة إلى مضاعفة الجهد في سبيل خدمة الأغراض التي نعمل من أجلها جميعاً والله الموفق وبه نستعين .

الأمين العام

جعفر الحسني



تقـــرير

إلى الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

عن الاشتراك في الحفل التأبيني الذي أقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة

للرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي

مقدم من الزميلين : رئيس المجمع الدكتور حسني سبح والعضو الدكتور شكري فيصل .

الزملاء الأفاضل :

تحية طيبة . وبعد فقد كان مجمعكم الموقر تلقى رسالة من زميله مجمع اللغة العربية في القاهرة يطلب منه الإسهام في الحفل التأبيني الذي قرر إقامته للرئيس السابق المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة في ٢٩/١٠/١٩٦٨

وقد عرض الموضوع على اللجنة الإدارية في جلستها المنعقدة يوم الخميس الواقع في ٢٤/١٠/١٩٦٨ فشكرت لمجمع القـــاهرة صنيعه ورأت ضرورة الاشتراك في الحفل للمكانة البارزة التي كانت للفقيد الكبير الذي شغل رياسة مجمعنا تسع سنوات وكان عضواً عاملاً فعالاً في مجمع القاهرة منذ انتخابه فيه سنة ١٩٥٤ وأدى واجبه نحو اللغة العربية والفكر العربي في تصميم ومتابعة وإخلاص قل أن يكون له مثيل .

وبعد سلسلة من الاتصالات والمخابرات الرسمية وافقت المراجع المسؤولة

في الدولة على المشاركة بالزميلين مقدمي هذا التقرير الموجز واللذين يسمدهما أنهما قاما بهذه المهمة التي أنيطت بهما نيابة عنكم وتمثيلاً لمجمعكم الموقر :

١ — غادرنا دمشق مساء يوم الأحد الواقع في ٢٧/١٠/١٩٦٨ وكانت اجراءات السفر قد انتهت آخر الدوام الرسمي فوصلنا القاهرة ليلاً .

٢ — وبادرنا في صبيحة يوم الاثنين ٢٨/ ١٠ / ١٩٦٨ للاتصال بالأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور ثم التقينا به عقب ذلك في دار المجمع ودار حديث أولي كان هدفنا الرئيسي منه الحرص على تأكيد الروابط القوية التي تصل بين المجمعين ، والأهداف التي تجمعها والطريق المشتركة التي لا بد من تعاون القوى على قطعها في هذه المرحلة الخطيرة من مراحل التطور العلمي والفكري في الوطن العربي .

وكان يجمعنا في هذا الحديث وفي الأحاديث الأخرى التالية الإيمان المشترك بأن اللغة العربية يجب أن تكون هي أداة البيان في هذا التطور ، لأن كل تطور علمي يتم بعيداً عن اللغة العربية سيكون بعيداً عن روح الأمة ونقطة انفصام خطير بين عقلها المتجدد وروحها الأصيلة .

وقد جهدنا أن نؤكد على وحدة المجمعين وتماثلها الكامل في الأهداف والنظام والإدارة وأن كل منها لا يخرج عن أن يكون فرعاً في عاصمة من القطرين ، وأنه لا شيء يشغل أعضاء مجمكم الموقر مثل متابعة المسيرة المشتركة في هذا السبيل .

٣ — ولقد كانت النقطة الأولى التي أكدنا عليها في طريق الهدف هذا التواصل الذي يجب أن يبلغ أبعد آماده بين المجمعين فقد غبرت سنوات أوشك

فيها هذا الاتصال أن يؤول إلى شيء من جمود أو ما يشبه ما يكون جموداً ، لا في نطاق المؤتمرات والدورات فحسب بل حتى في نطاق تبادل المطبوعات الذي هو أدنى حدود التواصل في الطريق المشتركة لذلك أثرنا موضوع مطبوعات مجمع اللغة وتشتمل على ما يلي :

أولاً : مجموع البحوث والمحاضرات وقد صدر منه ٣ أجزاء .

ثانياً : مجموعة المصطلحات التي أقرها المجمع وقد صدر منها عشرة أجزاء .

ثالثاً : مجلة المجمع وقد صدر منها حتى الآن ٢٣ مجلداً .

رابعاً : معجم ألفاظ القرآن الكريم وقد صدر منه أربعة أجزاء الأول منها مفقود .

وعلمنا بعد أن الجزئين الخامس والسادس وهما خاتمة الأجزاء قدما للطبع وإنهما سيصدران قريباً وسيتبع ذلك أن تعاد الطبعة (لفقد بعض الأجزاء) على ورق أفضل وبعناية أكمل .

٤ — ونجد من الحق علينا أن نقول أن السيد الأمين العام لمجمع القاهرة كان يشاركنا هذا الاهتمام ويندفع قبلنا إليه ، ذلك لأن أحدنا الدكتور سبح كان بدأ في رحلة سابقة إلى القاهرة في الجولة الأولى في هذا الموضوع وانتهينا إلى إقرار التواصل الكامل في هذا الشأن شأن المطبوعات .

٥ — غير أن المشكلة التي حدثنا الأمين العام أنها واجهته هي ضخامة العدد المرسل من المطبوعات بعدد أعضاء مجمعكم الموقر . وضمانة وصوله واختيار أفضل السبل إلى ذلك إما عن طريق الجو وهو متعذر لضخامة النفقة ، أو عن طريق البحر وتواجهه فكرة ضمان الوصول . ولكنه لم يقعد عن

مواجهة المشكلة فقد اتصل بالسيد سفير الجمهورية العربية السورية الأستاذ سامي الدروبي وتحدث معه في هذا الشأن بنية الوصول إلى سبيل مضمونة في ذلك ووعده سيادة السفير بكل عون .

٦ — وقد استمر هذا الحديث الأول نحواً من ساعة ثم حان موعد جلسة المجمع العامة التي تعقد الساعة الحادية عشرة من كل يوم اثنين خلال انعقاد دورة المجمع ويحضرها جميع الأعضاء فدعينا إلى حضورها والتقينا بدء الجلسة بأكثر الأعضاء في أحاديث قصيرة كان قوامها دائماً التقدير لمجمكم والحرص على تتبع نشاطه وحين أقبل الدكتور طه حسين رئيس المجمع متكئاً على ساعد زوجته من طرف ، وأحد الزملاء من طرف آخر ، افتتحت الجلسة بكلمة مؤثرة صادقة انطوت على التحية والتعزية : التعزية بالفقيد الراحل على أنه فقيد اللغة العربية التي طالما جهد في سبيلها وعمل على خدمتها وكان له في جلسات هذا المجمع نصيب بيّن ، والتحية الوفد الذي جاء من دمشق ليشارك في تأبين الفقيد الكبير ولمجمكم الذي أنابه .

ورد الدكتور حسني سبح مذكراً بأن الأمير الراحل لم يكن فقيد المجمعين فحسب وإنما كانت له جولات في إعلاء شأن الأمة العربية فهو فقيدها كذلك .

ثم أخذ الأعضاء في مناقشة بعض المصطلحات التي وردت على مجلس المجمع من لجانه المختصة وكانت في قسمين مصطلحات في السينما والمسرح ومصطلحات في علم الخلية ، وانتهت المناقشة بإقرار أكثرها وإعادة أقلها إلى اللجان المختصة لإعادة النظر فيها في ضوء ما كان من اعتراض . واختتمت الجلسة في الساعة الواحدة .

وبادر الوفد إلى زيارة السفارة السورية لمتابعة الحديث الذي كان مع سيادة الأمين العام مع سيادة السفير بغية إرسال المطبوعات التي ينوي مجمع القاهرة إرسالها .

٧ — وقد شهدنا في اليوم التالي حفل التأبين الذي أقيم في الساعة السادسة بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع (١٦ شارع رمسيس) وشهده أكثر المجمعيين وصفوة من العلماء ومن السوريين المقيمين في القاهرة واعتذر عن الحضور الدكتور طه حسين وأناب عنه نائب الرئيس الأستاذ أحمد زكي المهندس كما اعتذر سيادة السفير السوري لوعكة صحية أصابته وشهدت حرمه المصون الحفل مشاركة فيه ومعتذرة عنه .

وافتتح نائب الرئيس الأستاذ أحمد زكي المهندس بكلمة رصينة رثى فيها الفقيد الراحل واقفاً عند أبرز ملامح حياته .

ثم ألقى الدكتور عبد الحليم منتصر كلمة مجمع القاهرة فتحدث عن حياة الفقيد وعن أعماله العلمية حديثاً شاملاً تابع فيه مراحل هذه الحياة وأنواع هذه الأعمال وكان خطابه مليئاً بالتقدير لمكانة الفقيد والإكبار للأثر الذي خلفه والجهد الذي بذله في سبيل إغناء العربية بالكثير من المصطلحات العلمية وقواعد التعريب ، وتوحيد المصطلح العربي بين المتكلمين بالعربية جميعاً .

وتحدث بعده الدكتور حسني سبح فشكر لمجمع القاهرة صنيعه وللأستاذ المهندس وللدكتور المنتصر كلمتيهما وأنهما أوفيا الحديث عن سيرة الفقيد حقه وأن مجمع دمشق أصدر كتاباً للزميل الدكتور عدنان الخطيب استوفى فيه حياة الراحل وترجم له ترجمة حافلة وأنه لذلك لن يكرر ما كان من حديث وإنما سيتناول في كلمته الفقيد ذاكراً بما عرفه منه وما رآه فيه منذ كان

بينهما أول لقاء إلى أن اختاره الله لجواره وأن زياراته الأسبوعية خلال مرضه أتاحت له إدراك جوانب من شخصيته ، لعل من أبرز ما فيها من نحو فكري الاعتزاز بالعربية لغة وبالعربية قومية وبالعربية وطناً ولعل أبرز ما فيها من نحو سلوكي الدؤوب على العمل في نطاق اللغة العربية حتى الأيام الأخيرة من حياته وكانت الكلمة بعد ذلك للأستاذ الشاعر عزيز أباظة عضو مجمع اللغة فالقى قصيدة رائعة بث فيهـــا شجونه وآلامه ، وطوف في ميدان التسـاؤل القلق عن الوجود والمصير ، وخص واقع اللغة العربية والحيـاة العربية بوقفة متألمة وكانت القصيدة صورة عن البيان العربي المشرق والشعر القوي الرصين .

ثم تحدثت السيدة ثريا الحافظ باسم آل الفقيد وكان مرتكز حديثها هذه الصلة الروحية التي كانت تربط بين الفقيد وبين مصر العربية من عهد بعيد صلة أنطقته بعض الشعر ، أوردت في كلمتها طرفاً منه .

وقد ألقى أحد السادة الإداريين من المجمع برقية كريمتي الفقيد في شكر المجمع وانتهى الحفل في الساعة السابعة والنصف .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن من تقاليد مجمع اللغة في القـاهرة أن يعتبر مثل هذه الاحتفالات جلسة من جلساته التي يشارك فيها الجمهور .

٨ – وفي اليوم التالي أعاد الوفد اتصاله بالإخوان من زملاء مجمع القاهرة لاستكمال الحوار في الأمور المجمعية المشتركة ودار الحديث حول مائدة غداء دعانا إليها الأمين العـام وحضرهـا نائب رئيس المجمع أحمد زكي المهندس وأحد السادة الإداريين .

وكان هدفنا في هذه المرة تعميق موضوع الصلات والتعرض إلى ألوان النشاط حول تبادل الأقلام في المجلتين ودورات المجمع ومؤتمرات المجامع وشؤون مجمعية أخرى نوجزها فيما يلي :

آ — في موضوع الصلات : كان هنالك اقتراح أن يقوم مجمعنا كذلك بتزويد أعضاء مجمع القاهرة بالمجلة والمطبوعات ولا أشك في أنكم أيها السادة الزملاء توافقون على هذه الخطوة نقوم بها بدءاً من العام الجديد ١٩٦٩ شداً للأواصر وتمكيناً للمجمع من أداء رسالته .

ب — في موضوع النشاط المشترك تحدثنا عن تبادل الأقلام في المجلتين فيشارك الأعضاء هنا في مجلة القاهرة ويشارك أعضاء مجمع القاهرة في مجلة مجمعكم الموقر .

جـ — واقترحنا أن نكون كذلك على صلة قريبة وسريعة ومستمدة بأعمال اللجان عندهم ، أو على الأقل بالمصطلحات التي يؤدونها بغية الاجتماع على مصطلح واحد .

د — دار حديث حول مشاركة مجمع دمشق في دورة مجمع القاهرة ، وبدا لنا أن ذلك إذا كان متعذراً من نحو مادي في هذا العام فسيكون موضع اهتمام إخواننا هناك وإصرارهم في العام القادم .

هـ — كذلك حول دورة جديدة لمؤتمر المجامع اللغوية وسنتحدث إلى الزملاء الأكارم خلال مدارسة هذا التقرير عن بعض التفاصيل في تحديد هذه النقاط .

٩ — وقد حرص الإخوان المجميون في القاهرة خلال هذه اللقاءات المتصلة على أن يقدموا لإخوانهم هنا في دمشق أطيب تحياتهم ويسعدنا أننا نزودنا بها وأننا ننقلها إليكم مشفوعة بأعظم الأمل في أن نظفر بالتعاون الكامل على استعادة صلات المجمعين وتوحيد خطاهما لتتضاعف جهودهما .

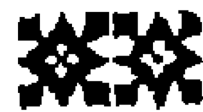
١٠ — وقد عدنا في اليوم التالي مباشرة إلى دمشق .

إننا إذ نقدم هذا التقرير يسرنا أن نتحدث إليكم فيه لعلنا نخلص إلى بعض الاقتراحات العلمية في النواحي المختلفة التي تعرضنا لها أو أية ناحية أخرى ترون من الخير الحديث فيها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس

الدكتور شكري فيصل — الدكتور حسني سبح



مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

(المجمع العلمي العربي سابقاً)

خلال خمسين عاماً (منذ إنشائه إلى سنة ١٩٦٨ م)

السنة	الرقم	
١٩٢١	١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الأول) عدد صفحاته ٤٠٠ صفحة
١٩٢٢	٢	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الثاني) عدد صفحاته ٣٩٢ صفحة
١٩٢٣	٣	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الثالث) عدد صفحاته ٣٩٨ صفحة
١٩٢٤	٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الرابع) عدد صفحاته ٥٨٦ صفحة
١٩٢٥	٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الخامس) عدد صفحاته ٦٩٢ صفحة
	٦	محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول) عدد صفحاته ٣٧٢ صفحة
١٩٢٦	٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد السادس) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٢٧	٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد السابع) عدد صفحاته ٥٨٤ صفحة
١٩٢٨	٩	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الثامن) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٢٩	١٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد التاسع) عدد صفحاته ٧٨٤ صفحة
١٩٣٠	١١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد العاشر) عدد صفحاته ٧٨٤ صفحة
	١٢	نشوار المحاضرة لأبي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق مرجليوث . عدد صفحاته ١٨٨ صفحة .
١٩٣١	١٣	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١١) عدد صفحاته ٥١٤ صفحة
١٩٣٢	١٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٢) عدد صفحاته ٤٧٩ صفحة

السنة	الرقم	
١٩٣٢	١٥	رسالة التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق حسن حسني عبد الوهاب. عدد صفحاتها ٣٦ صفحة .
	١٦	نشوار المحاضرة لأبي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق مرجليوث . عدد صفحاته ١٩٦ صفحة .
١٩٣٣–١٩٣٥	١٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٣) عدد صفحاته ٤٧٩ صفحة
١٩٣٦	١٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٤) عدد صفحاته ٤٩٦ صفحة
	١٩	رسالة تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاتها ٧٨ صفحة .
١٩٣٧	٢٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٥) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
	٢١	بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي : بتحقيق عز الدين التنوخي عدد صفحاته ١٢٠ صفحة .
	٢٢	ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق ف . جبريالي . قدم له خليل مردم بك . عدد صفحاته ٥٨ صفحة .
١٩٣٩	٢٣	رسالة المنتقى من أخبار الأصمعي : بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاتها ٩٠ صفحة .
١٩٤١	٢٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٦) عدد صفحاته ٥٧٧ صفحة
١٩٤٢	٢٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٧) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٤٣	٢٦	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٨) عدد صفحاته ٥٧٧ صفحة
١٩٤٤	٢٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٩) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
	٢٨	رسالة الملائكة لأبي العلاء المعرّي بتحقيق محمد سليم الجندي . عدد صفحاتها ٣٣٠ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٤٥	٢٩	المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له خليل مردم بك . عدد صفحاته ٤٠٠ صفحة .
	٣٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٠) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٤٦	٣١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢١) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
	٣٢	تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق محمد كرد علي
	٣٣	المستجاد من فعلات الأجواد لأبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق محمد كرد علي . عدد صفحاته ٢٨٦ .
	٣٤	ديوان ابن عنين : بتحقيق خليل مردم بك عدد صفحاته ٢١٨ صفحة
١٩٤٧	٣٥	كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق محمد كرد علي . عدد صفحاته ١٢٨ صفحة .
	٣٦	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش . عدد صفحاته ٤٦٨ صفحة .
	٣٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٢) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٤٨	٣٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٣) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٣٩	الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس لأحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني . عدد صفحاته ٦٧٤ صفحة .
١٩٤٩	٤٠	ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته خليل مردم بك . عدد صفحاته ٢٧٤ صفحة .
	٤١	غوطة دمشق : تأليف محمد كرد علي عدد صفحاته ٢٩٢ صفحة

السنة	الرقم	
١٩٤٩	٤٢	الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) بتحقيق الدكتور جميل صليبا . عدد صفحاتها ٧٥٠ صفحة .
	٤٣	طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق الأستاذ ك . ر . سترستين . عدد صفحاته ٢٩٢ صفحة .
	٤٤	عثرات اللسان للشيخ عبد القادر المغربي عدد صفحاته ١٥٢ صفحة
	٤٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٤) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
١٩٥٠	٤٦	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٥) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٤٧	كنوز الأجداد تأليف محمد كرد علي . عدد صفحاته ٤٤٠ صفحة
	٤٨	ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان . عدد صفحاته ٤٣٤ .
	٤٩	فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ١٨٢ صفحه .
	٥٠	تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني . عدد صفحاته ١٥٢ صفحة .
	٥١	الموفي في النحو الكوفي لصدر الدين الكنغراوي الاستانبولي شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ١٩٤ صفحة
١٩٥١	٥٢	ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق خليل مردم بك عدد صفحاته ٣٦٨ صفحة .
	٥٣	ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق خليل مردم بك عدد صفحاته ٣٩٤ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٥١	٥٤	الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني . عدد صفحاته ٨٣٢ صفحة .
	٥٥	الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا . عدد صفحاتها ٤٣٤ صفحة .
	٥٦	تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٩٤٨ صفحة .
	٥٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٦) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
١٩٥٢	٥٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٧) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٥٩	البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق محمد كرد علي عدد صفحاته ٢١٤ صفحة .
١٩٥٣	٦٠	أسماء مؤلفات ابن تيمية لشمس الدين ابن قيم الجوزية : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاتها ٣٢ صفحة .
	٦١	صحيفة همام بن منبه أقدم تدوين في الحديث النبوي : بتحقيق الدكتور محمد حميد الله . عدد صفحاتها ٦٤ صفحة .
	٦٢	سفر خالد بن الوليد من العراق إلى الشام : لطه الهاشمي . عدد صفحاته ٦٢ صفحة .
	٦٣	تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية في العهود التالية لأيام العباسيين للأستاذ عباس العزاوي عدد صفحاته ٥٤ صفحة
	٦٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٨) عدد صفحاته ٦٩٠ صفحة
١٩٥٤	٦٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٩) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٦٦	محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني) عدد صفحاته ٥٩٨ صفحة

السنة	الرقم	
١٩٥٤	٦٧	محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث) عدد صفحاته ٥٩٨ صفحة
	٦٨	تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الثانية — القسم الأول) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٧٤ صفحة .
	٦٩	تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهد العثماني للأستاذ عباس العزاوي . عدد صفحاته ٥٤ صفحة
١٩٥٥	٧٠	أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٢٤٨ صفحة .
	٧١	خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام — الجزء الأول) بتحقيق الدكتور شكري فيصل . عدد صفحاته ٧٢٤ صفحة .
	٧٢	محمد كرد علي « حياته وآثاره » : الدكتور سامي الدهان . عدد صفحاته ٧٠ صفحة .
	٧٣	رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا : بتحقيق محمد صغير حسن المعصومي . عدد صفحاتها ٦٠ صفحة .
	٧٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٠) عدد صفحاته ٧٠٢ صفحة
١٩٥٦	٧٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣١) عدد صفحاته ٧٠٢ صفحة
	٧٦	قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٤٥٢ صفحة .
	٧٧	الزيارات بدمشق للقاضي محمود العدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عدد صفحاته ١٣٤ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٥٦	٧٨	فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الأول يتضمن فهرس المجلدات العشر الأولى) : وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ٧٩٠ صفحة .
	٧٩	ديوان أبي حصينة السلمي المعري (الجزء الأول) : بتحقيق محمد أسعد طلس . عدد صفحاته ٤٩٢ صفحة .
	٨٠	تاريخ المجمع العلمي العربي : تأليف الأستاذ أحمد الفتيح . عدد صفحاته ٣٢٦ صفحة .
١٩٥٧	٨١	أسرار العربية لأبي البركات الأنباري : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٥٢٤ صفحة .
	٨٢	ديوان ابن أبي حصينة السلمي المعري . (الجزء الثاني) بتحقيق محمد أسعد طلس . عدد صفحاته ٣١٦ صفحة .
	٨٣	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٢) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
١٩٥٨	٨٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٣) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
	٨٥	ديوان ابن الخياط: بتحقيق خليل مردم بك . عدد صفحاته ٤٢٠ صفحة
	٨٦	الثقافة الإسلامية في الهند (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف) لعبد الحي الحسني الندوي . عدد صفحاته ٣٥٨ صفحة
	٨٧	أخبار البحتري لأبي بكر الصولي : بتحقيق الدكتور صالح الأشتر . عدد صفحاته ٢٥٨ صفحة .
	٨٨	فتيا فقيه العرب لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي : بتحقيق الدكتور حسين علي محفوظ عدد صفحاته ٥٢ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٥٩	٨٩	تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٩٠ صفحة .
	٩٠	جريدة القصر وخريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام — الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل . عدد صفحاته ٧٢٨ صفحة .
	٩١	رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة : بتحقيق الدكتور سامي الدهان عدد صفحاتها ٢٠٨ صفحة
	٩٢	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٤) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
١٩٦٠	٩٣	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٥) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
	٩٤	نسخة تاسعة من ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني عدد صفحاتها ٣٨ صفحة .
	٩٥	كتاب النفس لابن باجه الأندلسي : بتحقيق الدكتور محمد حسن عدد صفحاته ١٥٤ صفحة .
	٩٦	المثنى لأبي الطيب اللغوي : بتحقيق عز الدين التنوخي عدد صفحاته ١٤٠ صفحة .
	٩٧	ديوان خليل مردم بك . عدد صفحاته ٤٨٢ صفحة .
	٩٨	الإبدال لأبي الطيب اللغوي (الجزء الأول) : بتحقيق عز الدين التنوخي عدد صفحاته ٤٨٤ صفحة .

السنة الرقم

١٩٦١ ٩٩ الإبدال لأبي الطيب اللغوي (الجزء الثاني) : بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاته ٧٢٤ صفحة .

١٠٠ النوادر لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٤٢٤ صفحة

١٠١ النوادر لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٣٣٨ صفحة

١٠٢ الإتباع لأبي الطيب اللغوي : بتحقيق عز الدين التوخي . عدد صفحاته ١٥٦ صفحة .

١٠٣ اعتاب الكتاب لابن الأبار : تحقيق الدكتور صالح الأشتر . عدد صفحاته ٣٢٨ صفحة .

١٠٤ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٦٦٢ صفحة .

١٠٥ مجلة مجمع اللغة العربية « مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً » (المجلد ٣٦) عدد صفحاته ٧٠٨ .

١٩٦٢ ١٠٦ مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٧) عدد صفحاته ٧٠٨ صفحة

١٠٧ فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني — القسم الأول) : يتضمن فهرس المجلدات (١١ — ٢٠) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ٤٦١ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٢	١٠٨	فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثانية (الجزء الثاني — القسم الثاني) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ٣٤٠ صفحة .
	١٠٩	الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره لسليم الجندي (الجزء الأول) بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم . عدد صفحاته ٥٨٥ صفحة .
	١١٠	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم علوم القرآن) : للدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٤٧٤ صفحة .
	١١١	معجم المصطلحات الجراحية بالإنكليزية والفرنسية والعربية ويشتمل على ألف مصطلح ونيف . بقلم الأمير مصطفى الشهابي . عدد صفحاته ٣٤٥ صفحة .
	١١٢	الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي : بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاته ١٥٢ صفحة .
	١١٣	شعر الراعي النميري وأخباره : جمعه ناصر الحاني وراجعه وجمع شواهده عز الدين التنوخي . عدد صفحاته ٢١٥ صفحة .
	١١٤	مختصر الكلام في الفرق بين من اسم أبيه سلاّم وسلام : لابن معمر الحسيني الجواني . بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٢٤ صفحة .
	١١٥	رسالة شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها لمحمد بن القاسم الأنباري : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عدد صفحاتها ١٦ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٢	١١٦	الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره (الجزء الثاني) لسليم الجندي بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم عدد صفحاته ٦٦٢ .
١٩٦٣	١١٧	تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة العاشرة) : بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان . عدد صفحاته ٥٢٤ صفحة .
	١١٨	فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثالثة (الجزء الثالث ـ القسم الأول) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ٤٨٩ صفحة .
	١١٩	فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثالثة (الجزء الثالث ـ القسم الثاني) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ٣٦٥ صفحة .
	١٢٠	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الثاني) لعبد الرزاق البيطار : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٥٠٦ صفحة .
	١٢١	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الثالث) لعبد الرزاق البيطار : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٥١٠ صفحة .
	١٢٢	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الفقه الشافعي) : وضعه الأستاذ عبد الغني الدقر , عدد صفحاته ٣٦٢ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٣	١٢٣	خريدة القصر وجريدة العصر (الجزء الثالث) في ذكر محاسن فضلاء الحجاز واليمن للعماد الأصفهاني الكاتب : بتحقيق الدكتور شكري فيصل . عدد صفحاته ٤٢٨ صفحة .
	١٢٤	وصف المطر والسحاب لابن دريد : بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاته ١٥٢ صفحة
	١٢٥	كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاتها ٥١٨ صفحة .
	١٢٦	كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٤٣٢ صفحة .
	١٢٧	الألفاظ المعربة والموضوعة الواردة في السنوات العشر الثالثة في مجلة المجمع العلمي العربي : جمع وترتيب الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ١٧٠ صفحة .
	١٢٨	المقدمة من كتاب المسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسي : بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي عدد صفحاته ٢٦ صفحة .
	١٢٩	أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية للأمير مصطفى الشهابي . عدد صفحاته ٢٤ صفحة .
	١٣٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٨) عدد صفحاته ٧٠٨ صفحة
١٩٦٤	١٣١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٩) عدد صفحاته ٧٠٨ صفحة

السنة	الرقم	
١٩٦٤	١٣٢	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر) وضعه الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٤٤٠ صفحة .
	١٣٣	الحيدة لعبد العزيز الكناني : بتحقيق الدكتور جميل صليبا . عدد صفحاته ٣٠٤ صفحة .
	١٣٤	جمهرة المغنين لخليل مردم بك : بتعليق وإشراف الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي . عدد صفحاته ٣٢٠ صفحة .
	١٣٥	شعر دعبل الخزاعي ، صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر . عدد صفحاته ٥٥٨ صفحة .
	١٣٦	سؤال في يزيد بن معاوية لابن تيمية : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٢٣ صفحة .
	١٣٧	قرة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٢٤ صفحة .
١٩٦٥	١٣٨	الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق لمحمد بن محرز الوهراني: تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٢٠ صفحة .
	١٣٩	ما بنته العرب على فعال للصغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٢٠٠ صفحة .
	١٤٠	زجر النابح « مقتطفات » لأبي العلاء المعري: تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي.عدد صفحاته ٢٥٣ صفحة مع المقدمة والاستدراكات .

السنة	الرقم	
١٩٦٥	١٤١	أخلاق الوزيرين (أو مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي : تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي . عدد صفحاته ٧٠٠ صفحة .
	١٤٢	ديوان ابن النقيب عبد الرحمن كمال بن محمد الحسيني : تحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي . عدد صفحاته ٣٤٣ صفحة .
	١٤٣	مقدمة كتاب الحشائش والأدوية لديسقوريدس بترجمة مهران بن منصور بن مهران : تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد. عدد صفحاته ٣٩ صفحة .
	١٤٤	المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث (طبعة ثانية منقحة ومزيدة) : بقلم الأمير مصطفى الشهابي . عدد صفحاته ٢١٩ صفحة .
	١٤٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٤٠) . عدد صفحاته ٨٩٦ صفحة.
١٩٦٦	١٤٦	مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً) (المجلد ٤١) . عدد صفحاته ٨٩٦ صفحة .
	١٤٧	تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٨٠ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٦	١٤٨	الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره (الجزء الثالث) لسليم الجندي : بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم . عدد صفحاته ٧٥٢ صفحة .
	١٤٩	تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع لابن جني : تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري . عدد صفحاته ٣٧٨ صفحة .
	١٥٠	كتاب الأعرابيات لخليل مردم بك . مع المقدمة : تحقيق الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندى . عدد صفحاته ٣٦٠ صفحة .
	١٥١	جزء من ديوان الفرزدق ، رواية الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن حبيب الأعرابي عن الفضل بن محمد ويعقوب بن السكيت عن الحرمازي ، قدم له الدكتور شاكر الفحام ، تصوير أوفست . عدد صفحاته ٢٥٣ صفحة .
	١٥٢	مدرسة سالرنو الطبية : بقلم الدكتور فيصل دبدوب . عدد صفحاتها ٤٠ صفحة .
١٩٦٧	١٥٣	معجم المصطلحات الأثرية بالافرنسية والعربية : وضعه الأستاذ الأمير يحي الشهابي . عدد صفحاته ٤٦٣ صفحة .
	١٥٤	مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس : تحقيق الدكتور فيصل دبدوب . عدد صفحاتها ٢٢ صفحة .
	١٥٥	ديوان فتيان الشاغوري : تحقيق الأستاذ أحمد الجندي.عددصفحاته ٦٨٤ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٧	١٥٦	المدرسة الظاهرية (دار الكتب الوطنية) : بقلم السيدة أسماء الحمصي. عدد صفحاته ١٥٨ صفحة .
	١٥٧	رسالة آداب المؤاكلة لبدر الدين محمد الغزي : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا عدد صفحاتها ٥٠ صفحة .
	١٥٨	الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابي : تحقيق الدكتور صالح الأشتر. عدد صفحاته ٥٤٢ صفحة .
	١٥٩	ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري: تحقيق الدكتور عمر موسى باشا. عدد صفحاته ٧٣٦ صفحة .
	١٦٠	نظرات في المعجم الوسيط للدكتور عدنان الخطيب . عدد صفحاته ٣١٢ صفحة .
	١٦١	مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً) ، (المجلد ٤٢) . عدد صفحاته ٨٧٦ صفحة .
١٩٦٨	١٦٢	مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً) ، (المجلد ٤٣) . عدد صفحاته ٩٤٨ صفحة .
	١٦٣	كتاب آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي: تحقيق الدكتور عمر موسى باشا . عدد صفحاته ١٠٤ صفحات .
	١٦٤	خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء الشام) للعماد الأصفهاني الكاتب : تحقيق الدكتور شكري فيصل . عدد صفحاته ٣٤٠ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٨	١٦٥	الأمير مصطفى الشهابي (حياته) : بقلم الدكتور عدنان الخطيب . عدد صفحاته ٥٦ صفحة .
	١٦٦	التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الأصفهاني : تحقيق محمد أسعد طلس، مراجعة السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبد المعين الملوحي . عدد صفحاته ٣٣٢ صفحة .
١٩٦٩	١٦٧	سابق البربري شاعر من المغرب عاش في الشام: بقلم عبد الله كنون . عدد صفحاتها ٢٨ صفحة .
	١٦٨	مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً)، (المجلد ٤٤).
	١٦٩	المجمعيون في خمسين عاماً الدكتور عدنان الخطيب .



تحت الطبع

السنة	الرقم	
١٩٦٩	١	قطب السرور في أوصاف الخمور لأبي اسحاق ابراهيم المعروف بالرقيق النديم القيرواني : تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .
	٢	ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب : تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
	٣	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الحديث) : وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .
	٤	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الطب) : وضع الدكتور سامي خلف حمارنة .
	٥	ديوان ابن هرمة القرشي : جمع وتحقيق الأستاذ محمد النفاخ والدكتور حسين عطوان .
	٦	كتاب اللامات للزجاجي : تحقيق الدكتور مازن المبارك .
	٧	ديوان الخالديين : جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .
	٨	كتاب التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري : تحقيق الدكتورعزة حسن .
	٩	نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان : للدكتور صلاح الدين الكواكبي .
	١٠	فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر : وضع الآنسة ملك هنانو .

